دليل الأخلاق
لكل مؤمن ومؤمنة



دليل الأخلاق

لكل مؤمن ومؤمنة

تأليف

الشيخ حيدر اليعقوبي

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله عز وجل :

(وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين) الذاريات - ٥٥

وفي الحديث المشهور المروي عن النبي (ص) : (انما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) (ان الله خص رسوله (ص) بمكارم الأخلاق ، فامتحنوا أنفسكم ، فان كانت فيكم فاحمدوا الله ، وارغبوا إليه في الزيادة منها) .

وفي رواية اخرى : (ومن لم تكن فيه فليتضرع إلى الله عزوجل ، وليسأله إياها) .

وفي حديث آخر عن النبي (ص) : (عليك بمحاسن الأخلاق فاركبها ، وعليك بمساوي الأخلاق فاجتنبها ، فان لم تفعل فلا تلومن إلا نفسك).

وفي حديث آخر عن الصادق (ع) : (عليكم بمكارم الأخلاق ، فان الله عز وجل يحبها ، وإياكم ومذام الأفعال ، فان الله يبغضها) .

ولا يخفى ان مصادر كثيرة ومتنوعة تحدثت عن الأخلاق والآداب والفضائل التي أمرنا الله تعالى بها ، وأرشدنا إليها ، سواء كانت واجبة او مندوبة .

وهذا الكتاب المتواضع والجهد القاصر انما هو تذكير ، ودليل (فهرست) يستعرض التفاصيل و المصاديق التي يشتمل عليها عنوان الأخلاق بمعناه العام ..

أو لنقل بتعبير آخـر اننا سنستعرض في هذا الكتاب ، ما ينبغي ان يفعله الفرد تجاه خالقه عز وجل ، وتجاه نفسه ، وتجاه الآخرين ..

وكذلك نستعرض ما لا ينبغي ان يفعله الفرد تجاه خالقه عز وجل ، وتجاه نفسه ، وتجاه الاخرين ..

سواء كان ذلك بنحو الوجوب او الندب كما قلنا ..

مع الالتفات إلى ان بعض الأخلاق وجودية من قبيل الصدق او الشجاعة، فان المطلوب هو وجودها ، وبعض الأخلاق عدمية - كما يعبرون - ، أي ان المطلوب هو الإجتناب وعدم الفعل ، من قبيل عدم الكذب وعدم الجبن ...

وبالمناسبة فاننا سنتحدث عن عنوان الصدق مثلاً منفصلاً عن عنوان عدم الكذب ، كما سنتحدث عن عنوان الشجاعة مثلاً منفصلاً عن عنوان عدم الجبن ، وذلك لأجل إبراز المطلوب و تركيز الفكرة ، و (لنجعلها لكم تذكرة ، وتعيها اذن واعية) الحاقة _ ١٢

ولا ندعي اننا استوعبنا المطلوب بنحو الحصر والكفاية ..

(كلا .. إنه تذكرة ، فمن شاء ذكره) المدثر (٥٤- ٥٥)

نسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن ذكره ، وان يجعلنا من المؤمنين الذين تنفعهم الذكرى ، وقد ورد في الدعاء (اللهم فاجعل نفسي مستنة بسنن أوليائك ، مفارقة لأخلاق أعدائك)..

وبمناسبة هذا المقطع من الدعاء فقد ذكرنا في(شرح زيارة أمين الله) أنه يوجد لدينا مقياس مهم واساسي نستطيع من خلاله ان نتعرف على حسن الأفعال او قبحها عند الله عز وجل.

وهذا المقياس سهل نسبياً ، ويمكن لأي أحد أن يستند اليه بمقدار ما يستطيع بعد التوكل على الله تعالى وطلب هدايته وتوفيقه.
فهناك طائفة من الخلق يجمعها عداء الله ورسالاته وتشريعاته ؛ بمعنى انهم يشتركون بمحاربة الافكار والمفاهيم السماوية سواء بالقول او بالفعل، وسواء كانوا يشعرون بذلك او لا يشعرون.
وهؤلاء يستحقون من الخالق عز وجل ان يطردهم ويبعدهم عنه ، علاوة على انهم استحقوا السخط الرباني والغضب الإلهي.
(حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) (الشورى: ١٦).

والمتأمل في أحوال هذه الطائفة على مر العصور والأجيال يلاحظ انها تشترك عموماً في منظومة من الطبائع والتصرفات تميل الى الحيوانية والشهوانية، بمقدار ما تبتعد عن المثالية والانسانية الحقيقية ؛ ولهذا فهي أخلاق سلبية ، وانما سميت أخلاق باعتبار انها يُتخلَّق أو يُتّصف بها من باب الخلق السيء الذي يقابل الخلق الحسن.
ولا ريب ان الاتصاف بمثل هذه الاخلاق السيئة، والتشبه بأصحابها بقصد او بغير قصد ؛ سيوقع الفرد في مشكلة مع خالقه عز وجل؛ لأنه سيماثل أعداء الله من هذه الناحية ؛ وهذا سيسبب له عدة مخاطر ومحاذير والعياذ بالله تعالى..
ولذلك فنحن نسأل الله عز وجل ان يجعل هذه النفس القاصرة التي تحيى بين اضلعنا مفارقة لأخلاق أعدائه عز وجل؛ وهذا هو معنى (التخلية) التي يُصطلح عليها في علم الأخلاق ؛ أي تخلية النفس من الموانع والحجب التي تقف حائلاً امام الكمال والقرب الإلهي ؛ فهذه الموانع والحجب هي

الأخلاق والأوصاف السلبية او الذميمة التي يتّصف بها غالباً اعـداء الله عز وجلّ، ويجمعها عنوان بسيط هو مخالفة (الشريعة الإلهية وقواعد السير الى الخالق تعالى).

وفي المقابل توجد طائفة اخرى آمنت بخالقها واختارته وسلكت طريقها اليه بورع واجتهاد، ووعي واخلاص ؛ فهم اولياء الله الذين تولوه وتمسكوا به، والتزموا بشريعته وطبقوا قواعد السير اليه عز وجل ؛ فاشتركوا بصفات عالية وأخلاق سامية لا يختلف في حسنها اثنان من العقلاء ؛ ولا ينكر رجحانها أي انسان حقيقي يميز بين الخير والشر، بل لا ينكر ذلك حتى هؤلاء الطغاة الذين تمادوا في ظلم انفسهم بالفساد والانحراف..

(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) (النمل:١٤).

نسأل الله عز وجل ان يرزقنا تلك الأخلاق الصالحة؛ وان يمن علينا بـ(التحلية) وهي الاستنان والاتصاف بسنن واخلاق اوليائه الذين ارتضاهم وقبلهم بقبوله الخالص، انه ولي التوفيق والهداية.

وهكذا فإن الفرد يمكنه ان يعرف نفسه بهذا المقياس البسيط ، والعملي في نفس الوقت ؛ فإذا اراد أن يحاسب نفسه من جهة أعماله؛ فليلاحظ هل انه يعمل او يتّصف بأوصاف اهل الفساد والانحراف من اعداء الله عز وجل الذين خالفوا شريعته ؛ أم انه يعمل او يتصف بأوصاف وأخلاق اهل الهداية والإيمان من أولياء الله عز وجل الذين التزموا بشريعته..

وبهذا المقياس سيميز الفرد مستواه عند خالقه عز وجل بمقدار ما يؤديه من الناحيتين ؛ فإن كان من أهل الخير فلا يُعجَب بنفسه وإنما يشكر الخالق على

هدايته ويستزيد ويحافظ ؛ وإن كان من أهل الشر فلا ييأس من رحمة الله عز وجل ؛ وانما يستغفر الله ويتوب اليه ويحاول إصلاح نفسه ما دامت الفرصة موجودة قبل ان يأتيه الموت من حيث لا يشعر.

وقد ورد في الحديث عن الامام الباقر (ع) (اذا اردت ان تعلم ان فيك خيراً ؛ فانظر قلبك، فإن كان يحب اهل طاعة الله، ويبغض أهل معصيته، ففيك خير والله يحبك. وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير، والله يبغضك.. والمرء مع من أحب).

فمثلاً اذا كان الفرد يحب مشاهدة الأغاني او الافلام المنحرفة ، فإنه يتصف من هذه الناحية بأخلاق الأعداء؛ ويحب أعمالهم؛ وبهذا فهو غير قريب من الله تعالى، وهذا يعني انه خسر الفيوضات الإلهية ؛ وحُرِمَ من النفحات القدسية ؛ وأبعده الله عن بركاته ؛ ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأخزى . نعم يستطيع الفرد ان يعود ويرجع بالتوبة والاستغفار؛ ومفارقة اخلاق الأعداء قربة الى الله عز وجل.

ولنختم المقدمة بذكـر ماورد في دعاء مكارم الأخلاق (وهب لي معالي الاخلاق) ، وفيه ايضاً (اللهم اسلك بي الطريقة المثلى ، واجعلني على ملتك أموت واحيا) ..

اللهم فوفقنا لما تحب وترضى يارب العالمين ، بحق نبينا المصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين .

(انها تذكرة .. فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً) المزمل - ١٩

قم وتـأمـل دوحـــة الأخلاقِ

في لحـــظـة من عـالـــم الإشـراق

الإيمان بالله وبأصول الدين

أولها الإيمان طوعاً مُذعنا

بأن يكون مسلماً ومؤمنا

حيث يقول الله تعالى :
(آمن الرسول بما أُنزل إليهِ من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحدٍ من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) البقرة - ٢٨٥

ويقول عز وجل أيضاً : (قد أفلح المؤمنون) المؤمنون - ١

والايمان مبدأ أساسي ، و بدونه لا يستحق الفرد الدخول إلى الجنة ، مع الالتفات إلى ان المقصود بالايمان ما يشمل الإسلام ، لأنه عبارة عن الاعتقاد والتصديق بالعقائد والأصول التي جاء بها الإسلام كالتوحيد والنبوة والإمامة وغيرها.

وفي الحديث عن الصادق (ع) ان حدود الايمان شهادة ان لا إله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وصلوات الخمس، وأداء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت ، وولاية ولينا ، وعداوة عدونا ، والدخول مع الصادقين .

وفي الحديث أيضاً ان (الايمان إقرار وعمل ، والإسلام إقرار بلا عمل) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (من أقر بدين الله فهو مسلم ، ومن عمل بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن) .

وفي حديث آخر عنه (ع) أيضاً : ان الايمان هو (الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام ، وما ظهر من العمل به ، والايمان ارفع من الإسلام بدرجة) .

وفي رواية عن الصادق (ع) ان (الايمان معرفة هذا الأمر مع هذا) ، أي معرفة ولاية الأئمة الاثني عشر (ع) ، علاوة على سائر أصول الدين .

وهكذا يتضح لنا – على أية حال – أن الإيمان أخص من الإسلام؛ فإن كل مؤمن مسلم، وليس شرطاً أن يكون كل مسلم هو مؤمن، وقد ورد قوله تعالى:

((قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم)) الحجرات – ١٤.

وفي بعض الأحاديث الواردة عن المعصومين (ع) ان (الايمان يشارك الإسلام ، والإسلام لا يشارك الايمان) .

فإذا عرفنا أن الإسلام هو النطق بالشهادتين، أي شهادة التوحيد، وشهادة النبوة لخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.. فإن الإيمان اذاً هو شيء زائد وأعلى من مجرد النطق بالشهادتين..

ونستطيع أن نختصر معناه بالقول أن الإيمان هو إستكمال الحد الأدنى من واجباتنا كمكلفين تجاه خالقنا عز وجل؛ وهذا الحد الأدنى هو عبارة عن مجموعة من الإلتزامات الباطنية والظاهرية ..

فمن الباطنية : الإعتقاد القلبي بعقيدة التوحيد والنبوة ونحوها من اصول الدين وقواعده.

ومن الظاهرية : الصلاة والصوم والزكاة ونحوها من فروع الدين وأركانه العملية ؛ بحيث لو ترك المكلف واحداً من هذه الالتزامات لم يكن مؤمناً ..

وقد ورد في الحديث عن المعصومين(ع) ما مضمونه (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسـرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)..

أي أن الايمان يفارق الفرد في لحظة عصيانه ؛ ولكنه يعود اليه بعد ذلك ، كما ورد عن الامام الباقر(ع): (فاذا قام عاد اليه روح الايمان) ، وفي رواية أخرى أنه يعود الايمان اليه اذا استغفر .

ومن تلك الإلتزامات التي هي ضمن الحد الأدنى للإيمان ، هي ولاية أهل البيت عليهم السلام ، والإيمان بإمامة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، فلو تركها أحد لم يكن مؤمناً ؛ لأنه لم يستكمل الحد الأدنى كما قلنا. وبهذا تعرف أن معنى الإيمان واحد في الحقيقة؛ وليس مختلفا كما يعتقد البعض ، حينما يظنون أن الإيمان عند الامامية يغاير الإيمان عند غيرهم.

أما إذا زاد الفرد على هذه الواجبات والإلتزامات فهذا يعني أنه قد بدأ يصعد في سلَّم الإيمان الذي لا يتناهى.

والمؤمنون على منازل كما يعبر الباقر (ع) ، والايمان درجات بمنزلة السلّم كما يعبر الصادق (ع) ، فالمفروض أخذ ذلك بنظر الإعتبار .

و قد ذكرنا في (فلسفة الأحكام الشرعية) أن التفاضل في الإيمان، حقيقة واضحة جداً ؛ ويوجد تفاوت في درجات الايمان ، فكلما كان الفرد ملتزما بتفاصيل دينه أكثر كلما كان ايمانه أقوى، وهذا الالتزام يتضمن عدة جوانب نذكر منها:

أ- أداء الواجبات وترك المحرمات ، فقد ورد عن الصادق(ع): (من عمل بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن) .

ب - الالتزام فوق ذلك بالمستحبات ، والإجتناب عن المكروهات، وهذه درجة أعلى بطبيعة الحال.

ج - الرضا بقضاء الله، وتفويض الأمور اليه ؛ فإنه شكل من أشكال الايمان ، ودرجة من درجاته .. وسيأتي الحديث عنه في محله .

د - التعامل مع الله تعالى في كل شيء ، وهو ما سنوضحه في عنوان مستقل ، حيث ينبغي للفرد أن يعيش كل حياته قربة الى الله تعالى..

فهو يأكل ليتقوى على الطاعات، وينام ليجدد نشاطه في كل ما يرضي الله تعالى.. هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فأنه يساعد الآخرين، وينصحهم، ويذكرهم ، ويتعامل معهم بالخير والمعروف ، من أجل الله رب العالمين.

هـ- الحب في الله، والبغض فيه؛ فانه درجة عالية ايضا من الايمان؛ يصبح الانسان فيها يحب الاشياء التي يريدها الله تعالى، ويبغض الأشياء التي لا يريدها الله تعالى؛ كما أنه يحب المؤمن وان كان بعيدا عنه ؛ ويبتعد عن المنحرف أو الكافر وان كان قريبا منه.

وهكذا تتعدد مستويات الايمان الى ما هو أعظم وأقدس ، وكلما زاد الايمان ازداد التقرب الى الخالق تعالى؛ وكلما ازداد التقرب ازدادت العناية الالهية، وكلما ازدادت ازداد الفيض الالهي ؛ وهكذا .. مما نرجوه ونأمله من رب العالمين، أنه لا يخيب آمله، ولا يقطع رجاء من رجاه.

ثم ان الايمان وان كان واجباً ، الا ان ثوابه عظيم ، حيث ورد أن الايمان بالله الذي لا إله الا هو ، أعلى الأعمال درجة ، وأشرفها منزلة ، وأسناها حظاً) .

وفي الحديث عن المعصومين (ع) ان فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران (ع) : (ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدي المؤمن ، فاني إنما أبتليه لما هو خير له ، وأعافيه لما هو خير له ، وأزوي عنه ما هو شرّ له لما هو خير له ، وأنا اعلم بما يصلح عليه عبدي ، فليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، وليرض بقضائي .. أكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضائي وأطاع أمري) .

الإخلاص لله تعالى

وبعده الـتوحيـدُ والإخــلاصُ

بـــه يكـــون الـعـزّ والخـلاصُ

حيث يقول الله عز وجل :

(قل إني أمرتُ أن أعبد الله مخلصاً لهُ الدين) الزمر- ١١

وفي الحـديث عـن أمـير المـؤمنين (ع) : (طـوبى لمـن اخلـص لله العبـادة والدعـاء ، ولم يـشغل قلبـه بمـا تـرى عينـاه ، ولم ينـس ذكـر الله بمـا تـسمع أذنـاه ، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره) .

وورد عنه (ع) أيضاً : (بالإخلاص يكون الخلاص) .

وقـد ذكرنـا في (طريقـك نحـو الجنـة) ان الإخـلاص عـدة درجـات وأهمها ما يأتي :

١- الاخلاص بمعنى التوحيد في الـذات، وذلـك بـان يعتقـد بوحدانيـة الله عزوجل وانه لاشريك له ولامعبود سواه.

حيـث ورد في الحـديث عـن الـصادق(ع): (خالـصاً مخلـصاً لـيس فيـه شيء من عبـادة الاوثـان) .. ولايخفـى ان هـذه الدرجـة تـدخل في الاسـلام والايمان .

٢- الاخلاص بمعنى التوجه بالاعمال لله تعالى وحده، وهو مـن أظهـر مـصاديق الاخـلاص، حيـث يذكرونـه في الرسـائل العمليـة للفقهـاء، ويعتـبر شرطاً لقبول العمل العبادي بل مطلـق الاعمـال. (إنمـا نطعمكــم لوجــه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) الانسان - ٩.

وقد ورد في الحديث عن المعصومين(ع): (الإبقاء على العمل حتى يخلص، أشد من العمل. والعمل الخالص الذي لاتريد ان يحمدك عليه أحد الاّ الله عزوجل) .

وعن النبي (ص): (أخلِص العمل يُجزك منه القليل) .

وعن الصادق(ع): (قال الله عزوجل مَن أشرك معي غيري في عمل لم أقبله الاّ ما كان لي خالصاً) .

أقول: اني لأعجب ممن يعمل ويرائي به، ولا أظنه (عاقلاً)، فأي مصلحة او منفعة ينتظرها من الاخرين، وما قيمتها بالنسبة الى ما عند الله عزوجل ، بل حتى هذا الذي يرائي بالعمل أمامه، لاينفعه ولاينظر اليه الاّ بمشيئة الله تعالى وإرادته عزوجل.

ففي الحديث عنه (ع) ايضاً: (مَن اراد الناس بالكثير من عمله، في تعب من بدنه، وسهر من ليله، أبى الله الاّ ان يقلله في عين من سمعه) .

وفي الحديث عنه (ع) ايضاً: (اجعلوا امركم هذا لله ولا تجعلوه للناس، فانه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد الى الله) .

٣- الاخلاص بمعنى الطاعة والالتزام، فقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله (ع): (لاينظر الله الى عبده ولايزكيه اذا ترك فريضة من فرائض الله، أو ارتكب كبيرة من الكبائر)..

ثم قال (ع): (قد أشرك بالله ... ان الله أمره بأمر، وأمره ابليس بأمر، فترك ما أمر الله عزوجل) .

كما انه من المعلوم وجداناً ان من يخلص لجهة معينة، يحاول جاهداً ان لا يغضبها أو يسخطها، والاّ فانه خلاف إخلاصه المدعى.

٤- الاخلاص بمعنى الحب والتعلق مع الله تعالى، بحيث يكون هدفه رضاه وقربه وشكره، وهذا ما يعبر عنه بعبادة الاحرار او الكرام، ففي الحديث عن أمير المؤمنين(ع): ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الاحرار) .

أقول: هذا لايعني ان عبادة العبيد او التجار ليست صحيحة او غير مقبولة، بل هي ممدوحة ومحبوبة عند الله عزوجل حيث يقول:

(إنهم كانوا يسارعون في الخيرات، يدعوننا رغباً ورهباً)

الانبياء- ٩٠.

ولكن المقصود ان عبادة الاحرار هي الأفضل والاسمى، حيث ورد عن الامام علي(ع)، مناجياً رب العالمين: (الهي ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك).

ثم انه توجد درجات اخرى للاخلاص ليس هذا مقامها، لكن يكفي ان نذكر ماورد في الحديث القدسي (الاخلاص سر من أسراري، إستودعتُه قلب من احببتُ من عبادي)..

فلنحاول اذاً - من اجل خلاص انفسنا على الاقل - ان نكون ممن احبهم الله تعالى، وهم التوابين والمحسنين والمتطهرين والمتقين والمتوكلين

والمقسطين ونحوهم ممن ذكر الله تعالى محبتهم في القران الكريم، أو لنكن على الاقل من أهل الطاعة والالتزام ليشملنا قوله عزوجل.

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) آل عمران- ٣١.

وبذلك تدخل اسرار الاخلاص في قلوبنا، كما انه من جهة اخرى فان الوارد في الحديث عن الصادق (ع) انه قال: مرّ بي أبي (أي الباقر) وانا بالطواف وانا حدث وقد إجتهدت في العبادة، فرآني وانا اتصاب عرقاً، فقال لي يا جعفر يابني ان الله اذا احب عبداً ادخله الجنة ورضى منه باليسير) ..

فالمحبة الالهية اذاً لها فوائد عديدة ومهمة، فلنحرص على تحصيلها منه عزوجل ، وفي الحديث عن النبي (ص) (إذا أحب الله عبداً ، جعل له واعظاً من نفسه ، وزاجراً من قلبه ، يأمره وينهاه) .

كما انه من جانب آخر فان الاخلاص سبب أكيد للإستخلاص، فكلما إزداد إخلاص الفرد، وصعدت درجاته، كلما صار العبد يقترب من مقام المخلَصين (بالفتح)، وهم الذين يستخلصهم الله تعالى ويصطفيهم ويتفضل عليهم بأحسن نعمهِ وبركاته، حيث ورد في مناجاة المحبين: (فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك ، وأخلصته لودك ومحبتك).

بقي ان نشير إلى ان الإخلاص مطلوب أيضاً مع النفس ومع الآخرين ..
فاما الإخلاص للنفس فيكون بنصحها ومراقبتها وحسن سياستها وتدبيرها بالعقل ، وحفظها من الانحراف ، ومحاسبتها لأجل إصلاحها وردعها .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها ، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها) ..
واما الإخلاص للآخرين فيكون بإعطائهم النصح والإرشاد ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وسلامة الصدر تجاههم ، وإعانتهم ومواساتهم ، ونحو ذلك مما ستأتي الإشارة إليه في عناوين لاحقة بإذنه تعالى .

ثم إنه سيأتي ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (عدم الشرك) .

إستشعار العبـوديـة لله تعالى

وأن يُـقر الـعبـد للمعبودِ

مستشـــعراً مـعناه في شهـودِ

بمعنـى ان يقـيم الفـرد نفـسه مقـام العبوديـة للخـالق عزوجـل ، بـان يستشعر ذلك في نفسه ويستحضره في ظاهره وباطنه ويعمل على أساسه، والاّ فالعبودية ثابتة لنا واقعاً..

(ان كل من في السموات والارض الاّ آتى الرحمن عبداً)

مريم - ٩٣.

والعبوديـة انمـا تتحقـق بقـوة الايمـان، وبتمـام الاخـلاص وبحسن التوكـل، ومعلوم ان هذه الامور هي من اعلى المنازل في سلم التكامل ، ولـذلك يقول الله تعالى مخاطباً الشيطان: (ان عبادي ليس لـك عليهم سلطان، وكفى بربك وكيلاً) الاسراء - ٦٥.

و العبوديـة الخالـصة تعتبر مـن أشـرف المراتـب القدسـية ، لانهـا غايـة الخلق، ولذلك يفتخر الامام علي (ع) بقوله: (الـهي كفـى بي عـزاً ان اكـون لك عبداً) ، وكذلك افتخر عيسى(ع) من قبـل: (قـال اني عبد الله آتـاني الكتاب وجعلني نبياً) مريم- ٣٠.

كما ورد في جملـة مـن الروايات ان الله تعـالى يبـاهي ملائكتـه بعبـادهِ الـصالحين، بـل المتأمـل في القـرآن يجـد ان الله تعـالى غالبـاً مـا يـصف انبيـاءه ورسله (ع) بانهم عباده، حيث يقول عزوجل :

(سبحان الذي اسرى بعبده) الاسراء- ١.

(واذكر عبدنا أيوب) ص- ٤١ .. .. وهكذا

كما إنه تعالى يناجي أحباءه وأولياءه بهذا الوصف أيضاً ، وهذا انما يدل على عظمة هذا الوصف، وعلو هذه المرتبة..

ولعل من المناسب لأجل استحضار معنى العبودية لله تعالى ، وتحصيل هذا الشعور القدسي ، قراءة مناجاة أمير المؤمنين الإمام علي (ع) في مسجد الكوفة : (مولاي يا مولاي أنت المولى وأنا العبد ، وهل يرحم العبد إلا المولى) .. وهي مناجاة عظيمة تنفع في المقام .

بقي أن نشير الى أن العبودية مبدأ اساسي لتحصيل الجنة، لان الواردفي القران: (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي، وادخلي جنتي) الفجر (٢٧- ٣٠).

وورد في مقام آخر: (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) غافر- ٦٠.

ثم انه قد يتصور البعض ان معنى العبودية هو كثرة العبادة، أو ان معناها كثرة الخوف او عبادة العبيد كما في بعض الروايات ، ولكن الصحيح ان معنى العبودية هو ما قلناه من استيعاب نوع العلاقة بين المخلوق والخالق عزوجل، والتصرف على هذا الاساس.

ولذلك قد تجد شخصاً كادحاً يستشعر هذا المعنى ، في حين قد تجد عابداً لايستشعره .

فالمسألة تحتاج الى وعي والتفات، وان كانت كثرة العبادة بطبيعة الحال من أظهر مظاهر العبودية، ولكنها على أية حال لاتنحصر بها.

وهنا يُفترض ان يرد السؤال التالي (الذي ذكرناه في طريقك نحو الجنة) : وهو أن مقام العبودية - كما عرفناه الآن - هو من المقامات العالية التي لايصلها الاّ من يستحق ان يصاحب المعصومين(ع) والاولياء، وهذا بالتأكيد خارج عن استطاعة الاعم الاغلب منا، فاذا جعلناه من مباديء الدخول الى الجنة، فالمفروض على هذا ان لاندخل الجنة لصعوبة تحصيل هذا المبدأ؟

والجواب: عن هذا السؤال ببساطة : هو أن العبودية مقام له عدة درجات، تختلف بحسب اختلاف مستوى الوعي والاخلاص والايمان، والمطلوب من هذه الدرجات كمبدأ هو الحدالادنى ، فيكفي - لتحصيل الجنة ودخولها- ان يعرف الفرد انه عبد مملوك لخالقه عزوجل، وانه مطالب بالطاعة قضاءً لحق هذه المولوية، فاذا استشعر الفرد ذلك كفاه وأجزأه، لتحقق المبدأ المطلوب حينئذ، وهذا ليس بالامر العسير كما لايخفى.

اما سائر درجات العبودية فهي مراتب تكاملية، يرتقي بها الفرد الى منازل المقربين ، وانما اشرنا اليها قبل قليل من باب الإستطراد والتذكير للنفس وللاخرين.

نعم نحن نعترض على كل من يقول بان هذه المراتب العالية خارجة عن قدرة البشر، فانه قول ناتج عن الغفلة والجهل بما أودعه الله تعالى فينا من قابليات وقدرات .

وفي الحقيقة فان استشعار العبودية واستحضار معناها ولوازمها ينفع الفرد كثيراً ، ويجعله امام مسئوليات شرعية وأخلاقية ، تزيده ثواباً وشرفاً في الدنيا والآخرة .

فمن هذه المسئوليات ما يرتبط بالنفس ، اذ سيدرك الفرد ان نفسه ليست ملكاً له ، وانما هي ملك لمولاه و خالقه عز وجل ، فالمفروض ان يصونها ويحافظ عليها حتى ترجع إلى ربها سالمة مصونة ، بل المفروض ان يحرص على تزيينها وتجميلها قربة إلى الله تعالى ، حتى تصبح راضية مرضية ..

ومن هذه المسئوليات ما يرتبط بالآخرين ، اذ سيدرك الفرد ان سائر الخلق وهم عباد الله عز وجل أيضاً متساوون معه في هذه الميزة ، ولا فضل لأحد على آخر إلا بمقدار إخلاصه وعمله لسيده ومولاه عز وجل .

فالمفروض ان يتواصل معهم بما يؤدي به خصوصاً وبمجموع العباد عموماً إلى التكامل ، وانما يكون ذلك بالسير على الصراط المستقيم الذي يؤدي إلى رضا الله ورضوانه عز وجل .

اليقين بالله عز وجل

وباليقـين راحـة الإنسـانِ

مهـما جـرى عليه من أحزانِ

والمقصود باليقين هنا اليقين بحكمة الله عز وجل ، وحسن تدبيره ، وعلمه التام بمصالح الأمور ، ونفاذ مشيئته على أية حال ، ويترتب على ذلك كله تفويض الأمر دائماً إليه عز وجل ، والثقة المطلقة به جل شأنه .

ففي الحديث عن الإمام علي (ع) : (لا يجد عبدٌ طعم الايمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه) .

وفي دعاء الثمالي عن السجاد (ع) : (اللهم اني أسألك ايماناً تباشر به قلبي ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم لن يصيبني إلا ما كتبت لي ورضّني من العيش بما قسمت لي يا ارحم الراحمين) .

وفي الحديث عن الكاظم (ع) : (التوكل على الله درجات ، منها ان تتوكل على الله في أمورك كلها ، فما فعل بك كنت عنه راضياً ، تعلم انه لا يألوك خيراً وفضلاً ، وتعلم ان الحكم في ذلك له ، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه ، وثق به فيها وفي غيرها) .

وفي الحديث عن الرضا (ع) (عجبتُ لمن أيقن بالقدر كيف يحزن) .

فاليقين بهذا المعنى نعمة عظيمة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم ، ولذلك نسمع في الحديث عن الصادق (ع) (ما من شيء أعز من اليقين) ..

وفي حديث آخر عنه (ع) : (ان الله جعل الروح والراحة في اليقين والرضا). .

فمن كان على يقين من ربه عز وجل فهو يكون في روحانية قدسية ، لأنه يرى نفسه بعين الله ، يدبر أموره ويرعاه ، ويقلبه من حال إلى حال تحت ظله وكنفه جل شأنه ، ولذلك فهو في راحة وسعادة ما دام واثقاً بربه ، راضياً بتدبيره ، قانعاً بان خالقه ومولاه عز وجل لا يريد به إلا الخير والصلاح .

وفي بعض الروايات عن الصادق (ع) ان حد اليقين ان لا تخاف مع الله شيئاً .

وهو يتناسب تماماً مع ما ذكرناه ، فانه لا موجب للخوف عند من تيقن ان الأمر بيد الله أولاً وآخراً ، واطمئن بحكمة الله ونفاذ مشيئته ، ففوض أمره إليه ، ووثق به عز وجل ، وقد قال الله تعالى :

(بلى من أسلم وجههُ للهِ وهو محسن ، فله أجره عند ربه ، ولا خوف عليهم) البقرة- ١١٢

نسأل الله تعالى ان يرزقنا اليقين ويمتعنا به ..

ففي الدعاء (وخِر لي في قضائك ، وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت ، اللهم اجعل غناي في نفسي ، واليقين في قلبي) .

وفي زيارة أمين الله (واجعل نفسي مطمئنة بقدرك ، راضية بقضائك) ، وقد وضحنا هذا المقطع في (شرح زيارة أمين الله) .

وسيأتي مايرتبط بالمقام عند الحديث عن الرضا والتسليم ، والقناعة ، وحسن الظن بالله تعالى .

الإعتصام بالله تعالى

ومــن سعى للـحفظ والوقـاية

فلـيعـتصـم بالله للكـفـــــاية

يقول الله تعالى :

(فأما الـذين آمنـوا بـالله واعتـصموا بـه فـسيدخلهم في رحمـةٍ منـه وفـضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً) النساء- ١٧٥

(ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراطٍ مستقيم) آل عمران - ١٠١

والاعتصام بالله هو اللجوء إليه تعالى والتعلق به باعتباره الملاذ والمنجى ، وهذا المعنى له عدة مصاديق ، نذكر منها :

أولاً - الاعتصام بالله عز وجل من المخاطر والابتلاءات والمصاعب ..

حيث ورد في الحديث عن الصادق (ع) انه قال (أوحى الله عز وجل إلى داود : ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي ، عرفت ذلك من نيته ، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن ، إلا جعلت له المخرج من بينهن) .

ثانياً - الاعتصام بالله عز وجل من العذاب والعقاب ، بمعنى انه يعتصم بالله تعالى لينجيه أو يخلصه من العذاب أو العقاب المتوجه إليه شخصياً ، أو المتوجه إلى المجموع الذي قد يشمله ويعمه من باب قوله تعالى :

(واتقوا فتنة لا تُصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة) الأنفال - ٢٥

ثالثاً - الاعتصام بالله تعالى من الذنوب والخطايا ، حيث ورد في الدعـــاء (واعصمنا من الذنوب خير العصم) ، وفي دعاء آخر (واعصمني من الإزدياد في معصيتك) ، وفي دعاء آخر (واقسم لي عصمة تحول بها بيني وبين الذنوب) .

رابعاً - الاعتصام بدين الله عز وجل ، أي التمسك به ، وعدم التخلي أو الإبتعاد أو الانحراف عنه ، حيث يقول الله تعالى :
(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) آل عمران - ١٠٣
وفي الدعاء (واعصمني في ديني) ..
وفي دعاء السجاد (ع) (اللهم اصلح لي ديني فانه عصمة أمري) .

ولا يفوتنا ان نشير بالمناسبة الى اهمية مراجعة مناجاة المعتصمين للامام السجاد (ع) حيث يقول فيها (ع) : (اللهم يا ملاذ اللائذين ، ويا معاذ العائذين) ..
ويقول فيها ايضا : (إن لم أعذ بعزتك فبمن اعوذ ، وان لم ألذ بقدرتك فبمن ألوذ) ..
وفي دعاء آخر (وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني).

التوكـل على الله تعالى

وإن أراد العـيش باطـمئنـانِ

فليـــتّكـــل دوماً على الرحمنِ

حيث يقول الله تعالى :

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التوبة - ٥١

(ان الحكم الا لله ، عليه توكلت وعليه فليتوكـل المتوكـلون) يوسف - ٦٧

(فتوكل على الله ، ان الله يحب المتـوكلين) ال عـمـران - ١٥٩

وفي معاني الاخبار نقل حديثاً عـن الـنبي (ص) أن حد التوكـل (العلـم بـان المخلـوق لا يـضر ولا ينفـع ولا يعطـي ولا يمنـع ، واسـتعمال اليـأس مـن الخلـق ، فاذا كـان العبـد كـذلك لم يعمـل لأحـد سـوى الله ، ولم يـرج ولم يخف سوى الله ، ولم يطمع في أحد سوى الله ، فهذا هو التوكل) .

وقـد ذكرنـا في (طريقـك نحـو الجنـة) أن التوكـل علـى الله تعـالى فيـه عـدة فوائـد ، منها :

أ- تحصيل العزة والكرامة، حيث ورد عن الـصادق (ع): (ان الغنـى والعـز يجولان، فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا).

وفي الـدعاء (الحمـد لله الـذي وكلـني اليـه فـاكرمني ، ولم يكلـني الى النـاس فيهينوني).

ب- تحصيل الرغبات والآمال ، حيـث يقـول الله تعـالى: (ومـن يتوكـل علـى الله فهو حسبه، ان الله بالغ أمره) الطلاق- ٣..

وفي الحـديث عـن الـنبي (ص): (مـن انقطـع الى الله، كفـاه الله كـل مؤونـة، ورزقـه مـن حيـث لايحتـسب. ومـن انقطـع الى الـدنيا وكلـه الله اليهـا) .

وكذلك ورد عن الصادق (ع): (من أُعطي الدعاء اعطي الاجابة ، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أُعطي التوكل أعطي الكفاية).

ج- الوقاية من السوء، والنجاة من المصاعب، حيث ورد في القران الكريم: ((الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)) آل عمران (١٧٣- ١٧٤).

ثم انه ينبغي الكلام هنا ضمن عدة نقاط:

١- انه توجد عدة اسباب تدعو المخلوق الى ان يتوكل على الله تعالى، وهذا طبعاً مع غض النظر عن الجانبين التكليفي والتعبدي ، فالله تعالى هو الخالق لكل شيء وهو العالم بكل شيء، وهو المسيطر على كل شيء، وهذا يعني ان التوكل عليه هو سبب أكيد لتحصيل كل شيء باذن الله عزوجل.

(خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل) الانعام- ١٠٢.

(رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فإتخذه وكيلاً) المزمل- ٩.

كما ان الله تعالى هو المتفضل علينا في كل شيء ، وهذا ما وضحناه في مبحث الشكر ..

(ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) ابراهيم- ١٢ .

أضف الى ذلك ان الله تعالى موجود في كل مكان ..

(وهو معكم أينما كنتم).

وهذا يعني ان الاعتماد عليه ممكن في جميع الاحوال والظروف، ومن دون الحاجة الى واسطة أو رابطة، وفي الدعاء (الحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي ، وأخلو به حيث شئت لسري ، بغير شفيع ، فيقضي لي حاجتي).

ولا يخفى ان جميع هذه الامتيازات غير موجودة لدى المخلوق، اذ يكفي انه لاحول له ولاقوة الا بارادة الله تعالى ومشيئته ، حيث ورد في الحديث القدسي ان الله تعالى يعاتب الفرد الذي لايتوكل عليه تعالى: (ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لايملك كشفها احد غيري الاّ من بعد إذني) ..

ويقول كذلك: (ويقرع بالفكر باب غيري ، وبيدي مفاتيح الأبواب).. وورد في الدعاء عن السجاد(ع) (فلا مصدر لما اوردتَ، ولاصارف لما وجهت، ولا فاتح لما اغلقت، ولا مغلق لما فتحت، ولا ميسر لما عسرت، ولا ناصر لمن خذلتَ).

٢- قد يقول البعض انه يستطيع ان يسأل الناس ويعتمد عليهم، او يعتمد على نفسه في تحصيل رغباته واحتياجاته، وهذا القول انما لوحظ فيه الجانب المادي الظاهري، ولم تُلاحظ اسبابه الاخرى الاساسية التي لاينتبه لها من امتلأت عيناه بالماديات فحجبت عن مشاهدة ما ورائها.

فهل سأل الواحد من هؤلاء نفسه، من الذي اعطاه القوة ليفكر في الشخص الذي سيعتمد عليه؟

ومن الذي اعطاه القدرة على مخاطبته وطلب الحاجة منه؟

ومَن الذي هيأ لذلك الشخص القابلية على فهم سؤاله؟

ومن الذي رزق ذلك الشخص ما أغناه وجعله قادرا على المساعدة؟ ومن؟ ومن؟ الى ما لايحصى من الاسئلة التي يرجع جوابها الى الله عزوجل.

(واليه يرجع الامر كله، فاعبده وتوكل عليه) هود- ١٢٣.

ان باستطاعة الله تعالى ان يمنع الفرد (بمرضٍ او نحوه) من ان يصل الى الشخص الاخر ، كما ان بإستطاعته تعالى ان يمنع ذلك الشخص من الاهتمام بهذا الفرد، كأن يشغله بأمر أهم ، كما ان باستطاعته تعالى ان يلقي القساوة على قلبه فلا يقدم له المعونة ، الى غير ذلك من الامور التي لو أراد الله تعالى لجعلها مانعاً عن فعالية الاسباب المادية.. ولكنه تعالى لم يمنع عنها رغم ذلك رحمة وتحنناً وفضلاً منه عزوجل.

فاذا إلتفت الفرد الى هذه الامور ، كان حقاً عليه ان يقول: (الهي ليس لي غيرك، فبمن الوذ وبمن اعوذ) ، وكذلك يقول: (الهي من لي غيرك اسأله كشف ضري والنظر في امري) ، وكذلك يقول: (الهي اذا لم أسالك فتعطيني فمن ذا الذي اساله فيعطيني؟).. الى غير ذلك من الادعية التي تركز على هذه الفكرة ..

(من أين لي الخير يا رب ولايوجد الاّ من عندك، ومن أين لي النجاة ولا تُستطاع الاّ بك) .

٣- قد يظن البعض ان التوكل يتنافى مع العمل والسعي والاخذ بالاسباب الاعتيادية، ولكنه ظن ليس في محله، حيث ان مراجعة الطبيب مثلاً عند المرض، او طلب الرزق بالعمل او نحو ذلك لاينافي التوكل ، اذا كان

الفـرد يعتقد فعلاً ان الشفاء او الـرزق مـثلاً بيـد الله تعـالى ، الـذي أبـى الا ان يجري الاشياء بأسبابها كما ورد في الحديث..

وقد روي عن الصادق(ع): (اذا فتحتَ بابك وبسطتَ بساطك فقد قضيت ما عليك) ، أي أديت ما عليك من الناحية التكوينية والباقي على الله تعالى.

كما اننا من جهة اخرى مأمورون بالسعي او بالتداوي او بنحو ذلـك مـن الاسـباب الاعتياديـة لتحـصيل الامـور، حيـث ورد عـن الـصادق (ع): (أوجـب الله لعبـاده ان يطلبـوا منـه مقاصـدهم ، بالاسـباب الـتي سـببها لـذلك ، وأمرهم بـذلك) ، وفي الحديث القدسـي: (فمـن أودع العقـاقير منافع الاشياء غيري).

وكـذلك ورد في قولـه تعـالى: (وشاورهـم في الامـر، فـاذا عزمـت فتوكـل على الله) آل عمران- ١٥٩.

فتحـصل ان الفـرد المؤمن يُفـترض بـه أن لايتوكـل حقيقـة الاّ علـى الله تعالى، الاّ انه انما يسلك الاسباب طاعة لله وامتثالاً لأوامره عزوجل..

ومـن هـذه الاسـباب أيـضاً الـدعاء والـصدقة وصـلة الـرحم ونحوهـا مـن الطاعات التي لهـا آثـار وضـعية، بـل ومـن ذلـك ايـضاً التوكـل نفسه فانه سبب من الاسباب.

وبذلك يحصل مثل هذا الفـرد علـى ثـواب التوكـل وفوائـده ، بالاضـافة الى حـصوله علـى مـا يريـد بإذنـه تعـالى، حيـث ورد في الـدعاء عـن الامـام السجاد (ع): (فمن حاول سد خلته مـن عنـدك، ورام صـرف الفقـر عـن نفسه بك، فقد طلب حاجته من مظانها، وأتى طلبتـه مـن وجههـا . ومـن

توجه بحاجته الى احد من خلقك، أوجعله سبب نجحها دونك ، فقد تعرض منك للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان).

٤ - قد يرد هنا سؤال مفاده ان جملة من الناس يتوكلون على الله تعالى ولكنهم قد لاينالون مرادهم، فما هي علة ذلك؟

وفي الحقيقة فان جواب هذا السؤال بسيط جداً ، فان التوكل ليس علة تامة لتحصيل المراد، بل هو مقتضي لذلك، ومعلوم ان المقتضي يحتاج الى شروط، بالاضافة الى فقدان المانع.

بيان ذلك، ان التوكل المؤثر يحتاج الى مقدمات وشروط يتحقق بها التوكل، كالايمان بالله تعالى والثقة به، وكذلك يحتاج الى التزام قلبي حقيقي بمفهوم التوكل، حيث ورد في الحديث عن الصادق (ع): (اذا اراد احدكم ان لايسأل ربه شيئاً الاّ اعطاه، فلييأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء الا عند الله، فاذا علم الله عزوجل ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً الاّ اعطاه).

فالتوكل اللساني قد لايكفي لوحده ، وكذلك لايكفي التوكل الاختباري بمعنى ان يتوكل ليختبر الله عزوجل.

ومن هنا ندرك ان عدم تحصيل البعض لغاياتهم وحاجاتهم رغم توكلهم على الله تعالى، انما يرجع الى عدم تحقق الشروط المناسبة للتوكل، او يرجع أصلاً الى عدم صدق التوكل الصادر منهم.. (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) الانفال- ٢٣.

كما انه قد يرجع ذلك لوجود بعض الموانع، كما لو كانت رغبة الفرد تضره من حيث لايعلم، او كانت رغبته تنافي مصلحة فرد آخر أهم ، او

تنافي مصلحة مجموعة معينة من الناس، بحيث يكون تحقيق رغبته سبباً في ضرر هؤلاء ، او كما لو كان تأجيل الاستجابة او العطاء انفع للفرد واقعاً، حيث ورد في دعاء الافتتاح للامام علي (ع): (فإن أبطأ عني عتبتُ بجهلي عليك ، ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي ، لعلمك بعاقبة الامور).

هذا علاوة على الاحتمالات المتعلقة بجانب الابتلاء والتمحيص ، فالفرد معرض لإختبار ايمانه بالله تعالى ، ومقدار ثقته به ، وتوكله عليه عزوجل..

(أحسِب الناس ان يتُركوا ان يقولوا آمنا وهم لايُفتنون) العنكبوت- ٢.

الا ان النتيجة النهائية والمجربة فعلاً هي ان التوكل على الله تعالى سبب فعال لتحصيل الرغبات والآمال الدنيوية والأخروية ..

ولا ينبئك مثل خبير .

حسن الظن بالله عز وجل

وليحسن الظن بـــرب العبـاد

فـإن حســن ظـنــه خيـــر زاد

ففي الحديث عن الامام علي (ع) : (والذي لا اله الا هو ، لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله ، الا كان الله عند ظن عبده المؤمن ، لأن الله كريم ، بيده الخير ، يستحي ان يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ، ثم يخلف ظنه ورجاءه ، فاحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه) .

وفي الحديث عن الرضا (ع) : (أحسِن الظن بالله ، فان الله عز وجل يقول انا عند حسن ظن عبدي المؤمن بي ان خيراً فخيراً ، وان شراً فشراً) .

وحسن الظن بالله تعالى له عدة مصاديق وصور :

منها : الثقة التامة والمطلقة بالله رب العالمين ، بمعنى انه يؤمن ويطمئن بأن الله تعالى يريد مصلحته ، ويريد نفعه وخيره في الدنيا والاخرة ، مهما كان الحاصل خارجاً .

وفي الحديث عن الجواد (ع) : (ان من وثق بالله أراه السرور ، ومن توكل على الله كفاه الامور ، والثقة بالله حصن لا يتحصن فيه الا المؤمن ، والتوكل على الله نجاة من كل سوء ، وحرز من كل عدو) .

وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (اليقين بالله) .

ومنها - عدم اتهام الله تعالى في قضائه وقدره ،حيث يقول الله تعالى:
(فعسى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) النساء- ١٩
(وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ، وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ، وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)البقرة- ٢١٦
وفي الحديث عن الصادق (ع) عندما سُئل عن ابغض الخلق الى الله ، فقال (ع) : من إتهم الله ، فقيل له أو أحدٌ يتهم الله ؟ قال : نعم من استخار الله فجاءته الخيرة بما يكره فيسخطه ذلك .
وفي منية المريد ان من كلام عيسى (ع) : (كيف يكون من اهل العلم من اتهم الله فيما قضى له ، فليس يرضى شيئاً اصابه) .
وفي حديث آخر أنه (ما أنصف الله من اتهم الله في قضائه) .
فالله تعالى هو خالق الوجود ، وهو الحكيم الخبير ، يعلم مصالح العباد ، ولا تخفى عليه خافية في السموات والارض ...
جميع الخلق عباده وعياله ، وهو احرص عليهم من انفسهم ، فكيف يُتهم عز وجل في حكمه وقضائه ؟!
وفي الكافي عن الامام الكاظم (ع) ينبغي لمن عقل عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ، ولا يتهمه في قضائه) ..
وفي الحديث عن الامام (ع) : (ان اعلم الناس بالله ، ارضاهم بقضاء الله عز وجل) .
وقد ورد عن الصادق (ع) انه (لم يكن رسول الله (ص) يقول لشيء قد مضى ، لو كان غيره) ، لأنه (ص) يثق بالله عز وجل ، ولا يشك في حسن تدبيره وقضائه ، وقد روي عنه (ص) انه كان يقول اذا اصابته مصيبة (الحمد لله على كل حال) ، فهو يحمد الله مهما كان

الحاصل خارجاً ، علاوة على رضاه وتسليمه به ما دام من الله رب العالمين .
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (إنا اذا أردنا أمراً ، وأراد الله عزوجل أمراً ، فسلّمنا لأمر لله عز وجل) .

ومنها - رجاء الله عز وجل في كل خير ، بمعنى انه يتأمل من خالقه عز وجل كل خير وصلاح ، ويتوقع منه ان يرعاه ويحفظه من كل سوء ، فيلجأ اليه ويتوجه نحوه بقلبه ، ويسأله ويدعوه ، ويتوقع منه الاجابة اذا كانت في مصلحته .
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (حسن الظن بالله أن لا ترجو الا الله ، ولا تخاف الا ذنبك) .

ومنها - رجاء الله عز وجل بالقبول والرضا ، رغم التقصير والعمل اليسير ، حيث ورد في مناجاة الراغبين (إلهي ان كان قل زادي في المسير اليك ، فلقد حسن ظني بالتوكل عليك) ..
وفي المناجاة الشعبانية لأمير المؤمنين (ع) : (إلهي ان كان صغر في جنب طاعتك عملي ، فقد كبر في جنب رجائك أملي) .

ويحسن في ختام حديثنا عن (حسن الظن) ان نذكر الدعاء الوارد عن امير المؤمنين (ع) : (الهي كيف انقلب من عندك بالخيبة محروماً ، وقد كان حسن ظني بجودك ان تقلبني بالنجاة مرحوماً).

وفي الرواية الواردة عن الصادق (ع) : (يؤتى بعبدٍ يوم القيامة ظالم لنفسه ، فيقول الله : ألم آمرك بطاعتي ، ألم أنهك عن معصيتي ؟، فيقول بلى يارب ، ولكن غلبت علي شهوتي ، فان تعذبني فبذنبي لم تظلمني ، فيأمر الله به الى النار . فيقول : ما كان هذا ظني بك ، فيقول : ما كان ظنك بي ، قال : كان ظني بك أحسن الظن .. فيأمر الله به الى الجنة ، فيقول تبارك وتعالى : لقد نفعك حسن ظنك بي الساعة) .

نعم يجب الالتفات - عند ملاحظة مثل هذا الحديث - الى ضرورة التوبة الصادقة ، وعدم الاستغناء بحسن الظن عنها ، إذ سيأتي (عند الحديث عن الموازنة بين الخوف والرجاء) انه لا ينفع الانسان ان يذنب ويعصي إتكالاً على رجاء الله وحسن الظن به ، فان الله شديد العقاب مثلما هو عظيم الصفح والمغفرة .

وقد قال عز وجل في محكم كتابه :

(نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الاليم) الحجر (٤٩- ٥٠)

(ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) (فصلت ٤٣)

التسليم لله تعالى
والرضا بقضائه وقدره

وليكن التسليم والرضـــا لــهُ

منقبـــة بهـــا يـــريـــح حـــــالـــهُ

حيث ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (الايمان له أركان اربعة : التوكل على الله ، وتفويض الامر الى الله ، والرضا بقضاء الله ، والتسليم لامر الله عز وجل) .

وفي حديث عن الصادق (ع): (رأس طاعة الله : الصبر والرضا عن الله فيما احب العبد أو كره ، ولا يرضى عبد عن الله فيما احب أو كره الا كان خيراً له) .

وفي حديث آخر عنه (ع) :(قال الله عز وجل : عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء الا جعلته خيراً له ، فليرض بقضائي وليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي) .

وقد مرّ الحديث عن المعصومين (ع) ان فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران (ع) : (ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدي المؤمن ، فاني إنما أبتليه لما هو خير له ، وأعافيه لما هو خير له ، وأزوي عنه ما هو شرّ له لما هو خير له ، وأنا اعلم بما يصلح عليه عبدي ، فليصبر على بلائي ، وليشكر نعمائي ، وليرض بقضائي .. أكتبه في الصديقين عندي اذا عمل برضائي وأطاع أمري) .

وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن اليقين وحسن الظن بالله عزوجل ، وسيأتي أيضاً عند الحديث عن القناعة .

وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا ان الرضا والتسليم يتعلق بعدة امور كلها مطلوبة :

اولها - الرضا بالقضاء والقدر سواء كان محبوباً أو مكروهاً لديه، حيث ورد في الخبر انه قيل للامام الصادق (ع) باي شيء يُعلم المؤمن بانه مؤمن؟ ، فقال (ع) بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور او سخط) ، وهذا هو أوضح موارد الرضا.

ثانيها- الرضا بالتشريعات الالهية وعدم الاعتراض عليها، حيث يقول الله تعالى:(فلا وربك لايؤمنون، حتى يحكّموك فيما شجر بينهم، ثم لايجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت، ويسلّموا تسليماً) النساء- ٦٥

ثالثها- الرضا بما جاء به النبي محمد (ص)، والاوصياء (ع) ، من العقائد والاصول ، بمعنى انه مادام يعتقد بنبوة النبي محمد (ص) وبإمامة الائمة الاثنى عشر (ع) فالواجب عليه الاذعان والتسليم بالعقائد الواردة عنهم (ع) بالطرق والاخبار المعتبرة.

ثم ان للرضا او التسليم عدة درجات :

أ- الرضا صبراً، بمعنى ان الفرد يعتبر الحالة التي مرت عليه مصيبة، وانه يصبر عليها رضا بقضاء الله تعالى وقدره، فلا يشكو لأحد ولايعترض ، سواء امام الاخرين أم أمام نفسه.

وقد ورد في الحديث عن الباقر (ع): (من رضي بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم عند الله أجره ، ومن سخط بالقضاء ، أتى عليه القضاء وأحبط الله أجره) .

ب- الرضا قبولاً ، بمعنى ان الفرد يقبل بالحالة التي مرت عليه ، من دون أن يعتبرها مصيبة ، بل قد يتعامل معها وكأنها نعمة ، لانه يدرك انها في صالحه واقعاً، وان بدت في ظاهرها على خلاف ذلك. وقد ورد عن الصادق (ع) ان الله تعالى يقول: (عبدي المؤمن لاأصرفه في شيء الا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي) ، وفي الدعاء (الحمد لله على ما أبلانا وابتلانا).

ج- الرضا حباً ، بمعنى ان الفرد يحب الحالة التي مرت عليه، ويستأنس بها مادامت من عند محبوبهِ وخالقه ومولاه عزوجل ، فهو لايفكر في المصلحة او الخير الذي سيصيبه منها واقعاً ، بل غاية ما يراه ويخطر في داخله ان هذا من عند الله تعالى ، فيحبه محبة لله عزوجل ، وهذه اعلى الدرجات كما لايخفى ، وفي الدعاء (يا مدبري ولست أدري).

والرضا بقضاء الله تعالى له عدة فوائد ، أهمها تحصيل الجنة بل المراتب العالية ، حيث ورد في الحديث القدسي: (ان رضاي في رضاك بقضائي).

ومنها راحة النفس في الدنيا فضلاً عن الاخرة ، حيث ورد عن الصادق (ع): (ان الله بعدلهِ وحكمته وعلمه ، جعل الروح والفرح في اليقين والرضا عن الله تعالى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط).

وفي البحار (ج٧٣/١٦١) عن الصادق (ع) (حُرم الحريص خصلتين، ولزمته خصلتان ، حُرم القناعة فافتقد الراحة، وحُرِمَ الرضا فافتقد اليقين).

وبذلك نفهم خطأ من يتهم المؤمنين - ظلماً وجزافاً - بالحسد ونحوه ، وفي الحديث عن الكاظم (ع) انه (ملعون من إتهم أخاه) ، في حين تجد الراضي بقضاء الله تعالى منزهاً عن الوقوع في مثل هذه المشاكل.

بقي ان نشير الى ملاحظة مهمة ذكرناها في (طريقك نحو الجنة) تتعلق بموضوع الرضا والتسليم ، وهي ان المقصود منهما - باختصار - هو القبول بما أراده الله تعالى ، وعدم الاعتراض عليه ، وليس المقصود أن يكون الفرد جامداً وبلا شعور ، فالنبي (ص) بكى عندما توفي أحد أولاده، ولما قيل له في ذلك ، قال (ص) ما مضمونه ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولكن لانقول ما يُغضب الرب .

وكذلك فان محاولة التغيير للحال السيء لاتنافي الرضا، ولذلك ورد في عدة روايات ان الدعاء او دفع الصدقات يرد القضاء ويدفع البلاء.

كما ان صلة الرحم تعمر الديار ، وتوسع الارزاق ، وتطيل الاعمار، وهكذا..

فمحاولة التغيير وتحصيل الافضل غير ممنوعة مادامت بالطرق الصحيحة المرضية للخالق عزوجل ، فان نال الفرد ما يطمح اليه عندئذ فهذه نعمة جديدة ، وان فشل في تحقيق طموحاته، ولم

يحصل على الافضل، فليشكر الله تعالى على النعمة التي بين يديه، وليرض ولا يعترض، وليعلم ان الله تعالى لايريد له الاّ الخير والصلاح.. غاية الامر ان الفرد قد لايدرك صلاحه الحقيقي، ففي الحديث عن النبي (ص) ان الله عزوجل قال: ان من عبادي المؤمنين عباداً لايصلح لهم أمر دينهم الا بالغنى والسعة والصحة في البدن، فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن ، فيصلح عليهم أمر دينهم. وان من عبادي المؤمنين لعباد لايصلح لهم أمر دينهم الاّ بالفاقة والمسكنة والسقم ، فيصلح عليهم أمر دينهم، وانا اعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين)..

وفي ذلك يقول الله تعالى في القران الكريم.

(فعسى ان تكرهوا شيئاً ، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) النساء- ١٩.

وكذلك قال عزوجل:

(وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خيرلكم، وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وانتم لاتعلمون) البقرة- ٢١٦.

فالتسليم مطلوب دائماً وثوابه محفوظ ..

(واصبِر لحكم ربك فانك بأعيننا) الطور- ٤٨.

ثم إنه سيأتي ماينفع في المقام أيضاً عند الحديث عن (القناعة) .

القناعــة

وليتــخذ لنفســه بضاعـــــة

يـهنــأ فيـــها وهي الـقـنــاعـــة

ففي الحديث عن الإمام علي (ع) : (ان كنت تريد من الدنيا مايكفيك ، فان أيسر ما فيها يكفيك ، وان كنت إنما تريد ما لايكفيك ، فان كل ما فيها لايكفيك) .

وفي حديث آخر عن الرضا (ع) : (من لم يُقنعه من الرزق الا الكثير ، لم يكفه من العمل إلا الكثير ، ومن كفاه من الرزق القليل ، فانه يكفيه من العمل القليل) .

وعن الإمامين الباقر والصادق (ع) : (من قنع بما رزقه الله ، فهــو من أغنى الناس) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ان الله عز وجل يقول يحزن عبدي المؤمن ان قترت عليه ، وذلك أقرب له مني ، ويفرح عبدي المؤمن ان وسعت عليه وذلك أبعد له مني) .

والمتحصل من مجموع هذه الأحاديث ان القناعة أمر ضروري للإنسان ، فهي من جهة تكشف عن ثقته بخالقه ومدبره عز وجل ، ومن جهة ثانية فهي مفتاح لراحة الإنسان وسكونه واطمئنانه ، ومن جهة ثالثة فهي عــون له لتحصيل التكامل والقرب من الله عز وجل ، وهي علاوة على ذلك كله مأجورة ومثابة أكيداً .

وينبغي الالتفات هنا إلى ان القناعة لا تختص بمورد الرزق المالي ، فالرزق أعم من ذلك كما لايخفى ، فالصحة رزق ، وسعة الدار رزق ، وراحة البال رزق ، والأمان رزق ، وهكذا ...

فالمفروض ان القناعة تكون في جميع هذه الموارد .

كما ان القناعة مطلوبة مع الله تعالى ، ومع النفس ، ومع الآخرين ، فالمفروض مراعاة ذلك .

وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن اليقين ، وعن الرضا والتسليم ، وعن حسن الظن بالله تعالى .

بقي ان نشير إلى ما ذكرناه في (طريقك نحو الجنة) من انه ليس المقصود بالقناعة الغاء الطموح والأفكار المستقبلية كما قد يتوهمه البعض ، بل المقصود هو ان لايكون هذا الطموح سبباً للوقوع في المعاصي أو الرذائل الخلقية ، أو سبباً للإعتراض على الله تعالى ..

ولذلك فان الطموح إلى الخير مشروع ، بل يكون واجباً في أغلب الأحيان ، كما في قوله تعالى: (ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم) الرعد- ١١.

ثم ان التكامل في جميع مستوياته انما يبتني على وجود الأمل والرجاء في التقدم والترقي ، ولولا هذا الأمل لكانت الهمة ضعيفة ، وبالتالي يخسر الإنسان وتفوت عليه الفرصة التي وهبها الله تعالى له في هذه الدنيا .

وفي الحقيقة فان المطلوب في القناعة (وكذلك الرضا) أمران :

أولهما - عدم الاعتراض على الله تعالى .

ثانيهما - عدم التصدي لتغيير الحاصل عن طريق أمور غير مشروعة وغير مرضية عند الله تعالى .

وهنا نريد ان نقول ان تغيير الحال السيئة أو الظرف الصعب التي يمر بها الفرد سواء من الناحية المادية أو الصحية أم غيرها ، لامانع منه اذا كان بالطرق المشروعة كزيادة العمل لتحسين المعيشة مثلا ، فهذا لاينافي القناعة ، وانما ينافيها اذا كان غير ضروري وتسببَ في فوات مصالح معنوية للفرد سواء في علاقته مع الخالق عزوجل أو مع المخلوقين .

بل قد تكون القناعة محرمة أحياناً ، كما لو كانت سبباً في الاضرار الفعلي بالاخرين ممن تنجَّز حقهم في ذمة الفرد ، مع كون التغيير ممكناً بالطرق المشروعة ، والا فلا يطاع الله من حيث يعصى .

فتحصل مما سبق ان السعي لاينافي القناعة ، خصوصاً اذا كان سعيه قربة إلى الله عزوجل .

وفي الحقيقة فان القناعة مهمة جداً لكل إنسان ، ويكفي ان فيها راحة النفس في الدنيا فضلاً عن الآخرة ، حيث ورد عن الصادق (ع): (ان الله بعدلهِ وحكمته وعلمه ، جعل الروح والفرح في اليقين والرضا عن الله تعالى ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط).

وفي البحار (ج٧٣/١٦١) عن الصادق (ع) حُرم الحريص خصلتين ، ولزمته خصلتان ، حُرم القناعة فافتقد الراحة ، وحُرِمَ الرضا فافتقد اليقين).

وورد كذلك ان القناعة كنز لايفنى ، وهو أمر مجرب ، فان القناعة تجعل الفرد لا يفكر في غيره ، فلا يحسده ولا يحقد عليه ولا يعتدي عليه ، بل هو لا يحس أصلاً بوجود الفارق بينه وبين الشخص الآخر الذي قد تكون حالته أحسن ، ولذلك ورد عن المعصومين (ع) ما مضمونه (استغن عمن شئت تكن نظيره) ، أي مثله وفي نفس مستواه الاجتماعي .

وفي الواقع فان كل من كانت عنده قناعة تامة فهو من أكثر الناس سعادة ، لان القناعة اذا حصلت كان صاحبها في راحة من كل تفكير سيء ، ومن كل عناء فارغ أو باطل ..

فقد تجد غنياً يلهث في تجارته من الصباح حتى المساء ، وقد حرم نفسه من الراحة والعيال ، ولكنه مع ذلك لايشعر بالسعادة ، لانه غير مقتنع بالمستوى المادي الذي هو عليه ، في حين تجد فقيراً بسيطاً من اسعد الناس لانه يمتلك القناعة التي يشاهد من خلالها مقدار النعم التي اعطاه الله تعالى ، وقد ورد عن المعصومين(ع): (من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس) ، وورد عن النبي(ص): (القناعة ملك لايزول) .

ومن فوائد القناعة (والرضا) ، تحصيل العزة والكرامة ، حيث يقول الشاعر:

خيار الناس من لزم القناعة ولم يكشف لمخلوقٍ قِناعَـه

أفادتنا القناعة كل عـــزٍ ولا عـز أعز من القناعـــة

وهو أمر مجرب ، ويعرفه كل من حاول ان يشكو إلى الاخرين ، فانه نادراً ما يجد منهم القلب الحنون أو الاستقبال العطوف ، ولذلك قيل :

لاتشكون إلى الخلائق إنمـــا تشكو الرحيم إلى الذي لايرحم

وورد في الدعاء (الحمد لله الذي وكلني إليه فأكرمني ، ولم يكلني إلى الناس فيهينوني).

نعم قد يحتاج البعض أحياناً إلى من يكلمه ويبث اليه همومه ، وهذا أمر لامانع منه اذا كان بدافع الاستنصاح وطلب المشورة أو المعونة ، ولكن ينبغي عندئذ ان يفتح قلبه أمام مؤمن مخلص لكي يشاهد من خلاله نور الهداية والتسديد برعاية الله عزوجل ، وفي الحديث المشهور (المؤمن مرآة المؤمن).

وهناك فوائد اخرى يطول بيانها ، وهي كثيرة ونافعة جداً، فلا ينبغي التفريط اذاً في تحصيل القناعة و الرضا .

الصبر (في جميع الأمور)

وليكن الصبر على كل حـــال

عوناً لـــه ، والصبـر زيـن الخصـــال

حيث ورد في الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (عليك بالصبر في جميع أمورك) .

والصبر مفتاح الفرج وتحصيل الجنة .

حيث يقول الله تعالى (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) الزمر- ١٠.
بل هو مفتاح كل المقامات العالية حيث يقول الله تعالى :

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ، لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) السجدة - ٢٤

وفي الحقيقة فان الصبر يشارك اغلب الفضائل ان لم يكن كلها ، ولذلك فهو رفيق كل المقامات ، بمعنى ان الإنسان يحتاجه مهما كان حاله ، ومهما كان مستواه ومقامه .

(وما يلقّاها الا الذين صبروا، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) فصلت- ٣٥.

ولذلك ورد ذكر الصبر والصابرين في موارد كثيرة جداً في القران الكريم ، منها ما كان بنحو الأمر والحث على ذلك ، ومنها ما كان بنحو بيان فوائد الصبر وآثاره الدنيوية والأخروية.

وفي الحديث عن المعصومين (ع): (الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا أيمان لمن لاصبر له).

ثـم ان الـصبر لـه عـدة أنـواع ، وأهمهـا الـصبر عنـد المـصيبة ، والـصبر علـى الطاعـة ، والـصبر عـن المعـصية ، ففـي الحـديث عـن الـنبي (ص) : (الـصبر ثلاثة : صبر عند المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر عـن الـمعـصية) .

وسيأتي تفصيل كل واحد من هذه الأنواع في عنوان مستقل .

وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا انه توجد أنواع أخـرى للـصبر ، منهـا الـصبر على المستحبات ، والصبر على التكامل ..

وكذلك منها الصبر عن المكروهات ، والصبر عـن التـسافل ، بـل الـصبر عـن عدم التكامل أصلاً .

وقد ذكرنـا هنـاك ان معنـى الـصبر عـن التـسافل هـو ان الفـرد الـذي يـسير في طريـق التكامـل ينبغـي عليـه ان يـصبر ويـرابط حتـى لايتـسافل ، وهـذا انمـا يتحقق باجتناب الامور التي يتوقع انهـا تـؤدي بـه إلى التـسافل ، فيـصبر عـن ارتكابها .

واما الـصبر عـن (عـدم التكامـل) فهـو ان الفـرد الـذي لايـسير في طريـق التكامل ، ينبغي عليه ان يتقدم ويحاول التخلص من كـل مـا يقلـل عزيمتـه أو يفل همته ، فيصبر عن ارتكاب مثـل هـذه الامـور الـتي تمنعـه عـن التكامـل ، وهذا هو معنى قوله تعالى: (واصبر نفسك مـع الـذين يـدعون ربهـم بالغـداة والعشي ، يريدون وجهه ، ولاتعدُ عيناك عنهم تريد زينـة الحيـاة الـدنيا ، ولا تُطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً) الكهف/٢٨.

وفي (شـرح زيـارة أمـين الله) قلنـا انهـم ذكـروا عـدة معـانٍ للـصبر لا بـأس بالإشارة اليها إجمالاً :

فمنها : الصبر في الله ، وهو الثبات في المجاهدة والعمل الـصالح ، او التحمـل من اجل الله عز وجل .

ومنهـا : الـصبر مـع الله ، وهـو الثبـات وعـدم الابتعـاد عـن الله عـز وجـل ، سواء في السرّأء او الضراء .

ومنها : الصبر بالله ، وهو الثبات والتحمل بقوة الله وحوله وحسن رعايته.

ومنهـا : الـصبر عـن الله ، وهـو تحمـل الاشـتغال والانـشغال بخدمـة المـؤمنين ورعايـة مـصالحهم وحـل مـشاكلهم الخاصـة والعامـة ، رغـم ان ذلـك قـد يشغلهم عن لذة المناجاة وسعادة الخلوة مع الخالق عز وجلّ .

إلا أن كلا الأمرين مطلوب ، وخير الأمور أحمَزها واشدها.

ولنضرب مثالاً على ذلك : فلو أن ملكاً أمر أحد مقربيه المحبين أن يـذهب لأداء خدمة معينة في بلدٍ بعيد ، فإن المفروض بهـذا الـشخص ان يـستجيب لمولاه ، ويذهب الى ذلك المكان ليخدم مولاه من هناك ، رغـم انـه قـد ابتعـد بمعنىً من المعاني عن سيده ومولاه ، صـحيح ان القلـوب متواصـلة والمجـاورة المعنويـة متحققـة علـى ايـة حـال ، ولكـن للحـضور التـام طعمـه الخـاص ، وللخلوة والانفراد بالمناجاة شعور مميز ، لا يمسّه إلا المطهرون .
وفي (شرح زيارة أمين الله) ذكرنـا أيـضاً ان الابـتلاء أو الامتحـان وان كـان سُنّة ، حيث يقول الله عز وجل (أَحَسِبَ النَّـاسُ أَنْ يُتْرَكُـوا أَنْ يَقُولُـوا آمَنَّـا وَهُـمْ لا يُفْتَنُـونَ ، وَلَقَـدْ فَتَنَّـا الَّـذِينَ مِـنْ قَـبْلِهِمْ فَلَـيَعْلَمَنَّ اللَّـهُ الَّـذِينَ صَـدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت ٢-٣).

ولكنه في الوقت نفسه رحمة وزكاة ومرقاة ، وانما سلاح المبتلى صبرٌ وحلمٌ ، وقناعة وتسليم ، وانما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب ..
(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت- ٣٥).
وإذا كانت المصائب والابتلاءات حاصلة ولا رادّ لأمر الله ، فإن الصبر يهوّن المصائب ، بل قد يستأنس العارف بالمصيبة باعتبار انها من الخالق على اية حال ، وهي ترفعه درجات عنده عز وجلّ ، وتخفف من ذنوبه ، وتملأ صحيفته بأجر الصابرين والمسلّمين ..
(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) .

وينبغي الالتفات في المقام الى ما ورد عن المعصومين (ع) : (ان تصبر تغتبط ، وإلا تصبر ينفذ الله مقاديره راضياً كنت أم كارهاً) .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (من لم يُنجه الصبر ، أهلكه الجزع) .
والصبر مطلوب مع الله تعالى ، ومع النفس ، ومع الآخرين ، ففي الحديث عن الباقر (ع) : (إني لأصبر من غلامي هذا ، ومن أهلي على ما هو أمرّ من الحنظل ، انه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم ، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد (ص)) .

بقي ان نشير إلى روايتين مهمتين في المقام :
أولاهما - عن النبي (ص) ان : (علامة الصابر في ثلاث ، أولها ان لايكسل ، والثانية ان لايضجر ، والثالثة ان لايشكو من ربه عز وجل .. لانه اذا كسل فقد ضيع الحقوق ، واذا ضجر لم يؤد الشكر ، واذا شكا من ربه عز وجل فقد عصاه) .

ثانيتهما - عن الإمام (ع) : (اذا كان يوم القيامة ، يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه . فيقال لهم : من أنتم ؟
فيقولون نحن أهل الصبر .
فيقال لهم : على ما صبرتم ؟
فيقولون : كنا نصبر على طاعة الله ، ونصبر عن معاصي الله .
فيقول الله تعالى : صدقوا ، أدخلوهم الجنة) .

ولنتذكر في الختام قول الله عزوجل :
(واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا) الطور – ٤٨

وقد مر مايرتبط بالمقام عند الحديث عن اليقين ، والرضا والتسليم ، والقناعة ، وحسن الظن بالله تعالى .

الصبـر عند المصيبـة

لا سيــما الصبر على الأقـدارِ

فــــإنـه مــن شيمـــة الأبـــرارِ

حيث ورد عن النبي محمد (ص) : (من صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها ، كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة ما بين السماء والأرض) .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (الصبر صبران ، صبر عند المصيبة حسن جميل ، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عزوجل عليك) .

والصبر على المصيبة أمر لابد منه لكل عاقل ، لأن الوارد في الحديث ما مضمونه ان المصيبة تمر على الرجل فان قابلها بالصبر مرت عليه وهو مأجور ، والا فقد مرت عليه وهو غير مأجور ، بل لعله يأثم فوق ذلك اذا جزع أو ارتكب محرماً ، وقد ورد عن النبي (ص): (ماتجرع عبد قط جرعتين احب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها).

والمراد بالمصيبة مايعم البلاء والامتحانات ، وقد ورد عن بعض العارفين ان أدنى مراتب هذا الصبر هو ترك الشكوى ، ثم من بعدها مرتبة الرضا بالقدر والقضاء بمعنى عدم الاعتراض ، وآخرها مرتبة المحبة والسعادة بالقدر والقضاء مهما كان ، وهذه مرتبة الصديقين .

وقد مر قبل قليل ما ينفع في المقام عند الحديث عن الصبر عموماً ، وكذلك عند الحديث عن الرضا والتسليم ، واليقين بالله تعالى .

عدم التعلق والأمل بغير الله عزوجل

ولا يكن مأمــوله المعــلــولُ

وإنـــما الله هـــو الـمـــأمـــولُ

ففي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (ان الله يقول لأقطعن أمل كل مؤمل من الناس غيري باليأس ، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس) .

وفي حديث آخر عن الإمام علي بن الحسين (ع) : (رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس ، ومن لم يرج الناس في شيء ، وردّ أمره إلى الله عزوجل في جميع أموره ، استجاب الله عزوجل له في كل شيء) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (طلب الحوائج إلى الناس إستلاب للعز ومذهبة للحياء ، واليأس مما في أيدي الناس عزٌّ للمؤمن في دينه ، والطمع هو الفقر الحاضر) .

فيتحصل من كل ما سبق انه لايجوز تعلق الأمل والرجاء بغير الله تعالى على نحو الاستقلالية ، فان المؤثر الحقيقي انما هو الله تعالى ، وقد مر في فصل التوكل ما يرتبط بالمقام .

وفي الحديث مامضمونه انه لابأس ان يقول العبد لولا أن منّ الله علي بفلان لهلكت ، ولا يجوز ان يقول لولا فلان لهلكت لأنه احد مصاديق قول الله تعالى : (وما يؤمن أكثرهم إلا وهم مشركون) يوسف – ١٠٦

عدم الشرك بالله عزوجل

وليحــذر الشرك بأصـــنافـه

فـالشرك قـــد يخفى بأوصـــــافه

لايخفى ان الشرك له عدة معان أو أصناف ، وأهمها ما يلي :

١- الشرك في العبادة ، وهو من أوضح مصاديق الشرك وأظهرها ، والنهي عنه من البديهيات ، والمشرك بهذا المعنى ليس بمسلم أصلاً .

٢- الشرك في الطاعة ، وهو شرك قد يخفى على أكثر الناس ، حيث يقول الله تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ)يوسف- ١٠٦

فمن يطيع هوى النفس الأمارة بالسوء ، أو يطيع الشيطان ، أو يطيع المضلين ، أو يؤثر طاعة المخلوق على طاعة الخالق عزوجل فانه يكون مشركاً من هذه الناحية ، وشركه شرك طاعة ..

وفي الحديث عن الصادق (ع) في قول الله عزوجل (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ) ، قال (ع) : يطيع الشيطان من حيث لايعلم ، فيشرك .

وفي حديث آخر عنهم (ع) عن قول الله عز وجل : (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ) ، فقال : أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم ، ولكن احلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً ، فعبدوهم من حيث لا يشعرون .

وفي حديث اخر عن المعصومين (ع) أيضاً : (من أطاع رجلاً في معصيته ، فقد عبده) .

٣- الشرك في النية والعمل ، وهو أيضاً من الشرك الخفي ، ومن مصاديقه الرياء والعجب ، فان العبد اذا عمل العمل رياء ، أو لإرضاء غروره ، فهو مشرك من هذه الناحية ، لأنه أشرك مع الله تعالى شيئاً آخر في نيته وعمله ، بل قد يصل الأمر بالبعض إلى أنهم لا يجعلون نصيباً لله عز وجل أصلاً في نياتهم و أعمالهم ، وهو أمر يؤسف له فعلاً ، لا لأجل الله تعالى ، لان الله غني عن العالمين ، وانما لأجل هذا الشخص المسكين الذي سيضيع جهده ، لانه لم يقصد به خالقه عزوجل ..

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (إجعلوا أمركم هذا لله ، ولا تجعلوه للناس ، فانه ما كان لله فهو لله ، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله) .

وفي حديث آخر عنه (ع) : (كل رياء شرك ، انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله) .

٤- الشرك في إعتقاد المؤثرية ، بمعنى ان الإنسان يعتقد ان مخلوقاً معيناً أو أمراً ما تكون له استقلالية في المؤثرية ، فهو يشرك بالله من هذه الناحية .

ومثال ذلك ان بعض الأشخاص يخشون الحسد أو السحر مثلاً ، وكأن الحاسد أو الساحر مستقل في تأثيره ، فهم يغفلون عن حقيقة ان المؤثر الحقيقي انما هو الله عزوجل ، وانه لايكون أمر مهما كان إلا بإذن الخالق عزوجل .

(وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ) البقرة - ١٠٢

وهناك من يعتقد ان فلاناً مثلاً هو الذي سيرتب أمره ، مع ان الواقع ان فلاناً وغيره لايستطيع شيئاً الا بقوة الله وإذنه عزوجل ، وقد ورد في الدعاء

(لا مصدر لما أوردت ، ولا صارف لما وجهت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولامغلق لما فتحت ، ولا ميسر لما عسرت) .

ومن ذلك ما ورد عن الصادق(ع) في تفسير الآية (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ) : هو الرجل يقول لولا فلان لهلكت ، ولولا فلان لاصبت كذا وكذا ، ولضاع عيالي . الا ترى انه جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ؟ قال الراوي قلت فيقول : لولا ان مَنّ الله علي بفلان لهلكت ؟ قال(ع): (نعم لابأس بهذا).

ومن ذلك ماورد عن الباقر(ع) في تفسير الميزان(٢٨١/١١): ومن ذلك قول الرجل (لاوحياتك) أي يقسم بغير الله عزوجل.

وقد مر ما يرتبط بالمقام عموماً عند الحديث عن التوكل ، وكذلك عند الحديث عن الإخلاص ، وعدم التعلق والأمل بغير الله تعالى .

الإعتراف بالنعمـة

وليعترف بنعمـــة الرحـمنِ

إن الثنا والشـــكر بـــالعـرفـانِ

حيث ورد في الحديث عن المعصومين (ع) : (عرفـان النعمـة أحسن الشكر) .

وورد عن النبي محمد (ص) : (اعترفوا بنعم الله ربكم ، وتوبوا إلى الله من جميع ذنوبكم ، فان الله يحب الشاكرين من عباده) .

وفي رواية أخرى عن الإمام محمد الباقر (ع) : (والله ما أراد الله من الناس إلا خصلتين : ان يقروا له بالنعم فيزيدهم ، وبالذنوب فيغفرها لهم) .

ولعل هذا هو أحد معاني قوله تعالى :

(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ، إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً)الإنسان-٣

بتقريب ان الشكر والإقرار بالنعم يقتضي الطاعة وعدم المعصية ، وأما الكفران - والعياذ بالله - فهو يقتضي العناد والابتعاد .

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) : (ما من عبد انعم الله عليه نعمة ، فعرف انها من عند الله ، الا غفر الله قبل ان يحمده) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (من انعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه ، فقد أدى شكرها) .

وستأتي تفاصيل مهمة مرتبطة بالمقام عند الحديث عن (الشكر) بعد قليل .

كما يحسن التذكير بأهمية مراجعة مناجاة الشاكرين للإمام زين العابدين (ع) ، وكذلك مراجعة مناجاة الإمام علي (ع) ، الموجودة ضمن أعمال مسجد الكوفة ، فانها تتضمن اعترافات ضرورية يتوجب على المخلوق ان يقر بها أمام خالقه عزوجل ، ومن بعض ما ورد فيها (مولاي يا مولاي أنت المولى وأنا العبد ، وهل يرحم العبد إلا المولى ، مولاي يا مولاي أنت المالك وأنا المملوك ، وهل يرحم المملوك إلا المالك) .

عدم جحود (أو كفران) النعمة

وإنـما يجف بـحرُ الجـــــودِ

إن قوبـل الإحسان بالجحـــــــودِ

والجحود أو الكفران للنعمة ضد عرفانها وشكرها ، وقد مر قبل قليل ان عرفان النعمة أحسن الشكر ، وقد قال الله تعالى :

(هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانِ)الرحمن- ٦٠

وفي الحديث عن الصادق (ع) انه مكتوب في التوراة (اشكر من أَنعم عليك ، وأنعِم على من شكرك ، فانه لازوال للنعمة اذا شُكرت ، ولا بقاء لها اذا كُفرت) .

والكلام على أية حال مرتبط بما ذكرناه في فصل (الاعتراف بالنعمة) ، وبما سنذكره في فصل (الشكر) .

والمهم في المقام انه يتوجب على الإنسان ان لايجحد النعمة سواء كانت صادرة من الخالق عزوجل ، أو من المخلوق ، وان كانت جميع النعم واقعاً انما هي بفضل الخالق تعالى أولاً وآخراً .

وينبغي الالتفات إلى ان جاحد النعمة لايرتكب ذنباً واحداً بهذا الفعل ، وانما يرتكب به جملة من الذنوب والآثام ...فمثلاً اذا انعم إنسان على آخر بنعمة ، فجحدها الأخير أو انكرها ، فهو من جهة يكذب ، لأنه يُنكر النعمة أو يُنكر مؤثرية سببها (المنعم) .. وهو من جهة أخرى قد يؤذي المقابل بهذا الجحود .. كما انه قد يظلم نفسه بهذا الجحود ، لأنه قد يعرضها للحرمان عندئذ ... بل قد يقطع بذلك سبيل المعروف عموماً ...

وهكذا فان الجحود يستبطن سيئات ومظالم كثيرة ، أعاذنا الله منه ومنها .

الشكــر

ومــن يــكن لله عبداً شاكــرا

يُـزده فضـلاً ونعيمـــــاً وافـــرا

يقول الله تعالى :

(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ، وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ)البقرة- ١٥٢

وفي الحديث عن الإمام السجاد (ع) : (ان الله يحب كل عبد شكور) .

وفي حديث اخر عن الباقر (ع) : (ما أنعم الله على عبد نعمة ، فشكرها بقلبه ، الا استوجب المزيد قبل ان يُظهر شكره لسانه) .

وهناك ملاحظة مهمة وخطيرة أشار إليها إمامنا الصادق (ع) بقوله :

(أحسِنوا جوار نعم الله ، واحذروا ان تنتقل إلى غيركم) .

وفي حديث آخر سئل (ع) عن معنى حسن جوار النعم ، فقال (ع) :

(الشكر لمن انعم بها ، وأداء حقوقها) .

وقد ذكرنا في (طريقك نحو الجنة) ان الشكر كالذكر لأنه مما يسهل فعله وأداؤه رغم عظيم الاجر والثواب الذي يترتب عليه ، حيث يقول الله عزوجل .

(ولقد آتينا لقمان الحكمة : ان اشكر لله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد) لقمان/١٢ .

أي ان الله تعالى اعتبر الشكر حكمة ، وهو فعلاً كذلك ، اذا لاحظنا حقيقته وآثاره التي نذكر منها قول الله تعالى :

(لئن شكرتم لأزيدنكم) إبراهيم/٧ .

ومنها قوله تعالى: (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) النساء/١٤٦ .

أي ان الشكر حرز من العذاب ، وطريق الى الجنة ، وقد مر علينا حديث الباقر(ع) : (والله ما اراد الله من الناس الاّ خصلتين : ان يقروا له بالنعم فيزيدهم ، وبالذنوب فيغفرها لهم) .
ثم ان الشكر قد يكون على السراء فقط ، وقد يكون على السراء والضراء ، وهذا مقام من رضي بقضاء الله وقدره ، حيث ورد ان رسول الله(ص) : (كان اذا ورد عليه أمر يسره ، قال الحمد لله على هذه النعمة ، واذا ورد عليه أمر يغتم به ، قال : الحمد لله على كل حال).

وهناك عدة أقسام ودرجات للشكر، وأهمها ما يلي.
أ- الشكر بالكلمات ، سواء جرت على اللسان أم في القلب أو الضمير . فعن الصادق(ع) : (ما انعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت ، فقال الحمد لله الاّ أدى شكرها) .
ب- الشكر بالأفعال ، كالسجود او الصلاة شكراً لله عزوجل ، فقد ورد ان رسول الله(ص) كان في سفر ، يسير على ناقة له ، اذ نزل فسجد خمس سجدات ، فلما أن ركب ، قالوا يا رسول الله انا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه ؟ فقال (ص) : نعم استقبلني جبرئيل(ع) فبشرني ببشارات من الله عزوجل ، فسجدت لله شكراً لكل بشرى سجدة .
ج- الشكر بالآثار ، وذلك بان يجتنب المحرمات ويلتزم بالطاعات ، بنية الشكر لله عزوجل ، وقد ورد عن الصادق (ع): (شكر النعم اجتناب المحارم).
وهو أمر ينبغي ان يكون واضحاً جداً ، لان الفرد لايكون شاكراً حقيقة حتى يجتنب إسخاط المنعم وإيذائه ، ومعلوم ان اجتناب السخط الإلهي انما يكون بأداء الواجبات وترك المحرمات .

واما اذا ادى المستحبات واجتنب المكروهات ، فيكون مستوى الشكر اعمق ، وكذلك اذا وقف عند الشبهات ، وهكذا .

د- عرفان النعمة ، وهذا مهم جداً ، لان العبد اذا عرف ان هذه النعمة انما هي من الله الخالق عزوجل ، فقد ادى شكرها لان الاعتراف بالنعمة هو اول الشكر ، وقد ورد عن الصادق(ع): (من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه ، فقد ادى شكرها) .

ولعل هذا هو احد معاني قول الله تعالى: (واما بنعمة ربك فحدِّث) .

فان المعروف ان التحدث بالنعمة يكون باظهارها قدر الامكان ، كما هو مبنى بعض المفسرين ، ونحن نقول هنا ان التحدث بالنعمة داخل النفس والاعتراف بانها من الله تعالى ، وتذكر النعم السابقة كذلك ، يكون مطلوباً بمقتضى هذه الآية .

إن كثيراً من الناس من يشتكي ويقول بان الله تعالى لم يتفضل عليه بشيء ، وهذا وان كان راجعاً الى الغفلة وقلة الايمان وعدم القناعة.....

وقد قيل في الحكمة :

لاتشكـون إلى الخلائق انما   تشكو الرحيم إلى الذي لايرحم

الاّ اننا مع ذلك سنحاول تذكيره بنعمة البصر والعقل واليدين ، وغيرها مما لايعد ولا يحصى .. (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) النحل -١٨

ويكفيه ان ينظر الى من هو اسوء منه حالاً ، ليعرف النعمة التي هو فيها ، ولا يخفى ان قراءة دعاء الجوشن الصغير تنفعه كثيراً في ذلك ، بل يكفيه ان يغلق عينيه او اذنيه ليتصور كيف تكون حياته بدون ذلك ، حتى يعرف مقدار فضل الله تعالى عليه ..

(هذا من فضل ربي ليبلوني أ أشكر أم أكفر) النمل/٤٠ .

ومن كلام السجاد(ع) في مناجاة الشاكرين : (فآلاؤك جمة ضعف لساني عن احصائها ، ونعماؤك كثيرة قصر فهمي عن أدراكها فضلاً عن

استقصائها ، فكيف لي بتحصيل الشكر ، وشكري اياك يفتقر الى شكر فكلما قلت لك الحمد وجب علي لذلك ان أقول لك الحمد).
وقد ورد ان موسى (ع) قال : يارب وكيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به الا وأنت انعمت به علي ؟ فقال الله تعالى : (ياموسى الآن شكرتني حين علمت ان ذلك مني).

ثم ان المفروض بكل واحد منا ان لايعتد بنفسه ، بان يقول ان نجاحي مثلاً يستند الى ذكائي ، أو ان كثرة اموالي تستند إلى كثرة عملي ، أو نحو ذلك فان النعم كلها ترجع إلى الله تعالى :
(وما بكم من نعمة فمن الله) النحل- ٥٣ .
وقد مدح الله تعالى في القران الكريم قوماً اسندوا النعمة كلها اليه عزوجل : (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) الأعراف- ٤٩ .
نعم ورد ان شكر الواسطة امر مهم ، لان الله تعالى يحب الشاكرين ، حيث ورد ان الله تبارك وتعالى يقول لعبد من عبيده يوم القيامة : أشكرتَ فلاناً ؟ فيقول بل شكرتك يارب ، فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره).
ثم قال (ع) : (اشكركم لله اشكركم للناس) ..
وفي الحديث عن النبي (ص) : (لايشكر الله من لايشكر الناس)
وفي حديث الرضا (ع) : (من لم يشكر المنعم من المخلوقين ، لم يشكر الله عز وجل) .
وورد كذلك ان الله تعالى يعاقب العبد يوم القيامة اذا لم يشكر الواسطة ، حيث يقول له : (انك لم تشكر من أجريتُ لك النعمة على يديه ، واني قد آليت على نفسي ان لا أقبل شكر عبد لنعمة انعمتها عليه حتى يشكر من ساقها من خلقي اليه) .

ولايخفى ان المراد بهذه الأحاديث ان نشكر الواسطة ، بعنوان كونها واسطة ، مع الاعتقاد والاعتراف بان المنعم الحقيقي هو الله تعالى عزوجل الذي يتفضل علينا تارة بواسطة ، وأخرى بغير واسطة ، إنه نعم المولى .
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (من حق الشكر لله ان تشكر من أجرى تلك النعمة) .

ثم ان البعض قد يقول ان شكر الواسطة قد يعارض بعض المراتب العالية من الإخلاص ، على اعتبار ان في ذلك شيئاً من المراتب الدقية للشرك الخفي ، وجوابه انه يمكن التخلص من هذا الاحتمال بسهولة ، وذلك بان يقصد من وراء شكر الواسطة طاعة الامر المتوجه إليه بذلك ، فهو يشكر الواسطة ، لان الله تعالى أمره به ، وبذلك ينعدم الشرك تماماً ، ويتحقق الإخلاص في مراتبه العالية .
ونفس الكلام يقال في طلب الرزق بالعمل ، ومراجعة الطبيب عند المرض ، ونحو ذلك ، فانه لاينافي المراتب العالية من التوكل ، اذا قصدنا بهذه الأسباب طاعة الأمر الإلهي المتوجه إلينا ، بطلب الرزق للعيال والنفس ، وبالحفاظ على النفس ومراجعة الطبيب عند توقع الضرر .

بقي ان اذكر رواية لطيفة تبين مقدار الرحمة الالهية والكرم الرباني ، وهي رواية معتبرة وصحيحة عن أبي بصير عن الصادق(ع) : ان الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء ، فيوجب الله له بها الجنة . ثم قال (ع) : انه ليأخذ الآناء فيضعه على فيه (أي في فمه) ، فيسمي (أي يقول بسم الله الرحمن الرحيم) ، ثم يشرب فينحيه ، وهو يشتهيه فيحمد الله ، ثم يعود فيشرب ، ثم ينحيه فيحمد الله، ثم يعود فيشرب ، ثم ينحيه فيحمد الله ، فيوجب الله عزوجل بها له الجنة) .

أقول : وينبغي ان لا تعجب من ذلك فان الوارد عن المعصومين(ع) ما مضمونه : لا تحقرن شيئاً من الطاعات فلعل رضا الله تعالى يكون فيه .
وقد مر مايرتبط بالشكر في الفصلين السابقين فتحسن المراجعة .

كما تجدر الإشارة بالمناسبة إلى ماذكرناه في (شرح زيارة أمين الله) عن بيان معنى (ذاكرة لسوابغ آلائك) ، حيث قلنا هناك :

اللهم واجعل نفسي الغافلة الناسية ، ذاكرة ملتفتة لسوابغ نعمك وآلائك ، فإنها كثيرة ضعف لساني عن إحصائها ، فكم يا إلهي من كربة قد فرّجتها ، وهموم قد كشفتها، وعثرةٍ قد أقلتها ، ورحمةٍ قد نشرتها ، وحلقة بلاء قد فككتها ، هذا علاوة على نعمة الهداية وكرامة السلامة .

أقول : معنى سبغ وأسبغَ أي أفاض ووسّع وأتمَّ ، وفي الدعاء (وأسبغْ علينا نعمك) فسوابغ الآلاء هي النعم التي تفضل وأفاض بها الله تعالى علينا ، وذكرُ هذه النعم واجب عقلاً وشرعاً ، وتترتب عليه جملة من الآثار والنتائج ، حيث يقول الله تعالى :
(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) .

فالفرد إذا تذكر نعم الله عليه فإنه سيرتاح ويحس بمقدار الفضل العظيم الذي أعطاه الله عز وجلّ ، وهذا يعتبر دافعاً قوياً للتقدم والتكامل وزيادة الطاعات والعبادات ، وكذلك فإن تذكر النعم ينفع في زيادة الأجر والثواب ، وينفع أيضاً في الابتعاد عن النار والعذاب ، حيث يقول الله عز وجل (فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، وفي الحديث عن النبي (ص) (من أُعطي لساناً ذاكراً فقد أعطي خير الدنيا والآخرة) .

وفي الحقيقة فإن ذكر النعم الإلهية مطلوب بنحو الطريقية أيضاً علاوة على مطلوبيته في نفسه بنحو الموضوعية ، فإن ذكر النعم طريق إلى الشكر والمحبة ، والمفروض بمن يتذكر نعم الله عليه أن يقابلها بالإحسان (هَلْ جَزَاءُ الْأَحْسَانِ إِلَّا الْأَحْسَانُ) ..

فإذا كان الله تعالى غني عن العالمين، فنفهم عندئذٍ ان المطلوب هو الإحسان إلى النفس والى العباد ، والله يحب المحسنين ..

(وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) .

ثم ان ذكر النعم الخاصة يؤدي إلى القناعة والرضا والتسليم ، فكل واحد منا اذا التفت إلى النعم التي حباه الله بها عز وجل في وقت يرى فيه من هو محروم من هذه النعم ، فإن هذا بالتأكيد سيعرّفه بأنه أحسن من غيره من هذه الناحية ، وانه في نعمة من هذه الجهة ، فالمفروض به أن يقنع ويرضى ويسلّم أمره لله تعالى من سائر الجهات ، ويحمد الله على كل حال .

الأُنس بالله رب العالمين

وليأنس العبدُ بخَلاقه

أُنس مريديه وعشّاقه

وفي الحديث الوارد في بحار المجلسي وجامع السعادات ان الله تعالى أوحى إلى داود (ع) : (يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب لمن أحبني ، وجليس لمن جالسني ، ومؤنس لمن أنس بذكري ، وصاحب لمن صاحبني ، ومختار لمن اختارني) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : ان الله تعالى يقول (لو لم يكن في الدنيا الا عبد مؤمن لاستغنيت به عن جميع خلقي ، ولجعلت له من إيمانه أنساً لايستوحش إلى أحد) .

وقد ورد في الدعاء : (ياصاحب كل غريب ، ويا مؤنس كل وحيد) .

وفي دعاء آخر (ياخير مؤنس وأنيس ، ياخير صاحب وجليس) .

وفي الدعاء أيضاً (ياأنيس القلوب) ، و (ياأنيس من لا أنيس له) .

وفي دعاء آخر (ياسرور العارفين ، يامنى المحبين ، ياأنيس المريدين) .

ويجدر في المقام مراجعة مناجاة المريدين للإمام السجاد (ع) ، وفيها (فأنت لاغيرك مرادي ، ولك لا لسواك سهري وسهادي ، ولقاؤك قرة عيني ، ووصلك منى نفسي ، واليك شوقي ، وفي محبتك ولهي) .

ومثلها مناجاة المحبين وفيها (الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك ، فرام منك بدلاً ، ومن ذا الذي أنس بقربك فا بتغى عنك حِولاً) .

ومثلها أيضاً مناجاة العارفين ، وفيها وصف جميل لهذه الطائفة (وقليل ماهم) ، حيث يقول الإمام (ع) (وطاب في مجلس الانس سّرهم ، وأمن في موطن المخافة سربهم ، واطمأنت بالرجوع إلى رب الأرباب أنفسهم) .
بل ورد في بعض الأدعية : (واستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ، ومن كل راحة بغير أنسك ، ومن كل سرور بغير قربك ، ومن كل شغل بغير طاعتك) ..
وهذا الاستغفار (الدقي) انما هو من المقامات العالية التي لا يستوعبها الا اهلها .
ثم ان الانس بالله تعالى يمكن ان يتحقق بذكر الله تعالى وكثرة العبادة ، (كما سيأتي الإشارة اليهما) ، وباستشعار العبودية تجاه الخالق عز وجل (كما وضحناه في فصل سابق) .
ويمكن ان يتحقق أيضاً باستشعار العلاقة عموماً بين العبد وخالقه عزوجل ، وهذا موضوع مهم وحيوي ، كتبت فيه بعض الأوراق قبل عدة سنوات ، معتمداً فيه على مناجاة الإمام علي (ع) المعروفة في ضمن أعمال مسجد الكوفة (مولاي يامولاي أنت المولى وأنا العبد ....) ..
باعتبار ان كل فقرة من فقراته تمثل علاقة بين المخلوق وخالقه عزوجل .
ولكني لم أكمله لكثرة المشاغل المستمرة ، وقد أعطيته لبعض الأخوة لأجل إكماله ، ولكن لم أر النتيجة لحد الان ، والحمد لله على كل حال .

كما ان الانس بالله تعالى يتحقق أيضاً بالرضا والتسليم وحسن الظن مع الله عزوجل ، وقد تحدثنا عن كل ذلك في فصول سابقة .

ولابأس في المقام ان نشير إلى ما ذكرناه في (شرح زيارة أمين الله) عند الحديث عن معنى قوله (ع) : (مولعة بذكرك ودعائك) :
إلهي واجعل نفسي المسكينة الضعيفة مولعة بذكرك ومناجاتك ، متعلقةً بدعائك ومسألتك يا خير المذكورين وأحسن المسؤولين .
والولع هو الهيام والتعلق الشديد بالشيء بحيث تكون هناك ملازمة خارجية بين المولَع (بالفتح) والمولع به .
ولا يخفى ان الولع قد يكون عن عاطفة فارغة ، وقد يكون عن تعقل وفهم ، والأول لا قيمة له ، بل لعله يقود أصحابه إلى متاهات الضلال ، حيث الزبد والسراب .
واما الولع الناتج عن تعقل وفهم ، فهو أيضاً على مراتب بعضها نافع وبعضها غير نافع ، بعضها عالي وبعضها داني ، وانما يُعرف ذلك بمعرفة (المولع به) ، فشتان بين من يهيم ويتعلق بأشراف أهل الدنيا ، وبين من يهيم بأشراف أهل الآخرة ، وشتان بين من يتعلق بذكر بعض المخلوقين ، وبين من يتعلق بذكر الخالق عز وجل .
ومن هنا فنحن نسأل الله عز وجلّ ان يعيننا ويفتح ابصارنا ويبعد عنا الموانع والحجب ، لننال مرتبة الولع والتعلق بذكره ودعائه ، فإنهما غايتنا إليه تعالى ، ووسيلتنا في لقائه عز وجلّ .
ولنتذكر دائماً ان الله تعالى يقول في الحديث القدسي (أنا جليس من ذكرني) وفي أحاديث أخرى ان الله تعالى يحب الداعي ويقبل إليه ، ولعله يقول لبعض العباد لبيك يا عبدي .
هذه هي الرحمة الإلهية ، بل هي أجلّ وأعظم .

وعلى أية حال فإن الولع الحقيقي له عدة أسباب يمكن للفرد ان يناله من خلالها ، وأهم هذه الأسباب هو : الإخلاص في العمل ، فإن خلوص العمل يقتضي قبوله ، وقبوله يقتضي ترتب الآثار عليه ، ومن تلك الآثار الشعور باللذة والسعادة الحقيقية بنعمة الإيمان والقرب من الخالق جل شأنه .

ومنها – الوعي والالتفات إلى المدعو والمذكور ، فإن الفرد إذا عرف من يخاطب وأدرك من يدعو وفطن إلى من يذكر ، فإنه بالتأكيد سيشعر بالراحة حتى تصير عنده نعمة الولع والتعلق ..

فهو متوجه إلى سيد الوجود ورب العالمين وخالق الخلق ، الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد ، ويغذيه بالنعم صباحاً ومساءاً ، رغم أننا لا ندرك هذه النعم أحياناً لعقولنا القاصرة ، وجهلنا بحقائق الأشياء ، ولشدة جزعنا وقلة صبرنا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ومنها – الالتفات إلى عظيم الأجر والثواب الذي يحصل عليه الفرد عندما يكون من الذاكرين والسائلين ، فإن هذا الأجر دافع أكيد نحو الشوق والتعلق بهذه الاعمال الصالحة .

ومنها – الدعاء ، حيث ورد ان الإمام السجاد (ع) كان يدعو الله تعالى قبل صلاته بقوله :

(يا من حاز كل شيء ملكوتاً ، وقهر كلّ شيء جبروتاً ، أولج قلبي فرح الإقبال عليك) .

ومنها – قراءة مناجاة المريدين ، والمحبين ، والعارفين ، وكذلك الراغبين ، للإمام للسجاد (ع) ، فإنها مهمة جداً ونافعة من هذه الناحية .

وفي شرح زيارة أمين الله أيضاً ذكرنا عند الحديث عن قوله (ع) (مشتاقة إلى فرحة لقائك) :

إلهي وسيدي ومولاي أسألك أن تجعل هذه النفس المتعلقة بالدنيا وبأهل الدنيا زاهدة عن ذلك، مشتاقة إلى فرحة لقائك ، فإنها الفرحة الحقيقية والسعادة الواقعية التي لا يلقاها إلا الصابرون على بلائك ، السائرون على صراطك ، الراغبون في جوارك .

فيا ربي وإلهي ما ألذَّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب ، وما أحلى المسير إليك في مسالك الغيوب ، وما أطيب طعم حبك ، وما أعذب شربَ قربك ، فأعذنا من طردك وإبعادك ، فإن نفساً أعززتها بتوحيدك كيف تذلها بمهانة هجرانك ، إلهي واجعلنا من أخص عارفيك ، وأصلح عبادك وأصدق طائعيك ، وأخلص عبّادك ، يا عظيم يا جليل برحمتك وجذبك وأياديك يا ارحم الراحمين .

أقول : ذكرنا في (شرح زيارة أمين الله) عند الحديث عن فقرة (ودعاك إلى جواره) ان لقاء الله عز وجل له عدة معانٍ :

أحدها بمعنى الجوار والقرب المعنوي من الحضرة القدسية وهو يكون بالأعمال الحسنة ومجاهدة النفس والشيطان ، فإذا تحلّى الفرد بمحاسن الأفعال وتخلى عن رذائل الخصال ، فإنه بالتأكيد سيصل إلى رب العالمين ، وسيكون معه وسيدخل في حزبه وأهل ولايته ، وهذا هو المعنى الأول للقاء به عز وجلّ (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

وهناك معنىً آخر للقاء الله تعالى وذلك في جنان الآخرة وفردوس الخلود ، وهذا هو الذي نطقت به الآيات القرآنية الكثيرة فهو اللقاء الذي يحصل بين

العبد وخالقه في يوم الدين ، وكلما كانت الحسنات أكثر كلما كان اللقاء بالله أحلى وأجمل ..
(مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ) (العنكبوت- ٥) .
فمعنى اللقاء هنا هو تحصيل رضوان الله وقربه وجناته ونعيمه ، حيث يجتمع هناك مع الأولياء والصالحين ، فهو لقاء تتحقق فيه أسعد اللحظات وأشدها فرحاً ولذة ، يكفي أن تسمع الرواية التالية عن اللقاء بالحسين (ع) حيث ورد ان من شيعته من يجلسون عنده في يوم القيامة فيستأنسون بحديثه وبنور وجهه حتى ان الحور تناديهم فلا يلتفتون اليهن ولا يريدون ان يتركوا مكانهم قرب الحسين (ع) .
هذا والحسين (ع) عبد من عباد الله المكرمين ، فما بالك بمن ينشغل هناك بمناجاة الخالق ويعيش في كنفِ كراماته وفيوضاته القدسية (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) .
وقد ورد في دعاء الكاظم (ع) (ولا تحرمني لقاءك).
وعلى أية حال فالمفروض ان تكون أنفسنا مشتاقة إلى هذه اللحظات المباركة ، فإن في هذا الشوق والرغبة دافع أكيد للثبات والتقدم بصبر وإصرار وقوة ، وهذا الشوق يهوّن علينا البلايا ويجعلها تمرّ علينا سهلة يسيرة ، بل لعل بعضنا لا يشعر بها أصلاً لأن الشوق قد أخذ منه كل مأخذ .

ثم انه يوجد معنى آخر للقاء الله عز وجلّ وهو يشمل جميع الخلق ، بما فيهم الكفار وأهل الشرك والظلم والفساد ، حيث يقول الله تعالى :
(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَاب بِقِيعَة يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ، وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) النور- ٣٩
ونعني به لقاء الله يوم القيامة والحساب والمجازاة في ساحة الميعاد :
(وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة:٢٢٣)
(يَا أَيُّهَا الْأِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ، وَيَصْلَى سَعِيراً) (الانشقاق٦-١٢).

وأخيراً ، ولأن الكلام عن الانس بالله تعالى مؤنس حقاً ، أحب ان اذكر هنا المقطوعة التالية بعنوان (مناجاة العاشقين) :

يا ربِّ لقاك (متى غدُه)   قد طال وأضنى(موعدُه)
شجوٌ للعاشق ينشدُه   والكون صداه يرددُه
يا ربِّ فؤادي في كَلَفٍ   أعياه فمات تجلدُه
كَلِفٌ بهواك على وجلٍ   علمي بنداك يُبدّدُه
لكن خُطاي على حذرٍ   فالدرب خطير مقصدُه
وذنوبي شلّت أقدامي   وأناخ برحلي مِزردُه
وأنا معترف معتذرٌ   ورجائي تحملني يدُه
فوقفتُ بساحة آمالي   أرتقب الفجر وأرصدُه
ونصبتُ شباكي منتظراً   صيداً قد جلَّ تصيدُه
وحملتُ سلاحي من خطرٍ   فالليل توارى فرقدُه
لكن حسامي ذو عوجٍ   وحيائي دوماً يغمدُه
فدعوتُ الله ليرزقني   صمصام هدى أتقلدُه
وربطتُ على قلبي زُبَراً   وصبرتُ فأشرفَ أغيدُه
نورٌ في صدري أنزله   ربٌ أهواه و أعبدُه
وأُقدِّسه وأُوحدُه   وبكل مقام أحمدُه
وسُقيت بماءٍ قدسيٍّ   عذبٍ قد صُفِّي موردُه
فاخضرّت أشجارُ حياتي   ولزهري عاد تورّدُه
وضياء الصبح تغَشّاني   والصبح جميلٌ مولدُه

الهجرة إلى الله تعالى

ومن يــــهاجر في سبيــــل اللهِ

لله ، فالله عـــزيـــز الـــجــاهِ

حيث قال الله تعالى في قرآنه الكريم :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ، وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ ، وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ، أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ)البقرة- ٢١٨

(وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ، لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ، الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) النحل(٤١-٤٢)

وينبغي الالتفات إلى ان المقصود بالهجرة ما يشمل الهجرة الظاهرية (أو المادية) ، والهجرة الباطنية (أو المعنوية) ، فكلاهما مطلوبتان .

فالمفروض بالمؤمن ان يهاجر إلى مواطن طاعة الله ورضاه وقربه عز وجل ، حتى وان اقتضى الأمر ترك الديار والأمتعة ، بمعناها العام المادي والمعنوي .

وقد اشرنا في (مطالعات عرفانية) إلى ما ذكره العارفون من ان الهجرة كالجهاد ، فيها هجرة صغرى وهي الهجرة بمعناها المعروف فقهياً ، وهجرة كبرى وهي الهجرة بالبدن عن مخالطة أهل العصيان وأبناء الدنيا ، والهجرة بالقلب عن المودة لهم ، والهجرة بالبدن والقلب معاً عن العادات والرسوم المتعارفة التي تمنع السالك من سلوك طريق الله عز وجل .

ولا يخفى ان بعض مراتب هذه الهجرة قد يكون صعباً نسبياً ، وقد قال الله عزوجل : (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) البقرة - ٢٨٦

(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا) الطلاق - ٧

وهناك هجرة عظمى - كما يعبرون - وهي ان يهاجر السالك من وجوده الخاص ، ويتركه ليسافر إلى عالم الوجود المطلق ، تطبيقاً للحكمة التي تقول (دع نفسك وتعال) ، وامتثالاً للإرادة الإلهية والدعوة الربانية الواردة في قوله عزوجل مخاطباً النفس المطمئنة :
(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، وَادْخُلِي جَنَّتِي) الفجر (٢٩- ٣٠) .

والمهم في المقام ان الهجرة إجمالاً مطلوبة ، وان المقدار الواجب منها (على تفصيل مذكور في كتب الفقه) هو الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ، ومن مواطن الانحراف والضلال إلى مواطن الالتزام والهداية ، ومن مواطن المعصية إلى مواطن الطاعة ...
وقد ورد في الدعاء (وعهدي إليك ان اهجر جميع معاصيك) .
بل المفروض الهجرة من مواطن الشبهة إلى مواطن الاطمئنان والاحتراز ، وقد ورد عن النبي (ص) : (حلال بيّن وحرام بيّن ، وشبهات بين ذلك ، فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ، ومن اخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لايعلم) .

وكما تكون هجرة العبد إلى الخالق عزوجل بالطاعة والالتزام ، وتصفية النفس وتهذيبها وتكميلها ...
كذلك تكون الهجرة إلى أولياء الله وأبوابه عزوجل ، بموالاتهم والبراءة من أعدائهم ، على ان يكون ذلك بالقول والفعل كما سنشير إليه في محله .
وقد ورد في زيارة الإمام علي (ع) : (زيارة من هجر فيك صحبه) ، وفي زيارة الإمام المهدي (ع) : (وهجرتُ لزيارتك الأوطان) .

وان كان الواقع ان هذه الهجرة انما هي هجرة إلى الله تعالى ، لأنه هو الذي أمر بها ، ولأنها طريق إلى رضاه وقربه عزوجل ، فهي اذاً مظهر من مظاهر الهجرة إليه جل شأنه .

بقي ان نشير إلى ان الهجرة يجب ان تكون خالصة لله عزوجل ، وفي الحديث عن النبي محمد (ص) : (انما الأعمال بالنيات ، ولكل امريء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) .

السياحـة في سبيـل الله

ولينطـــلق إليـــه في سيــاحة

سيـــاحـــة ما مثــــلها من راحـة

يقول الله تعالى : (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم ، بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ ، فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) التوبة (١١١-١١٢) .

وفي ميزان الطباطبائي ذكر في معنى السائحين أنهم يعبدون الله تعالى بأقدامهم ، فيسيحون ويجولون من معهد من المعاهد الدينية ومسجد من مساجد الله إلى غيره .

ثم ذكر ما نصه (ان المراد بالسياحة - ومعناه السير في الأرض - على ماهو الأنسب بسياق الترتيب هو السير إلى مساكن ذكر الله وعبادته كالمساجد) .

وقيل - كما نقل في الميزان ومجمع البحرين - ان المراد بالسياحة الصيام (وهو مروي عن أبي هريرة عن النبي (ص)) ، أو التنقل في الأرض للاعتبار والنظر في آيات الله عزوجل .

وفي الخبر أن رجلاً جاء إلى النبي (ص) راغباً بالسياحة في الأرض ، فقال له النبي (ص) : (لاتسح في الأرض ، فان سياحة أمتي المساجد) .

وفي حديث آخر عنه (ص) ان سياحة أمتي الجهاد .

والمتحصل من مجموع ما تقدم ان السياحة الهادفة والنافعة والايجابية تكون مطلوبة أكيداً ، ومن أوضح مصاديقها :

١- السعي للمساجد لأجل العبادة .

٢- السعي لساحات الجهاد المشروع .

٣- السعي بين البلاد والعباد ، للإصلاح والهداية ، وتعظيم شعائر الله تعالى .

وفي بعض الروايات ان الإمام الحسن (ع) حج ماشياً (انظر الوسائل) ، وهناك أحاديث كثيرة في فضل كل خطوة يخطوها الإنسان لزيارة المعصومين (ع) (انظر كامل الزيارات) ..

ولعل هذا ونحوه هو المقصود بما ورد عن الإمام الصادق (ع) : (ما عبد الله بشيء أشد من المشي ولا أفضل) .

نعم اذا كان المشي مضراً بالفرد ، كان يضعفه عن الدعاء أو العبادة ، فالوارد ان الركوب أفضل عندئذ ...

ولايخفى ان السياحة بالمعنى الذي ذكرناه تصدق على الماشي والراكب على حد سواء .

وهي سياحة حقيقية ، لا يدرك راحتها وسعادتها إلا من كانت سياحته لله عزوجل .

واذا كانت لذة السياحة الدنيوية تزول وتختفي بمجرد انتهاء السفر ، فان لذة السياحة لله تعالى لاتزول ولاتختفي ، لأنها لذة واقعية وغير متناهية .

(قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ، هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) يونس- ٥٨

(وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ)الرعد- ٢٦

الإهتمام بالعبـادة

وليـــتصف بـــكثرة العبـادة

فـــإنها بـــاب إلى السعـــادة

حيث يقول الله تعالى :
(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)الذاريات- ٥٦
(رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) مريم- ٦٥

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (قال الله تبارك وتعالى ياعبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا ، فإنكم تتنعمون بها في الآخرة) ...

وقد مر مايرتبط بالمقـام عند الحديـث عن (استشعار العبوديـة) ، وعـن (الأنس بالله عزوجل) .

والعبـادة لهـا مـصاديق كثيـرة ، بعـضها ظاهـر جلـي كالـصلاة والـصوم ونحوهمـا ، وبعضها باطن خفـي كالذكـر القلبي ونحـوه .

وقد ذكرنا في (طريقك نحو الجنة) ان كثرة العبادة وسيلة مضمونة لتحصيل الجنة ، لانها من أهم العلامات التي يعبر الفرد من خلالها عن عبوديته لخالقه عزوجل .

يكفيك ان كثرة العبادة هي صفة المعصومين(ع) الثابتة بالتواتر ، فالمفروض ان نحاول متابعتهم في ذلك ، والتأسي بهم بالمقدار الممكن ..

فان لم توجد الفرصة أو المجال عند البعض ، أو لم تساعدهم الصحة على ذلـك ، فلينـوِ ان يفعـل ذلـك بمجـرد ان تحين الفرصـة ويـساعد الحـال، مع

الالتزام النفسي بمحبة هذا الامر - أي تكثير العبادة - والتعلق به والتأسف على عدم العمل به ان كان هناك عذر فعلي عنه ، أو كانت هناك واجبات أخرى مزاحمة كالسعي في طلب القوت ، أو في رعاية الأبناء ، أو في تحقيق المصالح العامة أو نحو ذلك ، فهذه (المحبة) مهمة وضرورية لان الوارد عنهم (ع) ان من أحب عمل قوم حُشر معهم ..

وهذه رحمة إلهية يتوجب علينا شكرها والاستفادة منها.

ثم ان من أهم العبادات هي الصلاة والصوم فينبغي الإكثار منهما ، حيث ورد في الصلاة أنها معراج المؤمن وأنها قربان كل تقي ، وأنها خير موضوع فمن شاء استقل ومن شاء استكثر ، وفي الوسائل /ج٥ ذكر جملة من الصلوات المستحبة ، ولعل أهمها صلاة الليل .

واما الصوم فيكفي ان نتذكر هنا الحديث القدسي الوارد عن الله تعالى (الصوم لي وأنا أجزي به) ، وكذلك ورد عن النبي(ص): (أديموا قرع باب الجنة يُفتح ، قيل : وكيف نديم قرع باب الجنة ؟ قال (ص) : بالجوع والظمأ) أي بكثرة الصوم .

كما يعتبر السجود في حد نفسه (أي بغض النظر عن سجود الصلاة الواجبة أو المستحبة) ، من أهم العبادات أيضاً ، حيث ورد ان أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجد ، وان الله تعالى يباهي ملائكته بالعبد الساجد ، وقد سمي الإمام زين العابدين(ع) بسيد الساجدين لكثرة سجوده وطولهِ ، حتى قيل له (ذي الثفنات) .

وقد ورد في خطبة النبي(ص) في مطلع رمضان : (ايها الناس ان أنفسكم مرهونة بأعمالكم ، ففكوها باستغفاركم ، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم

فخففوا عنها بطول سجودكم ، واعلموا ان الله (تعالى ذكره) أقسم بعزته ان لايعذب المصلين والساجدين ، وان لايروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين) .

ومن مصاديق العبادة أيضاً قراءة القرآن والأدعية ، حيث ذكرنا في (طريقك نحو الجنة) : ان قراءة القرآن او الدعاء هما من أنواع الذكر ، فالثواب ثابت عليهما من هذه الناحية (راجع في فضل القرآن والدعاء وآثار قراءتهما: كتاب الوسائل ج٤/ ابواب القراءة وابواب الدعاء)..
ولكن الذي نريد بيانه هنا هو أهمية التأمل والتدبر في هذه القراءة .
إذ القرآن هو كتاب الله عزوجل ، ودستوره ومستودع علمه وأسراره ، وقد وصفه الله تعالى بأنه تبيان لكل شيء ، وانه يهدي للتي هي أقوم ، فالمفروض بنا إذاً أن نتدبر في آياته، مع مراجعة تفاسير العلماء الذين يستندون في تفسيرهم إلى مباديء المعصومين(ع) ورواياتهم .
وفي الحقيقة فان الأمر لايقتصر على ذلك ، لان في تلاوة القرآن جلاء للبصر والبصيرة ، وشفاء للنفوس والقلوب ، بل وشفاء للأبدان كذلك ، وكيف لايكون كذلك وهو كلام الله عزوجل (راجع كتابنا معالم التكامل في العقيدة حول معاجز القران وآياته) ..
وقد ورد في الحديث عن الإمام زين العابدين(ع) : (لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشتُ بعد ان يكون القرآن معي) .
وأما بالنسبة للدعاء فيكفي ان نلاحظ قوله تعالى:
(قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم) الفرقان-٧٧ .
وقد كتبنا كتاباً مختصراً حول الدعاء بعنوان (خواطر حول الذنوب والأدعية) ، وكذلك (أدعية ومناجيات قرآنية) ، وهما ينفعان في المقام بإذنه تعالى .

ثم ان البعض قد يقول بان الفراغ غير متوفر لنا ، وان العمل ومشاغل الحياة تتغلب علينا ، بحيث لا تترك لنا مجالاً لقراءة القران أو الأدعية .
ولكننا نقول لهم ان مشاغل الحياة مهما كانت فهي لاتصل إلى الحد الذي يعجز المرء فيه عن قراءة صفحة من المصحف الشريف أو دعاء صغير أو مقطع من دعاء كبير في اليوم الواحد ..
ثم انه يمكن تلافي الأمر بالاستماع إلى ذلك ، عبر المسجل أو الراديو أثناء العمل أو أثناء الراحة .
بقي ان نشير إلى جملة من الأدعية النافعة والمؤثرة جداً خصوصاً من الناحية التكاملية ، كالمناجات الخمسة عشر ، والمناجاة الشعبانية ، ودعاء كميل والافتتاح ودعاء أبي حمزة الثمالي ودعاء الحسين(ع) يوم عرفة وغيرها .

ثم اننا أشرنا - في أول كلامنا عن العبادة - إلى الذكر باعتباره احد مصاديق العبادة ، وقد ذكرنا في (طريقك نحو الجنة) ان الالتزام بالذكر هو من أهم الوسائل التي تؤدي بالعبد إلى الجنة ، بل إلى أعلى المراتب ، فاذا علمنا انه من أيسر الأمور ، وانه في مقدور كل الناس ، مهما كان وضعهم الاجتماعي والعلمي ، ومهما كان مستواهم الديني أو الدنيوي .. فالمفروض اننا ندرك الآن أن فرصتنا واسعة ، واننا أمام كنز مفتوح من الحسنات والخيرات ، فلنأخذ منها ما نقوى على حمله ، وسنحاول نحن بدورنا ان نذكر باختصار أهم الآثار والكيفيات التي تتعلق بالذكر .
يقول الله عزوجل : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)
الأحزاب- ٤١ .
وقال تعالى أيضاً : (فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) النساء- ١٠٣

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ان الله أوحى الى موسى (ع) : (لاتدع ذكري على كل حال).
بل ورد عن الباقر (ع): (ان موسى (ع) سأل ربه فقال : الهي انه يأتي علي مجالس اعزك وأجلك ان أذكرك فيها ، فقال : ياموسى ان ذكري حسن على كل حال) .

وأما فوائد الذكر وآثاره ، فهي عديدة نذكر منها :
ما ورد في الحديث عن النبي(ص) : من أكثر ذكر الله أحبه الله ، ومن ذكر الله كثيراً كُتبت له براءتان : براءة من النار وبراءة من النفاق) .
ومنها : ما يقوله الله تعالى : (فاذكروني أذكركم) البقرة/١٥٢ .
ومعلوم ان الله تعالى انما يذكر عبده بالخير والرضا والحسنات ، وقد ورد عن الصادق(ع) : (قال الله عزوجل : يابن آدم اذكرني في ملأ ، أذكرك في ملأ خير من ملأك) .
ومنها : قول الله عزوجل : (الا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد- ١٨ .
ومنها : ما ورد عن الصادق(ع) : (ان الله عزوجل يقول : مَن شُغل بذكري عن مسألتي ، أعطيته أفضل ما يُعطى من سألني) .
ومنها : تحصيل النصر والغلبة بكل معانيهما المادية والمعنوية لان الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ، لعلكم تفلحون) الانفال- ٤٥ .
على اعتبار أن المراد بالفئة هنا ما يعم الكفار ونحوهم من أعداء المؤمنين ، بحيث يشمل حتى النفس الأمارة بالسوء ، وحتى الشيطان حيث يقول الله تعالى : (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) الأعراف- ٢٠١ .

اما النتائج التي تترتب على ترك الذكر والإعراض عنه فهي كثيرة ، وأهمها ما ورد في قوله تعالى : (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) الزخرف-٣٦ .
أقول : هذا لايعني ان الله تعالى هو الذي يهيأ له شيطاناً ، بل المعنى انه حينما يعرض العبد عن ذكر الله تعالى فانه سيقع تحت مخالب الشيطان وتأثيراته وسوف لن يتدخل الله تعالى لمساعدته وتخليصه ، وهذا ما وضحناه في كتابنا (الله اكبر من الشيطان) ، أي ان الحاصل هنا هو من باب شرط النتيجة لاشرط الفعل .
ومن نتائج ترك الذكر (قساوة القلب) وهي حاجب أكيد عن الهداية والطاعات ، ففي الحديث عن المعصومين(ع) ان الله تعالى (ناجى النبي موسى(ع) : يا موسى لاتنسني على كل حال ، فان نسياني يميت القلب) .
كما ورد في الحديث عنهم(ع) : (ما من قوم قعدوا في مجلس ثم قاموا ولم يذكروا الله ، الاّ كان حسرة عليهم يوم القيامة) .
أقول : وهذا لانهم سيُحرمون من الثواب العظيم الذي كانوا سيحصلون عليه لو تكلموا بذكر الله عزوجل .
فقد ورد عن النبي(ص) : (ما جلس قوم يذكرون الله عزوجل الا ناداهم منادٍ من السماء : قوموا فقد بدّلت سيئاتكم حسنات ، وغفرت لكم جميعاً .. وما قعد عدة من أهل الأرض يذكرون الله عزوجل الا قعد معهم عدة من الملائكة) .
ثم ان الله تعالى يقول في محكم كتابه (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى) طه- ١٢٤ .

وهنا قد يقول البعض : اننا نشاهد أحوال الكثير من المنحرفين والكافرين في ازدهار وغنى ، وليس في عسر وضنك .
وهذا القول ناتج عن الغفلة والجهل بحقيقة الحال ، فان الضنك قد يلازم الغنى مثلما يلازم الفقر ، بل قد تجد فقيراً هو أسعد الناس ، وتجد غنياً هو أتعس الناس ، ولعل هذا هو حال اغلب الناس الأغنياء وان تَصوَّرهم الناس على انهم سعداء ، فمشاكل الغنى أكثر بكثير من مشاكل الفقر ، ولذلك قالوا : (المفلس في القافلة أمين (أي آمن)) .
وقد قال الله تعالى مخاطباً المؤمنين :
(ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لايرجون) النساء- ١٠٤ .
ثم ان مفهوم السعادة لعله غير واضح عند أكثر الناس ، فالسعادة الحقيقية تكمن في الاستقرار النفسي والقناعة والتسليم بحكم الله تعالى وتحصيل قربه ورضاه ، وهذا المفهوم وان كان يصعب تصديقه على مَن لم يتذوق طعم مثل هذه الأمور ، الاّ انه يبقى المفهوم الواقعي الوحيد للسعادة الكاملة .
وقد ورد في دعاء الحسين (ع) يوم عرفة : (ماذا وجد من فقَدك ، وما الذي فقَد من وجَدك ، لقد خاب من رضي دونك بدلاً ، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً) ..
وقال كذلك : (يا من أذاق احباءَه حلاوة المؤانسة) .. إلى غير ذلك .
فالمؤمن الملتزم - مهما كان ظرفه المادي أو الاجتماعي - يعيش هذا النعيم في الدنيا والآخرة وما بينهما ، اما في الآخرة فمعلوم ، واما في البرزخ أو القبر فلما ورد بما مضمونه ان قبر المؤمن روضة من رياض الجنة ، واما في الدنيا فلنستمع هذه الرواية المعتبرة عن صالح بن سعيد حيث قال : دخلت على أبي الحسن(ع) - أي الإمام الهادي(ع)- فقلت له : جعلت فداك في

كل الأمور ، أرادوا إطفاء نورك ، والتقصير بك ، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع ، خان الصعاليك ، فقال (ع) : هاهنا أنا يا ابن سعيد ، ثم أومأ (ع) بيده وقال : أنظر ، فاذا انا بروضات آنقات وروضات باسرات ، فيهن خيرات عطرات ، وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون ، وأطيار وظباء ، وأنهار تفور ، فحار بصري وحسرت عيني ، فقال(ع) : حيث كنّا فهذا لنا عتيد ، لسنا في خان الصعاليك) .

ولايخفى ان الكافر أو المنحرف في ضنك من جميع هذه النواحي ، هذا علاوة على ان غناه وراحته - ان حصل عليهما - فهذا من باب الاستدراج حيث يقول الله تعالى : (ولايحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم، انما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مُهين) آل عمران-١٧٨.

بقي ان نختم الكلام عن الذكر ببيان أساليبه وكيفياته وهي الآتي :

أ- ذكر الله تعالى بتذكر الواجبات والفرائض ، كالصوم والصلاة ونحوها ، ومما ورد في هذا الباب قولهم(ع) : (إمتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة ، كيف محافظتهم عليها) ..

فتذكر الواجبات وأدائها هو نوع من أنواع الذكر ، ولذلك قال الإمام الحسين(ع) لأحد أصحابه ، حينما أخبره بدنو وقت الصلاة في يوم عاشوراء : (ذكرت الصلاة ، جعلك الله من المصلين الذاكرين) .

ب- ذكر الله تعالى عند المعاصي والمحرمات ، بمعنى انه يتذكر الله تعالى ليكون ذلك رادعاً عنها ، فعن الإمام علي(ع) : الذكر ذكران ، ذكر الله عزوجل عند المصيبة ، وأفضل من ذلك ذكر الله عند ماحرم عليك فيكون حاجزاً) .

وفي بعض الأحيان يقترف العبد معصية والعياذ بالله ، ولكنه سرعان ما يتذكر ويستغفر : (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) آل عمران- ١٣٥.
وسيأتي مايرتبط بهذا الذكر عند الحديث عن المراقبة .
ج- ذكر الله تعالى عند المستحبات والمكروهات والشبهات ، وذلك بمحاولة أداء المستحبات وترك المكروهات ، والوقوف عند الشبهات .
د- ذكر الله تعالى بالتسبيح والاستغفار والدعاء ونحو ذلك ، وهو من أوضح مصاديق الذكر ، حيث ورد في الحديث عن النبي(ص) : (أكسل الناس عبد صحيح فارغ ، لايذكر الله بشفة ولا بلسان) ..
وفي الحديث عن النبي(ص) : (من أُعطي لساناً ذاكراً ، فقد اعطي خير الدنيا والآخرة) .
ثم ان الذكر لايختص باللسان ، بل يكون بالقلب أيضاً ، ولعله بالقلب أفضل وانفع حيث يقول عزوجل :
(وَاذْكُر ربَّكَ فِي نَفْسكَ تَضرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ، وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ) الأعراف- ٢٠٥.
لان العبادات السرية يكون أجرها أكبر .
وهناك ذكر آخر بالسمع ، وهو يناسب الكثير من ذوي الأعمال والمهن ، كالسائق أو صاحب المحل أو ربة البيت أو الطبيب ، أو نحوهم وذلك بأن يفتح كل واحد منهم المسجل أو الراديو ليستمع إلى القرآن أو الدعاء ، لينال بذلك ثواب الذاكرين وبركاتهم وهو مستمر على عمله ونشاطه .
هـ - ذكر النعم الإلهية ..(فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) الأعراف- ٦٩
أي يذكر العبد جميع النعم التي أنعمها الله تعالى على الخلق عامة ، وعليه خاصة ، فان تذكر هذه النعم يعتبر صورة من صور الشكر الذي به تدوم النعم .

و- ذكر الحدود الشرعية والعقائدية :
(واذكروا نعمة الله عليكم ، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة)
البقرة- ٢٣١.
وبذلك سوف تكون تصرفات الفرد وردود أفعاله منسجمة دائماً مع المباديء الإلهية .
ز- ذكر العقاب الإلهي ، ليكون رادعاً للفرد عن التهاون أو الانحراف ،
(وذكِّرهم بأيام الله) إبراهيم- ٥.
ح- ذكر الصالحات والصالحين ، والمراد بالصالحات الأفكار والأحاديث الشرعية ، والمراد بالصالحين هم الأنبياء والأئمة المعصومين(ع) ، حيث ورد عن الباقر(ع) : (ان ذكرنا من ذكر الله) ، على اعتبار ان ذكرهم (ع) والحديث عن أخبارهم وأحوالهم يكون دافعاً للتكامل والتقرب إلى الله تعالى ، لان المفروض ان نتأسى بهم ونقتدي بأفعالهم وأحوالهم(ع) .

وهكذا فان الذكر بسيط المؤونة ، عظيم المنفعة ، وقد ورد عن النبي(ص) : (اعلموا ان خير اعمالكم عند مليككم ، وأزكاها وأرفعها في درجاتكم ، وخير ما طلعت عليه الشمس : ذكر الله سبحانه وتعالى ، فانه أخبر عن نفسه فقال : أنا جليس من ذكرني) .
ومن هنا ورد في مناجات الذاكرين : (ومِن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا ، وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك) .

بقي ان نشير إلى ملاحظتين مهمتين في المقام :

الملاحظة الأولى - ان طبقات واسعة من المؤمنين الصالحين يظنون انهم محرومون من فرصة تكثير العبادة ، لانهم يعانون من موانع حياتية ضرورية تعيقهم عن أداء المستحبات او الاكثار منها ، وهذا قد يسبب لهم خيبة أمل ..

ولكننا نقول لهم ان الله تعالى أرحم بعباده من رحمة الأم العطوفة على رضيعها كما هو مضمون رواية عن النبي (ص) ، فالإتكال بالدرجة الأساسية ينبغي ان يكون على هذه الرحمة الإلهية ، واما من الناحية التطبيقية فيكفي مثل هؤلاء ان يعملوا بالميسور ، وان يلتزموا بالنية الصادقة ، بالإضافة إلى الالتزام بالفرائض وعدم تضييعها ، حيث ورد عن الإمام زين العابدين(ع) :

(من عمل بما إفترض الله عليه ، فهو من أعبد الناس) .

كما انه من ناحية أخرى فان العبادات لا تقتصر على تلك العبادات الخاصة المعهودة ، بل العبادة اعم من ذلك كما وضحناه في كتابنا (الله اكبر من الشيطان) ، لان معنى العبادة هو الخضوع والتذلل والطاعة والتقرب لله عز وجل ، وهو يتحقق في كل عمل مهما كان نوعه ، سواء كان حرفة أم وظيفة أم مسئولية عائلية أم مسؤولية اجتماعية ، مادام هذا العمل منويًّا لله تعالى ، ومقصوداً به وجهه عزوجل ..

حتى النوم والأكل اذا فعله الإنسان بقصد التقرب إلى الله عزوجل ، ولأجل الاستعانة على الطاعة فهو يعتبر عبادة ومأجور عليه ، ولذلك ورد

عن الصادق(ع) في جواب من سأله عن معنى العبادة فقال (ع) : (حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها)

وقد ذكرنا في كتابنا (الله اكبر من الشيطان) أن المقصود من العبادة معانٍ رفيعة و عظيمة ، وهي التي كان يلتزم بها المعصومون (ع) ، فمن هذه المعاني ما يلي :

أ- تطبيق الأحكام والتعاليم الإلهية في كل متعلقات الحياة ، وهذا يشمل الواجبات والمستحبات والمحرمات والمكروهات ، وكذلك يشمل المعاملات الاجتماعية والإنسانية ونحوها .

فان هذا التطبيق كاشف عن التقوى التي هي من أهم علامات العبد الحقيقي .

وقد ورد في القرآن الكريم : (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا ، وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى) الحج -٣٧.

ب - التكامل النفسي والروحي والعقلي ، فانه سبب أساسي لوصول الإنسان إلى مراتب عالية ، لا يصل اليها الا من عرف معنى العبودية لرب العالمين ، وقد ورد في الحديث : (من عرف نفسه فقد عرف ربه) .

ثم إننا قلنا ان العبودية الخالصة هي من اشرف المراتب القدسية ، لأن الله تعالى يفتخر بالعبد الحقيقي كما ورد في الروايات ، واذا افتخر به فهذا يعني انه يحبه ، وقد ورد في الحديث عن النبي(ص) : (اذا رضي الله عن عبدٍ ، قال : يا ملك الموت اذهب إلى فلان ، فإتني بروحه ، حسبي من عمله ، قد بلوتُه فوجدته حيث أُحب ، فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الرياحين وأصول الزعفران ، كل واحد منهم

يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه ، ويقوم الملائكة صفين لخروج روحه ، معهم الرياحين ، فاذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ ، فيقول له جنوده : مالَكَ يا سيدنا ؟ فيقول : أما ترون ما أُعطي هذا العبد من الكرامة ، أين كنتم عن هذا ، قالوا : جَهِدنا به فلم يُطعنا) .

كما اننا نلاحظ في المجتمع الإنساني عموماً ان العبد أو الخادم يتملق أمام سيده ، ويحاول ان يتقرب اليه بأي وسيلة لكي ينال عنده مكانة جيدة ، أفلا نتقرب نحن إلى ربنا وسيدنا وخالقنا ومالك أمرنا حتى ننال لديه مكانة جيدة ، علماً ان الفائدة ستكون كلها لنا ، لأن الله تعالى غني عن العالمين .

خصوصاً وان الوارد في القرآن الكريم وفي أحاديث المعصومين (ع) ان الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وهذا يعني انه يريده لأمر عظيم كما ورد في بعض الروايات، وبما ان الله تعالى غني عن العالمين ، فالنتيجة إذاً ان الفائدة العظيمة هي للإنسان.. وقد ورد في الحديث عن المعصومين(ع) : (ليس لأبدانكم ثمن الا الجنة ، فلا تبيعوها بغيرها) .

أما الملاحظة الثانية - فهي انه توجد طائفة ضالة منحرفة تدعي العرفان والتكامل ، لاتعتني بالعبادات المعهودة بحجة انها ظاهرية ، وان تكاليفها باطنية ، وقد يصل الامر بالبعض إلى ترك الواجبات وفعل المحرمات والعياذ بالله تعالى .

ولكننا نقول لمثل هؤلاء الذين وقعوا في شباك الشياطين انهم على باطل ، وانهم سوف يعاقبون أكثر من غيرهم ، لانهم ممن يعرف ويحرف ، وسنذكر

الان باختصار بعض الوجوه والأدلة التي تدحض حجتهم وتكشف ضلالهم :

١- انه من المعروف انه لايطاع الله من حيث يعصى ، وهذا مبدأ أساسي لايمكن تعديه ، في حين ان هؤلاء يعصون الله تعالى بحجة انهم يطيعونه باطنياً ، وقد ورد عن محمد بن مارد انه قال للإمام الصادق (ع): روي انك قلت اذا عرفتَ فاعمل ماشئت ، فقال (ع): قد قلت ذلك ، قال (أي محمد بن مارد) : قلتُ وان زنوا أو سرقوا أو شربوا الخمر ، فقال(ع) : انا لله وانا اليه راجعون ، والله ما انصفونا ان نكون أُخذنا بالعمل ووُضع عنهم ، انما قلتُ اذا عرفتَ فاعمل ماشئت من قليل الخير وكَثيرِه فانه يُقبل منك) .

أقول : مقصوده (ع) ان العارف يُفترض به كعارف ان يكون عارفاً للحلال والحرام ، ملتزماً بالحدود الشرعية الظاهرية والباطنية ، وهذا يقتضي ان كل ما يصدر منه ينبغي ان يكون مشروعاً بل مرضياً لله تعالى ، فمن هنا قيل انه يفعل ما يشاء ، أي بأعتبار انه - اذا كان عارفاً فعلاً - فالمفروض انه لايفعل الا ما أمر الله تعالى به في شريعته.

وقد ورد في دعاء القاموس او السيفي : (أيِّد ظاهري في تحصيل مراضيك ، ونوِّر قلبي وسري بالإطلاع على مناهج مساعيك) ، وهذا يعني ان كلا المنهجين مطلوب ، وقد التزم المعصومون (ع) بذلك ، كما لا يخفى على من طالع سيرتهم العملية والقولية ، فلابد اذاً من التأسي بهم والاقتداء بهم .

٢- ان الله تعالى يقول: ((ان الله لايأمر بالفحشاء)) الأعراف-٢٨.. فهذا نص واضح في ان الله تعالى يتبرأ من أفعال هؤلاء ومن ادعاءاتهم ،

لان الفاحشة تبقى فاحشة ، سواء على المستوى الظاهري أم الباطني ، فلابد من اجتنابها اذاً على كل حال .

٣- سيأتي ان التقوى مبدأ أساسي من مباديء تحصيل الجنة ، وهذا يعني ان فقدان التقوى يؤدي إلى فقدان الجنة ، ومعلوم ان فقدان الجنة ملازم لحصول السخط الإلهي .

والتقوى لها عدة مراتب ، أولها أداء الواجبات وترك المحرمات ، حيث ورد عن الصادق(ع) في تفسير التقوى : (ان لايفقدك الله حيث أمرك ، ولا يراك حيث نهاك) .

فيتحصل من جميع ذلك ان مثل هؤلاء المنحرفين لاتوجد لديهم أدنى مراتب التقوى ، وهذا يعني انهم بعيدون عن الجنة ، وانهم قريبون من النار ، بل هم في وسط النار .

وفي الحديث عن الصادق(ع): (ما أحب الله مَن عصاه) ، ثم تمثّل :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه		هذا محال في الفعال بديعُ

لو كان حبك صادقاً لأطعته		ان المحب لمن يحب مطيعُ

واما ما ورد في بعض الروايات مثل قوله (ع) : (الايمان لاتضر معه سيئة) ، فهذا انما يريدون (ع) به السيئة غير المقصودة التي يُعبِّر عنها باللمم ، أو يريدون (ع) بها السيئة التي حصل بعدها استغفار حقيقي وتوبة فعلية ، وهذا ينبغي ان يكون من الواضحات ، وتدل عليه جملة من النصوص والروايات يطول عرضها وبيانها .

نيـة الخيـر دائماً

(تعديـل النية وتفعيلها)

وليُحـسن الـنـيـة في ســــرّهِ

ولينوِ فعـــل الخيـر في دهـــــرهِ

ففي الحديث عن النبي (ص) : (نيـة المؤمن خير من عمله ، ونيـة الكافر شر من عمله) .

وذلك لأن المؤمن ينوي الكثير من الصالحات ، وان لم يقدر إلا على ما يمكنـه منها ، كما ان نيته تكون خالصة (كما في الحديث) من شوائب الرياء ونحوه ، لأنها أمر وجداني بينه وبين الله تعالى .

بينما ينوي الكافر الكثير من السيئات ، وان لم يقدر إلا على مايمكنـه منهـا ، وفي الحديث عن الباقر (ع) : (نية المؤمن أفضل من عمله لأنه ينوي من الخير ما لايدركه ، ونية الكافر شر من عمله ، وذلك لان الكافر ينوي الشر ، ويأمل من الشر ما لايدركه) .

وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (إنما خلد أهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو خلدوا فيها ان يعصوا الله أبداً ، وانما خلد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله أبداً ، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء) .

ومحل الشاهد في المقام انه يفترض بالإنسان تعديل نيته وتفعيلها ، وذلك بأن يعزم الفرد وينوي في داخله أن يؤدي جميع الخيرات التي يقدر عليها ، وان يترك جميع السيئات ، سواء مع خالقه عزوجل ، أو مع نفسه ، أو مع الآخرين .. فهذه النية الفعالة لها آثار عديدة ولها ثواب عظيم ، رغم انها سهلة وميسورة لكل احد مهما كان ظرفه ووضعه ، سواء كان عاملاً أو

موظفاً أو ربة بيت أو غيرهم ، فما دامت النية منعقدة حقيقة على فعل الخير ، واجتناب الشر ، فان الثواب والحسنات سوف تملأ صحيفته ، وتزين كتابه وان لم تتوفر له فرصة التطبيق ، ما دام غير مقصر ولا متهاون في ذلك ..

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ان الله عزوجل اذا أحب عبداً فعمل عملاً قليلاً جزاه بالقليل الكثير ، ولم يتعاظمه ان يجزي بالقليل الكثير له) .

كما ان هذه النية سوف تجعل من الفرد في استعداد وإلتفات ووعي ، وسوف تحرره من طوق الغفلة الذي يحيط بأعناق أكثر الناس ، وبذلك يصير قابلاً للفيوضات الربانية.

ففي رواية أبي بصير عن الصادق(ع) : (أن العبد المؤمن الفقير ليقول يارب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير ، فاذا علم الله عزوجل ذلك منه بصدق نيتهِ ، كتب الله له الأجر مثل ما يكتب له لو عمله ، ان الله واسع كريم) .

فالنية بهذا المعنى عمل قلبي وفعل معنوي ، وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ألا وان النية هي العمل) ..

وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (ان الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته ، ان من همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة ، ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشراً ، ومن همّ بسيئة لم تكتب عليه ، ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة) ..

وفي رواية أخرى عن الكاظم (ع) مضمونها ان العبد اذا همّ بالحسنة خرج نفَسه طيب الريح ، فيقول احد الملكين لصاحبه قم فانه قد همِ بالحسنة ، فاذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له . واذا همّ بالسيئة خرج نفسه منتن الريح ، فيقول الملك الآخر لصاحبه قف فانه قد هم بالسيئة ، فاذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها عليه .

وكذلك ورد ان العبد لينوي من نهاره ان يصلي بالليل ، فتغلبه عينه فينام ، فيثبت الله له صلاته ، ويكتب نفسه تسبيحاً ، ويجعل نومه عليه صدقة) .
بل ورد في حديث عن الباقر (ع) : (يكتب للمؤمن في سقمه من العمل الصالح ، ما كان يكتب له في صحته) .

ثم إنه ورد في الحديث عن النبي (ص) : (ياأبا ذر ليكن لك في كل شيء نية ، حتى في النوم والأكل) .
وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن كثرة العبادة وسعة معناها ..
حيث ذكرنا انه حتى النوم والأكل اذا فعلهما الإنسان بقصد التقرب إلى الله عزوجل ، أو لأجل الاستعانة على الطاعة فهو يعتبر عبادة ومأجور عليها .
وقد ورد في الحديث : (من حُسنت نيته زاد الله تعالى في رزقه) .
وفي الحديث عن الصادق (ع) : عندما سُئل عن معنى العبادة فقال (ع) : (حسن النية بالطاعة ، من الوجوه التي يطاع الله منها) .

السبــق أو التسابــق
إلى الـخيــر و الصالـحـات

وإنـــما السباق في الطـاعـاتِ

وإنـــما السبق إلى الجـــنـاتِ

حيث يقول الله تعالى:
(وسـابقوا إلى مغفـرة مـن ربكـم ، وجنـة عـرضـها كـعرض الـسماء والأرض) الحديد- ٢١ .
وقال عزوجل أيضاً:
(السابقون السابقون ، اولئك المقربون في جنات النعيم) الواقعة- ١٢
(فاستبِقوا الخيرات) البقرة- ١٤٨ .
والمراد بالسبق هو التسابق والمسارعة إلى فعل الخيرات ، علاوة على أداء الفرائض والواجبات ، ومن ذلك ان يؤديها في أول أزمنة امكانها ، وقد ورد إستحباب تعجيل الخير مطلقاً (انظر الكافي ج٢/ باب تعجيل فعل الخير) .
وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان الله يحب من الخير ما يُعجَّل) .
وسيأتي مايرتبط بالمقام في الفصل اللاحق .
وهناك معنى آخر للسبق وهو ان الفرد المؤمن يحاول ان يسبق غيره في مجال البر والتراحم ، فيسلم عليه قبل ان يبتدره بالسلام ، ويزوره قبل ان يأتيه هو ، ويؤثره على نفسه قبل ان يؤثره هو على نفسه ، ويبتدره بالعون والمساعدة قبل ان يطلبها منه ، وهكذا يكون الفرد السابق مصداقاً لعنوان (السابقين) الذين عرفت انهم المقربون .
ورغم ان مثل هذه الأمور السهلة لاتحتاج إلى مؤونة ، الاّ اننا نلاحظ ان اغلب الناس لايطبقها عملياً وان كان يؤمن بصحتها من الناحية النظرية ،

وهذا يرجع إلى النفس الأمارة بالسوء التي تزين للإنسان ترك الفضائل ، وتمنعه من تطبيقها والالتزام بها .
ويمكن علاج ذلك بإذن الله تعالى اذا تذكر الفرد مقدار الاجر العظيم الذي سيحصل عليه سواء في الدنيا أو في الآخرة .
اما في الآخرة فقد عرفنا الآيات الكريمة ، وأما في الدنيا فلأنه سينال لذة الانتصار على هوى النفس والشيطان ، تلك اللذة التي تحسها النفس المطمئنة القريبة من الله رب العالمين .
ولنتذكر معاً دعاء كميل المروي عن الإمام علي(ع) : (وهب لي الجد في خشيتك ، والدوام في الاتصال بخدمتك ، حتى اسرح اليك في ميادين السابقين ، وأسرع اليك في المبادرين) .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) (ألا وان اليوم المضمار ، وغداً السباق ، والسبقة الجنة).
وفي رواية أخرى : (الا وان المضمار اليوم ، والسباق غداً ، الا وان السبقة الجنة) .
فمضمار السباق هو هذه الدنيا التي نحياها ، وفي الآخرة سيحصل التسابق بين الفائزين نحو الجنة .
بقي ان نشير إلى ان المسابقة مطلوبة أيضاً مع النفس ، بمعنى ان الإنسان يسبق بعقله وإيمانه ، هوى نفسه وشهواته ، واذا سبقَ عقله وإيمانه ، كانت النتيجة هي الطاعة والقرب من الله عزوجل ، وهذا هو الفوز المبين .

المسارعة في الخيرات

ومن يسارع في طريق الخيرِ

آمنه الله بيوم الحشرِ

حيث يقول الله تعالى :
(وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) آل عمران- ١٣٣
وقد ذكرنا قبل قليل (الفصل السابق) ان السبق أو التسابق نحو الخيرات والصالحات يمكن ان يكون بمعنى المسارعة في الخيرات ، ولكنه بالدقة يختلف عنه ...
وقد مدح الله عزوجل طائفة من عباده ، ووصفهم بقوله تعالى :
(أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) المؤمنون- ٦١
وفي الدعاء : (وألحقني بالصالحين الأبرار ، السابقين إلى المكرمات ، المسارعين في الخيرات) .

والمهم في هذا الفصل انه يفترض بالمؤمن ان يسارع في عمل الخير والصلاح ، وان لا يؤخر نفسه عنه باتباع الهوى وطول الأمل والتسويف ..
وسيأتي في فصل لاحق ضرورة استغلال الفرص الصالحة لعمل الخير ، وضرورة اغتنام الوقت المناسب للطاعة والتقرب إلى الله عزوجل ، فان الوقت يمضي ، والفرص تمر مر السحاب .
وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان الله يحب من الخير ما يعّجل)..
وفي الدعاء الوارد : (وألحقنا بعبادك الذين هم بالبدار يسارعون) ، وفي دعاء آخر : (وان تجعلني ممن يسارع في الخيرات) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (اذا هممت بخير فبادر ، فانك لاتدري ما يحدث) .
وقد وصف الله تعالى بعض عباده الصالحين بقوله : (وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) آل عمران- ١١٤
ثم قال عزوجل بعد ذلك :
(وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوْهُ) آل عمران - ١١٥
فالمفروض بكل مؤمن وعاقل ان لايستثقل الخير أبداً ، ولا يؤخره مهما أمكنه، فانه رصيده وكنزه ، وقد ورد في الحديث عن الباقر (ع) : (ان الله ثقّل الخير على اهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة ، وان الله خفف الشر على اهل الدنيا كخفته في موازينهم يوم القيامة) .

وينبغي الالتفات هنا إلى ان المسارعة في الخيرات مطلوبة مع الخالق عزوجل ، بان يسارع في طاعته وتحصيل رضاه عزوجل ..
ومطلوبة أيضاً مع الآخرين ، بان يسارع في قضاء حوائجهم وإغاثة ملهوفهم وإدخال السرور على قلوبهم ونحو ذلك ..
وكذلك مطلوبة مع النفس ، بان يسارع في تهذيب نفسه وإصلاحها .

ولنختم حديثنا عن (المسارعة في الخيرات) بهذا الحديث الوارد عن الإمام الصادق (ع) : (اذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره ، فان الله عزوجل ربما اطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة ، فيقول وعزتي وجلالي لا أعذبك بعدها أبداً) .

المداومة على الطاعة
وفعل الصلاح

وكلما داوم فعل الصلاح

كان جديراً بالرضا والفلاح

ففي الحديث عن الإمام السجاد (ع) : (إني لأحب ان أداوم على العمل وان قل) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (أحب الأعمال إلى الله عزوجل ماداوم عليه العبد ، وان قل) .

وفي الوسائل ذكر في أول العبادات عنواناً عن استحباب استواء العمل والمداومة عليه .

مع الالتفات إلى ان المداومة على العمل قد تكون واجبة ، كما في الفرائض من قبيل الصلاة والصوم ، وقد تكون مستحبة في بعض الفرائض كالحج والعمرة فانه يستحب تكرارهما .

واما المستحبات والمندوبات فالمداومة عليها راجحة أكيداً ومحبوبة عند الله تعالى .

ثم ان هذه المداومة لاتختص بالعبادات بمعناها المتعارف ، لان الطاعة والصلاح اعم من ذلك كما لايخفى ..

فالإحسان إلى الآخرين طاعة وصلاح ، ولذلك يفترض المداومة عليه ، ومراقبة النفس ومحاسبتها طاعة وصلاح ، ولذلك يفترض المداومة عليها ، وهكذا ...

وفي الحقيقة فان المداومة على الطاعات والصالحات ، فيها عدة فوائد :
أولها - زيادة الأجر والثواب ، بل سيحصل الملتفت إلى ما ذكرناه في أهمية(نية الخير) على أجر نية المداومة ، علاوة على اجر الطاعة التي يداوم عليها .
ثانيها - تحول الطاعات والصالحات إلى ملكة راسخة عند الفرد ، ومثل هذه الملكة لها اثار عديدة شرعية وخارجية .
ثالثها - تعويد النفس على الانقياد والطاعة لحكم الشرع والعقل ، حيث مر علينا قبل قليل الحديث الذي يبين ان الخير ثقيل على اهل الدنيا ، فاذا داوم الفرد على الطاعة والصلاح فقد عوّد نفسه عندئذ على القهر والرضوخ لحكم الشريعة وسيطرة العقل .
رابعها - تحصيل الكمالات والفيوضات التي تتوقف على حصول تلك الملكة الراسخة ، من باب قول الله تعالى :
(وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) الحجر- ٩٩
فان مثل هذه المراتب تحتاج إلى مقدمات واستعدادات اذا تهيأت ، فقد حصل المقتضي للرحمة الخاصة المناسبة .
وبهذا تعرف أهمية المداومة على الطاعات والصالحات .

ولايــة أوليــاء الله تعالى
والبــراءة من أعدائــه عزوجل

وإنـــما تـــكتمل الـهدايـــة

وتُقبل الأعمـــال بالـولايــة

ولايـــة الله وأولـــيـــائـــهِ

وبعـــدها يبـرأ من أعـدائـــهِ

يقول الله تعالى :
(وَاعْتَصِمُوا بِاللَّه ، هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) الحج- ٧٨
(اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) البقرة- ٢٥٧
(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) المائدة- ٥٥
وفي الحديث عن أبي حمزة عن الإمام الباقر (ع) : (انما يعبد الله من يعرف الله ، فاما من لايعرف الله تعالى فانما يعبده هكذا ضلالاً)، فسأله أبو حمزة عن معنى معرفة الله فأجابه (ع) : (تصديق الله عز وجل ، وتصديق رسوله (ص) ، وموالاة علي (ع) ، والائتمام به وبأئمة الهدى ، والبراءة إلى الله عزوجل من عدوهم .. هكذا يعرف الله عزوجل) .

وفي الحقيقة فانه ينبغي ان يكون الكلام هنا ضمن أربعة محاور :
أولها - ولاية الله عزوجل باعتبار انها الأصل .
ثانيها - ولاية المعصومين (ع) من اهل البيت ، وهي الولاية الخاصة .
ثالثها - ولاية أولياء الله عموماً .
رابعها - البراءة من أعداء الله عزوجل .

١ - المحور الأول - ولاية الله تعالى

حيث يقول الله تعالى :

(نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الاخِرَةِ) فصلت- ٣١

(قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) الأنعام- ١٤

فالولاية ثابتة لله عزوجل واقعاً ، باعتباره الخالق والمنعم والهادي والناصر والحافظ ....

وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، في كل شيء ..

ويتوجب على المخلوق ان يعترف ويقر بهذه الولاية ، وان يعمل على أساسها فيطيع مولاه ، ويلتزم بأوامره ونواهيه ، ولا يسلك الا السبيل الذي يريده ربه عزوجل ، فانه الصراط المستقيم إلى رضاه وقربه وجناته ..

(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ، وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) الأنعام- ١٥٣

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ياعبد الله أحب في الله وابغض في الله ، ووال في الله وعاد في الله ، فانه لاتنال ولاية الله الا بذلك) .

وفي الحقيقة فان ولاية الله تعالى هي الأصل ، واليها ترجع ولاية المعصومين (ع) خصوصاً ، وولاية أولياء الله عموماً .

ثم ان دخول العبد في ولاية الله عزوجل (بالمعنى الذي قدمناه) فيه مسئوليات كثيرة ، أمام الله تعالى ، وأمام النفس ، وأمام الآخرين ..

ولايسعنا الآن الكلام عنها وعرضها تفصيلاً ، وانما نكتفي بالإشارة إلى ماورد عن الإمام الصادق (ع) في ان للمسلم عدة حقوق على أخيه المسلم ، فمن ضيع شيئاً منها خرج من ولاية الله ، وفي الحديث ان أيسرها ان تحب للمسلم ماتحبه لنفسك .

كما ان في دخول العبد في ولاية الله عزوجل (بالمعنى الذي قدمناه) فوائد وآثار عظيمة ، وقد قال الله تعالى :

(أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّه لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) يونس- ٦٢

وفي الدعـاء : (اللـهم واجعلـني مـن أوليائـك ، فـان أوليـاءك لاخـوف عليهم ولاهم يحزنون) .

وهؤلاء الأولياء لهم منزلة عالية في الجنة يتمناها كل إنسان ، حيث نسمع في دعـاء كميـل (فلئن صـيرتني للعقوبات مـع أعـدائك ، وفرّقـت بيني وبـين أحبائك وأوليائك) .

٢- المحور الثاني - ولاية النبي محمد (ص) وأهل بيته المعصومين (ع) .

والولاية (كما في الأحاديث) من دعائم الإسلام وأركان الايمان (انظر أصول الكافي كتاب الايمان والكفر - باب١٣ دعائم الإسلام) ..

أما ولاية النبي محمد (ص) فباعتبار انه رسول الله ..

(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) النجم (٣- ٤)

وأما ولاية الأئمة الاثني عشر (ع) من اهل بيته (ص) ، فباعتبار انهم أوصياؤه وخلفاؤه المنصوص عليهم واحداً بعد واحد ، كما هو ثابت في كتب العقائد (انظر الكافي وغيره) .

وقد ذكرنا قبل قليل ان ولاية هؤلاء المعصومين (ع) مترشحة عن ولاية الله تعالى ، وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (طاعتي طاعة الله ، وولايتي ولاية الله ، وشيعتي أولياء الله) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (ولايتنا ولاية الله) .

فهذه الولاية ثبتت لهم (ع) باعتبار أنهم أبواب الله ، والهداة إليه ، واعلم الخلق بدينه وشريعته ، وهم اهل الذكر والراسخون في العلم ، وولاة أمر الله وخزنة علمه (انظر النصوص في الكافي / كتاب الحجة ، وأصول الكافي / كتاب الايمان والكفر باب ١٣دعائم الإسلام)..

وفي الحديث عن المعصومين(ع) : (ذروا الناس فان الناس اخذوا عن الناس ، وانتم أخذتم عن رسول الله) .

ومحل الشاهد في المقام ان الهداية انما تكتمل بولاية هؤلاء المعصومين (ع) ، وانما تقبل الأعمال على وجهها الصحيح المحبوب عند الخالق عز وجل بموالاتهم وطاعتهم (ع) ، لانهم اعرف الخلق بوجوه الطاعة وأسباب الكمال ، واعلم العباد بجميع التفاصيل والجزئيات الشرعية والأخلاقية والعقائدية ، وأهل البيت أدرى بالذي فيه كما يعبرون .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الاشياء ورضا الرحمن : الطاعة للإمام بعد معرفته) ..

ثم قال (ع) (أما لو ان رجلاً قام ليله وصام نهاره ، وتصدق بجميع ماله ، وحج جميع دهره ، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه ، ما كان له على الله حق في ثوابه ، ولا كان من أهل الايمان) .

وفي حديث آخر عن الصادق (ع) : (الأوصياء هم أبواب الله عزوجل التي يؤتى منها) .

ومعلوم ان الله تعالى انما يحب ان يكون امتثال أوامره والتقرب إليه من الجهة التي يريدها هو عزوجل ، وبالكيفية التي يريدها هو عزوجل .. وهنا تأتي أهمية الإمام ووجوب طاعته وولايته .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (والله لو ان ابليس سجد لله بعد المعصية والتكبر عمر الدنيا مانفعه ذلك ، ولا قبله الله عزوجل ، مالم يسجد لآدم كما أمره الله عزوجل ان يسجد له ، وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد نبيها (ص) ، وبعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيهم (ص) لهم ، فلن يقبل الله لهم عملاً ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله من حيث أمرهم ، ويتولوا الإمام الذي أُمروا بولايته ، ويدخلوا من الباب الذي فتحه الله ورسوله لهم) .

وبهذا المضمون ونحوه عدة أحاديث ذكرها صاحب الوسائل في أول العبادات /باب ٢٩ من مقدمة العبادات) .

ويحسن في المقام ان نشير إلى ما ذكرناه في (طريقك نحو الجنة) من ان محبة اهل البيت (ع) واجبة ، وبغضهم حرام ..

وهذا أمر طبيعي ، فالأئمة (ع) جسدوا صورة الإسلام في الخارج ، وطبقوه على أفضل ما يكون ، فاستحقوا بذلك تلك المنزلة العالية عند الله تعالى ، فالمفروض ان يُقابَلوا بالحب والاحترام والتقدير ، واذا ما قابلهم احد بالبغض والكراهية فهذا يعني انه يبغض صورة الإسلام ويبغض أحباء الله عز وجل ، ولا يخفى ان هكذا شخص ملعون عند الله تعالى لانه يخالف إرادته ويعارض شأنه عزوجل .

فاذا إلتفتنا إلى ان هؤلاء الأئمة (ع) هم حجج الله على خلقه ، وانهم أولي الأمر الذين امرنا الله تعالى ورسوله بالرجوع إليهم (انظر النصوص الكثيرة الدالة على ذلك في كتاب (الكافي للكليني ، كتاب الحجة ، وكذلك في كتاب (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) وغيرها) ...

فعندئذ يكون الأمر أوضح وأكثر عمقاً ، لان المفروض عندئذ ان المحبة وحدها لاتكفي ، بل لابد من الموالاة لهم والإقتداء بهم ، وعدم الخروج عن مبادئهم العقائدية والفقهية ونحوها مما يرجع إلى العلم أو العمل .

وفي الحقيقة فان هؤلاء الائمة المعصومين (ع) هم آيات ناطقة ، ومدارس متجسدة ، ولايعرف ذلك ولايدركه الاّ من هداه الله تعالى لقراءة أخبارهم وأحوالهم ، وكلما تأمل الفرد في أدعيتهم وأقوالهم وأفعالهم ، كلما ازداد تقرباً إلى الله عزوجل ، لانه سيفهم من الحقائق مالا يفهمه الآخرون ممن راحوا إلى غيرهم .

وقد ورد في الحديث عنهم (ع):(أنتم أفقه الناس اذا عرفتم معاني كلامنا).

ولـذلك فانـه مـن الطبيعـي ان يـأمر الله تعـالى بمحبـة هـؤلاء المعـصومين(ع) ، وينهـى ويمنـع عـن بغـضهم أو التقليـل مـن شـأنهم (ع) ، وهـذا هـو معنـى إشتراط محبتهم (ع) لتحصيل الجنة .

ففـي الحـديث عـن الـنبي (ص): (مـبغض علـي وآل علـي في النـار) . وعن إبن عباس في حديث عن النبي(ص): (لو ان أمرء صفّ بين الركن والمقام فصلى وصام ، ثم لقى الله عزوجل وهو لأهل بيت محمد (ص) مبغض ، دخل النار) .

ثم انه ينبغي الالتفات كذلك إلى حقيقة أساسية يغفل عنها الكثير من عامة الناس ..

وتتلخص هذه الحقيقة في ان محبة أهل البيت(ع) لاتكفي وحدها لتحصيل الجنة ، فانها مبدأ واحد من مجموعة من المباديء المطلوبة بمجموعها .

ففي رواية جابر عن الباقر(ع): (ياجابر أيكتفي من إنتحل التشيع ان يقول بحبنا أهل البيت، فو الله ما شيعتنا الا من إتقى الله وأطاعه)..

ثم قال (ع): (من كان مطيعاً فهو لنا ولي ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ، وما تُنال ولايتنا الاّ بالعمل والورع) .

فالائمة (ع) انما يحبون الملتزم بالحدود الشرعية ، وأما غيره فهم لاينظرون اليه ولايأبهون به ، بل هم يسخطون عليه ويتألمون من افعاله ..

فإذا علمنا ان الوارد عنهم (ع) انه: (مِن أوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله) ، فاننا سنعلم عندئذ ان الائمة

(ع) يبغضون هؤلاء العصاة والمنحرفين ، بل لعل هذا هو احساس كل مؤمن (مهما كان مستواه ومقامه) غيور على دينه ومبادئه .

نعم اذا حصلت التوبة عادت المحبة من جديد ، وحصل التقارب بين العبد وأئمته(ع) ، لان التوبة تعني الرجوع الى الطريق الصحيح ، والصراط المستقيم الذي يسير فيه الصالحون تحت قيادة المعصومين(ع) إلى السعادة والجنة ورضوان رب العالمين .

ولايخفى ان التوبة الحقيقية كاشفة عن حصول الطاعة والالتزام ، وهذا هو المطلوب ، حيث يقول الباقر (ع) : (فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا ، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا ، ويحكم لاتغتروا، ويحكم لاتغتروا) ، وفي الحديث عن الصادق (ع): (كونوا لنا زيناً ، ولا تكونوا علينا شيناً) ..

وسنذكر في آخر الكتاب - ان شاء الله تعالى - ملحقاً عن المواصفات المطلوبة في الشيعي الحقيقي ..

بقي أن نشير الى انه ينبغي للمؤمن ان يتذكر النبي محمد (ص) والائمة المعصومين(ع) في كل يوم ، وان يستذكر خصائصهم وصفاتهم (ع)، ليأخذ منها العبر والمواعظ، كما انه يجدر به ان يسلِّم عليهم (ع) في كل يوم وهو في مكانه ولو بأن يقول (السلام على رسول الله(ص) وعلى الائمة المعصومين الاثنى عشر(ع) ، وكذلك يسلم على فاطمة الزهراء (ع) ، فانها احد المعصومين ، فضلاً عن كونها سيدة النساء ، وكذلك يسلم على سائر الأنبياء والأوصياء(ع) ، فان ذلك كله مما يقتضي نيل شفاعتهم وحلول بركاتهم بإذن الله تعالى .

٣- المحور الثالث - ولاية أولياء الله تعالى ..

وهي مترشحة أصلاً عن ولاية الله تعالى ، ومترشحة ضمناً عن ولاية المعصومين (ع) ، لان أولياء الله عزوجل هم عباده الصالحون الملتزمون بولاية الله تعالى وولاية النبي (ص) والائمة المعصومين (ع) ..

وقد قال تعالى :

(إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ) الأنفال - ٣٤

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ ، فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) المائدة (٥٥ - ٥٦) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) انه : (من كان مطيعاً لله فهو لنا ولي ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو) ..

وفي الحديث عن الرضا (ع) : (وحب أولياء الله واجب) .

وفي (شرح زيارة أمين الله) ، قلنا عند الحديث عن قوله (ع) : (محبة لصفوة أوليائك) :

اللهم واجعل نفسي محبة لصفوة أوليائك ، وخاصة عبادك المنتجبين ، واحفظها برحمتك وعنايتك من الوقوع في محبة أهل الدنيا من الفاسقين والمنحرفين .

فقد ورد في دعاء اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان (اللهم اجعلني فيه محباً لأوليائك ، ومعادياً لأعدائك ، مستناً بسنة خاتم أنبيائك) وفي الدعاء أيضاً (اللهم أني أسألك حبك ، وحب من يحبك) .

ولا يخفى ان المحبة العاطفية تجاه المعصومين (ع) مطلوبة على أية حال ، وهي سبب أكبر لتحصيل الأجر والثواب ، حيث ورد في القرآن الكريم (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) الشورى-٢٣ .
وبالمناسبة فإنه يمكن ان نفهم من القربى معنى اعم وأعمق بحيث يشمل المقربين إلى النبي (ص) بالأعمال الصالحة والمراتب الرفيعة ، فان هذه هي القربى الحقيقية ، وهذا هو النسب فعلاً .

ومحل الشاهد - على أية حال - أن المهم هو ان تكون هذه المحبة عن وعي والتفات وبصيرة لمكانة هؤلاء المحبوبين عند الله ، بمعنى ان يعلم الفرد في نفسه انه يحب هؤلاء المعصومين (ع) ويحب أولياء الله وصفوته وخاصته ، لأجل أنهم يجاهدون في سبيل الله ويعملون لله ويطبقون تعاليمه ، ويلتزمون بمنهاجه ، فهم السبيل العملي والنموذج الحي للرسالة الإلهية ، فالفرد بالتالي يحب فيهم شريعة الله ودينه وصراطه المستقيم.
وقد ورد في دعاء الصادق (ع) في ليلة النصف من شعبان (واجعلني فيها من أوليائك الذين اجتبيتهم لطاعتك ، واخترتهم لعبادتك ، وجعلتهم خالصتك وصفوتك) .

فهذه هي صفات أولياء الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ..
وفي الحقيقة فإن معنى أولياء الله مشتق بحسب ظاهر القرآن من التولي والموالاة لله عز وجل ، بمعنى محبته وطاعته ونصرته والتمسك به وشريعته ، فإذا تحقق هذا المعنى من العبد ، فإنه سيحظى بمرتبة الولاية ، بمعنى الشرف وعلو المقام عند الخالق تعالى ، وسيكون من أولياء الله الذين تجب محبتهم والتمسك بهم ، كمقدمة لتحصيل رضا الله وقربه عزّ وجلّ .

وإذا كان رب العالمين قد صرّح بكتابه العزيز بأنه يحب المحسنين والمتقين والمطّهرين ونحوهم ، فالمفروض ان نجهر نحن أيضاً بحبهم ومودتهم ، فإن في ذلك نصرة للدين ، وتعظيماً للشعائر المقدسة ، وتوطيداً لأركان هذه الأمة الإسلامية .

أضف إلى ذلك ان لهذه المحبة آثاراً عظيمة ، وفضلاً جليلاً ، حيث ورد ان من أحب عمل قوم حُشِرَ معهم ، وان المرء مع من أحب.

فهذا يعني ان من يحب هؤلاء الأولياء والصديقين ، ويحب أعمالهم ، فإنه سيحشَر معهم حيث الجنات والفردوس ..

وفي الحديث عن الباقر (ع): (إذا أردت ان تعلم ان فيك خيراً فانظر قلبك ، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ، ففيك خير ، والله يحبك ، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خيراً ، والله يبغضك ، والمرء مع من أحب) .

لكن هذا مشروط طبعاً بالإيمان والعمل والالتزام بأخلاق الإسلام ، وإلا فإن المحبة وحدها لا تكفي ، فالجنة لمن أطاع والنار لمن عصى ، كما ورد في الحديث .

وعن الإمام الباقر (ع) (أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه) .

وقد ورد في دعاء كميل (فلئن صيّرتني للعقوبات مع أعدائك ، وفرّقتَ بيني وبين أحبائك وأوليائك ، فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي صبرتُ على عذابك ، فكيف أصبر على فراقك) .

ومحل الشاهد ان مفارقة الأولياء مصيبة وداهية ، ولكنها تهون بإزاء فراق الخالق والابتعاد عنه والعياذ بالله .

فلنحذر جميعاً ، ولنكن صادقين بالنية مع خالقنا ومع أنفسنا ، لكي لا نكون ممن عاتبهم الله تعالى بقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) ..

فالحساب دقيق في ذلك اليوم الذي يُقال فيه للعبد: (اقْرَأْ كِتَابَكَ ، كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) .

٤ - المحور الرابع - البراءة من أعداء الله عزوجل

حيث يقول الله تعالى :

(يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـواْ لاَ تَتَّخِـذُواْ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاء مِـن دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ) النساء- ١٤٤

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء) الممتحنة- ١

وذم تعالى طائفة وصفهم بقوله عزوجل :

(إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) الأعراف- ٣٠

وفي الحديث عن النبي (ص) : (أوثق عرى الايمان : الحب في الله ، والبغض في الله ، وتوالي أولياء الله ، والتبري من أعداء الله) .

وفي الحديث عن الامام الرضا (ع) : (من والى أعداء الله ، فقد عادى أولياء الله ، ومن عادى أولياء الله فقد عادى الله ، وحق على الله ان يدخله نار جهنم) .

والبراءة من أعداء الله مطلوبة بالقول والفعل ، وفي الظاهر والباطن ، على حد سواء .

فمن البراءة بالقول إعلان ذلك وإظهاره لهم - مع الامكان وبالطريقة المناسبة - لاجل ردعهم عن الباطل والمنكر ، ففي الحديث عن النبي (ص) : (اذا رأيتم اهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم) ..

وسيأتي الحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن البراءة بالفعل إجتناب عاداتهم الخاصة ، حيث ورد في الحديث عن المعصومين (ع) ان الله تعالى يقول : (لاتلبسوا لباس أعدائي ، ولا تطعموا طعام أعدائي ، ولاتسلكوا مسالك أعدائي ، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي) .

ومن البراءة بالفعل أيضاً مخالفة افعالهم المنكرة ، خصوصاً اذا كان بداعي اظهار الحق وابطال المنكر ، وتعظيم شعائر الله عزوجل .

ومن البراءة بالباطن الإنكار القلبي للمنكرات ، وعدم مودة أعداء الله عزوجل ، حيث يقول تعالى :

(لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللَّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ، وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) المجادلة- ٢٢

ثم إنه سيأتي في الفصل القادم ما يرتبط بالمقام .

التعامـل مطلقاً مع الله تعالى

وإن غــدا تعامــل الإنســـانِ

في الله ، فهــــو أوثق الايـــمانِ

ففي الحديث عن أبي حمزة الثمالي ، عن الإمام علي بن الحسين (ع) قال : (إذا جمع الله الأولين والآخرين ، قام مناد فنادى يُسمع النّاس فيقول : أين المتحابّون في الله ؟ قال : فيقوم عنق من الناس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب ، قال : فتتلقّاهم الملائكة فيقولون إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنـة بغـير حـساب . قـال : ويقولــون : وأي ضـرب أنـتم مـن النـاس ؟ فيقولـــون : نحـن المتحـابون في الله ، قـال : فيقولـون : أي شـيء كانـت أعمالكـم ؟ ، قالوا : كنا نحب في الله ، ونبغض في الله ، قال : فيقولون : نعم أجر العاملين) .

وقد ذكرنا في (طريقك نحو الجنة) ان التعامل مع الله تعالى يعتبـر من الأسباب المهمة لتحصيل الجنة ، كما ان الالتزام به له آثار عظيمة في النشأتين ، حيث ورد عن النبي (ص): (مَن أحب في الله وأبغض في الله ، وأعطى في الله ومنع في الله فهـو مـن أصـفياء الله) ، وفي الحـديث عـن الصادق (ع) : (من أحب في الله وأبغض لله وأعطى لله ، فهو ممن كمل ايمانه) ..

والمتأمل في هذا الحديث ونحوه يلاحظ ان المطلوب هاهنا ليس مجرد الحب والبغض في الله ، بل المطلوب أعم من ذلك ، وهو ان يكون الفرد ملاحِظاً لله تعالى في جميع أفعاله وتروكــه ، بمعنى انه يراعـي في جميع ذلك غاية واحدة وهي التقرب إلى الله عز وجل ..

ولنقل بتعبير آخر أن المطلوب هو التعامل مع الله تعالى أولاً وآخراً ، ولعله احد معاني قوله تعالى (هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن) الحديد – ٣ .
فتكون علاقته الأساسية مع الخالق عزوجل ، وأما سائر علاقاته مع الخلق فهي فيض منها ومعلولة لها ، وهذه مرتبة عالية تندرج فيها جملة من المباديء والخصائص ..
وفي الحديث عن الصادق (ع): (مِن أوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله ، وتعطي في الله وتمنع في الله) ..
ولايخفى ان المراد بالعطاء هنا هو كل مايصدر عن الإنسان من الصالحات ، كما ان المنع هنا يراد به كل ما يمتنع عنه الإنسان من السيئات .

ثم ان (الحب في الله والبغض في الله) له عدة حالات أهمها :
١- ان يحب ما يحبه الله تعالى ، ويبغض مايبغضه ، ومن المعلوم ان الله تعالى انما يحب الطاعات العامة والخاصة ، ويبغض المعاصي والسيئات .
وكمال هذه الحالة أن يعمل الفرد بالطاعات ، ويسعى لنشرها عن طريق الهداية والأمر بالمعروف ، ويفرح لانتشارها بين الناس .
(ذلك ومن يعظم شعائر الله ، فانها من تقوى القلوب)الحج- ٣٢ .
ومن جانب اخر لابد له أيضاً من اجتناب المعاصي ، ومنع الناس عنها بالهداية وبالنهي عن المنكر ، حيث ورد في الخبر المعروف أن من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان .

بمعنى انه يجب عليه عندئذ ان يحزن ويغضب على الأقل ، إذا شاهد المنكر خارجاً وهو لايستطيع منعه .

٢- انه يحب من يحبهم الله تعالى ، ويبغض من يبغضهم ، وفي الحديث عن النبي (ص) : (أوثق عرى الايمان ، الحب في الله والبغض في الله ، وتوالي أولياء الله ، والتبري من أعداء الله) .

بل ورد في القرآن الكريم قوله عزوجل: (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)
المجادلة-٢٢

بل ورد في الحديث عن الرضا (ع) : (من أحب عاصياً لله فهو عاص ، ومن أحب مطيعاً فهو مطيع) ..

وقد مر مايرتبط بالمقام عند الحديث عن (ولاية أولياء الله تعالى ، والبراءة من أعدائه عزوجل) ، وسيأتي أيضاً عند الحديث عن (المودة) .

وفي الحديث عن الباقر(ع): (اذا أردت ان تعلم ان فيك خيراً ، فانظر الى قلبك ، فأن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض اهل معصيته ففيك خيراً ، والله يحبك ، وان كان يبغض اهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خيراً ، والله يبغضك والمرء مع من أحب) .

أقول : وهذا المقياس الذي ذكره الإمام (ع) مهم جداً ، فينبغي على كل واحد منا ان يلاحظ هواياته وميوله ، فان كانت نحو أهل الحق فليشكر الله تعالى على هذه النعمة ..

وان كانت ميوله نحو أهل الباطل والفساد فليحذر وليستغفر الله عزوجل ، فان الله تعالى لايبغض الاّمن غضب عليه.

((ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى))طه - ٨١.

بقي ان نشير إلى نقطة مهمة ، وهي ان البغض لاهل المعاصي ، قد لا يستلزم الشعور بالحقد والكراهية نحوهم ، لأن المطلوب الأساسي هو ان نبغض المعاصي نفسها ، أي الشعور بالغضب والكراهية تجاه الأفعال المنكرة والأعمال السيئة ، فان هذا الشعور واجب نفساني (أي جوانحي) ، كما ان دفع المنكر واجب باليد أو باللسان (أي جوارحي) .

اما الأشخاص أنفسهم فالمفروض ان نشعر بالمسؤولية تجاهم وذلك بالنصح لهم وإرشادهم قدر المستطاع ، فان لم ننجح معهم فلندعو لهم بالهداية والتسديد للخير والصلاح .. واما كيفية التصرف معهم بعد ذلك ، فهذا يختلف بحسب اختلاف الموارد والظروف ، والمرجع في ذلك كله هو الأحكام الشرعية المفصلة .

التفكـــر والتذكـــر

وربــما تـفــكرٌ في ســاعــة

يكـــــون لله رضــاً وطـــاعــة

يقول الله تعالى :

(قُـلْ هَـلْ يَـسْتَوِي الَّـذِينَ يَعْلَمُـونَ وَالَّـذِينَ لا يَعْلَمُـونَ ، إِنَّمَـا يَتَـذَكَّرُ أُولُـوا الأَلْبَابِ) الزمر- ٩

(وَمَــن يُـؤْتَ الْحِكْمَــةَ فَقَـدْ أُوتِــيَ خَيْـراً كَـثِيراً ، وَمَـا يَـذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُـواْ الأَلْبَاب)البقرة- ٢٦٩

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ) الأنعام- ٥٠

(وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) الحشر- ٢١

والآيات التي تحث على التفكر والتذكر والتدبر والتفقه كثيرة ، وبالامكان مراجعتها في المعجم المفهرس لألفاظ أو آيات القران الكريم .

ولايخفى أن تأكيد القرآن على أمر معين دليل على أهميته .

وفي محاسن البرقي عن النبي (ص) : (تفكر ساعة خير من قيام ليلة) .

وفي مستدرك الوسائل عن الصادق (ع) أيضاً : (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) أيضاً : (التفكر يدعو إلى البر والعمل به) ، وبهذا نعرف أهمية التفكر ، وأنه طريق للعمل لابديل عنه ..

أو لنقل انه لابد من الجمع بين التفكر والعمل ، فالتفكر وحده لايكفي ، كما ان العمل بدون تفكر قد لايصل بالعبد إلى المطلوب ، وانما يحصل الكمال بالتوفيق بينهما ..

وقد مدح الله تعالى أولي الألباب ووصفهم بقوله :
(الَّذينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً ، سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) آل عمران- ١٩١
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (نبّـه بالفكر قلبك ، وجاف عن الليل جنبك ، واتق الله ربك) .

وأخيراً لنتذكر قول الإمام الكاظم (ع) : (مامن شيء يراه عينك ، إلا وفيه موعظة) .

التعقـــل والفهـــم

وزينة الإنسـان عـقلٌ فـاهـمُ

فـإنه نـور وحـرز عـاصـمُ

يقول الله تعالى : (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) الروم- ٢٨

وقد حث عباده في آيات كثيرة على التعقل والفهم ، بقوله عزوجل : (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) و (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) ونحو ذلك ....

وقد ورد عن النبي (ص) : (اذا بلغكم عن رجل حسن حالٍ ، فانظروا في حسن عقله ، فإنما يُجازى بعقله) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (ان الله خاطب العقل بقوله : ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك ، ولا أكملتك إلا فيمن أحب ، إما إني إياك آمر ، وإياك أنهى ، وإياك أعاقب ، وإياك أثيب) .

وفي الحديث عن الإمام الكاظم (ع) : ان الله تبارك وتعالى بشّر اهل العقل والفهم في كتابه ، فقال : (فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ) الزمر (١٧-١٨) .

وفي الحديث أيضاً : (ان العقل دليل المؤمن) .

وفي حديث آخر عنهم (ع) : (دعامة الإنسان العقل ، والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم ، وبالعقل يكمل ، وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره، فاذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذاكراً فطناً فهماً) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (لا غنى أخصب من العقل ، ولافقر أحط من الحمق) .

وورد عن الإمام الرضا (ع) : (صديق كل أمريء عقله ، وعدوه جهله) .

والتعقل والفهم ضروريان لكل إنسان ، ففي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (من كان عاقلاً كان له دين ، ومن كان له دين دخل الجنة) .
وانما يكون التعقل بالتعلم والتذكر والتدبر ، ففي الحديث نقلاً عن مجمع البحرين (لا نجاة إلا بالطاعة ، والطاعة بالعلم ، والعلم بالتعلم ، والتعلم بالعقل) .
وفي حديث اخر : (اعقلوا الخير اذا سمعتموه عقل رعاية لاعقل رواية ، فان رواة العلم كثير ورعاته قليل) .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (إستمع ، ثم استفهم ، ثم استيقن ، ثم استعمل) ..
وسيأتي الحديث عن أهمية التعلم ، وان العلم طريق العمل .
فالتعقل والفهم مفتاح التكامل والصفات الحميدة ، وانما يُعرف العاقل بحسن خلقه ، ومنه الحديث الذي ذكره في مجمع البحرين : (اذا تم العقل نقص الكلام) .
وعن الإمام الصادق (ع) : (انا لنحب من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مدارياً صبوراً صدوقاً وفياً) .
وكلما ازدادت أخلاقه الحسنة ، كلما كان ذلك دليلاً على قوة تعقله وفهمه ، حيث نسمع في الحديث : (أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً) .

ومن جهة أخرى فان الصفات السيئة تدل على الجهل أو ضعف العقل ، ففي الحديث : (إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله) .
وفي حديث آخر ان الإمام (ع) وصف وسواسياً مبتلى بالوضوء والصلاة ، بقوله : (وأي عقل له وهو يطيع الشيطان) .

وفي الكافي للكليني ذكر حديثاً مشهوراً عن الإمام الصادق (ع) يقول فيه :
(اعرفوا العقل وجنده ، والجهل وجنده .. تهتدوا) .
ثم فصّل جنود العقل ووزرائه ، من قبيل الخير والايمان ونحوهما ، وفصل أضدادها وهي جنود الشر ووزرائه ، من قبيل الشر والكفر ونحوهما .. (انظر الكافي / كتاب العقل والجهل / حديث ١٤) .

بقي ان نشير إلى ان التعقل أو الفهم قد يكون بالفؤاد أو القلب ، مثلما يكون بالعقل ، وقد تحدثنا عن الإدراك القلبي في (معالم التكامل في المعرفة) ..
وفي قصة الإيمان نقل عن العالم الرياضي الفيزيائي المشهور باسكال قوله :
(بالقلب نعرف الحق ، والمباديء الأولى ، وبالقلب ندرك وجود الله) .
وسيأتي ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن الوعي والالتفات ، في الفصل القادم إنشاء الله تعالى .

الوعـي و الإلتفـات

وإنفتاح القلب

وليس بالعينين فهـمُ الحـــياة

وإنــما بالــوعي والإلــتفــات

يقول الله تعالى : (وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ) الأعراف- ٢٠٥

(فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ، وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)

الحج- ٤٦

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)

ق-٣٧

وذم طائفة من عباده لأنهم من أهل الغفلة ، فقال عزوجل :

(أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الأعراف- ١٧٩

(أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) النحل- ١٠٨

(يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ،وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) الروم- ٧

(لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا)الأعراف- ١٧٩

وفي توحيد الصدوق انه جاء رجل إلى أمير المؤمنين (ع) فقال : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته ؟ فقال : ويلك ما كنت أعبد رباً لم أرَه ، فقال : وكيف رأيته ؟ قال : ويلك لاتدركه العيون في مشاهدة الأبصار ، لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان)

فالوعي والإلتفات ضروريان لكل إنسان ، وهما علامة العقل المنفتح والقلب المبصر ، وهما مقدمة مهمة للتكامل و الوصول إلى رب العالمين :
(إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) الصافات- ٨٤
(وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ) ق- ٣٣
(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) ق-٣٧
(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) محمد- ٢٤
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (من رعى قلبه عن الغفلة ، ونفسه عن الشهوة ، وعقله عن الجهل ، فقد دخل ديوان المتنبهين) .

وفي الحقيقة فان الغفلة تكون عادة بسبب الحجب والموانع ، وكم من أمور مهمة لا يلتفت إليها الإنسان فيخسر نتيجة لذلك ، وكم من قضايا واضحة يغفل عنها الفرد فتكون غفلته وبالاً عليه ، سواء في الدنيا أو في الآخرة ..
ولعل أبسط مثال حياتي على الغفلة حينما يمر شخص أمام أحدهم ، فلا يراه ، لانه غير ملتفت ، أو غافل عنه .
واهم الموانع والحجب وأكثرها تأثيراً هي الشهوات التي تسيطر على العقل وتحجب القلب .
(أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ) الجاثية- ٢٣
(وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً ، فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ ، إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون)الأحقاف- ٢٦

وقد ذكر الله تعالى ان عاقبة مثل هؤلاء هي الحسرة والعذاب ، حيث سيكون قولهم يومئذ :
(يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ، بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) الأنبياء- ٩٧
وفي الدعاء (الهي إليك أشكو نفساً .....مملوءةً بالغفلةِ والسهو ، تسرعُ بي إلى الحوبة ، و تسوّفني بالتوبة) ..
وفي دعاء آخر : (ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عملته في خلواتي من سوء فعلي وإساءتي ، ودوام تفريطي وجهالتي وكثرة شهواتي وغفلتي).
ولذلك ورد في الحديث عن النبي (ص) : (لاخير في العيش إلا لرجلين : عالم مطاع ، أو مستمع واع) .
وفي الحديث عن الإمام الكاظم (ع) : (ان الصبر على البلاء أعظم (أفضل) من الغفلة عند الرجاء).
وفي الدعاء : (فشكرتك بإدخالي في كرمك ، ولتطهير قلبي من أوساخ الغفلة عنك).
وفي الدعاء : (وان أنامتني الغفلة عن الإستعداد للقائك ، فقد نبهتني المعرفة بكرمك وآلائك) .
وفي الروايات انه جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله ما العلم ، قال : الإنصات ، قال ثم مه ، قال : الاستماع ، قال ثم مه ، قال : الحفظ ، قال : ثم مه ، قال : العمل به ، قال ثم مه قال : نشره).
وقد مر علينا حديث الإمام علي (ع) بقوله : (استمع ثم استفهم ثم استيقن ثم استعمل) .
وفي حديث آخر : (اعقلوا الخير اذا سمعتموه عقل رعاية ، لا عقل رواية) .

وورد عن الإمام علي (ع) (المؤمن كيّس فَطن) .
وفي الكافي عن الصادق (ع) : (انما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين ، عينان في الرأس ، وعينان في القلب .. ألا و الخلائق كلهم كذلك ، إلا أن الله عزوجل فتح أبصاركم ، وأعمى أبصارهم).
وفي الحديث عن اهل البيت (ع) ان الله اذا أراد بعبد خيراً ، طيب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه ، ولا منكراً إلا أنكره ، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره) .
وفي الحديث عن الباقر (ع) ان القلوب ثلاثة ، وذكر منها : وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر ، ولا يُطفأ نوره إلى يوم القيامة ، وهو قلب المؤمن) .
وقد ذكرنا في كتابنا (الله أكبر من نفسك) ان القلب أو الفؤاد هو تلك العين القلبية التي يعرفها ويحس بها كل إنسان نقي وطاهر ..
والقلب يؤدي دوره وينبض ، بمقدار نقاء الفرد وطهارته المعنوية..(أنظر كذلك معالم التكامل في المعرفة العامة) .
وقد ورد في الحديث ان الله تعالى أوحى إلى نبيه داود (ع) : (لي خزانة أعظم من العرش ، وأوسع من الكرسي ، وأطيب من الجنة ، وازين من الملكوت ، أرضها المعرفة ، وسماؤها الإيمان ، وشمسها الشوق ، وقمرها المحبة ، ونجومها الخواطر ، وسحابها العقل ، ومطرها الرحمة ، وشجرها الطاعة ، وثمرها الحكمة .. ولها أربعة أركان : التوكل ، والتفكر ، والأنس ، والذكر .. ولها أربعة أبواب : العلم ، والحكمة ، والصبر ، والرضا .... ألا وهي القلب) .
وفي رواية أخرى ان الله تعالى أوحى إلى موسى (ع) : (يا موسى جرّد قلبك لحبي ، فاني جعلت قلبك ميدان حبي) .

وورد في الحديث القدسي ما مضمونه : (ما وسعتني السماوات والأرض ، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن) .
وتحضرني بالمناسبة هذه الأبيات :

شَعشع الصبح في فؤادي نقيا ... وبدَت شمسُه فعاد بهيا
وتجلّت بكهفه سُبحاتٌ ... أسَرته وقرَّبته نجيا
فاخلع النعل أيها القلب طوعاً ... واسلك الدرب وادياً قدسيا
هاهنا النار نار موسى أضاءت ... فاستمع حسّها نداء عليا
وهنا الجذع جذع مريم عيناً ... هُزّه كي تنال تمراً جَنيا
هاهنا تُسمع المناجاة سراً ... إنه صوت عبده زكريا
طير داود سبحت فيه دهرا ... والجبال الصماء خرت جِثيا
وسليمان ريحه وهي تجري ... في ثناياه بكرة وعشيا
يا لقلبي الصغير وهو كيحيى ... أوتي الحكم منذ كان صبيا
وعليه أحزان أيوب مرت ... مسّه الضر ، قانعاً ورضيا
لم يزل همّه رضاك إلهي ... خوفُه أن يكون عبداً شقيا
ليس يُنجيه من عذابك إلا ... أنت ، فاعطف عليه عطفاً جليا

بقي ان نشير إلى ان الوعي والإلتفات مطلوبان مطلقاً ، مع الله تعالى (وسيأتي الحديث عن ذكر الله تعالى ومراقبته في كل حال) ، ومع النفس (بتهذيبها ومراقبتها ومحاسبتها) ، ومع الآخرين (وسيأتي الحديث عن جملة من حقوق الآخرين التي ينبغي الإلتفات إليها).
ثم إنه سيأتي الحديث عن أمور أخرى تتعلق بالقلب ، من قبيل طيبة القلب ، وقسوة القلب .

طلب (العلم النافع) عموماً
والتفقه (في الدين) خصوصاً

فلتُـنقَذ العـقول من جهـلها

ولتُطـلب العـلوم من أهلـها

يقول الله تعالى :
(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) الزمر- ٩
(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ)
الرعد -١٦
(أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى ، أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) الملك- ٢٢
وفي القرآن آيات كثيرة جداً تجد فيها لفظة (علم) ومشتقاتها ، وهذا دليل على أهمية العلم والتعلم .
وقد قال الله عزوجل :
(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) فاطر- ٢٨
فبيّن ان العلم طريق لمعرفته وخشيته عزوجل ..
وبالمقابل ذم الذين لا يعلمون بقوله عزوجل :
(وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى ، فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً)
الإسراء-٧٢
(كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) الروم- ٥٩

وفي الحديث عن النبي (ص) (طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ألا وان الله يحب بغاة العلم) .

وروي عنه (ص) : (تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا ، فان الحديث جلاء للقلوب ، ان القلوب لترين كما يرين السيف ، جلاؤها الحديث) .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به ، ألا وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال) .

ومما ورد في فضل التعلم أيضاً عن الباقر (ع) : تذاكر العلم دراسة ، والدراسة صلاة حسنة .

وعنه (ع) أيضاً (رحم الله عبداً أحيا العلم ، فسُئل وما أحياؤه ؟ فقال (ع) : يذاكر به أهل الدين وأهل الورع) .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (لاخير فيمن لا يتفقه) .

وورد عنه (ع) أيضاً : (إغدُ عالماً أو متعلماً ، أو أحب أهل العلم ، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم) .

وقد مرت في الفصلين السابقين عدة أحاديث ترتبط بالمقام .

وفي الحقيقة فان الأحاديث والروايات الواردة في فضل العلم وطلبه ، والعمل به ، كثيرة ولطيفة ومؤثرة ، فيحسن مراجعتها في أصول الكافي / كتاب فضل العلم ، وفي منية المريد في آداب المفيد والمستفيد .

وفي الحديث عن الإمام علي بن الحسين (ع) : (ان الله تبارك وتعالى ، أوحى إلى دانيال إن أمقت عبيدي إلي الجاهل المستخف بحق أهل العلم ، التارك للإقتداء بهم . وان أحب عبيدي إلي التقي الطالب للثواب الجزيل ، اللازم للعلماء ، التابع للحلماء ، القابل عن الحكماء) ..

وينبغي الإلتفات إلى ان طلب العلم يستلزم تهيأة الأرضية المناسبة لتقبل العلم وفهمه ، من قبيل تصفية الذهن والنفس بالمقدار اللازم للتعلم ، ومن قبيل التواضع لأهل العلم ونحو ذلك .. (انظر كتابنا نصائح عامة للداعي والمدعو ، وكذلك معالم التكامل في المعرفة العامة) .

ويحسن ان نشير في هذا الفصل إلى ما ذكرناه في (فلسفة الأحكام الشرعية) عند الحديث عن أهمية طلب العلم والتفقه في الدين ، حيث ذكرنا أن الإنسان مسئول ومكلف من ناحية عرفية وعقلائية ، فتجد أن الفرد اذا ارتكب ما لا يقبله العرف يكون معاتبا ومحاسبا عندهم ..

كما إنه من ناحية عقلائية تجد ان كل مجتمع مهما كان مذهبه الفكري أو الديني خاضع لمجموعة من القوانين يجب مراعاتها ، ولا يعذر فيها الجاهل بها ، لأنه مقصر في حق نفسه وفي حق الآخرين اذا لم يتعلمها .

فكذلك من ناحية شرعية ، فإننا نعلم أكيدا بأن علينا تكاليف شرعية عديدة ، كالصلاة والصوم ونحوها مما أوجبه الخالق تعالى علينا ، فاذا لم نتعلم تفاصيل هذه الأمور ، فإننا نكون قد ظلمنا أنفسنا من عدة جهات أهمها :

١- اننا سننال العقاب على ترك التعلم ، لأن هذا معناه اننا والعياذ بالله تعالى غير مهتمين بهذه التكاليف ، ومن لم يهتم بتكاليف مولاه ، فسوف يكون العقاب جزاؤه حتما .

٢- اننا سنحرم من ثواب الامتثال لهذه التكاليف ، اذ الثواب يتوقف على امتثالها ، وامتثالها يتوقف على أدائها بالصورة الصحيحة ، وهو يتوقف على تعلمها .

٣- اننا سنكون عندئذ في تدنٍ مستمر ، ولن نرى التكامل أبدا ، اذ التكامل مشروط بمراعاة التكاليف الإلهية ، بل هي أولى خطواته .

وهكذا فإننا مطالبون بالتعلم لكل المسائل الشرعية التي نحتاجها في حياتنا الدنيوية والأخروية ، وقد ورد في الحديث عن المعصومين (ع) في تفسير قوله تعالى : (قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) : ان الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة : عبدي أكنت عالما ؟ فان قال : نعم، قال الله تعالى : أفلا عملت بما علمت ، وان قال : كنت جاهلا ، قال الله تعالى له : أفلا تعلمت حتى تعمل ، فيخصم ، فتلك الحجة البالغة .

وكذلك نحن نعلم أنه من الضروري ان يكون أخذنا لهذه المعلومات من مصدرها الحقيقي وهم أهل بيت الوحي والأئمة المعصومين (ع) ، لأنهم أعلم الناس بها ، من حيث أنهم أقرب الخلق إلى مصدرها ، وقد ورد في الحديث : (ذروا الناس ، فإنهم أخذوا عن الناس ، وأنتم أخذتم عن رسول الله (ص)).

وقال الإمام الصادق (ع): (فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) .

وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن ولاية المعصومين (ع) .

فالتفقه ضروري ، وأخذه عن الأئمة (ع) واجب ، فقد ورد عن الإمام (ع) أنه قال : (ان الرجل منكم اذا لم يستغن بفقه احتاج إليهم ، واذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم) .

ثم أنه توجد هنا نقطتان أساسيتان :

الأولى- ان ما يجب أن نتعلمه هو ما يكون في معرض ابتلائنا الخاص أو الشخصي ، وأما الزائد عن ذلك - وهو ما يكون في معرض الابتلاء النوعي - فيكون تعلمه مستحباً وراجحاً على أية حال .

فمثلا الشخص الذي يعمل في التجارة يتعلم أحكام التجارة وجوبا لأنها هي المقدار الذي يحتاجه ويكون مسئولا عنه ، على اعتبار مدخليته في أفعاله العامة، وأما أحكام الزراعة وغيرها مما يحتاجها غيره من أفراد النوع الإنساني فلا يجب عليه تعلمهـــا ، لأنها خارجة عن احتياجه ، وهو غير ممتحن أو مبتلى بها ، وان كان تعلمها فيه ثواب ، لأنه تفقه ، والتفقه في دين الله تعالى فيه فوائد عديدة ، أبسطها انه سيكون في رحاب الأحكام الإلهية ، وهذا شرف عظيم لو تأملناه .

الثانية - ان الأمور التي يجب تعلمها عموما هي تلك التكاليف التي يشترك فيها كل أفراد النوع الإنساني ، كالصلاة وأجزائها وشروطها ، وبعض ما يتعلق بها من مسائل الشك والسهو ونحو ذلك مما يحتاجه غالبا كل إنسان ، وكذلك المعاملات الضرورية كالبيع والشراء ونحوهما مما لا يختص بفرد دون آخر .

وكقاعدة عامة نقول : ان كل ما يحتاجه النوع البشري غالبا ، بمعنى انهم يقعون فيه أو يتعاملون معه أو يمرون به ، فالواجب عليهم تعلمه ، حتى اذا ما جاء مورده يكونون على علم به ، فيطبقونه بالصورة التي يريدها الله تعالى ..

وبهذا يكونون ملتزمين بالإحكام الإلهية ، وهذا هو معنى الاستقامة المطلوبة بقوله تعالى : (فاستقم كما أمرت) هود ـ١١٢

هذا كله عن التفقه في الدين (بمفهومه الواسع) ..

وقد اشرنا في عنوان الفصل إلى ان تعلم العلوم والمعارف النافعة للإنسان مطلوب وراجح مطلقاً ، وكله مأجور ومثاب ما دامت النية الصالحة حاضرة ، ومادامت الفائدة الحقيقية حاصلة سواء كانت الفائدة شخصية أو نوعية . وفي الحقيقة فان المعرفة تكّمل شخصية الإنسان ، وترفع من منزلته في الدنيا والآخرة .

وكلما ازدادت المعرفة عند الفرد الواعي ، كلما كثرت أمامه أبواب الطاعة والرضوان والفردوس ، والله المسدد على أية حال .

العمــل بالعلــم

وإنـما العــلم طـريق العمـلِ

فــلا يغرَّنك طـــول الأمــــلِ

يقول الله تعالى :

(إِلا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً) مريم- ٦٠

(إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ، فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا ، وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ) سبأ- ٣٧

وفي الحقيقة فان التعقل والفهم ، والتفكر والتذكر ، والوعي والإلتفات ، وطلب العلم ، كل ذلك طريق ومقدمة إلى العمل ...

وقد مر علينا قول الإمام الصادق (ع) :(التفكر يدعوا إلى البر والعمل به).

ومر علينا قول الإمام علي (ع) : (استمع ، ثم استفهم ، ثم استيقن ، ثم استعمل) .

وكذلك مر علينا ما ورد عن النبي (ص) بما مضمونه أن العلم هو الإنصات، ثم الاستماع ، ثم الحفظ ، ثم العمل به ، ثم نشره .

وما ورد عن الإمام علي (ع) : (ان كمال الدين طلب العلم والعمل به) .

وفي الحديث عنه (ع) أيضاً : (اذا علمتم ، فاعملوا بما علمتم ، لعلكم تهتدون).

وعن الإمام الباقر (ع) : (اذا سمعتم العلم فاستعملوه) .

وعن الإمام الصادق (ع) : (من تعلم العلم وعمل به وعلَم لله ، دُعي في ملكوت السماوات عظيماً ، فقيل تعلّم لله وعمل لله وعلَّم لله) .

وعنه (ع) أيضاً : (لا معرفة إلا بعمل ، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل ، ومن لم يعمل فلا معرفة له) .
وفي الكافي للكليني باب خاص (ضمن كتاب فضل العلم) عن استعمال العلم ، وفيه عن النبي (ص) ان العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك .
ثم قال (ص) : (ان أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له ، وقبل منه فأطاع الله ، فأدخله الله الجنة ، وادخل الداعي النار بتركه علمه ، وإتباعه الهوى وطول الأمل) .
وسيأتي (في فصل خاص) الحديث عن خطورة إتباع الهوى وطول الأمل .

وفي بعض الأحاديث ان العلم مقرون الى العمل ، فمن علم عمل ، ومن عمل علم ، والعلم يهتف بالعمل ، فان أجابه ، وإلا ارتحل عنه .
وفي بعضها أيضاً ان العلم اذا لم يُعمل به لم يزد صاحبه إلا بعداً من الله ..
ولعله لان الحجة عليه تكون ابلغ مادام عالماً ، وبذلك يكون تقصيره أوضح وأشد ، بل هذا هو الوارد فعلاً عن أمير المؤمنين (ع) بقوله : (بل قد رأيت ان الحجة عليه أعظم) .
ولنختم كلامنا بما ورد عن الإمام علي (ع) : (أيها الناس إني (والله) ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن معصية إلا وانتهي قبلكم عنها) .
وسيأتي الحديث عن مطابقة الأفعال للأقوال ، حيث ورد عن الصادق (ع) في قول الله عزوجل (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)، قال : يعني بالعلماء من صدّق فعله قوله ، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم) .

تدبّر عواقب الأمور
قبل الخوض فيها

والمرء إن فكّر في العواقبِ

أبصر دنياه بنور ثاقبِ

حيث مر الحديث عن أهمية التفكر والتذكر ، والتعقل والفهم ، والوعي والإلتفات وعدم الغفلة .

وقد أمرنا الله تعالى بتدبر العواقب والنظر في نتائج الأمور ، فمن ذلك قوله تعالى :

(فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) آل عمران- ١٣٧

(وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) الأعراف- ٨٦

(فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ) يونس- ٧٣

وفي الحديث عن النبي (ص) (اذا هممت بأمر فتدبر عاقبته ، فان يك رشداً فأمضه ، وان يك غياً فانته عنه) .

وورد النهي عن ان يكون الفرد (إمّعة) ، وهي كما في الحديث بما مؤداه ان يلهث الفرد خلف الآخرين بدون وعي ولا بصيرة .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (الناس ثلاث : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق) .

وعنه (ع) أيضاً : (من تورط في الأمور غير ناظر إلى العواقب ، فقد تعرض لمفظعات النوائب . والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم ، والعاقل من وعظه التجارب) .

وورد عنه (ع) كذلك : (من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطاء) .
وعن الإمام الصادق (ع) : (ليس بحازم من لاينظر في العواقب ، والنظر في العواقب تلقيح للقلوب) .

ولا يبعد القول ان اغلب مشاكل المجتمعات الإنسانية عموماً ، ومشاكل الأفراد خصوصاً انما ترجع إلى الاستعجال وعدم تدبر العواقب قبل التصرفات .
فالمفروض بالعاقل الحذر والحيطة ، والتصرف بحكمة ، بعد التأمل وفهم الأمور بوعي وموضوعية ..
وفي الحديث ان (المؤمن كيس فطن) ، وان المؤمن (ينظر بنور الله) .
فينبغي الاستفادة من هذه النعمة ، واغتنام هذه الفرصة ، وانما يكون ذلك بتحمل المسئولية والتوكل على الله تعالى ، وإتباع أوامره وإرشاداته وتوجيهاته عزوجل :
(قد جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ) المائدة (١٥-١٦) .
(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ، آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) يوسف-٢٢
(فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) البقرة- ١٨٦

قبـول النصيحـة

وليـقبل النـصح وإن أبــكاهُ

وليس بالنـــاصح مــــن زكّـاهُ

يقول الله تعالى :

فَبشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ، وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ) الزمر(١٧-١٨).

ومن جهة أخرى ذم الله تعالى أولئك الذين لا يستمعون النصائح ، أو لا يأخذون بها ، فقال عزوجل :

(إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) فاطر- ١٤

وفي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (اتبع من يبكيك وهو لك ناصح ، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش) .

وعن الإمام الصادق (ع) : (أحب أخواني من أهداني عيوبي) .

وعنه (ع) أيضاً ما مضمونه ان المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال : توفيق من الله عزوجل ، وواعظ من نفسه ، وقبول ممن ينصحه .

وقد ذكرنا بعض الأمور المهمة المرتبطة بالمقام في كتابنا المتواضع (نصائح عامة للداعي والمدعو) ، وقلنا هناك انه توجد شروط ينبغي توفرها في المدعو حتى يتأثر بالدعوة أو النصيحة ، وأهمها :

أ- عدم التكبر وعدم الاغترار بالنفس .

ب- عدم العناد .

ج- عدم الوقوع في دوامة الجهل المركب .

د- التحلي بالموضوعية وعدم التعصب .
هـ- عدم الهروب من مواجهة الداعي أو الدعوة .

ثم انه ينبغي الإلتفات إلى ان قبول النصيحة يمكن ان يتضمن عدة فوائد يغفل عنها الكثير ، وأهمها ما يلي :

١- تحصيل الأجر والثواب لمجرد القبول بالنصيحة ، اذا كان قبولها قربة إلى الله تعالى .
٢- تحصيل الأجر والثواب على التواضع عند أخذها ، لأن من يقبل النصيحة ، يتحدى نفسه الأمارة بالسوء التي قد تزين له العجب أو الغرور أو غيرها لأجل رفض النصيحة .
٣- تحصيل الأجر والثواب على العمل بالنصيحة ، فانه لو لم يقبلها أصلاً لم يوفق للعمل بها .
٤- تحصيل الأجر والثواب على تشجيع الناصح ، لان الناصح قد يترك النصح والإرشاد اذا قوبل بالرفض والعناد ..فاذا قُبلت نصيحته ، شجعه ذلك على الاستمرار والمضي في هذا الطريق .

وهكذا يزداد الأجر ويكبر ، كلما ازدادت أسبابه ووجوهه ، والله واسع كريم .
بقي ان نشير إلى انه سيأتي في فصل مستقل الحديث عن وجوب النصيحة والإرشاد وهداية الآخرين ، بالمقدار الممكن وبالطريقة المناسبة ، وسنتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إغتنـام الفرص
والاستفادة من الوقت لفعل الـخيـر

وليغتـنم صحته قبـل السقــم

وليغتنم شبـــابه قــبــل الهــرم

يقول الله تعالى :

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) القصص- ٧٧

وفي الحديث عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) في قول الله عزوجل (وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال : (لاتنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك ، ان تطلب بها الآخرة) .

وقال الله تعالى أيضاً :

(وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) التوبة- ١٠٥

(وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ، فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ) المنافقون- ١٠

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم ، مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ) البقرة- ٢٥٤

وسيأتي ان الإنفاق أعم من الإنفاق المالي ، كما ان العطاء أعم من العطاء المالي .

ثم ان الأحاديث كثيرة في الحث على إنتهاز فرص الخير والمبادرة به عند الامكان ، ففي وصية النبي (ص) للإمام علي (ع) : يا علي بادر بأربع قبل أربع : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك) .

وفي رواية عن النبي (ص) : (فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، وفي الشبيبة قبل الكبر ، وفي الحياة قبل الممات ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب ، وما بعدها من دار ، إلا الجنة أو النار).

وورد عن أمير المؤمنين (ع) : (الفرصة تمر مر السحاب ، فانتهزوا فرص الخير) .

وورد عنه (ع) أيضاً : (انما الدهر ثلاثة أيام أنت فيما بينهن .. مضى أمس بما فيه فلا يرجع أبداً ، فان كنت عملت فيه خيراً لم تحزن لذهابه ، وفرحت بما استقبلته منه ، وان كنت فرطت فيه فحسرتك شديدة لذهابه وتفريطك فيه ، وأنت في غد في غرة لاتدري لعلك لاتبلغه ، وان بلغته لعل حظك فيه التفريط مثل حظك في الأمس) .... ثم قال (ع) : (فاعمل عمل رجل ليس يأمل من الأيام إلا يومه الذي أصبح فيه وليلته) .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (خذ لنفسك ، خذ منها في الصحة قبل السقم ، وفي القوة قبل الضعف ، وفي الحياة قبل الممات) .

وروي عن الإمام الصادق (ع) أيضاً : ما من يوم يأتي على ابن آدم ، إلا قال له ذلك اليوم يا ابن آدم أنا يوم جديد ، وأنا عليك شهيد ، فافعل فيّ خيراً ، واعمل فيّ خيراً ، اشهد لك يوم القيامة ، فانك لن تراني بعدها أبداً .

وفي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (اذا أتت على الرجل أربعون سنة ، قيل له خذ حذرك فانك غير معذور) ..
ثم قال (ع) : (وليس ابن الأربعين أحق بالحذر من ابن العشرين ، فان الذي يطلبهما واحد ، وليس براقد ، فاعمل لما أمامك من الهول ، ودع عنك فضول القول) .

فتحصل أن المفروض بالإنسان الواعي ان ينتهز الفرص لفعل الخير والصلاح بمجرد تحققها ، وان يستغل وقته وصحته وظرفه وإمكانياته ، لزيادة رصيده عند خالقه عزوجل ..
وهذا له موارد وأبواب متعددة ومتنوعة ، سواء كانت مع الله تعالى ، أو مع النفس ، أو مع الآخرين ، كما فصلناه ونفصله في الفصول القادمة ..
وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن نية الخير ، وعن السباق إلى الطاعات .
كما سيأتي الحديث عن مخاطر التسويف وطول الأمل .

عدم المخادعـة مع الله تعالى
بإختتـال الدنيا بالدين

ولا يخـاتِل ديـنَــه دنـيـــاهُ

فالشاهد الحـــاكم ، وهــو اللهُ

يقول الله تعالى :

(وَمِـنَ النَّـاسِ مَـن يَقُـولُ آمَنَّـا بِاللّـه وَبِـالْيَوْمِ الآخِـرِ وَمَـا هُـم بِمُـؤْمِنِينَ ، يُخَادِعُــونَ اللّهَ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا ، وَمَـا يَخْـدَعُونَ إِلاَّ أَنفُـسَهُم وَمَـا يَـشْعُرُونَ) البقرة(٨- ٩)

وفي الحديث عن النبي (ص) ان الله عزوجل يقـول : (ويـل للـذين يختـلون الـدنيا بالـدين) ..(أنظـر الوسـائل / جهـاد الـنفس / بـاب تحـريم إختتـال الدنيـا بالدين) .

وعن الإمام الباقر (ع) ان الله تبارك وتعالى انزل كتاباً من كتبه ، على نبي مـن أنبيائـه ، وفيـه انـه سيكون خلـق مـن خلقـي يلحسون الـدنيا بالـدين ، يلبسون مسوك الضان على قلوب كقلوب الذئاب ، أشد مرارة من الـصبر ، و ألسنتهم أحلى من العسل ، وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف ..
أفبي يغترون ؟! ، أم أياي يخادعون ، ؟ أم علي يجترون ؟) .

وفي المجـازات النبويـة للـشريف الرضـي ، قـال : ومـن كلامـه (ع) ان مـن أشراط الساعة ان تُختل الدنيا بالدين) .

وذكر ان المراد بها النهي عـن طلـب منـافع الـدنيا وحطامها ، بإظهـار الـورع وإبطان الطمع .

وفي مجمع البحرين ذكر في مادة ختل ما نصه : في حديث العالم يختل الدنيا بالدين ، أي يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، يقال ختله يختلُه اذا خدعه وراوغه ، والمخاتلة المخادعة ، والتخاتل التخادع) ..انتهى كلامه

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (ان الله عزوجل لايُخدع عن جنته ، ولاينال ما عنده إلا بطاعته) .

وقد روي في ميزان الحكمة عن الإمام علي (ع) انه : (من أمن مكر الله بطل أمانه) .

وفي الاحتجاج عن الإمام السجاد (ع) اذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه ، وتمارت في منطقه ، وتخاضع في حركاته ، فرويداً لايغرنكم ، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب المحارم منها لضعف نيته ومهانته وجبن قلبه ، فنصب الدين فخاً لها ، فهو لايزال يختل الناس بظاهره) .

وقد حذرنا الله تعالى من أمثال هؤلاء المخادعين ، فقال عزوجل :

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ، وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ) البقرة(٢٠٤- ٢٠٥)

وفي الحقيقة فإن الذين يختلون الدنيا بالدين ، موجودون في اغلب طبقات وفئات المجتمع ، فالمفروض الحذر والحيطة ، وعدم الاغترار بالمظهر لوحده ، وسيأتي الحديث عن مطابقة الأفعال للأقوال ، كما سيأتي الحديث عن التقوى والالتزام ونحو ذلك لما يرتبط بالمقام .

نعم ورد في الحديث عن الإمام الصادق ع (فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً ، أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان ، فهو من أهل العدالة والستر ، وشهادته مقبولة ، وان كان في نفسه مذنباً) .

وفي الحديث عنهم (ع) : (من صلى خمس صلوات في اليوم والليلة في جماعة ، فظنوا به خيراً ، وأجيزوا شهادته) .

وقد ورد عن النبي الأكرم محمد (ص) : (من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروته ، فظهرت عدالته) .

فالمفروض ان تكون نظرتنا للآخرين متوازنة ، فنحملهم على الخير ، ما داموا من أهله ظاهراً ، ما لم يصدر منهم خلاف ذلك .

ولكن الحذر راجح على أية حال ، ولا داعي لان تكون ثقتنا بالمقابل ثقة عمياء وبدون وعي ، ما لم يكن من أهل العصمة بالنص أو الدليل القاطع ، وقد ورد في الحديث : (لاتصلّ إلا خلف من تثق بدينه) .

وهو حديث جليل فيه عدة مستويات من الفهم .

قـوة القلـب

وعدم الوسوسة في الحياة العملية

ولـيترك الوسواس في أعمالـهِ

فإنـــه بــــاب إلى إذلالــــهِ

توجـد آيـات قرآنيـة وأحاديـث كـثيرة ، وردت في المنـع عـن ظلـم الـنفس وإيذائها وتعريضها للمخاطر ، وفي المنع عن إتباع الشيطان وطاعته ...

كما وردت آيات وأحاديـث كـثيرة تحـث الإنـسان علـى الايجابيـة وتحمـل المسئولية ، وعلـى الاتـصاف بمكـارم الأخـلاق ، مـن قبيـل الـشجاعة وقـوة الإرادة والعزم والهمة ونحو ذلك ....

وهذا ونحوه انما يدل بالملازمة على النهي عن الوسوسة والمنع منها ، لانها تخالف عملياً كل هذه الآيات والأحاديث .

وهناك أحاديث أخرى نصت على النهي عن الوسوسة ، نذكر منها :

١- عن الإمام (ع): (لا تعـودوا الخبيـث (أي الـشيطان) مـن أنفسكم نقـض الصلاة، فان الشيطان خبيث معتاد لما عُوِّد، فليمض أحدكم ولا يكثرن نقض الصلاة ، فانه اذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك) .

وهذا تنبيه إلى الخطر، ومعالجة لـه ، لان التـصميم علـى دفـع الوسوسـة يطردها ويزيلها.

٢- عـن عبـد الله بـن سـنان قـال ذكـرت لأبـي عبـد الله (ع) رجـلاً مبتلـى بالوضـوء والـصلاة ، وقلـت هـو رجـل عاقـل، فقـال ابـو عبـد الله (ع): وأي عقل له وهو يطيع الشيطان.

فقلت له وكيف يطيع الشيطان، فقال (ع) : سله هذا الذي يأتيك من أي شيء هو، فانه يقول لك من عمل الشيطان.

٣- سُئل الإمام الصادق (ع) عن الرجل يدخل في صلاته ثم يدخله العجب ، فقال (ع) اذا كان أول صلاته بنية يريد بها ربه ، فلا يضره ما دخل بعد ذلك، فليمض في صلاته، وليخسأ الشيطان) .
فان ظاهر كلام الإمام (ع) إعطاء قاعدة عامة لدفع وساوس الشيطان، وقطع الطريق عليه.

٤- في الحديث عن الإمام الباقر (ع): اذا كثر عليك السهو فامض في صلاتك، فانه يوشك ان يدعك، انما هو من الشيطان) .
فالإمام (ع) يحذرنا من الوسوسة وكثرة الشك ، باعتبارهما من فعل الشيطان ومكائده ، ويعطينا العلاج المناسب لهما ، وهو اللامبالاة والمضي قدماً وعدم الاهتمام.

٥- وفي الحديث عن الصادق (ع): انه (لا سهو على من أقر على نفسه بالسهو) ، بمعنى ان الوسواسي لا يعتني بشكه وتردده وقلقه.
وقد اتفق الفقهاء على انه (لا شك لكثير الشك) ، بمعنى ان شكوكه ملغية عندئذ ولا قيمة لها ولا يُعتنى بها.

٦- وفي حديث آخر عن المعصومين (ع) في الرجل يكثر عليه الوهم في الصلاة ، فيشك في الركوع فلا يدري أركع أم لا ، ويشك في السجود فلا يدري أسجد أم لا، فقال(ع) : (لا يسجد ولا يركع ، ويمضي في صلاته حتى يستيقن يقيناً) .

ونحن ننصح بالإطلاع على كتابنا المتواضع (تحرر من قيود الوسواس) ، وملحقه (معالجات نفسية للقلق والضجر) ، فان فيه تفاصيل نافعة من هذه الناحية باذنه تعالى .

عدم التعقيد والسفسطة

ومن تكـلّف الحِجى والعقلا

ما إزداد الا خبـلاً أو جـهـلا

يقول الله تعالى :

(هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ) آل عمران- ٧

وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (من تكلف العقل لم يزدَد بذلك إلا جهلاً) .

وفي الحديث عنهم (ع) في وصف المؤمن : (لا متكلف ولا متعمق) ، وسيأتي الحديث عن سهولة المؤمن وعدم عسره ..

مع الإلتفات إلى ان المقصود بالتعمق هنا : التعقيد ، وهو التعمق السلبي الذي يؤخر الإنسان ويسبب الأذى له أو لغيره .

واما التعمق الذي يستند إلى التدبر والفهم والوعي والإلتفات ، فهو ايجابي بالتأكيد ، ما دام يقدم الإنسان ويؤدي به إلى الخير والتكامل الفعلي .

وقد ذكرنا في مقدمة (معالم التكامل في المعرفة العامة) ان البساطة نظام فطري طبيعي ، يوفر للعقلاء الراحة والاطمئنان ، بخلاف التعقيد الذي لا يرتضيه العقل النوعي .

وفي كتاب (العلم في منظوره الجديد) نقل عن نيوتن العالم المعروف قوله : (ان الطبيعة تسرها البساطة ، وهي غير مولعة بأبّهة الأسباب الزائدة عن الحاجة) .

وفي المصدر المذكور ان البساطة هي العنصر الأول من عناصر الجمال العلمي الذي يعتبر من المقاييس الأساسية العلمية .

ثم انه ليس المقصود بالبساطة : السذاجة والسطحية ، فانها طرف التفريط ، فتكون مذمومة ومرجوحة مثل التعقيد الذي هو طرف الإفراط .

وقد وضحنا في (معالم التكامل في المعرفة العامة) الفرق بين البساطة والسذاجة ، وخلصنا إلى ان البساطة ضد التعقيد ، وضد محاولات إجهاد العقل البشري بما ليس من ورائه طائل .

واما السذاجة فهي ضد الانتباه والوعي ، وضد النظرة الشمولية ...

أما النظرة البسيطة الشاملة فهي الحد الوسط والمعتدل والمطلوب، بين طرفي الإفراط والتفريط ، لأنها تشتمل على المقدار الضروري والمطلوب ، أي ليس فيها حرج .

يقول الفنان العالمي المشهور في عالم الرسم البرت دورر : (هناك وسط عدل، بين الإفراط والتفريط حاولوا أن تهتدوا إليه في جميع أعمالكم) .

أمّا جانب الإفراط فتمثّله (النظرة المعقدة) التي تشتمل على زيادة مؤونة غير ضرورية ، لذا فهي توقع الإنسان في الحرج ، وتؤدي الى نتائج سلبية كثيرة .

وأمّا جانب التفريط فتمثّله (النظرة الساذجة السطحية) التي تشتمل على نواقص مخلّة .

وقد اشتهر بين العقلاء (أنّ الزائد كالناقص) أي أنّ كليهما غير صحيح ، إذ الصحيح هو الحد الوسط المعتدل ، الذي ليس فيه زيادة ولا نقصان .

بقي ان نشير إلى ان معنى السفسطة حيث ذكر الجرجاني في تعريفاته أنها قياس مركب من الوهميات ، وفي شرح المصطلحات الكلامية ذكر انها استعمال الفكر فيما لاينبغي ، وانها مشتقة من سوفا إسطا .

وفي جامع السعادات ذكر النراقي ان من الرذائل المتعلقة بالقوة العاقلة : الجزبرة الموجبة للخروج في الفكر عن الحد اللائق ، وعدم استقامة الذهن على شيء ، بل لايزال يستخرج أموراً دقيقة غير مطابقة للواقع ، ويتجاوز عن الحق ولا يستقر عليه ، حتى يصل بالنتيجة إلى أفكار غير منطقية وغير عقلائية ، كما انه يوقع صاحبه في دوامة الوسواس والشكوك الفارغة .

ذكـر الله

ومراقبته (عزوجل) على كل حال

يا صاح إن شئت بلوغ الكمال

فـــراقب الله على كــل حـــال

يقول الله تعالى :

(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) البقرة- ١٥٢

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ) آل عمران- ١٩١

(وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً) الأعراف- ٢٠٥

وقد تحدثنا سابقاً عن ذكر الله باعتباره أحد مصاديق العبادة ..

ونتحدث الآن عن ذكر الله بمعنى مراقبته عزوجل في جميع الأحوال ، لأجل التقرب إليه ، والاحتراز عن معاصيه ونواهيه عزوجل .

ففي وصية النبي (ص) للإمام علي (ع) انه ثلاث لاتطيقها هذه الأمة ، وذكر منها (ذكر الله على كل حال ، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ، ولكن اذا ورد على مايحرم عليه خاف الله عز وجل عنده وتركه) .

وبنفس مضمونه عدة أحاديث عن الإمام الصادق (ع) : (انظر الوسائل باب ٢٣ من أبواب جهاد النفس) ..

وعن الإمام علي (ع) : (الذكر ذكران ذكر الله عزوجل عند المصيبة ، وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم عليك فيكون حاجزاً) .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (من أشد ما فرض الله (على) خلقه ذكر الله كثيراً ، ثم قال : لا اعني سبحان الله والحمد لله ولا اله

الا الله والله أكبر ، وان كان منه ، ولكن ذكر الله عند ما أحل وحرم ، فان كان طاعة عمل بها ، وان كان معصية تركها) .

وفي حديث آخر عنه (ع) : في معنى ذكر الله على كل حال فقال : (يذكر الله عند المعصية يهم بها ، فيحول ذكر الله بينه وبين تلك المعصية ، وهو قول الله : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) .

وفي الحديث عن الإمام الكاظم (ع) : (العجب كل العجب للمحتمين من الطعام والشراب مخافة الداء ان ينزل بهم ، كيف لا يحتمون من الذنوب مخافة النار اذا اشتعلت في أبدانهم) .

ثم انه ورد في الحديث : (خف الله كأنك تراه ، وان كنت لاتراه فانه يراك) .

وفي الحديث المشهور الوارد عن أمير المؤمنين علي (ع) : (ما رأيت شيئاً ، إلا ورأيت الله قبله) .

ومقصوده (ع) انه يتذكر الله تعالى ويراقبه مطلقاً ، ويكون تعامله في جميع الأمور مع الله عزوجل ..

ولا يخفى ان الرؤية هنا معنوية وليست مادية ، وقد نبّه الإمام علي (ع) إلى ذلك بقوله (ع) : (ويلك لاتدركه العيون في مشاهدة الإبصار ، لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان) .

وقد مر الحديث عن التعامل مع الله تعالى مطلقاً ، وعن الانس بالله عزوجل ، وعن الوعي والإلتفات ، وسيأتي الحديث عن مراقبة النفس خوفاً من الزلل ، وعن محاسبة النفس ، و عن الصبر عن المعصية .

كذلك مر الحديث عن الذكر بمعناه الخاص ضمن فصل (الاهتمام بالعبادة) ، كما اشرنا هناك إلى سعة مفهوم العبادة بحيث يمكن ان يشمل جميع تفاصيل الحياة .

وفي الحقيقة فان الإنسان يحتاج إلى ذكر الله تعالى ومراقبته عزوجل ، في جميع التفاصيل ، وبمقدار ما يمكنه ويقوى عليه ويلتفت إليه ...

فيراقب الله تعالى في كل كبيرة وصغيرة ، سواء كانت مرتبطة بالله تعالى كأوامره ونواهيه عزوجل ، أو مرتبطة بنفسه كحفظها وتهذيبها ، أو مرتبطة بالآخرين كصلة الرحم ومساعدة المحتاج ونحو ذلك ، وان كانت هذه الأمور كلها راجعة إلى أوامر الله ونواهيه عزوجل ، بمعناها الأعم الشامل للإرشادات والتوجيهات (الأوامر الإرشادية) .

وينبغي الإلتفات في المقام إلى ان مراقبة الله تعالى وان كانت هي الأصل ، إلا انه توجد جهات ينبغي أيضاً مراقبتها ومراعاتها ، وان كانت بالنتيجة تؤدي إليها (مراقبة الله تعالى) .

فقد قال الله تعالى :

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون) التوبة- ١٠٥

حيث ورد في عدة روايات ان الأعمال تعرض على النبي (ص) (أبرارها وفجارها) في كل اثنين وخميس فيعلمها، وكذلك تعرض على الأئمة (ع) ، فيعرفونها وهم المعنيون بقوله تعالى (والمؤمنون).

وكذلك ورد عن ابي سعيد الخدري عن النبي (ص) (أما بعد وفاتي فاتقوا الله وأحسنوا الصلاة علي وعلى اهل بيتي، فإنكم تعرضون علي بأسمائكم وأسماء آبائكم وقبائلكم ، وان يكن خيراً حمدت الله ، وان يكن سوءاً استغفر الله لذنوبكم).

وفي الكافي عن الصادق (ع) عدة روايات أن الأعمال تعرض على النبي(ص) في كل صباح ، وفيه أيضاً أن الصادق(ع) قال : (مالكم تسوءون رسول الله (ص)؟ فقال رجل: كيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون ان أعمالكم تُعرض عليه ، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك ، فلا تسوؤا رسول الله، وسرّوه) ..(انظر أيضاً الوسائل /باب١٠١ من جهاد النفس) .

ومن جهة أخرى فقد ورد في الحديث عن المعصومين (ع) : (ما من يوم يأتي على ابن آدم ، إلا قال له ذلك اليوم ، يا ابن آدم أنا يوم جديد ، وأنا عليك شهيد ، فافعل فيّ خيراً ، واعمل فيّ خيراً ، اشهد لك يوم القيامة ، فانك لن تراني بعدها أبداً) .

وفي روايات أخرى ان الليل اذا جاء ينادي العبد بمثل هذا النداء ، وكذلك النهار اذا أقبل .

ثم ان الله تعالى يقول : (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النور- ٢٤
ويقول أيضاً عزوجل :
(وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كل شيء)
فصلت- ٢١
ثم يقول تعالى (وهو محل الشاهد) :
(وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ، وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ) فصلت- ٢٢
فهذا نوع من المراقبة يجب أن يلتفت اليه الإنسان ويتذكره جيداً ، وهو يختلف عن مراقبة الإنسان نفسه خوفاً من الزلل ، وسيأتي الحديث عنها في فصل مستقل .

كذلك يوجد الملكان اللذان يسجلان أعمال الإنسان وتصرفاته ، حيث يقول عزوجل :
(إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْه رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ق(١٧-١٨)
(وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) ق- ٢١

بقي ان نشير إلى قضية مهمة ، وهي ان البعض قد يرتكب الأخطاء أمام الآخرين فيكون بذلك سبباً في تأثرهم به ، أو سبباً في إبعادهم عن الدين ، أو سبباً في توانيهم وتقاعسهم عما ينبغي فعله ...

وبالمقابل قد يكون فعل البعض للخير والصلاح أمام الآخرين ، سبباً في تأثرهم به ، أو سبباً في تمسكهم بالدين ، أو سبباً في إقدامهم على ما ينبغي فعله ...

فالمفروض مراعاة ذلك قدر الامكان ، خصوصاً في الواجبات والمحرمات.. وهذا نوع آخر من المراقبة التي نتحدث عنها في المقام ، ولعله من مصاديق قول النبي (ص) : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

المجاهدة في الله

وجــاهـد الـنـفـس وأهـواءها

واقطع بحـــد العـدل أدواءها

يقول الله تعالى :

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)

العنكبوت- ٦٩

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) الحج- ٧٨

والجهاد (أو المجاهدة) بذل الجهد في سبيل الله أو في الله .

وفي مفردات الراغب الاصفهاني أن الجهاد أو المجاهدة إستفراغ الوسع في مدافعة العدو ، سواء كان العدو ظاهراً كالكافر ، أو باطناً كالشيطان والنفس.

ولا يخفى ان للجهاد مصاديق وأبواب كثيرة ومتنوعة ..

وأوضح هذه المصاديق وأظهرها هو الجهاد بمعناه المتعارف ، وهو قتال المعتدين من الكفار والبغاة ونحوهم .

حيث يقول الله تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) الحج- ٣٩

(انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ) التوبة-٤١

وأحكام هذا الجهاد وشروطه وآدابه مفصلة في كتب الفقه (انظر كتابنا غاية المتفقهين في أحكام الدين) .

وفي الحقيقة فان هذا الجهاد على شدته وصعوبته هو الجهاد الأصغر ، كما في الروايات .

وهناك أيضاً جهاد العلماء من أجل نشر الدين وحفظ معالمه ، ودفع الشبهات عنه ..
وقد ذكرنا في كتابنا (دفاع عن الفقهاء) أن هؤلاء العلماء يخدمون الدين بأقلامهم وأرواحهم ، حتى ورد في حقهم عن الإمام الصادق (ع) انه توزن دماء الشهداء مع مداد العلماء ، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء (انظر من لايحضره الفقيه ٣٩٩/٤) ..
وفي عدة روايات صحيحة ومعتبرة وصفهم الأئمة (ع) بأنهم أمناء الرسل وحصون الإسلام .
وفي الحديث عن الإمام الهادي (ع) : (لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه ، والدالين عليه ، والذابين عن دينه بحجج الله ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس ومردته ، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد الا ارتد عن دين الله ، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها ، أولئك هم الافضلون عند الله عز وجل) .

ومن مصاديق الجهاد أيضاً جهاد الأمة عموماً ، وأفرادها خصوصاً ، في دفع المنكر ورفع المنكرات على ما هو مفصل في كتب الفقه (انظر باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (الجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والصدق في المواطن ، وشنآن الفاسقين) .

ومن مصاديق الجهاد أيضاً مجاهدة الشيطان ، ومحاربته ودفعه عن النفس ، ودفعه عن الآخرين بمقدار ما يمكن ..
وقد تحدثنا في كتابنا (الله أكبر من الشيطان) عن أساليب الشيطان ، وكيفية محاربته والتخلص منه .

و أما جهاد النفس فهو الجهاد الأكبر ، وهو أساس كل جهاد صالح ، وهو مفتاح التكامل والوصول إلى رب العالمين .
وقد ورد في الأحاديث ان الشديد من غلب نفسه ..
وان المجاهد من جاهد نفسه ..
وان العارف من عرف نفسه فأعتقها ونزهها عن كل ما يبعدها .
وان جهاد النفس مهر الجنة .
وانه طوبى لمن جاهد في الله نفسه وهواه .
وفي الحديث أيضاً : (جاهد هواك كما تجاهد عدوك) ..
وكذلك ورد عن الإمام علي (ع) : (الله الله في الجهاد للأنفس ، فانها أعدى العدو لكم) .
وورد عنه (ع) أيضاً : (أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها ، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها) .
وورد أيضاً ان : (من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب ، وإذا اشتهى ، وإذا غضب وإذا رضى ، حرم الله جسده على النار) .
وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (اجعل قلبك قريباً براً ، أو ولداً واصلاً ، واجعل عملك والداً تتبعه ، واجعل نفسك عدواً تجاهدها ، واجعل مالك عارية تردها) .

وينفع جداً مراجعة أبواب جهاد النفس في الوسائل آخر كتاب الجهاد .
وسيأتي ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن مخالفة الهوى ، وسيطرة العقل على الشهوة ، وإصلاح النفس وتهذيبها ، ومحاسبة النفس ، واستصغار النفس ، ومراقبة النفس خوفاً من الزلل .. حيث افردنا لكل واحد من هذه العناوين فصل خاص لإبراز المطلوب وترسيخ الفكرة ، وان كانت هذه العناوين مرتبطة فيما بينها كما لايخفى .
وفي (مطالعات عرفانية) اشرنا إلى قول العلماء بان الجهاد الأكبر يعني مجاهدة جنود الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وكل ما يدعو إلى عالم الطبيعة والمادة ، فيحارب جنود الوهم والغضب والشهوة .
بل ذكروا المجاهدة العظمى (أو الجهاد الأعظم) وقد فسروه بالمجاهدة في إزالة بقايا النفس المختفية من جذورها ، لكي يكون له موضع قدم في عالم الخلوص ، حيث بساط التوحيد المطلق كما يعبرون ، وبذلك يتحقق عند الفرد معنى (إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) .

وقد تحدثنا في كتابنا (الله أكبر من نفسك) عن كيفية مجاهدة النفس والسيطرة عليها ، حيث قلنا ان النفس قد تطغى ، بل هي تطغى غالبا .. فإذا طغت وحاولت أن تندفع بشهواتها ، فإن الواجب علينا أن نوقفها وأن نسيطر عليها ، وهذا هو ما يسمى بجهاد النفس ، وهو فعلاً الجهاد الأكبر ، لأنه نزاع بين الفرد ونفسه ، ولأنه نزاع مع عدو لا تراه ، عدو داخلي متغلغل في جميع مناطقك .

وقد ورد عن النبي (ص) أنه بعث سرية فلما رجعوا قال (ص) : (مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر ، وبقي عليهم الجهاد الأكبر) فقيل : يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال (ص): (جهاد النفس) .

وورد عنه (ص) أيضاً : (المجاهد من جاهد نفسه) .

وكذلك ورد عنه (ص) : (ان الشديد ليس من غلب الناس ، ولكن الشديد من غلب نفسه) .

وهنا يأتي السؤال عن كيفية المجاهدة لهذه النفس ..

وفي الحقيقة فإن مجاهدة النفس تتضمن عدة خطوات مرتبة كالآتي وكلها مجاهدات نفسية :

الخطوة الأولى : التواضع الحقيقي داخل النفس ، وقد ورد عن المعصومين (ع) ما مضمونه : (أن من تواضع لله رفعه الله).

وقد قال الشاعر :

ملأى السنابل تنحني بتواضع والفارغات رؤوسهن شوامخ

ويجب أن يكون هذا التواضع حقيقيا ، بمعنى أنه لا يكون متصنعا أمام الناس ، لأن فائدة التواضع هو القضاء على العجب والغرور اللذين يصيبان الإنسان ، فإذا لم يدخل التواضع إلى ذات الإنسان وحقيقته لم ينج من هذين الدائين .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (إن أقرب الناس من الله المتواضعون).

الخطوة الثانية : البحث عن العيوب النفسية والأخلاقية ، بمعنى أن يطالع الفرد كتب الأخلاق وأحاديث المعصومين (ع) ، لكي يعرف الصفات السيئة والأفعال المذمومة .

وهذا أمر طبيعي لأن الإنسان إذا لم يعرف عدوه ، فكيف يحاربه ويجاهده .

وقد ورد في الحديث عن الإمام علي (ع) : (العارف من عرف نفسه فاعتقها ونزّهها عن كلّ ما يبعدها).

وينفع هنا مراجعة كتاب (جهاد النفس) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من موسوعة الوسائل والمستدرك ، وكذلك كتاب (القلب السليم) ، و (مرآة الرشاد) ، وتهذيب النفس وآداب العشرة ، ونحوها من كتب الأخلاق والآداب العامة والخاصة .

الخطوة الثالثة : البحث عن العيوب الموجودة فعلاً في النفس (بعد ان يعرف العيوب في الخطوة السابقة) ، فيلاحظ هل هي موجودة فيه أم لا ..

فكل واحد منّا ينبغي ان يبحث عن عيوبه ، سواء كانت عيوبه في نفسه ، أو في علاقته مع الخالق عزوجل ، أو في علاقته مع الآخرين..

وفي الحديث عن النبي (ص) : (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب المؤمنين) .

وكذلك ورد عن الإمام علي (ع): (من عرف نفسه جاهدها) .

والمشكلة التي نعانيها نحن البشر ، أن كل واحد منا يتابع عيوب الآخرين وينسى عيوبه أو يتغافل عنها ، بينما نسمع في الحديث عن الإمام الصادق (ع): (واذكر خطيئتك ، وإياك وخطايا النـاس).

وورد عنه (ع) أيضاً : (إذا رأيتم العبد متفقداً لذنوب الناس ، ناسياً ذنوبه فاعلموا أنه قد مُكِر به) .

أقول : يعني أن نفسه والشيطان قد مكرا به وخدعاه فأشغلاه بعيوب الآخرين عن عيوب نفسه .

بقي أن نشير إلى أن الفرد قد يكتشف عيوب نفسه بنفسه ، وقد يكشفها له شخص آخر، فقد ورد أن المؤمن مرآة المؤمن ..

ومن هنا ينبغي أن لا ننزعج عندما ينتقدنا البعض ، أو يشير إلى وجود عيب فينا ، فإن من ينزعج عندئذ فإنما تأخذه العزة بالإثم ، فيكون خاسرا بطبيعة الحال .

الخطوة الرابعة : الاعتراف بوجود العيوب ، وعدم الإصرار على عدم وجودها (أي انه لايصر على أن العيوب غير موجودة فيه رغم انه يعلم في نفسه انها موجودة فيه)..

فإن كثيرا من الناس من يعلم أن فيه صفة سيئة ، ولكنه يرفض الاعتراف بذلك حتى أمام نفسه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على غروره وتكبره ، وهذا مما لا يرضاه الخالق عز وجل .

وفي الحديث عن الإمام الباقر (ع): (والله ما ينجو من الذنب إلا من أقرّ به) ..

والنجاة المقصودة هنا على مستويين أحدهما دنيوي ، وذلك لأنه إذا اعترف بالذنب فإنه سيحاول الابتعاد عنه وبذلك ينجو منه ..

وثانيهما أخروي ، وذلك لأنه إذا اعترف بالذنب فإن الله تعالى قد يسامحه عليه ، أما إذا لم يعترف به فهذا يعني أنه متجريء والعياذ بالله تعالى ، وبذلك يستحق العقاب مضاعفاً .

وقد قال الإمام الباقر (ع) : (والله ما أراد الله من الناس إلا خصلتين : أن يقروا له بالنعم فيزيدهم ، وبالذنوب فيغفرها لهم) .

الخطوة الخامسة : معالجة العيوب ، والتخلص منها بقدر الإمكان ، وهو ما يسمى بتصفية النفس ، وهذه الخطوة هي أظهر خطوات مجاهدة النفس وأوضحها ، ولكنها ليست الخطوة الوحيدة كما عرفت الآن .

ولعل كتاب (جامع السعادات) من أنفع الكتب العامة والمبسطة إجمالاً في هذا المجال ، فينبغي مراجعته قربة إلى الله تعالى .

الخطوة السادسة : الإصرار على عدم الرجوع إلى تلك العيوب ، فإنه لا يكفي أن يتخلص الإنسان من صفة سيئة ، لأنها قد تعود إليه في وقت لاحق ، وإنما يجب عليه أن يبقى متيقظا ملتفتا حتى لا يصاب بذلك العيب مرة أخرى ..

كما أن الوارد عن المعصومين (ع) أن الاستغفار الحقيقي لا يتحقق إلا مع العزم على عدم العودة إلى ذلك الذنب أو غيره ، وهذا هو ما نعنيه بالخطوة السادسة هنا .

وهنا يحسن الإشارة إلى فكرة مهمة تتعلق بجهاد النفس ، فقد ورد في الحديث عنهم (ع): (موتوا قبل أن تموتوا) .. أي أميتوا شهواتكم النفسية وشياطينكم الذاتية والخارجية قبل ان تنتهي فرصتكم في هذه الحياة ..

فإذا تأملنا جيداً في الحديث الوارد عن الإمام علي (ع) : (جهاد النفس مهر الجنة) ، وتأملنا في قولهم (ع) : (إن لك مراتب لن تنالها إلا بالشهادة)..

فعندئذ سيتحصل أننا أمام حرب طويلة لا هوادة فيها ولا تراجع ..

وهي حرب مفروضة علينا ، ولا يمكن اعتزالها أو الابتعاد عنها ، وليس فيها حالة وسط بين الربح والخسارة ، أو بين النصر والهزيمة..

(قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) الشمس (٩- ١٠) .

وإذا كان الشهيد في ساحات الجهاد الأصغر ، ينال مراتب عالية لا يعلمها إلا الله تعالى ، بمجرد ان يموت بدنه لتنطلق الروح إلى بارئها عزوجل ، فكذلك الشهيد في ساحات الجهاد الأكبر على اختلاف مراتبه ومستوياته ، فإنه سينال مراتب أعلى وأسمى ، بمجرد ان تموت نفسه لتنطلق الروح محلقة في سماوات القدس بملكوتها وجبروتها .

والمقصود بموت النفس هنا هو موت الظلمات والحجب والأمراض النفسانية ،التي يُفترض ان يقتلها الفرد العارف ، بقوة الله تعالى ، وبسيف المعرفة والعمل الخالص قربة إلى الله تعالى ، حتى تعود النفس إلى أصلها صافية نقية مباركة قدسية ، وحينئذٍ فقط تدب فيها الحياة وتتصف بالكشف والتجلي ، فيكون صاحبها واعيا ملتفتاً منتبهاً ينظر بنور الله عز وجل ، وقد ورد في الحديث عن الإمام علي (ع) : (الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا)..

وقد قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) الأنفال- ٢٤

(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاه ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ، كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) الأنعام- ١٢٢ .

ثم إن هذه الشهادة الكبرى التي ذكرناها الآن ، يمكن ان نفهمها من قول الله عز وجل :

(وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) آل عمران (١٦٩ - ١٧٠)

وكذلك قوله تعالى :

(وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) محمد (٤- ٥) .

وأخيراً فلنتأمل جيداً في قوله عز من قائل :

(وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُم مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ، وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً ، وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) النساء(٦٦ - ٦٩) .

فإنه يمكن - بمعنى من المعاني - أن نفهم من (قتل النفس) ما قدّمناه ، ونفهم من (أخرجوا من دياركم) : أخرجوا من متعلقاتكم الدنيوية التي تحرصون عليها ، واخرجوا أنفسكم من صناديق الحجب وموانع الرحمة ، وهاجروا إلى الله الذي خلقكم وهداكم إلى صلاحكم وسعادتكم ..

﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ النساء- ١٠٠

ثم ان مجاهدة النفس لها عدة فوائد ، نذكر منها مايلي :

أ-إن مجاهدة النفس إذا كانت لأجل الله تعالى فهي عمل عبادي مأجور ، وثوابه أعظم من ثواب الجهاد ضد الكافرين ، وقد سمعتَ كيف أن النبي (ص) سماه بالجهاد الأكبر..

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ النازعات(٤٠ - ٤١) .

وقد ورد في الحديث عن الصادق (ع): ﴿ طوبى لمن جاهد في الله نفسه وهواه ﴾ .

ب- إنه من المعروف أن النفس كالمرآة كلما نظفتها أكثر ، كلما كانت الرؤية من خلالها أوضح .. ومن هنا كان جهاد النفس سبباً للهداية الإلهية :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ، لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت- ٦٩ .

جـ - إن تصفية النفس من العيوب تؤدي إلى التكامل سواء من الناحية الدنيوية أو الأخروية ، ولا ريب أن هذا التكامل هو هدف أساسي لكل عاقل ، لأن نتيجته عظيمة إلى أبعد الحدود ، بل أبعد من كل الحدود .. يكفيك أن المتكامل قريب من الله تعالى في دنياه وآخرته ، أما في الدنيا فلأنه يستأنس بخالقه عز وجل في أغلب لحظاته ، وأما في الآخرة فلأنه يكون في أقرب الدرجات والمراتب من الله رب العالمين ، حيث يكون هناك المتكاملون من الأنبياء والأئمة والمعصومون (ع) .

وفي ذلك يقول الإمام علي (ع) : (العارف من عرف نفسه ، فأعتقها ونزّهها عن كل ما يبعدها) .

د- إن مجاهدة النفس والسيطرة عليها ، عندما تكون من أجل الله تعالى كما هو المفروض ، فانها ناتجة من التقوى والورع أمام الخالق عز وجل ، وقد ورد في الحديث عن المعصومين (ع): (من خاف الله ، أخافَ الله منه كل شيء) ..

ومن هنا ورد في الدعاء :

(اللهم اجعلني من جندك ، فإن جندك هم الغالبون ، واجعلني من حزبك فإن حزبك هم المفلحون ، واجعلني من أوليائك فإن أوليائك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

والكلام عن هذه الفائدة الرابعة لطيف ، ولكنه يحتاج إلى مستوى عالٍ من الوعي والإلتفات ، وهو سر لا يمسه إلا المطهرون ، جعلنا الله تعالى منهم .

(إِنَّ الَّـذِينَ قَـالُوا رَبُّنَـا اللَّـهُ ثُـمَّ اسْـتَقَامُوا ، تَتَنَـزَّلُ عَلَـيْهِمُ الْمَلائِكَـةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فصلت- ٣٠.

وفي الحـديث عـن الـنبي (ص) : (إن الله تعـالى يقـول : لا يـؤثر عبـد هـواي علـى هـواه ، إلا اسـتحفظتُه ملائكـتي ، وكفّلـت الـسماوات والأرض رزقه ، وأتته الدنيا وهي راغمة).

هـ- إن مجاهـدة النفس طريـق لمعرفـة الـنفس ، وقـد ورد في الحـديث : (مـن عرف نفسه فقد عرف ربه) ..

وهذا الحديث الجليل له عدة معان ، ما يهمنا الآن منها ، هـو أن مـن عـرف عيوب نفسه فأصلحها ، سوف تكـون نفـسه صـافية وملتفتـة ، وعندئـذٍ سوف يكون مستعداً لقبول المعارف الربانية .

حيث ورد عن الإمـام علي (ع) : (مـن عـرف نفسه ، فقـد انتهـى إلى غايـة كل معرفة وعلمٍ) .

وقد ورد في القرآن الكريم :

(سَـنُرِيهِمْ آيَاتِنَـا فِـي الآفَـاقِ وَفِـي أَنْفُـسِهِمْ ..حَتَّـى يَتَبَـيَّنَ لَهُـمْ أَنَّـهُ الْحَـقُّ) فصلت- ٥٣ .

إن من يجاهد نفسه ، سـوف يكـون علـى بينـة مـن أمرهـا ، وسـيدرك مـواطن ضعفها فيركز عليها ، ويدرك مواطن قوتها فيحذر منها ..

وعندئذ سيكون بعيداً عن الهلكة ، قريباً من رب العالمين ..

وقـد جـاء في الحكمـة : (رحـم الله مـن عـرف قـدر نفـسه ، حتـى لا يوردهـا موارد الهلكة).

وفي مستدرك الوسائل نقلاً عن عوالي اللآلي : أنه دخل على النبي (ص) رجل فسأله : يا رسول الله كيف الطريق إلى معرفة الحق ؟ فقال (ص) : (معرفة النفس) ، فقال : يا رسول الله، فكيف الطريق إلى موافقة الحق ، فقال (ص) : (مخالفة النفس) ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى رضاء الحق ؟ فقال (ص) : (سخط النفس) ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى وصل الحق ؟ فقال (ص) : (هجرة النفس) ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى طاعة الحق ؟ قال (ص) : (عصيان النفس) ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذكر الحق، فقال (ص) : (نسيان النفس)، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى قرب الحق، قال (ص) : (التباعد عن النفس) ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق الى أُنس الحق؟ قال (ص) : (الوحشة من النفس) ، فقال : يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذلك ، قال(ص) : (الاستعانة بالحق على النفس) .

أقول : هذا حديث جامع وعميق ، فتدبر فيه .

ثم ان الله تعالى يقول :

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) الحج- ٧٨

وقد ذكرنا في شرح زيارة أمين الله ان لكل شيء حق ، وهو جوهره وأصله ، وأعمق مراتبه ، وغاية أمره ..

فهناك حق اليقين ، وحق الإيمان ، وحق التقوى ، وحق الجهاد أيضاً ..

ولئن كان أهل المعرفة قد ساروا في درب الجهاد في الله أو في سبيل الله ، فإن القليل منهم من نال مرتبة حق الجهاد ، لأن حق الجهاد معناه ببساطة

أن فهم الفرد وكذلك عمله يكون تاماً ومتكاملاً من جميع الجهات ، وعلى جميع المستويات ، بحيث انه وصل إلى الغاية القصوى ، وهذا مما يصعب تحصيله إلا لذوي المقامات العالية ، من المخلِصين المخلَصين الذين لو كُشِفَ لهم الحجاب لما ازدادوا يقيناً ، لأنهم اخترقوا جميع الحجب ، وحصلت لهم الحياة الحضورية التامة ، وتحققت عندهم التجليات التي اندكت لها الجبال .

بقي ان نشير إلى ما ذكرناه في (طريقك نحو الجنة) حيث قلنا ان مجاهدة النفس لاتعني التصوف وترك الدنيا كما يتصوره البعض ، فان لجهاد النفس مراتب ودرجات عديدة ، يستطيع كل واحد منا ان يحتل المرتبة التي تناسب مستواه الحالي ، وظرفه الحياتي أو الاجتماعي ..

فالإنسان المتفرغ مثلاً يستطيع ان يجاهد نفسه ويروضها ضمن مراتب عالية أو شديدة اذا كان مستواه العام يتحمل ذلك ..

كما ان الإنسان الذي لديه مهنة أو عمل يستطيع ان يجاهد نفسه ويروضها بالأمور التي يتعرض لها عمله ، فيقهر نفسه بالصبر والتواضع وحسن الأخلاق ومساعدة الآخرين ونحو ذلك ..

وكذلك الزوجة تستطيع ان تجاهد نفسها بمداراة زوجها وأطفالها ، وتقهر نفسها اذا عاندتها في ذلك ، وقد ورد ان (جهاد المرأة في حسن التبعل).. وهكذا فان لكل شخص موارد خاصة ، يجاهد نفسه من خلالها ، بحيث لايقصّر بذلك في أداء مسئولياته الواجبة أو المستحبة ، ولو بالعناوين الثانوية (كعنوان الإحسان أو الإيثار أو الرفق أو نحو ذلك) ..

نعم اذا استطاع ضبط نفسه وتطويعها في مجال حياته الأصلي ، جاز له ان يعبر إلى المجالات الأخرى .
ولذلك تجد ان المعصومين(ع) متكاملون في بيوتهم ، ومع عوائلهم ، ومع الناس ، بل وحتى مع سائر المخلوقات ، بالإضافة طبعاً إلى تكاملهم الأساسي مع الله تعالى .
وقد ذكرنا في (شرح زيارة أمين الله) ان ساحات الجهاد كثيرة ومتنوعة ، ولكل مؤمن جهاده الخاص ومعركته الخاصة ، على حسب وضعه وقابلياته ومسئولياته ، ودوره الفعلي في الحياة ..
فجهاد المرأة في بيتها مع زوجها وأطفالها ، وجهاد العالم في ميادين الفكر والبراهين ، وجهاد السياسي في كيفية حماية أرضه وأمته ..
وهكذا فإن لكل منهم ثوابه وأجره ومنزلته على قدر مجاهدته ، وبمقدار جهده ومشقته ، مادام عمله وجهاده هذا مشروعاً ، وفي ذلك يقول الله تعالى :
(لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا مَا آتَاهَا) الطلاق- ٧

إيثـار رضـا الله تعالى
على رضـا النفس

فان من آثـر أمـــر البـــاري

على هـواه كـــان في قـــرارِ

يقول الله تعالى :

(أُوْلَـئِكَ الَّـذِينَ اشْـتَرُوُاْ الـضَّلاَلَةَ بِالْهُـدَى فَمَـا رَبِحَـت تِّجَـارَتُهُمْ وَمَـا كَـانُواْ مُهْتَدِينَ) البقرة- ١٦

(أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى ، وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ، فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) البقرة- ١٧٥

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ ، فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ) البقرة- ٨٦

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من عرضت له دنيا وآخرة ، فاختـار الـدنيا وترك الآخرة ، لقي الله وليست له حسنة يتقي بها النار ، ومـن اخـذ الآخـرة وترك الدنيا لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض) .

وعن الإمام الباقر (ع) : (ان الله تعالى يقـول لايـؤثر عبـد هـواي على هـواه في شيء من أمر الدنيا ، إلا جعلت غناه في نفسه ، وهمته في آخرته) .

وفي حـديث آخـر : (لا يؤثـــر عبـد هـواي علـى هـواه ، إلا استحفظتــه ملائكتي ، وكفلت السماوات والارضين رزقه) ..

وفي رواية أخرى (... وأتته الدنيا وهي راغمة) .

وفي الحقيقة فان ايثار رضا الله تعالى على رضا النفس وهواها ، يعتمد على مجاهدة النفس وتهذيبها ، وكلما كانت السيطرة على النفس أكثر كلما كانت المهمة أيسر ، بل قد يصل البعض إلى مرتبة لا يحتاج فيها إيثاره واختياره رضا الله تعالى إلى تكلف وجهد ، لأنه صار ملكة عنده ، وصفة راسخة لديه ، والتوفيق بيد الله تعالى على أية حال .

ثم ان ايثار رضا الله على رضا النفس وهواها ، قد يكون في مورد من موارد العلاقة بالله تعالى كما لو تكاسلت نفسه عن النوافل والمستحبات ، مع انه يعلم ان رضا الله في التقرب إليه بكل ماهو ممكن ، فالمفروض انه يؤثر رضا الله تعالى على رضا نفسه ..

وقد يكون في مورد من موارد العلاقة مع الآخرين ، كما لو تكاسل عن صلة الرحم أو كانت نفسه تدعوه إلى المقاطعة ، فالمفروض ان يؤثر طاعة الله ورضاه على هوى نفسه ..

وهكذا فان ايثار رضا الله تعالى على رضا النفس له عدة موارد ، فينبغي الإلتفات إليها قربة إلى الله تعالى .

إيثـار رضـا الله تعالى

على رضا المخلوق

وإنّ من عـــلامـة الـمنــافـق

طاعته المخلوق دون الخالـــق

يقول الله تعالى :

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً) الإنسان- ٢٤

(وَلاتُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)

الكهف - ٢٨

وذم طائفة من خلقه بقوله عزوجل :

(يَـوْمَ تُقَلَّـبُ وُجُـوهُهُمْ فِـي النَّـارِ ، يَقُولُـونَ يَـا لَيْتَنَـا أَطَعْنَـا اللَّـهَ وَأَطَعْنَـا الرَّسُـــولا ، وَقَـالُوا رَبَّنَـا إِنَّـا أَطَعْنَـا سَـادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَـا فَأَضَـلُّونَا الـسَّبِيلا)

الأحزاب(٦٦-٦٧)

وفي تحف العقـول عـن الـنبي (ص) : (مـن طلـب رضـا مخـلوق بـسخط الخـالـق ، سلط الله عزوجل عليه ذلك المخلوق) .

وفي الحديث عنه (ص) أيضاً : (لاتسخطوا الله برضـى أحد مـن خلقــه ، ولا تتقربوا إلى أحد من الخلق بتباعد مـن الله عزوجـل ، فـان الله لـيس بينه وبين أحد من الخلق شيء يعطيه به خيراً ويصرف به عنه سوءاً ، إلا بطاعته وابتغاء مرضاته) .

وفي دعـائم الإسـلام عـن الإمـام علـي (ع) : (لاطاعـة لمخلـوق في معـصية الخالق) ..

وعنـه (ع) أيـضاً : (مـا أعظـــم وزر مـن طلـب رضـا المخلوقيــن بـسخط الخالــق) .
وفي فـصل (عـدم الـشرك بـالله تعـالى) مـر علينـا أن مـن أطـاع رجـلاً في معصيته فقد عبدَه ، وهو شرك الطاعة .
وورد عـن الإمـام الحسين (ع) : (ان مـن طلـب رضـا الله بـسخط النـاس ، كفاه الله أمور الناس ، ومن طلـب رضـا النـاس بـسخط الله ، وكلـه الله إلى الناس).
وفي مـستدرك الوسـائل ان الإمـام زيـن العابـدين (ع) قـال للخطيـب الـذي أصـعده يزيـد الملعـون علـى المنـبر ، وأكثـر الوقيعـة في علـي والحـسين (ع) : (ويلـك أيهـا الخاطـب ، اشـتريت مرضـاة المخلـوقين بـسخط الخـالق ، فتبـوّء مقعـدك من النار) .
وفي الحـديث عــن الــصادق (ع) : (ان مــن الــيقين ان لا تُرضـــوا النــاس بسخـط الله عزوجل) .

ثم اننا ذكرنا في (فلسفة الأحكام الـشرعية) أنه اذا دار الأمـر بـين أن يظهـر الفرد معيبا أمام خالقه تعالى ، أو ان يظهر معيباً أمام الناس ، فـان المفـروض بـل الواجـب عندئـذ هـو الاعتنـاء بـالمظهر أمـام الله تعـالى ، لأنـه في الحقيقـة المالــك لكــل شــيء ، وبيـده أسـباب الـسماوات والأرض ، ولـذلك فإنــه الوحيد الذي يستحق (أولاً و أخيراً) أن نظهر أمامه بالمنظر اللائق ..
وقد نُقل عن الإمام الحسين (ع) في واقعة كربلاء قوله :
الموت أولى من ركوب العار والعـار أولى من دخول النار

ثم إنه من جهة أخرى ، نعرف جميعا أن رضا الناس لا يـــدرك ، وفوق ذلك فإن فائدته - إن حصل نادراً - هي فائدة ثانوية ، وليس له قيمـــة أمـام رضا رب العالمين ..

بل قد لا يكون مفيداً أصلاً ، أو قد يكون رضاهم ضاراً اذا كان على حساب رضا الله تعالى ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

ثم إنني أفهم من القول الوارد (من راقب الناس مات همـاً) ، أن مـن كان يعتني بآراء الناس فيه ، ويراقبهم من هذه الناحية ، فإنـه سيتعب ويموت هماً ، لأنه لن يجد منهم غايته.

نعم نحن مأمورون (شرعاً وأخلاقاً) بمداراة الناس وحسن معاشرتهم .. وسيأتي الحديث عن ذلك في فصل خاص .

إصلاح النفس
وتعديلها عند ميلها إلى الإنحراف

فـأصلحِ النفس اذا ما مـالت

واقصر بها عن غيّها إن طالت

حيث يقول الله تعالى :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) الشمس (٧- ١٠)

(وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) القيامة- ٢

وفي الميزان ان المراد بالنفس اللوامة نفس المؤمن التي تلومه في الدنيا على المعصية والتثاقل في الطاعة ، وتنفعه يوم القيامة .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته ، ومن عمل لدينه كفاه الله دنياه ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (من أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له دنياه) .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (إقصر نفسك عما يضرها من قبل ان تفارقك ، واسعَ في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك ، فان نفسك رهينة بعملك) .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين (ع) : (ان تسويل النفس يقحم على الشهوة ، وان العوج يميل بصاحبه ميلاً عظيماً) .

وفيـه أيـضاً عنـه (ع) : (مـن لم يعـذل نفـسه في الـشهوات ، خـاض في الخبيثـات).

وعـن الإمـام الـصادق (ع) : (احمـل نفـسك لنفـسك ، فـان لم تفعـل لم يحملك غيرك) .

والكلام على أية حال مرتبط بما مر في مجاهدة النفس ، وايثار رضا الله تعالى ..

وسيأتي الحديث عن محاسبة النفس ، واستصغارها لأجل تهذيبها ..

كما سيأتي الحديث عن مخالفة الهوى ، وتغليب العقل على الشهوة ، ومراقبة النفس خوفاً من الزلل .

مراعاة حكم العقـل
وإستماع صوت الحكمـة

والعقل للمؤمن أبهــى دليــل

فاسمعه ، وامنع عنه أي تسويـل

يقول الله تعالى واصفاً أصحاب النار :

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) الملك- ١٠

وفي الحـديث عـن الإمـام الكـاظم (ع) : (ان الله تعـالى بـشر أهـل العقـل والفهم في كتابه بقوله (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ) .

وعن الإمام الصادق (ع) : (العقل دليل المؤمن) .

وعنه (ع) : (من كان عاقلاً كان له دين ، ومن كان له دين دخل الجنة) .

وفي الحـديث أيـضاً عـن الإمـام الـصادق (ع) ان : (العقـل مـا عُبـد بـه الرحمن ، واكتُسب به الجنان) .

وعن الإمام الرضا (ع) : (صديق كل امريء عقله ، وعدوه جهله) .

وفي حديث طويل عن الإمام الكاظم (ع) : (ان لله على الناس حجتين ، حجة ظاهرة وحجة باطنة ، فاما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (ع) ، واما الباطنة فالعقول) .

وقد مر الحديث عن التعقل والفهم ، والوعي والإلتفات ، وتدبر العواقب قبل الخوض في الأمور .

وفي هـذا الفـصل نؤكـد علـى أهميـة بـل ضـرورة مراعـاة حكـم العقـل والاستماع إليه والأخذ به ، فانه الطريق لتحصيل الحكمة العملية علاوة على الحكمة النظرية .

ثم انه ينبغي للعاقل ان يحذر من دوامة الجهل المركب ، فقد يكون الفرد جاهلاً وهو يجهل بأنه جاهل ، بل على العكس من ذلك هو يتصور أنه عالم ، وانه هو صاحب الحق والهداية ، وهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله تعالى :

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) الكهف(١٠٣- ١٠٤).

(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) الزخرف(٣٦-٣٧) .

وفي (معالم التكامل للمعرفة العامة) ذكرنا انه توجد أمور قد تؤثر سلبياً على الإدراك ..

ومن هذه التأثيرات : الغرور والعجب والغضب وهوى النفس ، فإنها تؤثر سلباً على تفكير الإنسان وعقله ، وتؤدي به إلى الخطأ والانحراف عن طريق الحق والحكمة ..

وقد ورد في الدعاء : (الهي قلبي محجوب ، وعقلي مغلوب ، وهوائي غالب) .

ومن هذه التأثيرات أيضاً فساد المحيط ، وسوء التربية ، حيث يقول الله تعالى على لسان نبيه نوح (ع) :

(رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ، إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِراً كَفَّاراً) نوح(٢٦-٢٧) .

فالمفروض بكل إنسان ان يكون واعياً وملتفتاً ، وان يكون على حذر وحيطة من أمثال هذه التأثيرات السلبية على التفكير وحكم العقل .
وفي الحقيقة فانه يوجد نوعان من الأحكام العقلية ، حيث أن بعضها يكون شخصياً ، وبعضها الآخر يكون نوعياً ..
وغالباً ما تطرأ التأثيرات السلبية على الأشخاص ، ولذلك ترى أشخاصاً يعتقدون (لسببٍ ما يرجع إلى التأثيرات السلبية) ان الغش أو الكذب مثلاً مما لامانع منه ، رغم ان اغلب العقلاء على اختلاف أجناسهم وأديانهم يعتقدون أنهما قبيحان ولا ينبغي فعلهما .

وتجدر الإشارة إلى أن كل شخص يستطيع - بفضل الله وتوفيقه - ان يتخلص (ولو إجمالاً) من التأثيرات السلبية ، اذا طهر نفسه وهذبها ، وأحسن السيطرة عليها ، واجتنب وساوس الشيطان ، وبات في حذر من مكائده ، واخذ مباديء المعرفة وتفاصيلها من المصادر الموثوقة ، وهم النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) من أهل بيته (ع) (انظر فصل ولاية أولياء الله) .
وتنفع كذلك مشاورة العقلاء الصالحين ، حيث ورد في الحديث عن النبي (ص): (مشاورة العاقل الناصح رشد ويُمن وتوفيق من الله) .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (من شاور الرجال شاركها في عقولها)، وعنه (ع) أيضاً : (شاور في حديثك الذين يخافون الله) .
ولنختم كلامنا بما ورد عن الإمام الصادق (ع) : (من لم يكن له واعظ من قلبه ، وزاجر من نفسه ، ولم يكن له قرين مرشد ، استمكن عدوه من عنقه) .

مخالفة الهوى الذي يتعارض مع الشرع والعقل

ولا تطع أهواء نفس قـــاصرة

واقبِـض عليها بأكف ٍ صـــابـرة

يقول الله تعالى :

(فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ، وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى ، فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) ص-٢٦

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ) القصص- ٥٠

(فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ) النساء- ١٣٥

وفي مناجاة الشاكين للإمام السجاد (ع) : (إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمارة ، والى الخطيئة مبادرة ، وبمعاصيك مولعة ، ولسخطك متعرضة ، تسلك بي مسالك المهالك ، وتجعلني عندك أهون هالك ، كثيرة العلل طويلة الأمل ، ان مسها الشر تجزع ، وان مسها الخير تمنع ، ميّالة إلى اللعب واللهو ، مملوءة بالغفلة والسهو ، تسرع بي إلى الحوبة ، وتسوفني بالتوبة) .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (إنما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل ، اما إتباع الهوى فانه يصد عن الحق ، واما طول الأمل فينسي الآخرة) .

وسيأتي الحديث عن طول الأمل ومخاطره .

وعن الإمام الصادق (ع) : (احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم ، فليس شيء أعدى للرجال من إتباع أهوائهم) .

وفي الحديث عن الإمام الكاظم (ع) : (لاتدع النفس وهواها ، فان هواها في رداها ، وترك النفس وما تهوى أذاها ، وكف النفس عما تهوى دواؤها) .
ولايخفى ان المطلب هنا مرتبط بالفصول السابقة التي تحدثنا فيها عن مجاهدة النفس ، واصلاحها ، وايثار رضا الله تعالى ، والاستماع إلى حكم العقل .

ثم ان الهوى (هوى النفس) قد يتعلق بأمر محرم كاستماع الغناء أو مشاهدة المحرمات أو الغيبة ، وقد يتعلق بأمر مكروه أو مرجوح ككثرة الأكل وكثرة النوم ونحوهما ..
أو لنقل - على مستوى آخر - أن هوى النفس قد يتعلق بأمور مضرة وغير صحيحة ، أو بأمور عبثية ، من قبيل حب التدخين فانه مضر ، أو من قبيل حب المغامرة ، أو تضييع الوقت الطويل في أمور فارغة بدون مبرر منطقي وبدون سبب عقلائي ..
فالمفروض في جميع هذه الأحوال عدم إتباع مثل هذه الأهواء ، سواء كان الأمر متعلقاً بالله تعالى ، أو متعلقاً بالنفس ، أو متعلقاً بالآخرين .
فاذا مالت نفسه واشتهت الغناء مثلاً ردّها ولم يطعها ، لان الغناء حرام..
واذا مالت نفسه واشتهت التدخين أو الطعام الزائد مثلاً ردها ولم يُطعها ، لان مثل هذه الأمور مضرة وتسبب آثار ونتائج سلبية ..
واذا مالت نفسه واشتهت الغيبة أو الأذى للآخرين ردّها ولم يُطعها ، لأن الغيبة وإيذاء الآخرين حرام شرعاً .. وهكذا .
وقد قال الله تعالى :

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)
النازعات(٤٠- ٤١) .
وسيأتي مايرتبط بالمقام في الفصول القادمة .

بقي ان نشير إلى ان من نعم الله تعالى على الإنسان ان تهوى نفسه الصلاح والخير والهداية ، وقد قال الله تعالى :
(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ .. أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) الحجرات- ٧
وفي الدعاء : (اجعل هواي في تقواك) ..
وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (ان الله اذا أراد بعبد خيراً ، طيب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه ، ولا منكراً إلا أنكره ، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره) .
ولا يخفى ان هذه الحالة أوالمرتبة تحتاج إلى مجاهدة وارتباط مع الله تعالى ، والتوفيق من الله تعالى على أية حال .

غلبة (سيطرة) العقل على الأهواء والشهوات

والعقل إن أصبح فوق الشهوةِ

فـــإنها عـلامــة للصـفــوةِ

يقول الله تعالى :

(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ) الأنفال- ٢٢

(قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ ، قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ) الأنعام- ٥٦

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها مخافة الله عزوجل ، حرم الله عليه النار ، وآمنه من الفزع الأكبر) .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (من لم يعط نفسه شهوتها ، أصاب رشده) .

وعنه (ع) أيضاً : (قاتل هواك بعقلك ، تسلم لك المودة وتظهر لك المحبة).

وفي الحديث المشهور عنه (ع) : (ان الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وركب في البهائم شهوة بلا عقل ، وركب في بني ادم كليهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم) .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (انك قد جُعلت طبيب نفسك ، وبُيِّن لك الداء ، وعُرِّفت آية الصحة ، ودُللت على الدواء ، فانظر كيف قيامك على نفسك) .

فالمفروض ان يكون الإنسان على حذر مستمر وحيطة دائمة ، وان يجعل عقله حاكماً على غرائزه وعواطفه وشهواته وأهوائه ورغباته .

وقد مر في فصل سابق انه ينبغي تدبر عواقب الأمور قبل الخوض فيها .
فقد ورد عن الإمام علي (ع) : (كم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً) .
وعن الإمام الباقر (ع) : (الجنة محفوفة بالمكاره والصبر ، فمن صبر على المكاره في الدنيا ، دخل الجنة ، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات ، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار) .
والكلام مرتبط - كما لايخفى - بالفصول السابقة ، فينبغي المراجعة .

ويحسن في المقام ان نشير إلى ما ورد عن النبي (ص) بما مؤداه :
ان العاقل ينظم وقته ويومه ، بحيث تكون له ساعة يناجي فيها ربه ..
وساعة يحاسب فيها نفسه ..
وساعة يتفكر فيها ..
وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال ، فان هذه الساعة عون لتلك الساعات ، واستجمام للقلوب ، وتفريغ لها .
وسيأتي الحديث عن المحاسبة والمراقبة .

إستصغار النفس لتأديبها

واستصغر النـفس لتـأديـبها

فـــإنه مفتاح تهـــذيبـــها

يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) التحريم- ٦

(فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ) النجم- ٣٢

وفي سورة يوسف (ع) :

(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ) يوسف- ٥٣

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (تولوا من أنفسكم تأديبها) .

وعنه (ع) أيضاً : (اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله) .

وفي جامع السعادات عن الإمام الصادق (ع):(من أعجب بنفسه وفعله ، فقد ضل عن نهج الرشاد) .

وعن الإمام الهادي (ع) : (من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه) .

وسيأتي الحديث عن محاسبة النفس ومراقبتها ومعاتبتها ، وعن التواضع والاعتراف بالتقصير ، كما سيأتي الحديث عن العجب والتكبر والغرور ..

والموضوع مرتبط بما تقدم في جهاد النفس وإصلاحها والسيطرة عليها ، وبما سيأتي في فصل مراقبة النفس ومحاسبتها .

وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (ان رجلاً في بني إسرائيل عبدَ الله أربعين سنة ، ثم قرب قرباناً فلم يُقبل منه فقال لنفسه : ما أتيت إلا منك ، وما الذنب إلا لك ، فأوحى الله عز وجل إليه : ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة) ..

بتقريب ان الإنسان اذا ذم نفسه ، فقد نسب التقصير أو القصور إليه ، وهذا الإقرار والاعتراف أول الطريق إلى التكامل والكمال ، لان المفروض انه سيسعى عندئذ إلى الإصلاح ورفع الموانع والحجب ودفع النواقص ، بعد التوكل على الله تعالى .

ويؤيد هذا المعنى ماورد عن النبي (ص) : (من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة) .

بناء على ان المقصود هو مقت النفس الأمارة بالسوء ، أو مقت النفس اذا أقدمت على السوء ، سواء كانت سيئته أو ذنبه بينه وبين الخالق عزوجل ، أو بينه وبين نفسه ، أو بينه وبين الآخرين ، وان كان الله تعالى هو الولي والرقيب والحاكم والمُجازي في جميع الأحوال ..

وقد قال الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ) غافر- ١٠

وسيأتي الحديث عن محاسبة النفس ، ومعاتبتها ، ومؤاخذتها .

وفي الحقيقة فانه ينفع في مقام استصغار النفس لتأديبها ، قراءة مناجاة الإمام علي (ع) المشهورة الواردة ضمن أعمال مسجد الكوفة وفيها : (مولاي يا مولاي أنت المولى وأنا العبد ، وهل يرحم العبد إلا المولى ، مولاي يا مولاي أنت المالك وأنا المملوك ، وهل يرحم المملوك إلا المالك) .

محاسبة النفس

وفي الحديث (حاسبوا أنفسكم)

كيف قضيتم يومكم وأمسكم

يقول الله تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) الحشر- ١٨
(اقْرَأْ كِتَابَكَ .. كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) الإسراء- ١٤
(بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) القيامة (١٤- ١٥)
(وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) القيامة- ٢
(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ) البقرة- ٤٤

وفي الحديث عن النبي (ص):(حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوها قبل ان توزنوا) .

وعنه (ص) أيضاً : (الكيّس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت) .

وعن أبي ذر عن النبي (ص) : (على العاقل مالم يكن مغلوباً ان تكون له ساعات ، ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها صنع الله إليه ، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال ، فان هذه الساعة عون لتلك الساعات ، واستجمام للقلوب وتفريغ لها) .

وفي الوسائل ذكر عن النبي (ص) : (حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوها قبل ان توزنوا ، وتجهزوا للعرض الأكبر) .

وعنه (ص) أيضاً : (لا يكون العبد مؤمناً حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه ، والسيد عبده) .

وفي وصية النبي (ص) انه قال : (يا أبا ذر حاسب نفسك قبل ان تحاسب فانه أهون لحسابك غداً ، وزن نفسك قبل أن توزن ، وتجهز للعرض الأكبر

يوم تعرض لاتخفى على الله خافية .. (إلى أن قال) .. ياأبا ذر لايكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه ، فيعلم من أين مطعمه ، ومن أين مشربه ، ومن أين ملبسه ، أمن حلال أومن حرام .. يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال ، لم يبال الله من أين أدخله النار).

وفي تفسير الإمام الحسن بن علي العسكري (ع) ، عن آبائه (ع) ، عن علي (ع) ، عن النبي (ص) قال : أكيس الكيسين من حاسب نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، فقال رجل : ياأمير المؤمنين كيف يحاسب نفسه ؟ قال : إذا أصبح ثم أمسى رجع إلى نفسه ، وقال : يانفسي إن هذا يوم مضى عليك لايعود إليك أبداً ، والله يسألك عنه بما أفنيته ، فما الذي عملت فيه ، أذكرت الله أم حمدته ، أقضيت حوائج مؤمن فيه ، أنّفست عنه كربة ، أحفظته في أهله وولده ، أحفظته بعد الموت في مخلفيه ، أكففت عن غيبة أخ مؤمن ، أعنت مسلماً ، مالذي صنعت فيه ؟ .. فيذكر ما كان منه ، فان ذكر انه جرى منه خير ، حمد الله وكبّره على توفيقه ، وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله وعزم على ترك معاودته .

ومما ورد عن الإمام علي (ع) : (من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن خاف أمن ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم) .

وورد عن الإمام السجاد (ع) : (انك لاتزال بخير ، ما كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة من همك ، وما كان الخوف لك شعاراً ، والحزن لك دثاراً) .

وفي الحديث عن الإمام الكاظم (ع) : (ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فان عمل حسناً إستزاد الله ، وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه) .

وقد مر في الفصول السابقة ما يرتبط بالمقام ، خصوصاً في فصل مجاهدة النفس ، وكذلك مر الحديث عن ذكر الله ومراقبته في جميع الأحوال .
وسيأتي الحديث عن مراقبة النفس خوفاً من الزلل ، ومعاتبتها اذا قصرت أو أخطأت .

وفي مطالعات عرفانية ذكرنا ان المحاسبة مهمة باعتبارها مقدمة للإصلاح والتكامل ، وكذلك باعتبارها من لوازم المراقبة ، وينبغي ان تكون هذه المحاسبة شاملة وصادقة في الوقت نفسه ، وان تكون ايجابية بمعنى انها تقدم الفرد نحو الأمام ..
وسيأتي الحديث عن معاتبة النفس ومؤاخذتها بعد صدور الجناية أو الخطأ أو التقصير .
كما سيأتي ما يرتبط بالمحاسبة أيضاً عند الحديث عن (الإعتراف بالأخطاء والذنوب) .

مراقبـة النفـس
خوفـاً من الزلـل

فاحرص على نفسك بالمراقبـة

وقـوِّم الأخطـاء بالـمعاتبـة

يقول الله تعالى :

(وَالَّـذِينَ إِذَا فَعَلُـواْ فَاحِـشَةً أَوْ ظَلَمُـواْ أَنْفُـسَهُمْ ، ذَكَـرُواْ اللّـهَ فَاسْـتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِــمْ) آل عمران- ١٣٥

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ) الأعراف- ٢٠١

(بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) القيامة- ١٤

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (انك قد جُعلت طبيب نفسك ، وبُيِّن لك الداء ، وعُرِّفت آية الصحة ، ودُللت على الدواء ، فانظر كيف قيامك على نفسك) .

وعنه (ع) أيضاً : (اجعل قلبك قريباً براً ، أو ولداً واصلاً ، واجعل عملك والداً تتبعه ، واجعل نفسك عدواً تجاهده) .

وقد مرت في الفصول السابقة أحاديث كثيرة مرتبطة بالمقام ، فينبغي مراجعتها للفائدة ، كما سبق الحديث عن مراقبـة الله تعالى وذكره على كل حال .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (ما كان عبدٌ ليحبس نفسه على الله ، إلا أدخله الله الجنة) .

وروي عن الإمام علي (ع) : (رحم الله أمرء ألجم نفسه عن معاصي الله بلجامها ، وقادها إلى طاعة الله بزمامها) .

وفي جامع السعادات ذكر ما مضمونه انه ينبغي ان يشارط الإنسان نفسه ويأخذ منها العهد والميثاق في كل يوم وليلة مرة أن لايرتكب المعاصي ، ولايصدر منها شيء يوجب سخط الله تعالى ، ولايقصر في شيء من الطاعات الواجبة ، ولا يترك ما تيسر له من الخيرات والنوافل ، ويعبًّر عن كل ذلك بالمشارطة .

ثم يراقب الفرد نفسه عند الخوض في الأعمال ، وكذلك يراقب الله تعالى (كما وضحناه في فصل سابق) .

وفي مجمع البحرين ذكر المراقبة (وهي أن يحفظ ظاهره وباطنه ، لئلا يصدر عنه شيء يبطل حسناته التي عملها ، وذلك ان يلاحظ أحوال نفسه دائماً لئلا يقدم على معصية) .

وفي كتابنا (مطالعات عرفانية) ان أهم سلاح في السلوك ، هو المراقبة (والحذر والانتباه) ، وهي مختلفة المستويات بحسب المراتب والأحوال ، وهي مدام (شراب) السالكين ، لانها تقرّبهم من معشوقهم ، وتذكّرهم بمعبودهم الخالق الأحد ..

والمفروض انها من الأحوال الدائمية للفرد عموماً ، وللسالك خصوصاً .

ثم انهم ذكروا انه ينبغي أيضاً معاتبة النفس ومؤاخذتها اذا أخطأت أو قصرت ..

وفي مطالعات عرفانية انه يفترض بالمؤاخذة هنا ان تكون ايجابية ، وفي حدود الشريعة ، فان الظالم لايُظلم كما هو معلوم .

وقد مر الحديث عن إصلاح النفس ، واستصغارها لتأديبها ، كما مر في الفصل السابق الحديث عن محاسبة النفس ..
وقد مر مايرتبط بالمقام عموماً عند الحديث عن مجاهدة النفس .
وفي جامع السعادات ذكر ان المشارطة والمراقبة والمحاسبة والمؤاخذة يجمعها عنوان المرابطة .
وقد قال الله تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)
آل عمران- ٢٠٠
(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً)الكهف- ٢٨

وفي مجمع البحرين ان المرابطة تسد طريق الشيطان عن النفس ، وتمنعها عن الشهوات ، وهو الجهاد الأكبر ، لما فيه من قهر أعدى عدو الله .

ولابأس ان نختم كلامنا الآن برواية وجدتها في مستدرك الوسائل عن الإمام الحسن العسكري (ع) عن آبائه (ع) عن أمير المؤمنين (ع) قال :
(ثم أقبل أمير المؤمنين (ع) ، على نفسه يعاتبها ويقول : أيّها المناجي ربه بأنواع الكلام ، والطالب منه مسكناً في دار السلام ، والمسوّف بالتوبة عاماً بعد عام ، ما أراك منصفاً لنفسك من بين الأنام ، فلو دافعت نومك يا غافلاً بالقيام ، وقطعت يومك بالصيام ، واقتصرت على القليل من لعق الطعام ، وأحييت ليلك مجتهداً بالقيام ، كنت أحرى أن تنال أشرف المقام ،

أيتها النفس أخلطي ليلك ونهارك بالذاكرين ، لعلك أن تسكني رياض الخلد مع المتقين ، وتشبهي بنفوس قد أقرح السهر رقة جفونها ، ودامت في الخلوات شدة حنينها ، وأبكى المستمعين عولة أنينها ، وألان قسوة الضمائر ضجة رنينها ، فإنها نفوس قد باعت زينة الدنيا ، وآثرت الآخرة على الأولى، أولئك وفد الكرامة يوم يخسر فيه المبطلون ، ويحشر إلى ربهم بالحسنى والسرور المتقون) .

الخـوف مـن الله

(الـخشيــة)

وإن من خـاف مـقـام ربــــهِ

فخوفُــه يـــحجزه عــن ذنبــهِ

حيث يقول الله تعالى :

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) النازعات (٤٠- ٤١) .

(إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يونس- ١٥

(وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ ، فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) النور- ٥٢

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (من علم ان الله يراه ويسمع ما يقول ، ويعلم ما يعمله من خير أو شر ، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال ، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) .

وورد عنه (ع) أيضاً : (خف الله كأنك تراه ، وان كنت لا تراه فانه يراك).

وفي حديث أخر عنهم (ع) : (من عرف الله خاف الله ، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا) .

وورد كذلك : (ان من العبادة شدة الخوف من الله عزوجل) ..

وقد ذكرنا في (شرح زيارة أمين الله) :

ان خشية الله هي مبدأ أساسي في حياة الإنسان ، وهي انما تدل على مقدار التعلّق بالله ، سواء كان هذا التعلّق لأجل الرغبة في الجنة ، أو الرهبة من النار ، أو الرغبة في رضا الله و قربه ، أو الرهبة من سخط الله و بُعده ، أو

لأجـل الله تعـالى حبـاً محـضاً وشـوقاً صـافياً وعبوديـة خالـصة ، ومـن غـير ملاحظة أي شيء آخر .

ثـم أنـه ينبغـي ان يكـون الخـوف مـن الله تعـالى إيجابيـاً ، بمعنـى أنـه يقــدم الإنسـان ويرفعه في درجات التكامل ..
واما إذا كـان خوفـه سـلبياً كـأن يقـوده إلى الوسـواس أو اليـأس أو القنـوط والعياذ بالله تعالى ، فهـذا الخـوف لـيس في محلـه ، وهـو مرجـوح بـل مـذموم عندئذ .
ففـي بعـض الأخبـار مـا مـضمونه ان رجـلاً اعتـزل النـاس وأتلــف نفـسـه وعقلـه حزناً على ذنب اقترفه ، فمر به الإمام السجاد (ع) وقال له :
(انا عليك من يأسك من رحمة الله ، أشد خوفاً مني عليك مما أتيت) .
فالمفروض ان يحذر الإنسان من تسويلات الـشيطان الـتي يمكـن ان تـدخل في موارد عديدة يغفل عنها الإنسان ..
وقد ذكرنا في كتابنا (الله أكبر من الـشيطان) انه يمكـن ان نـضع قاعـدة عامـة تنفعنـا في تمييـز واكتـشاف الأسـاليب والحيـل الـشيطانية، حيـث ان هـذه الأساليب تمتاز بما يلي :
أ- انها لا تتناسب ولا تنسجم مع تفاصيل العقيدة الإلهية .

ب- انها لا تتناسب مع التعاليم الإسلامية .

ج- انها تؤدي إلى نتائج لا تتناسب مع الصورة الايجابية للإنسان .

د- انها تميل بالفرد اما إلى جانب الإفراط أو التفريط .

هـ- انها تقلل من معنويات الفرد وهمته تجاه فعل الخير والمصالح العامة والخاصة الحقيقية .

و- ان نتائجها تخلو من المنافع الحقيقية ، بل تسبب الضرر للفرد أو لغيره .

ز- انها تسبب (الضيق) القلبي أو الروحي للفرد المؤمن الملتزم .

ح- ان هذه الأساليب الشيطانية تؤدي إلى نتائج موافقة لأخلاق أعداء الله تعالى ، ومخالفة لأخلاق أولياء الله تعالى ، ولذلك نسمع في الدعاء ما مضمونه : (اللهم اجعل نفسي مستنة بسنن أوليائك ، مفارقة لأخلاق أعدائك).

ثم انه سيأتي في فصل لاحق ضرورة الموازنة بين الخوف والرجاء ، حيث يقول الله تعالى واصفاً عباده الصالحين :

(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً) السجدة- ١٦

(يَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً) الأنبياء- ٩٠

وفي الحديث عن الإمام (ع) : (ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران ، نور خيفة ونور رجاء ، لو وزن هذا لم يزد على هذا) .

وسيأتي في الفصل اللاحق ما يرتبط بالمقام ، كما سيأتي الحديث عن التقوى في فصل مستقل .

بقـي ان نـشير إلى ان الخـوف مـن الله تعـالى يفـترض ان يحجـز الإنـسان عـن الـذنوب والمعاصـي ، سـواء كانـت مـع الله تعـالى ، أو مـع الـنفس ، أو مـع الآخرين ..

فالمسألة ليست خاصة بالعلاقة المحضة مع الخالق عزوجل ، بل هي أعم واشمل ، خصوصاً وان كل الأمور راجعة إليه جل شانه ..

فنفس الإنسان ليست ملكه ، وانما هي ملك لخالقـها عزوجل ..

وكذلك عباد الله الآخرين ، كلهم خلقه وعياله ..

وكذلك الأرض والسماء وما بينهما ..

وكل المخلوقات هي ملك لله عزوجل ..

فـالمفروض ان نخافـه ونخشاه ولا نعـصيه فيهـا جميعـاً ، وهـذا معنـى واسـع ينبغـي الإلتفـات إليـه ، وهـي مـسئولية عظيمـــة ينبغـي القيـــام بهـا بالمقـدار الممكـن شرعاً وعقلاً ..

والتفاصيـل كثيرة ، لايسعنا الآن ذكــرها أو الحديث عنها .

البكاء من خشية الله تعالى

وقـد تُنــال رحمــة الغفــارِ

بدمعــة مـن خشيــة الجبـــارِ

يقول الله تعالى واصفاً بعض عباده الصالحين :

(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً) مريم- ٥٨

(وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) الإسراء- ١٠٩

(وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ) المائدة- ٨٣

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من ذرفت عينه من خشية الله ، كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنة) .

وعنه (ع) أيضاً : (ليس شيء إلا وله شيء يعدله ، إلا الله فانه لا يعدله شيء ، ولا اله إلا الله لا يعدله شيء ، ودمعة من خوف الله فانه ليس لها مثقال) .

وفي الحديث المشهور عنه (ص) : (كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين باتت ساهرة في سبيل الله) .

وعن الإمام الصادق (ع) : (ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله عزوجل إلا حرم الله سائر جسده على النار) .

وفي (شرح زيارة أمين الله) ذكرنا انه قد ورد في عدة روايات الحثُّ على البكاء خوفاً من الله أو شوقاً إليه، وهو يؤدي بالتأكيد إلى تحصيل الحسنات والثواب ومحو السيئات بإذنه تعالى ..

ومن الطبيعي ان تكون هذه الدموع وتلك العبرات سبباً لتحصيل الرحمة الإلهية التي وسعت حتى من لا يستحق .

ومن هنا نسمع في دعاء الصباح (واغرس اللهم بعظمتك في شِربِ جناني ينابيع الخشوع ، وأجرِ اللهم لهيبتكَ من آماقي زفرات الدموع).

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد (ع) : (وما لي لا أبكي ، ولا ادري إلى ما يكون مصيري ، وأرى نفسي تخادعني ، وأيامي تخاتلني ، وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت).

إلا أنه ينبغي الإلتفات مع ذلك إلى ان البكاء المحمود هو الذي يكون مؤثراً إيجابياً ، ودافعاً نحو الصلاح والكمال ، ويرافقه الرجاء وحسن الظن بالله عز وجل .

ففي الدعاء (الهي لو قرنتني بالأصفاد ، ومنعتني سَيْبَكَ من دون الأشهاد ، ودللت على فضائحي عيون العباد ، وأمرتَ بي إلى النار ، وحُلْتَ بيني وبين الأبرار ، ما قطعتُ رجائي منك).

فالله ولي العفو والرحمة وهو حسن التجاوز عن المسيئين ، وهو ولي النعمة والفضل مع المريدين والراغبين ، وقد ورد في الحديث انه تعالى أشد حناناً على عباده من الأم على رضيعها .

ثم ان البكاء من خشية الله يمكن ان يتحقق من خلال عدة أسباب ووسائل ، من قبيل قراءة القرآن أو الأدعية ، أو من خلال تذكر مواقف يمر بها الإنسان في طريقه إلى الآخرة ، أو من خلال تذكر الأخطاء السالفة والندم عليها والاستغفار والتوبة منها .. حتى انه ورد في الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة ، ثم فسّره

الإمام (ع) بقوله : انه يذنب فلا يزال خائفاً ماقتاً لنفسه ، فيرحمه الله ، فيدخله الجنة) .

وفي خواطر حول الذنوب والأدعية ذكرنا ان الإنسان المؤمن لاتؤذيه ولاتضره تلك الأحزان ، ولا تخدش سعادته الواقعية تلك الدموع ، لانها تخفي وراءها مباهج باطنية ، ولذات داخلية ، فهي نافعة من حيث انها بالنتيجة تسعده وتؤنسه وتقدمه ..
وهذا ليس بالغريب ، اذ الطب النفسي يؤكد ان أمراض نفسية عديدة تشفى بمجرد البكاء ، وهناك من يُشبّه البكاء بالمطهر والمعقم الذي ينظف الجروح ويداويها .

ثم انه ليس المطلوب من المؤمن ان يقضي حياته في حالة خوف وحزن وبكاء ، بل هي مجرد لحظات مباركة ، يمر فيها الفرد بتلك الحالات الطريقية قربة إلى الله تعالى ، وهي لا تستغرق وقتاً كثيراً في مقابل الوقت الآخر الذي نصرفه فيما لا ينفع ، فضلاً عما نصرفه فيما يضر .

وبالمقابل فقد ورد في بعض الأحاديث ان من الشقاء جمود العين ، وقسوة القلب .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب ، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب) .
وفي مناجاة الشاكين للإمام السجاد (ع) : (الهي إليك أشكو عيناً عن البكاء من خوفك جامدة ، والى ما يسرها طامحة) .

الجمع والمُوازنة
بين الخوف والرجاء

فوازن الخوف مع الرجاءِ

لكي تصُح وصفة الدواءِ

يقول الله تعالى :
(نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ)
الحجر(٤٩- ٥٠)
(اعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، وَأَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) المائدة- ٩٨
(إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) الأعراف- ١٦٧
وقد وصف الله تعالى بعض عباده الصالحين بقوله :
(يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً) السجدة- ١٦
(يَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً) الأنبياء- ٩٠

وفي الحديث عن الباقر (ع): (ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران : نور خيفة ونور رجاء ، ولو وزن هذا لم يزد على هذا) ..

ومعنى هذا الحديث ان المؤمن الحقيقي يوازن بين خوفه من الله تعالى ، وبين رجائه له عزوجل ، فاذا شعر انه يتجه نحو اليأس والقنوط أو الخوف المذموم ، فيطرق عندئذ باب الرجاء ليتذكر رحمة الله عز وجل وعفوه وطول أناته..

واذا شعر انه يتجه نحو التهاون أو التساهل في الواجبات والمحرمات ، فانه يطرق عندئذ باب الخوف ليتذكر حساب الله تعالى وعقابه وغضبه .

وبذلك يجمع المؤمن فضيلتي الخوف والرجاء ..

وفي الحديث عن الصادق (ع) :(لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو) .
وعن الصادق (ع) : (إرج الله رجاء لا يُجرءَك على معاصيه (معصية) ، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته).
وعنه (ع) أيضاً : (ينبغي للمؤمن ان يخاف الله خوفاً كأنه مشرف على النار، ويرجوه رجاء كأنه من أهل الجنة) .
وفي مناجاة الراغبين للإمام السجاد (ع) : (الهي ان كان جرمي قد أخافني من عقوبتك ، فان رجائي قد أشعرني بالأمن من نقمتك) .
وفيه أيضاً : (وان أوحش ما بيني وبينك فرط العصيان والطغيان ، فقد آنسني بشرى الغفران والرضوان) .
وتنفع في المقام مراجعة مناجاة الخائفين ومناجاة الراجين ..
وقد مر ما يرتبط بالمقام في الفصلين السابقين ، عند الحديث عن الخوف من الله ، والبكاء من خشية الله تعالى .

وتحضرني الآن الأبيات التالية التي تصور حالة العبد أمام خالقه عزوجل ، وهي إجمالاً على غرار المناجاة المنظومة المنسوبة للإمام علي (ع):

مولاي بإسمك أعظم الأسماء ناجاك عبدُك فاستمع لندائي
مولاي يامن في مهاد أمانهِ أرقدتني في نعمة وهناءِ
مولاي قد أيقظتني بتحننٍ وأحطتني بسوابغ النعماءِ
مولاي فافتح لي مصاريع الصبا ح ، برحمةٍ وتوددٍ وضياءِ
مولاي واغرس في جَناني من ينا بيعِ الخشوع ، وخشية العُرفاءِ

مـولاي طـهّر بـالدموع نـواظري ... فلطـالـما عانـت مــن الأقـــذاءِ
مولاي أنت لكل نـجوى صاحبٌ ... يامنتهى الشكـوى وخير عــزاءِ
مــولاي أنت طبيـب كل مكابد ... ولـكــل داء أنــت خـيــر دواء
مولاي قد أحسنت لي فيما مضى ... وحفظت ودّي ، رغم كل جفائي
مولاي قد أظهرتَ أجمل صورتي ... وستَرت منـي أقبـح الأشيـاءِ
مـولاي ليس لزلّتـي من غــافـر ... أرجوه غيرك كـي يقيـل خَطـائي
مــولاي كم من نـعمة أعطيتــني ... وأنـا الجـحـود لأعـظـم الآلاء
مولاي كم من عثــرة جنّبتَــني ... وأنـا المقيـم على شفـا الأهــواء
مولاي كم خلّصتـني من فـادحٍ ... وأنــا البخيــل بمدحتي وثنــائي
مــولاي إن ضيّعتني وخذلتـني ... أمسيتُ محرومـاً وطـال عنــائي
مــــولاي إن ودّعتني وقلَيتــني ... فلقـد هلكـتُ إذاً ببحـر شقائـي
مــــولاي إن عذّبتني بجريــرتي ... وأمـرتَ بي للنــار فهـو جزائــي
مــــولاي لكــني مُقـر نـــادم ... ولقد حفظـتُ محبّتـي وولائــي
مولاي كيف أُذل أو أُخزى غداً ... ياعـدّتــي في شدّتــي وبـلائــي
مــولاي لم آت إليـك بصــالحٍ ... كـلا ، وليس لـدي مِــن شُفعـاء
مـولاي ها أنا ذا ببابك واقــف ... لازلتُ أقرعــها بكـفٍّ رجـائــي
مولاي (ما عوّدتني منك الجفا) ... رغم الـذي قد كان من أخطــائي
مولاي ليس سواك عندي ملجأ ... فهربتُ منك إليك في إستحيــاءِ
مــولاي فاقبلني وإن أكُ مذنبـاً ... إن الندامــة قطّعـت أحشـائــي
مولاي جُدتَ ،وبالدعاء أمرتَني ... فاسمع ندائـي واستجب لدعائي

الإعتراف بالأخطاء والذنوب

وينــــبغي الإقــرار بالذنـوبِ
تَــــــتبعُه نــدامـــة القــلوبِ

يقول الله تعالى :

(وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً ، عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) التوبة- ١٠٢

وفي الحديث عن النبي (ص) ان الله تعالى يقول من أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً ، وهو يعلم ان لي ان أعذب أو أعفو عنه ، عفوت عنه) .

ولا يخفى ان العفو انما يكون مع الاستغفار والتوبة والندم كما سيأتي ، بل الاعتراف انما ينفع باعتباره كاشفاً عن هذه الأمور ، وإلا فلا قيمة له ، ولا نفع فيه ، خصوصاً اذا كان بعد فوات الأوان ..

ولذلك يقول الله تعالى واصفاً أهل النار :

(وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ، فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) الملك (١٠- ١١)

وفي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (ما أراد الله من الناس إلا خصلتين : ان يقرّوا له بالنعم فيزيدهم ، وبالذنوب فيغفرها لهم) .

وعنه (ع) أيضاً : (ما ينجو من الذنب إلا من أقرّ به).. وقال (ع) : (كفى بالندم توبة) .

ولا يخفى ان الاعتراف والإقرار بالأخطاء والذنوب ، أمر مطلوب مطلقاً سواء كانت تلك الأخطاء أو الذنوب تجاه خالقه عزوجل ، أو تجاه نفسه ، أو تجاه الآخرين .

ويحسن في المقام أن نذكر هنا ما ذكرناه في (طريقك نحو الجنة) من انه ينبغي للعبد ان يراقب نفسه لئلا يقع في المعاصي ، وهذا يستدعي منه - بطبيعة الحال - أن يتفقه أولاً ليعرف الحلال والحرام ، ومن هنا ندرك وجوب التعلم على كل إنسان ، ففي الحديث عن الإمام علي(ع) : (بالعلم يطاع الله ويعبد ، وبالعلم يعرف الله ويوحّد ، وبالعلم توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال من الحرام).

وقد مر الحديث عن مراقبة النفس خوفاً من الزلل .

ثم انه ينبغي عليه كذلك ان يحاسب نفسه باستمرار ، فان وجدها مذنبة عاتبها نادماً و استغفر وتاب ، وان وجدها مطيعة شكر الله تعالى من دون أن يأخذه العجب أو الكبر ، وليتذكر ان الاعتماد يجب أن يكون على الله تعالى وحده وعلى رحمته وفضله.

وقد ورد ما مضمونه ان أحد العباد أُمر به إلى الجنة ، فقال في نفسه : ان أعماله هي التي أدخلته ، فاستوقفه الله تعالى وأخذ يحصي نعمه عليه ، ويبين تقصيره أمام هذه النعم ، فعندئذ صاح العبد : برحمتك يا ربي ، فقال له الله تعالى ادخل الجنة برحمتي .

وقد تحدثنا في فصل سابق عن محاسبة النفس ، وذكرنا ان هذه المحاسبة انما تنفع العبد ذاته بالدرجة الأساسية ، لأنه اذا لم يطبقها فانه سيعرض نفسه للهلاك من حيث لا يشعر ، شأنه في ذلك شأن كل تاجر لا يحاسب نفسه باستمرار ليرى ربحه أو خسارته ، حيث يقول الله تعالى :

(ولتنظر نفس ما قدّمت لغدٍ) الحشر- ١٨ .

وقد مر علينا قول النبي (ص): (حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوها قبل ان توزنوا) ..

وهنا أود ان أشير إلى نقطة مهمة جداً ، حيث ان جملة من الناس يعتقدون ان ذنوبهم بسيطة ، أو أن طاعاتهم أكثر من سيئاتهم ، أو قد يصل البعض إلى ان يعتقد أنه بلا ذنوب ، فينصرف حينئذ إلى الانشغال بعيوب الآخرين ، أو إنتقادهم ، أو قد يكتفي بان ينظر إلى الآخرين وكأنه أفضل منهم ..

وهذا في الحقيقة من اشد العيوب ، حيث ورد عن الإمام علي(ع) : (جهل المرء بعيوبه من اكبر ذنوبه) .

وفي الحديث عن الصادق(ع): (واذكر خطيئتك وإياك وخطايا الناس).

وعنه (ع) أيضاً : (اذا رأيتم العبد متفقداً لذنوب الناس ، ناسياً ذنوبه فاعلموا انه قد مُكر به).

واما مسألة خلو هؤلاء من الذنوب ، فهو وان كان ممكناً في الواقع الا ان الرضا عن النفس وعدم الإعتراف بالتقصير يعتبر ذنباً في حد نفسه ، بل لعله من اكبر الذنوب ، فقد روي عن النبي (ص):(لو لم تذنبوا ، لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك : العجب العجب).

وورد في الحديث ما مضمونه: (لا تحقرن شيئاً من المعاصي فلعل سخط الله يكون فيه) ، وكذلك (لا صغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار).

والظاهر أن ما يعتقده مثل هؤلاء راجع إلى أنهم غافلون عن سائر الذنوب، أو قل بمعنى أوضح : أنهم يراقبون أنفسهم بلحاظ مجموعة معينة من الذنوب والمعاصي فان لم يقترفوها اعتبروا أنفسهم منزهين ، في حين ان الذنوب كثيرة ومزالق الشيطان والنفس الإمارة متغلغلة ومتداخلة في عدة أمور..

وقد ورد عن النبي (ص): (ان الله تعالى قال لداود (ع): (أنذِر الصديقين ان لا يعجبوا بأعمالهم ، فانه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك).

ومن هنا وجب علينا التفقه والحذر ، والاعتراف بالتقصير ، والاعتماد على رحمة رب العالمين :

(قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

يونس- ٥٨.

وسيأتي ما يرتبط بالمقام في الفصول القادمة .

الإستغفار والتوبة من الذنوب

وتـــوبة الصدق مع استغفارِ

كـــفــارة الذنـبِ مع البـــدارِ

يقول الله تعالى :

(لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) النمل- ٤٦

(وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ ، يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رحِيماً) النساء- ١١٠

(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى) طه- ٨٢

(إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ) النساء- ١٧

وفي الحديث عن النبي (ص):(لكل داء دواء،ودواء الذنوب الاستغفار) .

وفي حديث آخر عنه (ص) : (طوبى لمن وجد في صحيفة عمله يوم القيامة ، تحت كل ذنب استغفر الله) .

وعن الإمام علي (ع) : (تعطروا بالاستغفار ، لا تفضحكم روائح الذنوب) ..

وعن الإمام الهادي (ع) : (رطّب شفتيك بالاستغفار) .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (من سرّته حسنته ، وساءته سيئته فهو مؤمن) .

وعنه (ع) أيضاً : (ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة) ، ثم فسّره (ع) بقوله (انه يذنب فلا يزال خائفاً ماقتاً لنفسه ، فيرحمه الله فيدخله الجنة)، وفي رواية أخرى عن النبي(ص) فسّره (يكون ذلك الذنب نصب عينيه ، تائباً منه ، فاراً (قاراً) الى الله عزوجل ، حتى يدخل الجنة).

ثم ان الوارد عن الصادق (ع) : (العبد المؤمن اذا أذنب ذنباً أجّله الله سبع ساعات ، فان استغفر الله لم يكتب عليه شيء ، وان مضت الساعات ولم يستغفر كتب عليه سيئة) .
وعنه (ع) أيضاً : (اذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً ، فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكّره الاستغفار ، واذا أراد الله عزوجل بعبد شراً ، فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة فيُنسيه الاستغفار ويتمادى به) .

وفي كتابنا (خواطر حول الذنوب والأدعية) ذكرنا ان الاستغفار هو طلب المغفرة والعفو من الله تعالى ، باعتبار إن الذنب يصدر من العبد نحوه ، فحقّ أن يطلب منه العفو والصفح ..
وحيث إن الاستغفار إنما هو لرفع الذنب وآثاره ، لذا يمكن تصور العفو الإلهي بعدة أشكال بحسب نية المستغفر وقصده..
الشكل الأول : محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر ، فإنه من المعلوم بالضرورة أن أعمال الفرد تسجل في صحيفة أعماله إن خيراً أو شراً ، وذلك حتى يحاسب عليها يوم القيامة ، يوم يخرج الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم .
الشكل الثاني : محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر ، و سكون الغضب الإلهي ، فإنه من المعلوم إن الذنب يُغضب الله ويسخطه.
الشكل الثالث : محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر ، و سكون الغضب الإلهي ، ورجوع الرحمة الإلهية إليه بالالتفاتة الإلهية ، فانه من المعلوم أن الله تعالى يصفح بوجهه الكريم عن وجوه المذنبين .
الشكل الرابع : محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر ، و سكون الغضب الإلهي ، ورجوع الرحمة الإلهية إليه ، ومحو آثار الذنب إجمالاً ،

إذ لا يمكن محو آثار الذنب كلياً ، لأن المذنب سوف يكون بالتأكيد أقل درجة من غير المذنب ، أي إن رجوعه إلى حالة ما قبل الذنب وإن كانت ممكنة برحمة الله إذا استغفر بمقدارها ، إلا انه لا يخفى إن وقتاً قد ضاع منه في ذلك ، وهذا الوقت له قيمة في موازين الأعمال و المفاضلة ..

ولهذا ورد في السنة الشريفة أن (من قارف ذنباً ، فارقه عقل لم يعد إليه أبدا) ، وفي الحديث أيضاً أن (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) ، ولا يخفى أن المشبّه أقل رتبة من المشبه به.. فتأمل .

الشكل الخامس : محو الذنب من صحيفة الفرد المستغفر ، و سكون الغضب الإلهي ، ورجوع الرحمة الإلهية إليه ، ومحو آثار الذنب إجمالاً ، وستر الذنوب عنه فوق ذلك ..

وبيانه : أن الفرد حينما يقول (اللهم اغفر لي) ، فان معنى الغفران هو الستر ، وهذا الستر الإلهي إنما يتصور بأنه محو الذنب وآثاره .

ولكن يوجد تصور آخر لهذا الدعاء بالمغفرة ، وهو أعمق من السابق ، وهو أن يقصد الداعي أن يغفر الله ما سبق من ذنوبه بالستر ، وأن يغفر أي يستر عنه الذنوب في المستقبل حتى لا يدنو منها ولا يقترفها ، حيث ورد في الدعاء عن الأئمة (ع): (اللهم تب عليّ حتى لا أعصيك) ، وورد في المصباح للكفعمي : (واغفر لي مغفرة عزماً جزماً ، لا تغادر لي ذنباً ، ولا اكتسب بعدها محرّماً) .. وهذه هي المغفرة الحقيقية التي يجب أن نقصدها في قولنا (اللهم اغفر لي).

حيث يقول الله عز وجل: (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ، وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)غافر - ٩

وفي الدعاء : (وكرِّه إلي فيه الفسوق والعصيان).

وهكذا نلاحظ اختلاف أشكال العفو الإلهي بحسب الاستحقاقات ، وكلما كان الاستغفار معمقاً ، كلما كان العفو أشمل وأعلى .
ولا يخفى إن الاستغفار بحد ذاته ذكرٌ يستحق الأجر و الحسنات على أية حال .

وأما التوبة فهي عبارة عن وعد أو عهد يعطيه العبد لله عزوجل بأنه نادم على ما سبق ، عازم على عدم الرجوع إليه ، وهذا الوعد لابد من الوفاء به ، وإلا فهو ذنب آخر يضاف إلى ذنبه .
والتوبة هي أول الاستغفار ، لأنها الندم على ما مضى ، والعزم على ترك العود إليه أبداً ، فإذا لم تكن هناك توبة ، لم يكن هناك استغفار فعلي حقيقي .
وينبغي الإشارة هنا إلى أن الاستغفار و التوبة إنما يحصلان بهداية الله ، فإذا وجد في قلب المذنب استعداداً حقيقياً للاستغفار والتوبة ، إلتفت إليه ورزقه التوبة ، حيث يقول الله تعالى:
(ثم تاب عليهم ليتوبوا) التوبة- ١١٨
وفي الحقيقة فإن الاستغفار ينبغي أن لا يكون من أجل محو السيئة أو سكون الغضب الإلهي فحسب ، بل لابد أن يضع المستغفر أمامه حقيقة أنه حينما أذنب حصل هناك قطع في الرحمة الإلهية ، وحصل حاجب بينه وبين الحق و الكمال..
فالمفروض به إذاً أن يستغفر الله من أجل إبعاد هذا الحاجب الخطير ، ومن أجل إرجاع الفيض الإلهي ، ومن أجل الرجوع إلى حالته السابقة قبل أن يذنب..

وإلا فما قيمة أن يمحى ذنبه ، وتذهب سيئاته ، ومازالت آثار ذنبه باقية كوسمة العار في الجبين ، أو كالغشاوة على العين..
و إنما يحصل ذلك الاستغفار بالاجتهاد في سبيل محو هذه الآثار ولو جملة ، ولا يتم ذلك إلا بقانون خاص فصله لنا مولانا الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، و لنسمه قانون الاستغفار الحقيقي ..
فقد ورد عن الإمام علي (ع) أنه قال لقائل بحضرته أستغفر الله : (ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار ؟ ، الاستغفار درجة العليين ، وهو اسم واقع على ستة معان : أولها (الندم على ما مضى) ، والثاني (العزم على ترك العود إليه أبداً) ، والثالث (أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس لك تبعة) ، والرابع (أن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤدي حقها) ، والخامس (أن تعمد إلى اللحم الذي نبت بالسحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد) ، والسادس (أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية) .. فعند ذلك تقول أستغفر الله)٠
ومقصود الإمام علي (ع) من كل ذلك هو أن يستعيد المرء مرتبته التي إبتعد عنها بالذنب ، فعند ذلك يكون استغفاره صادقاً ومفيداً ، وقد ورد في الدعاء : (اللهم تب عليّ حتى لا أعصيك) ..
وهذا الذي ذكرناه هنا عن منزلة التائب الحقيقي ، هو معنى آخر من معاني قوله تعالى (ثم تاب عليهم ليتوبوا) التوبة-١١٨ .
اللهم فاجعلنا من التوابين ، واجعلنا من المتطهرين .
وفي تحف العقول عن كميل بن زياد عن الإمام علي (ع) ما مؤداه ان العبد اذا أصاب ذنباً ، استغفر الله بتحريك الشفتين واللسان ، يريد ان يتبع

ذلك بالحقيقة ، وهي تصديق القلب وإضمار ان لايعود إلى الذنب الذي استغفر منه ، وأصل الاستغفار الرجوع إلى التوبة عن الذنب الذي استغفر منه وهي أول درجة العابدين .. ثم ذكر الحديث السابق .

وعن الإمام الهادي (ع) عندما سُئل عن التوبة النصوح فقال (ع) : (ان يكون الباطن كالظاهر وأفضل من ذلك) .

فيتحصل من كل ما سبق ان الصدق والجد مطلوبان في الاستغفار والتوبة والندامة .

حيث ورد في الحديث عن الباقر (ع) : (التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزيء) .

وقد ذكرنا في (طريقك نحو الجنة) ان الاستغفار يعني طلب المغفرة ، واما التوبة فهي الندم والرجوع عن المعصية ، ولا يحصل الاستغفار حقيقة إلا بتحقق الندامة والتوبة ، كما ان التوبة والندامة وحدها قد لا تكفي ، بل لابد من الاستغفار وطلب العفو .

نعم ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (ما من عبد أذنب ذنباً فندم عليه ، إلا غفر الله له قبل ان يستغفر) ، فان الندم الفعلي انما هو طريق ومقدمة للاستغفار ، اذا كان الندم قربة إلى الله تعالى كما هو المفروض .

وهنا يسأل سائل ان الفرد قد يتوب بهذا المعنى ، لكنه قد يعود ثانية إلى الذنب ، وهذه مشكلة واقعية على أية حال ..

وهذا السؤال ورد في رواية محمد بن مسلم عن الباقر (ع) ، فكان جوابه (ع) : (كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة ، عاد الله عليه بالمغفرة ، وان

الله غفور رحيم ، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات) .. ثم قال له الإمام (ع) : (إياك ان تقنط المؤمنين من رحمة الله) .

وفي إرشاد الديلمي ان رجلاً سأل النبي (ص) : اني أذنب فماذا أقول اذا أذنبت ، فقال (ص) : (استغفر الله) فقال الرجل :اني أتوب ثم أعود ، فقال (ص) : (كلما أذنبت استغفر الله) ، فقال الرجل اذاً تكثر ذنوبي ، فقال (ص) : (عفو الله أكثر ، فلا تزال تتوب حتى يكون الشيطان هو المدحور) .

وفي كتابنا (أدعية ومناجيات قرآنية) اشرنا إلى ان التوبة من العبد هي الاستغفار والرجوع إلى الله تعالى ، بعد الإبتعاد عنه بالمعصية أو الزلة..

(أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) المائدة- ٧٤

واما التوبة من الله تعالى فهي عودة الله تعالى بالرحمة والمغفرة على عبده الذي رجع إليه بالاستغفار ..

(فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه)المائدة- ٣٩

(واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود) هود- ٩٠

وقد تكون التوبة من الله تعالى بدون مقدمات ، وذلك من باب الرحمة العامة والعطف الشامل ، فيرجع على عبده بالعناية ويهديه إلى التوبة والصلاح ..

(ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)التوبة -١١٨

ثم ان التوبة الحقيقية مرتبة عظيمة لايصلها الإنسان إلا بالإلتفات والمجاهدة والتطهير وحسن الإيمان بالله عز وجل ، وهي تشتمل على

عواطف جياشة بين العبد وخالقه عز وجل (انظر الصحيفة السجادية من دعاء الإمام (ع) في الإعتراف وطلب التوبة)..

ونحن نسمع في القرآن الكريم :

(ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)البقرة - ٢٢٢

وفي بعض الروايات أن الله تعالى أشد فرحاً برجوع عبده إليه ، بعد ان فارقه بالذنب والمعصية ..

كذلك اشرنا في المصدر السابق إلى ان الإستغفار يمكن ان يكون عن ذنب وهو الاستغفار المتعارف ، ويمكن ان لايكون عن ذنب ..

ومنه : الإستغفار للغير كما في استغفار إبراهيم (ع) لأبيه ..

ومنه : الاستغفار عند مخالفة الأمر الإرشادي كما في استغفار آدم (ع) حينما أكل من الشجرة ..

ومنه: الاستغفار عند مخالفة الأولى ، وقد ورد في الدعاء (اللهم إني أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ، ومن كل راحة بغير أُنسك ، ومن كل سرور بغير قربك ، ومن كل شغل بغير طاعتك)..

كما ورد أيضاً أن (حسنات الأبرار سيئات المقربين) ، بإعتبار أن الفرد الذي يصل إلى مرتبة المقربين سيدرك أن مسئولياته (الخاصة والعامة) ، وواجباته (الكمالية) ، هي في الواقع أعظم وأكثر بكثير مما يتصوره الفرد في مرتبة الأبرار ، وبالتالي فإنه سيجد أن حسناتهم - وإن كانت مقبولة ومأجورة عند الله تعالى- إلا انها دون المستوى المطلوب ، وأن الإقتصار عليها يعتبر خطيئة وسيئة في عرف المقربين .

ومنه : الاستغفار بمعنى طلب العصمة من الذنوب ، حيث قلنا في مناسبة سابقة ان أصل الاستغفار مأخوذ من الستر والتغطية .

ومن الإستغفار أيضاً طلب الرحمة (العامة والخاصة) ، وطلب العفو للفرد نفسه أو لجماعة معينة أو لأُمّة معينة بمجموعها ، وذلك عند صدور جناية عامة أو مفسدة شاملة يمكن ان تنال بآثارها الوضعية جماعة معينة أو أُمة معينة بحيث يدخل الفرد المستغفر في ضمنهم رغم انه لم يشترك معهم في تلك الجناية أو المفسدة .. حيث يقول الله تعالى :

(واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصةً)الأنفال - ٢٥

وفي بعض الروايات ان موسى (ع) أمر الموحدين بعد حادثة العجل ان يقتلوا كل من عَبد العجل مهما كانت قرابته منه ، فأما القاتل فكان ذنبه أنه سكت عن عبادة العجل ولم يردعهم أو يقاطعهم ، وأما المقتول فكان ذنبه انه عبَد العجل وأشرك بالله عزوجل .

وهكذا فان لكل استغفار معناه وأثره ، كما ان لكل ذنب معناه وأثره ..

وعموماً فان الذنوب أو الأخطاء يمكن ان تكون جلية (واضحة)، ويمكن ان تكون خفية (دقية)، ولكل ذنب أو خطأ إستغفاره الخاص الذي يناسبه .

والاستغفار مستحب في نفسه ، وبغض النظر عن إي سبب أو داع يقتضيه ، فانه (إي الاستغفار) نِعم الذكر، وهو علامة التواضع ، ومفتاح البركات ، ودافع النقمات ،حيث يقول الله عزوجل :

(استغفرا ربكم انه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموالٍ وبنين ، ويجعل لكم جناتٍ ، ويجعل لكم أنهاراً) نوح(١٠-١٢)

(وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)الانفال- ٣٣

وقد تحدثنا عن فوائد الاستغفار وآثاره في كتابنا (طريقك نحو الجنة) ، حيث ذكرنا منها مايلي :

أ- تحصيل العفو والمغفرة ، حيث يقول الله تعالى : (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) المائدة- ٧٤

وكذلك يقول تعالى : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) الشورى- ٢٥.

وقد مر الحديث عن الباقر(ع):(كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة) .

ب- تحصيل الفلاح والهداية ، حيث يقول الله تعالى :

(وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) النور- ٣١

(لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) النمل - ٤٦

ج- تحصيل الخير والبركات ، فان الخالق عزوجل يقول:

(استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويزدكم قوة الى قوتكم) هود- ٥٢ ..

وكذلك يقول تعالى : (استغفروا ربكم انه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ، ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً) نوح(١٠-١٢)

د- تحصيل محبة الله عزوجل ، حيث يقول في محكم كتابه:

(ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة- ٢٢٢

والتطهر هنا وان كان يعني الطهارة المادية من الخبث والحدث ، إلا أنه يعني كذلك الطهارة المعنوية ، وهي تطهير الجوانح بالابتعاد عن الرذائل الخلقية ، وكذلك يعني التطهر بالتوبة والاستغفار من أوساخ الذنوب

وقذارات المعاصي .

هـ - تكفير السيئات ومحو الذنوب ، حيث يقول الله تعالى (الاّ من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) الفرقان- ٧٠.

وينبغي ان تعلم (أخي القاريء) ان تكفير الذنوب لاينحصر بالابتلاءات والعقوبات الدنيوية أو البرزخية كما ورد في بعض الروايات ، اذ من الممكن ان يحصل التكفير بدون الحاجة إلى ذلك ، خصوصاً مع الإلتفات إلى سعة رحمته عزوجل ، فالعمل الصالح مثلاً يغسل السيئات: (ان الحسنات يذهبن السيئات) هود- ١١٤.

وكذلك الاستغفار الصادق والتوبة النصوح والدعاء وحسن الظن بالله تعالى ، فافهم واغتنم واشكر الله تعالى على هذه الرحمة الربانية ..

وقد ورد في بعض أدعية رمضان (أعوذ بجلال وجهك الكريم ان ينقضي عني شهر رمضان أو يطلع الفجر من ليلتي هذه ولكَ قِبَلي تبعة أو ذنب تعذبني عليه)..

وفي الدعاء : (إلهي إن كنت بئس العبد ، فأنت نعمَ الرب ، عَظُمَ الذنبُ من عبدك فليحسن العفو من عندك).

ولولا ضيق المجال لكان من المناسب بيان التفاصيل اللطيفة المتعلقة بهذه الفائدة .

و- تحصيل الجنة، حيث يقول الله عزوجل: (ياايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً ، عسى ربكم ان يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) التحريم- ٨.

ز- تحصيل الاجر والثواب ، فان الاستغفار والتوبة من الأعمال الصالحة التي يستحق الفرد عليها الاجر والحسنات ، ولعل هذا أحد معاني قوله

تعـالى: (الا مـن تـاب وآمـن وعمـل صـالحاً فأولـئك يبـدل الله سـيئاتهم حسنات) الفرقان- ٧٠.

ح- تحصيل الوقاية والأمان من النقم والكوارث والابتلاءات ، حيث يقـول عزوجل (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) الانفال- ٣٣.

وكلمـا كـان الاستغفار أكثر وأعمـق ، كلمـا كانـت الوقايـة أعظـم بإذنـه تعالى.

ط- تحصيل الستر ، حيث ورد في الخبر الصحيح عن معاوية بـن وهـب قـال: سمعت ابا عبـد الله (ع) يقـول: اذا تـاب العبـد توبـة نـصوحاً أحبه الله ، فـستر عليـه في الـدنيا والآخـرة ، فقلـت : وكيـف يـستر عليـه؟ فقـال(ع): ينـسي ملكيـه مـا كتبـا عليـه مـن الـذنوب ، ويـوحي إلى جوارحـه: اكتمـي عليه ذنوبه ، ويـوحي إلى بقـاع الأرض اكتمـي مـا كـان يعمـل عليـك مـن الذنـوب ، فيلقـى الله حـين يلقـاه ولـيس شـيء يـشهد عليـه بـشيء مـن الذنوب) .

أقول: ينبغي ان نستفيد جيداً من هذا الحديث فنستغفر الله تعـالى ونتـوب إليه ، قبل ان ينتهي وقت التوبة ويحين وقت الحساب .

وفي (شرح زيـارة أمـين الله) ذكرنـا ان بعـض الـذنوب تكـون توبتهـا (عـلاوة على الاسـتغفار) بإرضـاء الخلـق أو إرجـاع حقـوقهم إلـيهم ، وهـي الـذنوب التي تحصل مع العباد كالغيبة أو الافتراء أو الـسرقة أو نحوهـا والعيـاذ بـالله ، فيجب أخذ ذلك بنظر الاعتبار .

مـع الإلتفـات إلى ان الاسـتغفار واجـب ، وكـذلك التوبـة ، حيـث يقـول الله تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

سواء كان الخطأ أو الذنب تجاه الله تعالى ، أو تجاه النفس،أو تجاه الآخرين .

تدارك السيئة بالحسنة

وأتبـعِ الذنـب بفعـل صـالحِ
وامسـح خطـاياك بحبـرٍ داكنِ

يقول الله تعالى :

(إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) هود- ١١٤

(إلا مَن تَابَ وآمَن وعَمِل عمَلاً صَالحاً ، فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَات ، وكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً) الفرقان- ٧٠

(وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْه رَبِّهِمْ ، وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد- ٢٢

وفي الحديث عن النبي (ص) : (اذا عملتَ سيئة فاعمل حسنة تمحوها) .

وعن الإمام الباقر (ع) : (ما أحسن الحسنات بعد السيئات ، وما أقبح السيئات بعد الحسنات) .

وفي الحديث عنهم (ع) : (ويل لمن غلبت آحاده أعشاره) ..

على اعتبار أن الحسنة بعشر أمثالها ، والسيئة بمثلها فقط .

وعن الصادق (ع) : (ان الله عزوجل أوحى إلى عيسى (ع) ما أكرمت خليقة بمثل ديني ، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتي .. إغسِل بالماء منك ما ظهر ، وداوِ بالحسنات ما بطن) .

وورد عنه (ع) أيضاً : (من عمل سيئة في السر فليعمل حسنة في السر ، ومن عمل سيئة في العلانية فليعمل حسنة في العلانية) .

وقد مر علينا في مقام سابق قول النبي (ص) : (ما جلس قوم يذكرون الله عزوجل إلا ناداهم مناد من السماء : قوموا فقد بدلتُ سيئاتكم حسنات ، وغفرتُ لكم جميعاً) .

وينبغـي الإلتفـات إلى ان أول تـدارك للـسيئة وأهـم تـدارك لهـا انما هـو الاستغفار والتوبة على ما فصلناه قبل قليل ، سواء كانت سيئته مع الله تعالى ، أو مع نفسه ، أو مع الآخرين .

ثم يحاول ان يتدارك ما بدر منه ..

فـان كـان ذنبـه مع الخـالق عزوجـل ، كمـا لـو تـرك واجباً ، فـالمفروض ان يتداركه بالقضاء مع أداء ما ترتب عليه من كفارة أو غيرها .

واذا كان قد ارتكـب معـصية والعياذ بـالله ، فـالمفروض ان يتـداركها بعمـل صالح يتقرب به إلى الله تعالى ، ويمحو به أثر المعصية عن نفسه .

وان كـان ذنبـه مـع نفـسه كمـا لـو أطـاع شـهوتها المحرمـة ، أو تكاسـل عـن تهـذيبهـا ، فالمفروض ان يتـدارك ذلـك بمقـدار مـا يمكنـه ، فيعاتبهـا ويحاسبها اذا غلبته ، ويسارع في إصلاحها وتهذيبها ان كان مهملاً من هذه الناحية .

وان كـان ذنبـه مـع الآخـرين ، كمـا لـو إغتـاب أحـداً ، أو تعـدى عليــه فالمفروض ان يتدارك ذلك بطلب الـصفح وبراءة الذمة ، وتعـويض المقابـل اذا استدعى الأمر .

الإعتراف بالقُصور والتقصير

كـــذلك الإقــرار بالتقـصيـرِ

فرضٌ على اللســـــان والضمـيرِ

مر الحديث في فصل سابق عن (الاعتراف بالأخطاء والذنوب) ، كما مر الحديث عن (استصغار النفس لتأديبها) .

وقد ورد عن النبي (ص) : قال الله تعالى : لايتكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي ، فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين ، غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي ، فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي (جناني) ورفيع الدرجات العلى في جواري ، لكن برحمتي فليثقوا ، وفضلي فليرجوا ، والى حسن الظن بي فليطمئنوا .

وفي الحديث عن الإمام الكاظم (ع) : (يابني عليك بالجد ، لا تخرجن نفسك عن حد التقصير في عبادة الله عزوجل وطاعته ، فان الله لا يُعبد حق عبادته) .

وفي حديث آخر عنه (ع) أيضاً (اللهم لاتخرجني من التقصير) ، وعندما سُئل عن معناه أجاب (ع) : (كل عمل تريد به الله عزوجل فكن فيه مقصراً عند نفسك ، فان الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون ، إلا من عصمه الله عزوجل) .

وورد عنه (ع) : (لاتستكثروا كثير الخير ، ولاتستقلوا قليل الذنوب).

وفي الحقيقة فان الاعتراف بالقصور والتقصير أمر مهم وضروري لكل مخلوق ، فهو مفتاح الرحمة ، وباب النجاة ، وشرط الوصول إلى رب العالمين ..

وهو من أوضح صفات الأنبياء (ع) والأوصياء (ع) والأولياء الصالحين .

وقد امتلأت أدعية المعصومين (ع) بعبارات الاعتراف والإقرار بالتقصير والقصور .

ففي دعاء كميل عن الإمام علي (ع) : (وقد أتيتك يالهي بعد تقصيري وإسرافي على نفسي ، معتذراً نادماً منكسراً مستقيلاً مستغفراً منيباً مقراً مذعناً معترفاً) .

وفي الدعاء عن الإمام الحسين (ع) : (الهي انا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيراً في فقري ، الهي انا الجاهل في علمي ، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي) .

وفي مناجاة الشاكرين للإمام السجاد (ع) : وهذا مقام من اعترف بسبوغ النعمة وقابلها بالتقصير ، وشهد على نفسه بالإهمال والتضييع) .

وفي دعاء الثمالي للإمام للسجاد (ع) : (خيرك إلينا نازل ، وشرنا إليك صاعد) ..

وفيه أيضاً : (سيدي انا الصغير الذي ربيته ، وانا الجاهل الذي علمته ، وانا الوضيع الذي رفعته .....) إلى آخر الدعاء .

وهناك مناجاة مشهورة للإمام علي (ع) ضمن أعمال مسجد الكوفة ، يحسن مراجعتها في المقام ، ومطلعها : (مولاي يامولاي أنت المولى وانا العبد ...) .

التـقــوى

وإن خير الزاد تقــوى القلـوب

فأغلق البـــاب بوجـه الذنــوب

حيث يقول الله تعالى :

(وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ) الأعراف- ٢٦

(إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) النحل- ١٢٨

(وَاتَّقُواْ اللّهَ ، وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) البقرة- ٢٢٣

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (اتقـوا معاصي الله في الخلوات ، فان الشاهد هو الحاكم) .

وورد عنه (ع) أيضاً : (فـاذا قويتَ فاقوَ على طاعة الله ، فاذا ضعفتَ فاضعف عن معصية الله) .

وعن الإمام الكاظم (ع):(إياك ان يراك الله في معصية نهاك عنها ، وإياك ان يفقدك الله عند طاعة أمرك بها) .

وقد ذكرنا في (طريقك نحو الجنة) ان التقوى تعتبر من المباديء الأساسية لتحصيل الجنة ، حيث يقول عزوجل.

(تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً) مريم- ٦٣.

(وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) آل عمران- ١٣٣.

والتقوى من الاتقاء أو الوقاية ، فتأتي بمعنى الحذر والخوف ، والظاهر ان هذه اللفظة (أي التقوى) تستخدم في الموارد التي يلاحَظ فيها الخالق عزوجل ، في حين تستخدم لفظة (التقية) في الموارد التي يلاحَظ فيها

الإنـسان ، فـالتقوى لاتكـون إلا مـع الله تعـالى ، وأمـا التقيـة فتكـون مـع الإنسـان ، وان كان أصل الكلمتين واحد.

والتقوى من أهم المبادئ الأساسية لتحصيل الجنة، حيث يقول الله تعالى:

(وتزودوا فان خير الزاد التقوى) البقرة- ١٩٧.

بل لعل نظرة فاحصة في آيات القران الكريم تجعلنا نـدرك الاسـرار العظيمـة التي يحملها مفهوم التقـوى ، وكـذلك النتـائج والفوائـد الهائلـة الـتي تترتـب على تطبيقها والالتزام بها .

فقد قال الله عزوجل.

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لايحتسب)

الطلاق(٢-٣).

أي ان التقـوى سـبب للنجـاة والخـلاص ، والـرزق الحـسن علـى اخـتلاف أنواعه.

وقال تعالى : (ان الله يحب المتقين) التوبة- ٧.

أي ان التقوى مقياس التكامل الواقعي والقرب الفعلي من الله تعالى .

والتقـوى أيـضاً مفتـاح الخـير والرحمـة والبركـات العامـة والخاصـة ، حيـث يقـول الله تعالى :

(ولـو ان أهـل القـرى آمنـوا واتقـوا ، لفتحنـا علـيهم بركـات مـن الـسماء والارض)الاعراف- ٩٧.

وقال عزوجل : (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) الحجرات- ١٣.

أي ان التقوى مقياس التفاضل الحقيقي بين العباد .

والتقوى مهر الجنة ومفتاحها ، حيث ورد في الحديث : (ان القيامة عرس المتقين) ، وعن النبي (ص) : (اكثر مايلج أمتي الجنة ، تقوى الله وحسن الخلق) ..

وفي الحديث عن النبي (ص) (والله ما من شيء يقرّبكم من الجنة ويباعدكم من النار ، إلا وقد أمرتكم به) .

وفي الحقيقة فان التقوى شرط في قبول الأعمال عند الله عزوجل حيث يقول :-

(انما يتقبل الله من المتقين) المائدة- ٢٧.

وفي الحديث عن الإمام علي (ع): (لايقلُّ عمل مع تقوى ، وكيف يقل ما يُتقبل) .

وفي رواية المفضل قال: كنت عند ابي عبد الله (ع) فذكرنا الأعمال ، فقلتُ أنا : ما أضعف عملي، فقال(ع): مه ، إستغفر الله ، ثم قال (ع) لي: إن قليل العمل مع التقوى ، خير من كثير بلا تقوى) .

أقول: يريد الإمام (ع) بذلك ان ينبه إلى أهمية التقوى ، وانها الغاية التي ينبغي تحصيلها ، وإلا فانه من المعلوم قطعاً ان كثرة العمل لوحدها لاتكفي لتحصيل الجنة ، بل لابد معها من الإيمان والتقوى والإخلاص ونحوها من المباديء ، حيث يقول الله عزوجل في هذا المقام :

(لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها، ولكن يناله التقوى منكم) الحج- ٣٧.

أي ان الأعمال وان كانت مطلوبة بنحو الوجوب أو الاستحباب على حسب ماورد في الشريعة ، إلا ان العبرة بالتقوى أي مخافة الله عزوجل واتقاء غضبه وعقابه ، أو اتقاء ناره ، أو إتقاء حرمانه ، أو اتقاء سخطه وإبعاده وفراقه.... إلى غير ذلك مما يختلف بحسب اختلاف الغايات والمستويات ..

وبهذا تعرف ان للتقوى اشكالاً ودرجات ، كما ان لها عدة مصاديق أهمها ما يلي :

أ- ترك المحرمات وأداء الواجبات .

ب- ترك المكروهات وأداء المستحبات .

ج- ترك الرذائل الخلقية كالجبن أو كثرة الكلام ، والاتصاف بالفضائل التي هي الحد الوسط بين الإفراط والتفريط .

د- الوقوف عند الشبهات الفعلية ، وقد ورد انه (لا ورع كالوقوف عند الشبهة) .

هـ الوقوف عند الشبهات المحتملة، ويسمونه بورع المتقين، حيث ورد عن النبي(ص) انه : (لايكون الرجل من المتقين ، حتى يدع مالابأس به مخافة ان يكون فيه بأس) .. بمعنى انه يترك بعض الحلال الذي يحتمل أو يخاف ان يقع بسببه في الحرام .

و- محاسبة النفس ومراقبتها باستمرار .

ولئن كانت بعض هذه المصاديق غير سهلة بحسب الظاهر أو الغالب ، إلا أنها بالتأكيد داخلة في قول الله عزوجل .

(يا ايها الذين آمنوا إتقوا الله حق تقاته) آل عمران- ١٠٢.

وبالمناسبة فقد ورد في تفسير هذه الآية عن الصادق (ع):(يُطاع فلا يعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر) .

وكذلك ما روي عن النبي (ص): (لايتقي الله عبدٌ حق تقاته حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه) ..

حيث يشير (ص) بذلك إلى التسليم والرضا ، على اعتبار انهما درجة عالية من درجات التقوى ، وهذا هو معنى ما ورد في ذيل الآية السابقة :

(ولا تموتُن الاّ وانتم مسلمون) آل عمران - ١٠٢.

بقي ان نشير هنا ما أشرنا اليه في مناسبات عديدة ، من ان هذه الدرجات وان كانت مطلوبة ونافعة ، الاّ انه تبقى لكل فردٍ قدرته وقابلياته وظروفه الخاصة ، ولذلك خاطب الله تعالى (عامة) الناس بقوله عزوجل :

(فاتقوا الله ما استطعتم) التغابن- ١٦..

الاّ ان هذا لايعني ترك الحد الأدنى ، وهو الالتزام بالواجبات واجتناب المحرمات ، لأن الوارد في ذيل هذه الآية :

(واسمعوا وأطيعوا) .. وهو يقتضي الالتزام بالحدود الشرعية.

فيتحصل من ذلك كله أنه يكفي في تحقيق مبدأ التقوى ان يلتزم الفرد بالواجبات ويجتنب المعاصي ، وان كان المفروض كذلك ان لايتهاون

بالمستحبات أو المكروهات ، بمعنى انه يراعيها بالمقدار الممكن الذي يناسب حاله وظروفه ، وبذلك يتحقق شرط مهم من شروط الدخول إلى الجنة .

وفي (شرح زيارة أمين الله) ذكرنا انه يتوجب علينا نحن العبيد المقصرين ، أن نتحلى ونتزود بتقوى الله ومراقبته في السراء والضراء ، وهذا يحتاج إلى عدة مقدمات ضرورية أهمها ما يلي:

١- تعلم الأحكام الشرعية ، وفهم الواجبات والمحرمات .
٢- ضبط النفس والسيطرة على شهواتها وانفعالاتها .
٣- الإلتفات إلى مسؤولية العبودية وحق الطاعة تجاه الله تعالى .
٤- مراجعة ما دل على الوعيد والعقاب والحرمان للمذنبين ، لأجل التذكير والموعظة .
٥- المراقبة المستمرة ، والحذر الدائم ، وعدم التهاون ، فإن الله تعالى أخفى سخطه في معاصيه ، فلا تحقرن شيئاً من المعاصي .

وأخيراً فلنتأمل جيداً في الدعاء الذي يقول (وقد علمتُ ان أفضل زادٍ الراحل إليك ، عزمُ إرادةٍ يختارك بها) ، وهذا هو معنى قولهم ان الخطوة الأولى من العبد والباقي على الله عز وجل ، وان كانت هذه الخطوة أيضاً مسبوقة بهداية الله وتسديده .

ثم انه سيأتي ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (الورع) ، و (اجتناب الخطايا والآثام) ، كما مر الحديث عن (الخوف من الله) ، ومراقبة الله وذكره في كل حال .

الـورع عن مـحـارم الله

وأورع النـــاس علـى الـدوامِ
مـن أبعـــد النفـس عـن الحـــرامِ

يقول الله تعالى :

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ، وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ ، لَهُمُ الْبُشْرَى) الزمر- ١٧

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً ، أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) النحل- ٣٦

وفي الميزان (٣٤٤/٢) ان الطاغوت هو الطغيان والتجاوز عن الحد ..

وفي مجمع البحرين ان معنى (لاتطغوا) أي لا تتعدوا حدود الله ، ولا تتجاوزوا القدر والعدل .

وعلى أية حال ، فقد ورد في الحديث عن النبي (ص) : (من ترك معصية لله مخافة الله تبارك وتعالى ، أرضاه يوم القيامة) .

وعنه (ص) أيضاً : (من ورع عن محارم الله فهو من أورع الناس) .

وفي حديث آخر عنه (ص) : (ثلاث من لم تكن فيه لم يتم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله ، وخُلق يداري به الناس ، وحلم يرد به جهل الجاهل) .

وفي الدعاء : (اللهم اعطني ورعاً يحجزني عن معاصيك) .

وعن النبي (ص) : (المهاجر من هجر السيئات ، وترك ماحرم الله) ..

وقد مر الحديث عن الهجرة إلى الله ، والسياحة في سبيله عزوجل .

وفي الحديث عن المعصومين (ع): (ان الله تعالى أوحى إلى نبيه موسى (ع) : ياموسى ما تقرب إلي المتقربون بمثل الورع عن محارمي ، فاني أبيحهم جنات عدن) .

وفي الحديث عن الإمام السجاد (ع) : (من اجتنب ما حرم الله عليه فهو من أعبد الناس) .

وعن الإمام الباقر (ع) : (ان أشد العبادة الورع) ، و (ان الله تعالى يقول : ياابن آدم إجتنب ما حرمت عليك ، تكن من أورع الناس) .

وعن الإمام الصادق (ع) حينما سُئل عن الورع فقال (ع) : (الذي يتورع عن محارم الله عزوجل) .

ثم ان الروايات الواردة عن المعصومين (ع) ، ذكرت انه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه ..

فعن الإمام الباقر (ع) : (من كان مطيعاً فهو لنا ولي ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع) .

وعن الصادق (ع) : (عليكم بالورع ، فانه لاينال ما عند الله إلا بالورع) .

وعن الإمام الصادق (ع) أيضاً : (انما أصحابي من إشتد ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه .. هؤلاء أصحابي) .

و في بعض الأخبار ورد أنه : (لا ورع كالوقوف عند الشبهة) .

وسوف يأتي في ملحق خاص بيان المواصفات المطلوبة في المؤمن (الشيعي) الحقيقي .

ثم انه قد مر الحديث عن التقوى ، وإصلاح النفس ، ومراقبتها ، وعن مجاهدة النفس ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام ..

كما سيأتي الحديث عن الطاعة ، والاستقامة ، واجتناب الخطايا ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

وفي مجمع البحرين ذكر في مادة (ورع) ، انه ورد في الحديث (صونوا دينكم بالورع) ، وفيه (ملاك الدين الورع) ، وفيه (أورع الناس من تورع عن محارم الله تعالى) ، وفيه (لا معقل أحرز من الورع) ..

ثم قال : والورع في الأصل الكف عن المحارم والتحرج منها ، يقال ورع الرجل يرع بالكسر فيهما ، ورعاً ووراعة فهو ورع ، اذا كف عما حرم الله انتهاكه ، ثم استعمل في الكف المطلق .

ونَقل عن بعض الشراح ان الورع أقسام :

فمنه ما يخرج المكلف عن الفسق ، وهو الموجب لقبول الشهادة ، ويسمى ورع التائبين .

ومنه ما يخرج به عن الشبهات ، فان من رتع حول الحمى ، يوشك ان يدخل فيه ، ويسمى ورع الصالحين .

ومنه ترك الحلال الذي يتخوف إنجراره إلى المحرم ، ويسمى ورع المتقين ، وعليه حُمل قوله (ص) : (لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالابأس به ، مخافة ان يكون فيه بأس) ، ومثل من يترك الكلام عن الغير مخافة الوقوع في الغيبة .

ومنه الإعراض عن غير الله ، خوفاً من ضياع ساعة من العمر فيما لا فائدة فيه ، ويسمى ورع الصديقين ..

وأخيراً ينبغي الإلتفات إلى ان الورع والتقوى مطلوبان مطلقاً ، أي في التعامل مع الله تعالى ، وفي التعامل مع النفس ، وفي التعامل مع الآخرين ..

أو لنقل بتعبير آخر ان مقتضى الورع والتقوى وخشية الله ، هو إجتناب المحرمات ، والامتناع عن المعاصي ، سواء كان موردها متعلقاً بالله تعالى ، أو متعلقاً بالنفس ، أو متعلقاً بالآخرين ..

ولا يخفى ان الله تعالى هو المولى والحاكم ، والرقيب و الحسيب ، في جميع الاحوال :

(إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً) النساء- ٨٦

(وَاللّهُ يَحْكُمُ ، لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) الرعد- ٤١

أداء الفرائض

يعمل للمعبـود بالفرائـضِ
وحُبـهُ للـه خيـر رائـضِ

توجد آيات كثيرة وصف الله تعالى فيها عباده الذين يلتزمون بالفرائض ، فقد قال عزوجل :

(وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ، أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ) التوبة- ٧١

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَات ، وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ ، وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ، وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة- ٢٧٧

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (ان الله فرض عليكم فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها ، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها) .

وعن الإمام السجاد (ع) : (من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس) .

وفي البحار انه ورد في الحديث القدسي : (ما تحبب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضتُ عليه ، وانه ليتحبب إلي بالنافلة حتى أحبه ، فاذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، واذا دعاني أجبتُه ، واذا سألني أعطيته) ..

وهذا حديث جليل ، ولعل أوضح معانيه ان الله تعالى سوف يدبر هذا العبد ، وسيكون معه في كل فعل يفعله ، وسيؤيد جميع حركاته بالقوة والسداد ، اذا كان عمله خالصاً لله تعالى كما هو المفروض .

وينبغـي الإلتفـات في المقـام إلى ان الفـرائض يمكـن ان يكـون لهـا معنيـان أو مستويان ..

فـالفرائض بـالمعنى الأخـص هـي الـصلاة والـصيام ونحوهمـا ، حيـث ورد في الأحاديث مـا مـضمونه ومـؤداه ان الله تعـالى افـترض عـلى عبـاده الـصلاة ، والزكاة ، والصيام ، وحـج البيـت ، والولايـة لأهـل البيـت (ع) ، والجهـاد ، والأمـر بـالمعروف ، والنهـي عـن المنكـر (انظـر الوسـائل بـاب ١ مـن مقدمـة العبادات) .

ويمكـن ان تـشمل الفـرائض بمعناهـا الأعـم جميـع الواجبـات والـتروك الـتي فرضـها الله تعـالى علينـا ، سـواء كانـت متعلقـة بـالله تعـالى تعلقـاً محـضاً ، أو بالنفس ، أو بالآخرين ..

فإنقـاذ الـنفس مـن الانحـراف واجـب ، والنهـي بالمقـدار الممكـن عـن المنكـر واجب ، وكذلك ترك الغيبة واجب ، واجتناب الظلم واجب ..

فكــل هــذه ونحوهــا واجبــات فرضــها الله تعــالى علينــا ، فتدخــل بهــذا الاعتبار تحت عنوان الفرائض بمعناها الأعم .

ثم انه سيأتي ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (طاعة الله) ، وعـن الإلتـزام والإستقامة ، وعن العدالة بالمعنى الأعم .

طاعة الله تعالى

بطـــاعة الله خـلاصُ النـاسِ

وإنــها (غنيــمــة الأكيـــاسِ)

يقول الله تعالى :

(وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) آل عمران- ١٣٢

(إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ ، وَيَتَّقْهِ ، فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) النور (٥١-٥٢) .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان الله تعالى يقول يابن آدم أطعني فيما أمرتك ، ولا تعلّمني ما يصلحك) .

فطاعة الله عزوجل فرض واجب ، وهي - في الوقت نفسه - مصلحة للإنسان لا يستغني عنها ، ولانجاة له إلا بها ..

وفي الدعاء : (يامن طاعته نجاة للمطيعين) .

وفي حديث آخر عن النبي (ص) : (قال الله عزوجل ايما عبد أطاعني لم أكله إلى غيري ، وايما عبد عصاني وكلته إلى نفسه ، ثم لم أبالِ في أي واد هلك) .

وفي الدعاء : (يامن طاعته غنى) ..

وفي دعاء الإمام السجاد (ع) في يوم الاثنين يسأل الله تعالى : (سعادة في أوله بطاعتك) ..

أي ان طاعة الله سبب لتحصيل السعادة الحقيقية ، بل هي السعادة بعينها ، كما اشرنا إليه في مقام سابق ..

ولـذلك ورد في الحـديث عـن الإمـام علـي (ع) : (ان الله جعـل الطاعـة غنيمـة الأكياس ، عند تفريط العجزة) .
كما ورد عنه (ع) أيضاً : (كل يوم لاتعصي الله فيه فهو يوم عيد)
وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (مـن أراد عـزاً بـلا عشيرة ، وغنـى بلا مال ، وهيبة بلا سلطان ، فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته) .
وفي الدعاء : (وانقلني من ذل المعاصي إلى عزّ الطاعة) .
فالمفروض ان نلتزم بالطاعة ، ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لها دائماً ..
وفي الدعاء : (اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبُعد المعصية) ..
وفي دعاء آخر : (واجعل قوتي في طاعتك) ..
وفي دعاء آخر : (وسلامة أقوى بها على طاعتك) .

ثم ان الوارد عن النبي (ص) : (لايُدرك ما عند الله إلا بطاعته) ..
وفي بحـار الأنـوار عـن الإمـام الـسجاد (ع) : (خلـق الله الجنـة لمـن أطاعـه وأحسن ، ولـو كـان عبـداً حبشياً ، وخلـق النـار لمـن عـصاه ولـو كـان ولـداً قرشياً) .
وعن الإمام الباقر (ع) : (لاتذهب بكـم المذاهب ، فـوالله مـا شيعتنا إلا مـن أطاع الله عزوجل) .
وعنه (ع) أيضاً : (أيكتفـي مـن انتحـل التـشيع ان يقـول بحبنـا أهـل البيـت ، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه) ..
ثم قال (ع) : (والله ما نتقرب إلى الله عزوجل إلا بالطاعة) ..
وفي الحديث أيضاً : (من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ، ومن كـان عاصـياً فهـو لنا عدو ، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع) .

وسيأتي في فصل لاحق الحديث عن (الصبر على الطاعة) ، (والصبر عن المعصية) ..

كما سيأتي الحديث عن (اجتناب الخطايا والآثام) ، وعن الاستقامة ، والالتزام وعدم الفسوق .. ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

الصبر على طاعة الله تعالى

فاصبر على الطاعة إن الظــفرا

مفتاحه الصبر على مــا أمــرا

يقول الله تعالى :

(وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) الطور- ٤٨

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) الإنسان- ٢٤

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) الكهف- ٢٨

وفي الحديث عن النبي (ص) : (الصبر ثلاثـة : صبر عند المصيبة ، وصبر عند الطاعة ، وصبر عن المعصية ، ثم قال (ص) : (ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ، مابين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش)

وعنه (ص) أيضاً : (اذا كان يوم القيامة نادى مناد عن الله ، يقول أين أهل الصبر ، فيقوم عنق من الناس ، فتستقبلهم زمرة من الملائكة ، فيقولون لهم : ما كان صبركم هذا الذي صبرتم ، فيقولون : صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله ، فينادي مناد من عند الله : صدق عبادي ، خلوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب).

وفي رواية مماثلة عن الإمام الصادق (ع) : (اذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة ، فيقال : من انتم ؟ فيقولون نحن أهل الصبر ، فيقال لهم على ما صبرتم ؟ فيقولون : كنا نصبر على طاعة الله ، ونصبر عن معاصي الله ، فيقول الله عزوجل ، صدقوا ، ادخلوهم الجنة ، وهو قول الله عزوجل : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) ..

وفي حديث آخر عنه (ع) أيضاً : (اصبروا على الدنيا ، فانما هي ساعة ، فان مامضى منه لاتجد له ألماً ولا سروراً ، ومالم يجئ فلا تدري ما هو ، وانما هي ساعتك التي أنت فيها ، فاصبر فيها على طاعة الله ، واصبر فيها عن معصية الله) .

وعن الإمام السجاد (ع) : (اصبر على الحق وان كان مُراً ، تُوفّ أجرك بغير حساب) .

وعن الإمام الكاظم (ع) : (إياك ان يراك الله في معصية نهاك عنها ، وإياك ان يفقدك الله عند طاعة أمرك بها) .

وقد مر الحديث عن التقوى والورع وخشية الله عزوجل ، كما مر الحديث عن المراقبة والمحاسبة ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا ان الصبر على الطاعة أمر لا بد منه لكل مؤمن ، لأنه اذا لم يصبر على الطاعة لم يلتزم بها ، وعندئذ يقع في الحرام ، والمراد بهذا الصبر ان يصبر على فعلها ، وان يصبر على المداومة والاستمرار عليها ، بل ان يصبر كذلك على عدم تفويتها أو إحباطها برياء أو غيبة أو نحوهما ..

ففي الحديث عنهم(ع): ان (الإبقاء على العمل حتى يخلص ، أشد من العمل).

وفي الحقيقة فقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (الصبر) عموماً ، وسنتحدث في الفصل اللاحق عن (الصبر عن المعصية) .

الصبر عن معصية الله عزوجل

كذلك الصبر عـــن المعاصي

باب إلى الرضوان والخـــلاصِ

والكلام هنا مرتبط بما تقدم في الفصل السابق ، وبما تقدم في فصل الصبر عموماً .

وفي الحديث عن النبي (ص): (من صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش).

وعن أمير المؤمنين (ع) : (الصبر صبران : صبر عند المصيبة ، حسن جميل ، وأحسن من ذلك ، الصبر عند ما حرم الله عزوجل عليك) .

وبنفس مضمونه عن الإمام الباقر (ع) : (الصبر صبران ، صبر على البلاء حسن جميل ، وأفضل الصبرين الورع عن المحارم) .

ولا يخفى ان (الصبر عن المعصية) واجب شرعاً ، وضروري عقلاً ، لان الفرد اذا لم يصبر عن المعصية ، فانه سيرتكبها ، وسيوقع نفسه في الحرام ، وسيكون معرضاً للغضب والعقوبة ، وسيبتعد عن الجنة ورضوان الله ، وسيقترب من النار وسخط الله عزوجل ..

وهذا هو الشقاء والهلكة ، والعياذ بالله .

واما اذا صبر الفرد عن المعصية وامتنع عنها ، فانه سينال عندئذ أجـــر الصبر والطاعة ، وسيكون من أهل التقوى والورع ، وسيكون من أهل المجاهدة والثبات ، وقد قال الله تعالى :

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) النازعات (٤٠- ٤١) .

إجتناب الخطايا والذنوب عموماً

قـد فرض الله على الـــبرايا

أن يتركوا الآثـــام والخطـــايا

حيث يقول الله تعالى :

(وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وبَاطِنَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ ، سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ) الأنعام- ١٢٠

(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ) الأعراف- ٣٣

(وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ) النساء- ١١١

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (لاوجع أوجع للقلوب من الذنوب) .

وعن الإمام الباقر (ع) : (مامن شيء أفسد للقلب من خطيئة ، ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه ، فيصير أعلاه أسفله) .

وعن الإمام الصادق (ع) : (اذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء ، فان تاب إنمحت ، وان زاد زادت حتى تغلب على عقله) .

وعن الإمام الباقر (ع) : (الذنوب كلها شديدة ، وأشدها ما نبت عليه اللحم والدم) ..

وسيأتي الحديث عن الكبائر والصغائر .

وقد مر في الفصول السابقة ما يرتبط بالمقام ، كما مر الحديث عن التقوى والورع .

وقد ذكرنا في (طريقك نحو الجنة) ان الإنسان اذا ابتعد عن المعاصي والذنوب فانه سيحصل على عدة فوائد ، منها ما يلي :

أ - ان العبد عندئذ سوف لن يخاف من الموت وما بعده ، لانه سيكون واثقاً بالله تعالى ، ولا يوجد عندئذ ما يُخيفه من وحشة القبر وأهوال البرزخ ، بل لعله لا يخاف حتى من أهوال يوم القيامة ..

وهذا ليس من باب العجب أو الثقة بالنفس والعياذ بالله ، بل هو من باب الثقة برحمة الله ، وبما وعد الله تعالى به عباده المطيعين .

ب - ان جميع المخلوقات ستحترمه ، وستهابه حتى الملائكة خصوصاً اذا كان منزهاً فعلاً عن الذنوب ، وقد ورد في الحديث : (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء).

ج - ورد عن النبي (ص) : (ان الله يقول ايما عبد أطاعني لم أكله إلى غيري ، وايما عبد عصاني وكلته إلى نفسه ، ثم لم أبال في أي واد هلك).

د - مر علينا في مقام سابق ان طاعة الله سعادة وغنى ، وقد ورد في الحديث عن الإمام علي (ع) : (كل يوم لاتعصي الله فيه فهو يوم عيد) .

وبالمقابل فقد ورد في الوسائل (باب ٤١ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ان الذنوب لها آثار وضعية خطيرة جداً ، فبعضها يغير النعم ، وبعضها ينزل النقم ، وبعضها يهتك الستر ، وبعضها يحبس الرزق ، وبعضها يعجّل الفناء ، وبعضها يمنع الدعاء ..

وكلها (الذنوب) تشترك في كونها تبعد عن الله تعالى ، وتُبعد عن رحمته وبركاته عزوجل ، وتُبعد عن جنته ورضوانه جل شأنه ..

ولذلك يقول الله تعالى :
(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ ، لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) الأعراف- ٩٦ .

هـ - انه سيكون مقدساً وطاهراً عندئذ ، وكل من كان طاهراً ومقدساً فانه يكون محلاً للبركات الإلهية ، وفي الحديث ما مضمونه ان الفرد اذا لم يذنب سوف تصافحه الملائكة ويمشي على الماء .

و - انه سيكون من أهل الله وأحبائه ، في حين ان المذنب يبتعد بذنبه عن الله تعالى ، ليدخل في زمرة أهل المعاصي ، وهم الذين سخط الله تعالى عليهم ولم يرض عنهم ..

ولا يخرج من هذه الزمرة الاّ بالتوبة والاستغفار، ومن هنا ورد في الدعاء (اللهم اجعل نفسي مستنة بسنن أوليائك ، مفارقة لأخلاق أعدائك) ..

ومعلوم ان سنن الأولياء هي الطاعات ، وسنن الأعداء وأخلاقهم هي المعاصي والذنوب ، أعاذنا الله تعالى من شرها وقذارتها .

بل ورد في الرواية عن الإمام الصادق (ع): (ان الله تبارك وتعالى أوحى إلى بعض أوليائه : قل للمؤمنين لاتلبسوا ملابس أعدائي ، ولاتأكلوا كأعدائي، ولاتمشوا كأعدائي) .

ولايخفى ان النهي هنا انما يتعلق بكل الأمور التي يفعلها أعداء الله تعالى مما هو محرم ولو بالعنوان الثانوي أو يعتبر مقدمة للوقوع في الحرام ..

كما انه ينبهنا إلى أن التقليد الأعمى لأعداء الله تعالى ، والتشبه الساذج بأهل المعاصي قد يؤدي بالتدريج إلى الوقوع في حبائلهم ، والدخول في زمرتهم ، وهذا ما ينبغي الإلتفات إليه والحذر منه ..

(رب لا تـذر علـى الأرض مـن الكـافرين ديـاراً، انـك ان تـذرهم ، يضلوا عبادك ، ولا يلدوا الاّ فاجراً كفاراً) نوح (٢٦-٢٧).

بقي ان نؤكـد على ما اشـرنا إليـه في مناسبات عديـدة ، من ان الـذنوب والخطايا والآثـام قد تكـون مع الله تعـالى ، وقـد تكـون مـع الـنفس ، وقد تكون مع الآخرين ..

والمفـروض إجتنابهـا مطلقـاً ، قربـة إلى الله تعـالى ، وامتثـالاً لأوامـره عزوجل .

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) في تفسير قـول الله تعـالى : (اتَّقُـواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) : يُطاع فلا يعصى ، ويُذكر فلا ينسى ، ويُشكر فلا يكفر).

إجتناب الكبائر

لاسيما كبائر الذنوبِ

وإنهن علة الكروبِ

يقول الله تعالى :

(إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ، نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً) النساء- ٣١

وقد مدح الله تعالى :

(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) الشورى- ٣٧

(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلا اللَّمَمَ) النجم- ٣٢

وفي الأحاديث الواردة عن المعصومين (ع) ان الكبائر هي الذنوب التي أوجب (أو أوعد) الله تعالى عليها النار .

وفي الوسائل (باب ٤٦ من جهاد النفس) أحاديث كثيرة فصلت الكبائر ، وبيّنت مصاديقها ..

وفي أحاديث أخرى (انظر الوسائل باب ٤٨ من جهاد النفس) ان الإصرار على الصغائر يعتبر كبيرة من الكبائر .

وكذلك أكدت الأحاديث (انظر الوسائل باب ٤٣ من جهاد النفس) على ان التساهل واستصغار الذنوب يؤدي بالإنسان إلى الجرأة على الله تعالى ، وهي من الكبائر ..

حيث نسمع في الحديث عن الإمام علي (ع) : (أشد الذنوب ما استخف به صاحبه) ..

وسيأتي الحديث عن كل ذلك في محله بعد قليل ..

ويتحصل مما سبق - وهو المهم - ان المعاصي قد تكون (بمعنى من المعاني) كلها كبائر ، وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (كل ذنب عظيم) ، وقد مر علينا قول الإمام الباقر (ع) : (الذنوب كلها شديدة) ..
وعليه فان المصاديق المنصوصة ليست حصرية ، وانما هي المصاديق الأوضح والأظهر ، وان لفظة (كبائر) في قوله تعالى : (كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) ، و(كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ) ، قد لاتكون للتقييد أو التخصيص ، وانما هي للتوضيح أو التبيان .

وفي (خواطر حول الذنوب والأدعية) ذكرنا ان الكبائر والصغائر جميعها مبغوضة عند الله تعالى..
واشرنا إلى ان الذنب قد يكون كبيراً بلحاظ معين ، كما لو صدر عن جرأة أو إصرار ، وقد يكون نفسه صغيراً أو من اللمم ، اذا صدر عن سهو أو غفلة أو جهل .
وقد قيل ان المسألة نسبية ، فبعض الذنوب أكبر بلحاظ ذنوب معينة ، وأصغر بلحاظ ذنوب غيرها ، ففي الحديث عن الإمام الباقر (ع): (الذنوب كلها شديدة ، وأشدها ما نبت عليه اللحم والدم) ..
وأُشكل عليه بانه قد يدخل في باب القياس المنهي عنه ، وقد ورد في الأحاديث انه لايجوز احتقار الذنوب (كما سيأتي) ..
وفي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (ان الله خبأ سخطه في معصيته ، فلا تحتقرن من المعاصي شيئاً ، فلعل سخط الله فيه) .
وفي الحديث ان الله تعالى أوحى إلى عزير (ع) : (اذا وقعت في معصية ، فلا تنظر إلى صغرها ، ولكن انظر إلى من عصيت) .

وفي رواية أخرى عن النبي محمد (ص) : (يا أبا ذر لا تنظر إلى صغر الخطيئة ، ولكن انظر إلى من عصيت) .

وسيأتي الحديث عن الصغائر والمحقرات من الذنوب ، كما مر الحديث عن اجتناب الخطايا والآثام عموماً .

ولعل من المناسب في المقام ان نستعرض إجمالاً أهم الكبائر التي ذكرها الفقهاء في الرسائل العملية ..

ففي كتابنا (غاية المتفقهين) ان الفقهاء ذكروا جملة من كبائر الذنوب ، وأهمها :

الشرك بالله تعالى ، واليأس من رَوح الله ، والأمن من مكره عزّ وجلّ ، وكذلك عقوق الوالدين وهو الإساءة إليهما بقول أو فعل ، وقتل النفس المحترمة ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، والفرار من الزحف ، وأكل الربا ، والزنا ، واللواط ، والسحر ، واليمين الغموس الفاجرة وهي الحلف بالله تعالى كذباً على وقوع أمر ما أو على حق امرئٍ أو منع حقه خاصة كما قد يظهر من بعض النصوص ، وقيل إن الغموس هي الحلف بالله تعالى كاذباً في مقام النزاع .

ومن الكبائر : منع الزكاة المفروضة ، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، وشرب الخمر ..

ومنها : ترك الصلاة أو غيرها مما فرضه الله متعمّداً، ونقض العهد، وقطيعة الرحم بمعنى ترك الإحسان أو المودة إليه من كل وجه (أي قطعها تماماً كما هو مفصّل في محله) ، والتعرّب بعد الهجرة إلى البلاد التي ينقص بها الدين ، والسرقة ، وإنكار ما أنزل الله تعالى (هذا شريطة أن

لا يكون القائل بذلك ملتفتاً إلى الملازمة بين إنكار ذلك وتكذيب الرسالة وإلا فهو كافر).

ومنها : الكذب على الله، أو على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أو على الأوصياء (عليهم السلام) ، بل مطلق الكذب . وأكل الميتة ، والدم، ولحم الخنزير ، وما أُهلّ به لغير الله ، والقمار.

ومن الكبائر أيضاً : أكل السحت ، كثمن الميتة والخمر ، والمسكر ، وأجر الزانية، وثمن الكلب الذي لا يصطاد، والرشوة على الحكم ولو بالحق، وأجر الكاهن، وما أُصيب من أعمال الولاة الظلمة ، وثمن الجارية المغنّية، وثمن الشطرنج ، فإن جميع ذلك من السحت.

وذكروا من الكبائر أيضاً: البخس في المكيال والميزان، ومعونة الظالمين، والركون إليهم، والولاية لهم، وحبس الحقوق من غير عسر، والكِبر (التكبر أو الغرور)، والإسراف والتبذير (انظر حدودهما في البحار ٣٠٢/٧٢ وكذلك النهي عنهما في ٣٤٤/٧١) ، والاستخفاف بالحجّ، والمحاربة لأولياء الله تعالى، والاشتغال بالملاهي كالغناء (وهو الكيفية اللهوية التي يؤتى بها بالألحان المتعارفة عند أهل الفسوق) ، وضرب الأوتار(أو الموسيقى) ونحوها مما يتعاطاه أهل الفسوق .

ومنها الإصرار على الذنوب الصغائر .

ومن الكبائر: البهتان على المؤمن وهو ذكره بما يعيبه وليس هو فيه ..

ومنها الغيبة وهي ان يذكر المؤمن بعيب في غيبته (كما سيأتي تفصيله) .

ومنها: سبّ المؤمن وإهانته وإذلاله ، ومنها: النميمة بين المؤمنين بما يوجب الفرقة بينهم..

ومنها: القيادة وهي السعي بين اثنين لجمعهما على الوطء المحرَّم..

ومنها: الغش للمسلمين، ومنها: استحقار الذنب فإن أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه، ومنها: الرياء ، وغير ذلك مما هو مفصل في كتب الفقه والأخلاق ..

وتنفع هنا مراجعة مهذّب الأحكام (٨/ص١١٦- ١٤٤) حيث وردت فيه تحقيقات نافعة عن الكبائر وعن العدالة والمروءة والتوبة ، وكذلك تنفع رسائل الشيخ الأنصاري في العدالة والذنوب ، وكذلك تنفع مراجعة الميزان للطباطبائي ج٤ ..

وقيل إن ترك المروءة يُخرج عن العدالة ، والمروءة كما يقولون هي تخلّق المؤمن بأخلاق أمثاله من المتشرعين ، وترك ما لا يليق به (سواء من حيث الزمان أو المكان أو المجتمع) ، ولا ريب أن المروءة مطلوبة على أية حال.

إجتنـاب الشهوات المحرمــة

وان في اللـــذات مـاحــرّمَـهُ

فلــــينظر الإنســــــان ما تيّـمَهُ

يقول الله تعالى محذراً من إتباع الشهوات :

(فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً) مريم- ٥٩

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) آل عمران- ١٤

(وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ، وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ ، أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيماً) النساء- ٢٧

وفي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (الجنة محفوفة بالمكاره والصبر ، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات ، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار) .

وقد مر الحديث عن مجاهدة النفس ، وإصلاحها ، وإيثار رضا الله تعالى على هواها ، كما مر الحديث عن مخالفة الهوى ، وسيطرة العقل ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

وقد ذكرنا في بعض كتبنا انه توجد رغبات او شهوات محددة ، ممنوعة على الإنسان ، فالمفروض إجتنابها ، سواء كانت محرمة شرعاً ، أو كانت سبباً ومقدمة للوقوع في الحرام ، أو كانت مضرة ومؤذية بغض النظر عن حكمها الشرعي ..

وأما ماعدا ذلك فالمؤمن يستطيع أن يفعل كل ما يريده بشرط أن يطبق أحكامه الشرعية ، فهو يتزوج ويسافر ويتاجر ويأكل ويمارس ما يحتاجه ويشتهيه مادام في حدود الشريعة والعقل .

وقد قال الله عزوجل : (وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا) القصص - ٧٧

وفي الخبر أن جماعة من الصحابة حرّموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل ، فقال لهم النبي (ص) : (إني آتي النساء ، وآكل بالنهار ، وأنام بالليل) ..

وسيأتي ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن عدم التعلق بالدنيا ، وعدم الحرص عليها .

ثم انه قد ورد عن الإمام الباقر (ع) : (ان الله ثقّل الخير على أهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة ، وان الله خفف الشر على أهل الدنيا كخفته في موازينهم يوم القيامة) ..

وهي إشارة إلى قوله تعالى :

(فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ، فهُوَ فِي عيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ، ومَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ، نَارٌ حَامِيَةٌ) القارعة (٦- ١١) .

(وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ، فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ، فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ)الأعراف(٨- ٩) .

وأما ماورد في الدعاء : (اذا قيل للمخفين جوزوا ، وللمثقلين حطوا) ، فالمقصود هو الإشارة إلى قوله تعالى :

(فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً)

الانشقاق (٧-٨) .

على اعتبار ان العبد كلما قلّت ذنوبه وخطاياه ، كلما خفّ حسابه وتيّسر ، فيجوز بسرعة وسهولة برحمة الله وفضله عزوجل ..

وكلما كثرت ذنوبه وخطاياه ، كلما ثقلت أغلاله وقيوده ، وطال حسابه وتعّسر ..

وفي الحديث عن النبي محمد (ص) : ان (ظهوركم ثقيلة من أوزاركم ، فخففوا عنها بطول سجودكم) .

عدم الإصرار على الصغائر

ولايـصـرّنّ على الـصـغــيرة

فإنـــــها تكـــون كالكـــبيرة

حيث يقول الله تعالى :

(وَالَّـذِينَ إِذَا فَعَلُـواْ فَاحِـشَةً أَوْ ظَلَمُـواْ أَنْفُـسَهُمْ ، ذَكَـرُواْ اللّـهَ فَاسْـتَغْفَرُواْ لِـذُنُوبِهِمْ ، وَمَـن يَغْفِـرُ الـذُّنُوبَ إِلاَّ اللّـهُ ، وَلَـمْ يُـصِرُّواْ عَلَـى مَـا فَعَلُـواْ وَهُـمْ يَعْلَمُونَ) آل عمران- ١٣٥

وفي الحديث عن النبي محمد (ص):(لاتحقـرن شـيئاً وان صـغر في أعينكم ، فانه لاصغيرة بصغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة بكبيرة مع الاستغفار) .

وورد عنه (ص) أيضاً : أن (من علامات الشقاء الإصرار على الذنب) .

وعن الإمام علي (ع) : (لايصغر ما يضر يوم القيامة) .

وعـن الإمـام البـاقر (ع) : (لا تستـصغرن سيئة تعملها ، فانـك تراهـا حيث تسوءك) .

وقد قال تعالى :

(وَوُضِعَ الْكِتَابُ ، فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ، وَيَقُولُـونَ يَـا وَيْلَتَنَـا ، مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا ، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ، وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) الكهف- ٤٩

وفي الحـديث عـن الإمـام الـصادق (ع) ان رسـول الله (ص) نـزل بـأرض قرعاء ، فقـال لأصحابه : ايتوا بحطب ، فقـالوا : يارسـول الله نحن بـأرض قرعاء ما بهـا من حطب ، فقـال (ص) : فليأت كـل إنسان بمـا قدر عليه ،

فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض ، فقال رسول الله (ص) : هكذا تجتمع الذنوب ..

ثم قال (ص) : (إياكم والمحقَّرات من الذنوب ، فان لكل شيء طالباً ، ألا وان طالبها يكتب ما قدّموا وآثارهم ، وكل شيء أحصيناه في إمام مبين).

(يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَملَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) الأعراف - ٣٠

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (لاصغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرة مع الاستغفار) .

وعن الإمام الباقر (ع) : (الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ، ولا يحدث نفسه بالتوبة ، فذلك الإصرار) .

وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (اجتناب الكبائر) ، وسيأتي الحديث عن (المحقرات من الذنوب) ..

واما اللمم ففي الحديث انه الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه .

إجتناب المحقَّرات من الذنوب

ولا يـكن لذنـــبه مستـصغِرا

فربـــما كـــان علـيه خَطِـرا

يقول الله تعالى :

(فَأصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) النحل- ٣٤

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) الزمر - ٤٨

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (أشـد الـذنوب ما استهان (استخـف) به صاحبه) .

وعـن الإمـام البـاقر (ع) : (لاتستـصغر حسنة ان تعملـها فانـك تراهـا حيـث تسرك ، ولا تستصغرن سيئة تعملها فانك تراها حيث تسوءك) .

وعنه (ع) أيضاً : (إتقـوا المحقَّـرات من الذنوب فإن لها طالباً) .

وعـن الإمـام الـصادق (ع) : (ان الله يـبغض العبـد ان يـستخف بـالجرم اليسير) .

وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن إجتناب الكبائر ، وعدم الإصرار على الصغائر .

ثم انه ورد عن الإمام الباقر (ع):(من الـذنوب التي لاتغفـر ، قـول الرجـل ليتني لا أواخذ إلا بها) .

وعـن الإمـام الـصادق (ع) : (إتقـوا المحقـرات مـن الـذنوب فانهـا لاتغفـر ، فسُئل عنها فقال (ع) : الرجل يذنب الـذنب ، فيقـول طـوبى لـي إن لم يكـن لي غير ذلك) .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (ان الله أخفى أربعة في أربعة : أخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئاً من طاعته ، فربما وافق رضاه وأنت لاتعلم ، وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئاً من معصيته ، فربما وافق سخطه وأنت لاتعلم ، وأخفى أجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئاً من دعائه فربما وافق أجابته وأنت لاتعلم ، وأخفى وليه في عباده ، فلا تستصغرن عبداً من عبيد الله ، فربما يكون وليه وأنت لاتعلم) .

وقد قال الله تعالى :

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) الزلزلة(٧-٨) .

الإلتزام وعدم الفسوق

وكـلـما وُفّـــق لـلإلـــتـزام

كـــان من الله قريـب المـــقام

يقول الله تعالى :

(قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) آل عمران- ٣١

(فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) طه- ١٢٣

(أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ) السجدة- ١٨

(وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ) السجدة- ٢٠

وقد ذكرنا في (طريقك نحو الجنة) ان الفسوق هو الخروج عن الطاعة ، أو الخروج عن حدود الشريعة ، فيكون المطلوب هو عدم الفسوق ، أي عدم الخروج عن طاعة الله ، وعدم الخروج عن حدوده الشرعية ، وهذا هو المقصود بالالتزام ..

وسيأتي بعد قليل الحديث عن (الاستقامة) ، و(العدالة بالمعنى الأعم) ، وسيأتي فيهما مايرتبط بالموضوع .

ومحل الشاهد في المقام انه يجب على كل إنسان ان يكون ملتزماً بالأوامر الشرعية ، ثابتاً على الطريق المستقيم الذي حددته الشريعة ، وهذا انما يتحقق بأداء الواجبات، واجتناب المعاصي، وبذلك تتحقق الطاعة التي هي سبب أكيد لتحصيل الجنة ..

(وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) النساء- ١٣

وفي النبوي (ص) المشهور مامضمونه أن الجنة لمن أطاع ولو كان عبداً حبشياً ، والنارلمن عصى ولو كان سيداً قرشياً ..

فالمفروض بالمؤمن اذاً ان يتفقه في دينه ، ليعرف ما هي الواجبات التي يفترض ان يؤديها، سواء كانت شخصية او نوعية ، وكذلك ليعرف ما هي المحرمات والمعاصي التي لايرضاها الله عز وجل لكي يجتنبها ويبتعد عنها، وبذلك يستحق الجنة كما قال تعالى:

(وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً) النساء- ٦٩.

فاذا التفتنا الى ان الله تعالى لايكلف نفساً الا وسعها، وانه ما جعل علينا في الدين من حرج، فسندرك بالنتيجة ان التكاليف التي امرنا الخالق تعالى بها ، هي تكاليف ممكنة وميسورة بالنسبة الينا ، أي انها داخلة تحت مجالات قدرتنا ..

ولئن كان الكثير منا من يستثقلها فهذا يرجع إما الى قلة ايمانه، أو قلة وعيه، او قلة همته، وقد ورد في الدعاء: (واجعل همتي في طاعتك ولزوم عبادتك).

وبهذا ونحوه ينبغي ان نفهم ما ورد في بعض الاخبار بما مضمونه ان الطاعات تكون ثقيلة على الناس ، بينما تكون المعاصي خفيفة عليهم ، فان هذا اما ان يكون بلحاظ الأعم الأغلب من مجموع البشر، واما ان يكون بلحاظ النفس الأمارة بالسوء فانها تستثقل الخير وتستأنس الفساد..

ومن هنا ورد (حُفت الجنة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات)..

ولذلك يقول الله عزوجل: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) البقرة (٤٥-٤٦).

حيث ان المؤمن (العارف) على خلاف عامة الناس ، وعلى خلاف انفسهم الأمارة بالسوء ، فانه يستثقل المنكر وان اضطر اليه ، كما انه يحب الطاعة ويأنس بالمعروف.

(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) الحجرات- ٧

وفي الحديث عن النبي(ص): (من أذنب ذنباً فأوجعه قلبه ، غفر الله له ذلك الذنب) .. وقد مر الحديث عن هذا الموضوع .

وورد في الحديث عن النبي (ص): (قال الله تبارك وتعالى: لو لم يكن في الارض الاّ مؤمن واحد ، لاستغنيت به عن جميع خلقي ، ولجعلت له من ايمانه أَنَساً لايحتاج الى أحد).

وعلى اية حال فقد ورد عن المعصومين (ع) في أهمية اجتناب المحارم ان الله تعالى ناجى نبيه موسى(ع): (يا موسى ما تقرّب الي المتقربون بمثل الورع عن محارمي، فإني أبيحهم جنان عدن).. وقد مر الحديث عن اجتناب الخطايا والذنوب .

وورد عنهم (ع) في اهمية العمل بالطاعات واداء الواجبات ان الله تعالى يقول : (ما تحبب الي عبدي بأحب مما افترضت عليه).. وقد مر الحديث عن الطاعة وأداء الفرائض .

فلنعمل جميعاً على ذلك ، ما دام الامر تحت قدرتنا وامكانياتنا ، خصوصاً وان التأييد الإلهي مفتوح للجميع ، مادامت النية الحقيقية موجودة ، وما دام العبد غير مقصر وغير متهاون..

(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ).

الإستقامــة

وانــما النــجاة في القـــيامة

لـمن يــحث السير باستقامة

حيث يقول الله تعالى :

(فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ) هود- ١١٢

(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ، وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) الأنعام- ١٥٣

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) فصلت- ٣٠

(وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) آل عمران- ١٠١

وفي مجمع البحرين الاستقامة الاعتدال في الامر ، وفي الميزان للطباطبائي (٤٨/١١) ان قوله تعالى : (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) أي كن ثابتاً على الدين موفياً حقه طبق ما أُمرت بالاستقامة ، وقد أُمر به في قوله تعالى : (وأن أقم وجهك للدين حنيفاً) يونس - ١٠٥ .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (بموت النفس تكون حياة القلب ، وبحياة القلب البلوغ الى الاستقامة) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (من استقام فالى الجنة ، ومن زل فالى النار) .

وفي روضة الواعظين عن بعض الصادقين (ع) انه قال : الذكر مقسوم على سبعة اعضاء اللسان والروح والنفس والعقل والمعرفة والسر والقلب ، وكل واحد يحتاج الى الاستقامة ، فاستقامة اللسان صدق الاقرار ، واستقامة الروح صدق الاحتضار ، واستقامة النفس صدق الاستغفار ،

واستقامة القلب صدق الاعتذار ، واستقامة العقل صدق الاعتبار ، واستقامة المعرفة صدق الافتخار ،واستقامة السر السرور لعالم الاسرار)..

وفي الخصال ذكر الخبر وفيه (واستقامةالروح صدق الاستغفار ، واستقامة القلب (والظاهر انه سهو والصحيح النفس) صدق الاعتذار ، واستقامة القلب صدق اليقين ومعرفة الجبار) .

ثم انه سيأتي ما يرتبط بالاستقامة عند الحديث عن (العدالة بالمعنى الأعم) في الفصل القادم .

وفي بعض الاحاديث (في الكافي) ان الاستقامة المطلوبة في كتاب الله تعالى هي الاستقامة على ولاية أمير المؤمنين (ع) ، والأئمة (ع) من بعده واحد بعد واحد ..

وقد مر الحديث عن الولاية (ولاية المعصومين (ع)) ، وانها الطريق الموصِل الى الله تعالى .

العدالـة (بالمعنى الأعـم)

ومــن تــكون عـنده العــدالة

عــلامــة ومــذهب وحـــالـة

يقول الله تعالى :

(اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ، وَاتَّقُواْ اللّهَ) المائدة - ٨

وفي الحقيقة فانه سيأتي الحديث عن العدل بين الناس (وهو العدل بالمعنى الأخص) ، وكذلك العدل بمعنى انصاف الناس ولو من النفس ، كما سيأتي الحديث عن عدم الظلم عموماً .

وأما في المقام فالحديث سيكون عن العدالة بالمعنى الأعم الشامل للالتزام والإستقامة ، وعدم الافراط او التفريط المنهي عنهما .

وفي مجمع البحرين ان العادل : الواضع كل شيء في موضعه ، وان العدل : القــصد في الامــور ، وفي (مــادة قــصد) ذكــر أنــه ورد في الحـــديث (القصدالقـصد) ، أي الزمـوا القـصد والتمـسوه ، وتـؤول على معنـيين ، أحدهما الاستقامة ، فـان القـصد يستعمل فيما بـين الاسـراف والتقـتير ، والقصد في الأمور ما بين الإفراط والتفريط ..

وفي الميـزان (٣٠١/١٢) ان العـدل هـو إلتـزام الحـد الوسـط في الاعمـال واجتناب الافراط والتفريط ، ثم بيّن أنه العمل الصالح أعم من العـــدل في الرعية ..

وفي الميـزان (٣٧١/١) ذكــر ان العدالـة والعفـة والـشجاعة والحكمـة هـي اصول الاخلاق الفاضلة ، بل ذكر النراقي في جامع السعادات أن العدالة أشـرف الفـضائل وأفـضلها ، لأنهـا هيئـة نفـسانية يقتـدر بهـا علـى تعـديل الصفات والأفعال ، وردّ الزائد والناقص الى الوسط ..

وفي الميزان أيضاً (٢٠٤/٦) بحث مفصل عن العدالة بهذا المعنى ، وفيه يقول ما خلاصته ان العدالة عند الفقهاء هي الهيئة النفسانية الرادعة عن إرتكاب الكبائر بحسب النظر العرفي ، واما في علم الاخلاق فالعدالة هي الملكة الراسخة بحسب الحقيقة .

ثم ذكر الحديث عن الامام الصادق (ع) عندما سُئل بم تعرف عدالة الرجل بين المسلمين حتى تقبل شهادته ؟ فقال : ان تعرفوه (يعرفوه) بالستر والعفاف وكف البطن والفرج واليد واللسان ، ويعرف باجتناب الكبائر التي أوعد الله عليها النار) .

وفي كتابنا (غاية المتفقهين ج١) ذكرنا ان العدالة هي عبارة عن الاستقامة الثابتة بنحو الملكة للإنسان بحيث تكون صفة راسخة ودائمة إجمالاً لديه ، ولازمها كحد أدنى أن يلتزم بالواجبات ويمتنع عن المحرمات.

فالعدالة بعبارة أخرى هي الملكة المانعة غالباً عن الوقوع في المعاصي، مع الالتفات إلى أن فعل المحرمات أو ترك الواجبات يعتبر من ضمن المعاصي.

كذلك لا يوجد فرق بين صغائر الذنوب وكبائرها بالمعنى المتعارف للصغيرة والكبيرة ، وقد ورد في الحديث أنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار.

نعم لا يضرّ بالعدالة ارتكاب بعض المحرمات أحياناً ، بدون قصد أو عمد ، وهو ما يعبر عنه باللمم خصوصاً مع المبادرة إلى التوبة.

وأما إذا وقعت المعصية فعلاً ، فالمفروض أن العدالة ترتفع ، ولا ترجع ولا تعود إلا بعد التوبة الصادقة والندم الحقيقي .

وقد مر الحديث عن الكبائر التي تسقط العدالة بإرتكابها .

وفي (فلسفة الاحكام الشرعية) ذكرنا ان مصطلح العدالة له عدة معان تختلف بحسب اختلاف نوع المستعملين ، وبالامكان أن نعطي الآن المعاني الرئيسية للعدالة:

أ - أن العدالة هي تطبيق القوانين والمباديء بدون أي تحيز ، وهذا هو المعنى العرفي ، فيقال ان هذا القاضي عادل، وان هذا الحاكم عادل ، إذا كان يحكم بدون أي تحيز .

ب - ان العدالة هي الحد الأوسط بين الرذائل المتقابلة ، فالشجاعة مثلا هي الحد الوسط العادل بين طرفي الجبن والتهور.. (أنظر مبحث العدالة في جامع السعادات).

ج - ان العدالة هي مطابقة العقل النظري (أي ما ينبغي أن يُعلم) للعقل العملي (أي ما ينبغي أن يُعمل) .

ومثاله أن الصدق واجب غالبا بالعقل النظري ، فاذا طبقه الفرد العالم به عملياً ، يقال لهذا الفرد أنه عادل.

د - أن العدالة هي الالتزام بالأوامر الشرعية ، وعدم الانحراف عن الطريق المستقيم الذي حددته الشريعة ، وهذا هو المعنى الفقهي للعدالة كما وضحناه قبل قليل .

مع الالتفات الى ان (الولاية بالمعنى الذي فصلناه في محله) من الواجبات الشرعية ، ومن الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده ، فتكون شرطاً في تحقق العدالة بمعناها الأعم .

مطابقة الأفعال للأقوال

ومـــن يـكون حـــال أفـعـاله

مـــطابـقاً لحـــال أقـــوالـهِ

يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) الصف(٢-٣) .

(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ) البقرة- ٤٤

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) البقرة- ٢٠٤

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : في قول الله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) ، قال (ع) : يعني بالعلماء من صدّق فعله قوله ، ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم) .

وعنه (ع) أيضاً عندما سُئل بم يُعرف الناجي ؟ فقال (ع) : (من كان فعله لقوله موافقاً فهو ناجٍ ، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فانما ذلك مستودع) .

وعن الامام علي (ع) : (اقبل من الحكماء مواعظهم ، وتدبر احكامهم ، وكن أأخذ الناس بما تأمر به ، وأكف الناس عما تنهى عنه ، وأمُر بالمعروف تكن من اهله) .

وعنه (ع) أيضاً : (وأمُروا بالمعروف وائتمروا به ، وانهوا عن المنكر وتناهوا عنه ، وانما أُمِرنا بالنهي بعد التناهي) .

وقد دلت الاحاديث على انه لايجوز لمن وصف عدلاً ان يخالفه الى غيره ، ففي الحديث عنهم (ع) : (ان أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم عمل بغيره) .

وقد مر الحديث عن (العمل بالعلم) في فصل سابق ، فينبغي مراجعته للفائدة .

وقد ذكر صاحب الجواهر (٣٨٢/٢١) ان من أعظم أفراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأعلاها وأتقنها وأشدها ، خصوصاً بالنسبة الى رؤساء الدين ، ان يلبس رداء المعروف واجبه ومندوبه ، وينزع رداء المنكر محرمه ومكروهه ، ويستكمل نفسه بالأخلاق الكريمة ، وينزهها عن الأخلاق الذميمة ، فان ذلك منه سبب لفعل الناس المعروف ونزعهم المنكر ، خصوصاً اذا أكمل ذلك بالمواعظ الحسنة المرغبة والمرهبة ، فان لكل مقام مقالاً ، ولكل داء دواء ، وطب النفوس والعقول أشد من طب الأبدان بمراتب كثيرة ، وحينئذ يكون بأعلى أفرارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، نسأل الله التوفيق لهذه المراتب) .

ولعله (قدس) أخذه من كلام أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة : (من نصب نفسه للناس إماماً ، فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته ، قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم) .

وفي الحقيقة فان الروايات صريحة في وجوب الإتيان بما يأمر به من الواجبات ، وترك ما ينهى عنه من المحرمات (انظر الوسائل باب ١٠ من ابواب الأمر والنهي).. نعم ورد في الحديث عن النبي (ص) : (مُروا المعروف وان لم تعملوا به كله ، وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله) .

وفي (نصائح عامة للداعي والمدعو) ذكرنا ان من شروط نجاح الدعوة ، إخلاص الداعي مع نفسه ، وذلك بأن يحاول الداعي أن يعلّم المدعو ما يعمله هو ويطبقه ، ما دام يعلم أنه هو الشيء الصحيح..

وقد ورد في الحكمة إن ما خرج من القلب يدخل إلى القلوب ، وما خرج من اللسان لا يتعدى الآذان..

ولهذا فإن من أسرار نجاح واستمرار أي دعوة ، هو أن يكون الداعي مقتنعاً بما يقوله ويفعله ، لأن دعوته بما فيها من أساليب وأمثلة وأدلة ، إنما تعتمد على مدى تصديقه (هو) وإقتناعه (هو) بدعوته وبنفسه ، وقد قالوا أن فاقد الشيء لايعطيه..

وقد ورد عن النبي (ص): (إن أشد أهل النار ندامة وحسرة ، رجل دعى عبداً إلى الله فاستجاب له ، وقبل منه ، فأطاع الله فأدخله الجنة ، وأدخل الداعي النار بترك عمله واتباعه الهوى وطول الأمل).

وورد عن الإمام علي (ع): (أيها الناس إني (والله) ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها).

هكذا يكون الإخلاص مع النفس ، وهكذا يكون الصدق ..

وبدون ذلك فإن الداعي سيواجه الحسرة والندامة ، وسيعاني من داء النفاق الذي يمقته الله تعالى ولا يرضى به..

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) (الصف :٢-٣).

ولقد عاتب الله تعالى قوماً من هذا القبيل فقال عز وجل:

(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ) (البقرة - ٤٤).

وهنا توجد ملاحظة ينبغي الإشارة إليها ، وهي أن بعض الناس يحبون الخير ويحاولون أن يفعلوه ، ولكن همتهم قد تخونهم أحياناً ، وقد يمنعهم الشيطان أو النفس الأمارة من الالتزام ببعض الأعمال الخيرة ، كصلاة الليل أو مساعدة الآخرين ونحو ذلك ، وقد يكون لهؤلاء تأثير على بعض المدعوين، فالمفروض بهم أن يدعوهم إلى هذه الخيرات والأفعال الحسنة، حتى وإن لم يكونوا يفعلونها هم، فإن تحصيل أجر الهداية والدعوة ، أمر مهم وضروري ..

وأما التطبيق والعمل فهو وإن كان جديراً باهتمام الداعي ، إلا أن عدم تطبيقه لا يعني تركه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن لكل خطوة ثوابها ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

نعم، يجب على مثل هؤلاء الأفراد أن لا يوهموا الناس بأنهم يطبقون إذا لم يكونوا يطبقون فعلاً، وهذا المقدار كافٍ على أية حال ، وان كان المطلوب أكثر من ذلك.

هذا بالنسبة للداعي نفسه ..

وأما المدعو فالمفروض به إذا كان حكيماً وطالباً لصلاح نفسه، أن يأخذ القول الحسن والموعظة الجميلة ويطبقها ويلتزم بها ، سواء كان الداعي يطبق ما يقول أو لا يطبقه ، فإن الهداية قد تحصل من أسباب غير مستحقة ، حيث ورد أن الله تعالى ينصر هذا الدين برجال لا خلاق لهم..

والهداية على أية حال نور إلهي ينبغي على العاقل أن يتلقاه ، من أي طريق كان .. وقد ورد أنه (لا تنظر إلى من قال ، ولكن انظر إلى ما قال).

وإذا كان المتكلم لا يطبق لسوء توفيقه ولكونه مقصراً ، فلماذا يقتدي به المستمع ولا يتقبل نصيحته ، التي هي بالأصل هدية من الله تعالى قبل أن تكون من أي شخص آخر .. وفي ذلك يقول الله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ، لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) (المائدة: ١٠٥).

العفـــة

طـوبى لـمن أخـلاقه شريـفـة

ومـــن تـــكون نـفسه عفيـفـة

يقول الله تعالى :

(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً) النور- ٣٣

(وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ) النور- ٦٠

وقد مدح طائفة من عباده بقوله تعالى :

(يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ) البقرة- ٢٧٣

وفي الحـديث عـن الـنبي (ص) : (ان الله يحـب الحيـي الحلـيم العفيـف المتعفف) .

وعن الإمام علي (ع) : (من لم يعطِ نفسه شهوتها أصاب رشده) .

وعن الباقر (ع): (ما عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج) .

وفي رواية أخرى عنه (ع)أيضاً : (أفضل العبادة عفة البطن والفرج) .

كذلك ورد عن الصادق (ع) : (أبعد ما يكون العبد من الله عزوجل اذا لم يهمه إلا بطنه وفرجه) .

وفي حديث آخر يقول (ع) : (إنما شيعة جعفر من عف بطنه وفرجه ، وإشتد جهاده ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، وخاف عقابه ، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر) .

وفي مجمع البحرين ذكر أن التعفف هو كف النفس عن المحرمات ، وعن سؤال الناس ، ومنه (رحم الله عبداً عفّ وتعفّ وكف عن المسألة) ، وفي الدعاء : (اللهم إني أسألك العفاف والغنى) ..

وفي الخبر : (من يستعفف يعفه الله) .

والاستعفاف اما طلب العفاف ، أو الصبر والنزاهة عن القبائح ..

وفي مفردات الراغب ان العفة : حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة ..

والمتعفِّف : المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر .

وقد مر الحديث عن الورع ، ومجاهدة النفس ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام ، كما سيأتي الحديث عن عدم الطمع .

الحـلـم

إن شـــانه الجـاهل أو تهـجـم

قـــابـلـه بالحـلـم أو تحلّـم

لايخفـى ان الحـديث عـن (الحلـم) مـرتبط بالحـديث عـن (العفـو) ، وعـن (كظــم الغـيظ) ، وستأتي الآيات الكريمة التي تأمر بـالعفو ، وتحث على كظم الغيظ ، كما مر الحديث عن الصبر عموماً .

وقد مدح الله تعالى نبيه إبراهيم (ع) بقوله :

(إنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ) هود- ٧٥

(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ) الصافات- ١٠١

ثـم ان الله تعـالى حليم ، فـالمفروض ان يتـصف العبـد بهـذه الـصفة امتثالاً للحديث الوارد بما مضمونه (تـخلقوا بأخلاق الله) .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ما أعز الله بجهل قط ، ولا أذل بحلم قط).

وعن أمير المؤمنين (ع) : (أول عوض الحليم من حلمـه ، ان النـاس أنـصاره على الجاهل) .

وعن الصادق (ع) : (كفى بالحلم ناصراً) .

وفي الحديث عن الرضا (ع) : (لايكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً) .

فالحلم مهم ، وتترتب عليه جملة من الفوائد والآثار ..

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (ان الله يحب الحيي الحليم) .

ولذلك نسمع في الحديث عن الصادق (ع) : (ان لم تكن حليماً فتحلّم) .

وفي مجمـع البحـرين مـامؤداه ان الحلـيم الـذي لم يعاجـل بالعقوبـة ، ولا يستفـزه الغضب .

والظاهر انه توجد علاقة بين الحلم بهذا المعنى ، والحلم بمعنى العقل ، حيث نبّه في مجمع البحرين إلى ان الحلم هو العقل والتؤدة ، وضبط النفس عن هيجان الغضب ، والجمع أحلام وحلوم .

وفي مفردات الراغب ان الحِلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب .

وفي الحديث عن الإمام (ع) : (الحلم ان تملك نفسك ، وتكظم غيظك مع القدرة عليه) .

وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا ان الحلم هو السيطرة على انفعالات النفس وغرائزها الانتقامية ، ولذلك فهو يقابل الغضب ..

ولا يخفى ان الإنسان حينما يتملك أعصابه وانفعالاته ، فسوف لن يصدر منه ما قد يندم عليه، ولذلك يقول النبي(ص) : (ما أعز الله بجهل قط ، ولا أذل بحلم قط) ، وهو مجرب أكيداً ، لأن الحليم يحتفظ بوقاره وهيبته سواء على المستوى الظاهري أم الباطني.

وفي الحديث عن الصادق(ع): إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما : قلتَ وقلتَ وأنت أهل لما قلت، ستُجزى بما قلت ، ويقولان للحليم منهما : صبرت وحلمت سيغفر الله لك ان أتممت ذلك ، وان ردّ الحليم عليه إرتفع الملكان).

ومن هنا ندرك بطلان الفكرة التي تعيش في أذهان اغلب الناس والتي مفادها ان السكوت عن (الرد) فيه منقصة وذلة، فان هذه الفكرة من تسويلات الشيطان..

بل الملتفت الواعي يلاحظ ان الحلم والسكوت عن (الرد على المقابل) سوف يجعل الفرد في راحة من هذه الناحية ، وستكون أعصابه باردة ، في حين تلاحظ ان الغضب والانتقام بالأفعال أو الكلمات يجعل الفرد في

وضعية مثيرة للإستهزاء والسخرية ، وهذا هو أحد معاني قول النبي(ص): (عليكم بالعفو، فان العفو لايزيد العبد إلا عزاً ، فتعافوا يعزكم الله).

وعن النبي(ص) : قال موسى يارب أي عبادك أعز عليك ، قال: الذي اذا قدر عفى).

والعفو له عدة درجات أو مراتب ، بعضها يتداخل مع الحلم وكظم الغيظ، وهناك مراتب أخرى سنذكرها في محلها .

ولنختم حديثنا عن الحلم بخبر ودعاء ..

فأما الخبر فهو ما ورد عن النبي (ص): (اذا جُمع الخلائق يوم القيامة ، نادى مناد : أين أهل الفضل ؟ فيقوم ناس - وهم يسير- فينطلقون سراعاً إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعاً إلى الجنة ، فيقولون نحن أهل الفضل .

فيقولون : ما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا اذا ظُلمنا صبرنا ، واذا أُسيء إلينا عفونا ، واذا جُهل علينا حلمنا ، فقيل لهم : أدخلوا الجنة ، فنعم أجر العاملين) .

وأما الدعاء ، ففي دعاء الافتتاح : (فلم أر مولاً كريماً ، أصبر على عبد لئيم منك علي يارب ، انك تدعوني فأولي عنك ، وتتحبب إلي فأتبغض إليك ، وتتودد إلي فلا أقبل منك ، كأن لي التطول عليك ، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إلي والتفضل علي بجودك وكرمك) .

وفي دعاء الثمالي : (تتحبب إلينا بالنعم ، ونعارضك بالذنوب ، خيرك إلينا نازل ، وشرنا إليك صاعد ، ولم يزل ولا يزال ملَك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح ، فلا يمنعك ذلك من ان تحوطنا بنعمك ، وتتفضل علينا بآلائك ، فسبحانك ما أحلمك وأعظمك وأكرمك) .

ومحل الشاهد ان هذه هي أخلاق الله تعالى مع عباده ، وهو الغني عن العالمين ، وهو جبار السموات والأرض وما بينهما ، وهو خالق الخلق ومالكهم ، وهو رب العالمين ومولاهم ..

فلماذا لا نتخلق نحن البشر بمثل هذه الأخلاق فيما بيننا ، والخلق كما في الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (اما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق) .

وما أعظم ان يحظى العبد بشرف التخلق بأخلاق الله عزوجل ، فيكون من أوليائه وأهل طاعته ، وينال ثوابه ورضاه وقربه عزوجل .

الرفـق

وينبغي الرفـق بحال الرفيـــق

فالله ذو الرفق يـــحب الرفـــيق

يقول الله تعالى :

(وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران- ١٥٩

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان الله رفيق يحب الرفق ويعين عليه) .

وعنه (ص) أيضاً : (الرفق يُمن ، والخرق شـؤم) .

وفي حديث آخر عنه (ص) : (ان في الرفـق الزيـادة والبركـة ، ومـن يُحـرم الرفق يُحرم الخيـــر) .

وفي الحـديث عـن الـسجاد (ع) : (ان مـن أحـب الأمـور إلى الله ثلاثـة .. وذكر منها الرفق بعباد الله ، ومارفق أحد بأحد في الدنيا ، إلا رفـق الله بـه يوم القيامة) .

وعـن الـصادق (ع) ان الـنبي (ص) قـال: (مـا اصـطحب اثنـان إلا كـان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله : أرفقهما بصاحبه) .

وفي جامع الـسعادات ذكـر عـدة أحاديـث عـن المعـصومين (ع) منهـا : (ان الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه) .

ومنها : (اذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق) .

وفي الحديث المشهور : (رفقاً بالقوارير) أي بالنساء .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (أيما امرأة لم ترفق بزوجهـا ، وحَملته على مـا لا يقـدر عليه ومـا لايطيـق ، لم يقبـل الله منهـا حسنة ، وتلقـى الله وهـو عليها غضبان) .

وفي مجمع البحرين ان الرفق لين الجانب ، وهو خلاف (يعني ضد) العنف.
وفي الحديث : (الرفق نصف العيش) ..
وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا ان الرفق ينشأ من الرحمة وطيبة القلب، وهما من أعلى الصفات ، ويترتب عليهما جملة من الآثار والفوائد المادية والمعنوية ، سواء في الدنيا أو في الآخرة ..
هذا بالإضافة إلى ان الرفق هو من وجوه الإحسان، والله تعالى يحب المحسنين.
وسيأتي في فصول لاحقة الحديث عن حسن المعاملة ، والسهولة ، وحسن العشرة ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

ثم إن الرفق مطلوب أيضاً مع النفس ، بمعنى ان لا يحملها فوق طاقتها ، فان الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ..

كذلك ينبغي الرفق بالآخرين عند النصيحة والهداية ، ففي الحديث عن الصادق (ع) : (ان الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم ، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة ، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشرة ، فلا تُسقط من هو دونك ، فيُسقطك من هو فوقك ، واذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ، ولا تحملنّ عليه ما لايطيق فتكسره ، فان من كسر مؤمناً فعليه جبره) .

وينبغي الرفق بالآخرين أيضاً عند المجادلة والمناقشة مهما كان مؤداها ، ففي الحديث عن الإمام (ع) عندما رأى أحد أصحابه يجادل رجلاً من العامة : (إرفق بهم ، فان كفر أحدهم في غضبه ، ولا خير فيمن كفره في غضبه) .

حتى الحيوان ينبغي الرفق به ، ففي الحديث عن النبي (ص) : (اذا ركبتم الدواب العجف فانزلوها منازلها ، فان كانت الأرض مجدبة فانجوا عنها ، وان كانت مخصبة فانزلوها منازلها) .

بل ورد الحث على الرفق حتى بالأسير المعتدي ، حيث ورد عن الصادق (ع) : (إطعام الأسير حق على من أسره) ثم قال (ع) : (فانه ينبغي ان يطعم ويسقى ويرفق به كافراً كان أو غيره) .
وفي البحار انه عندما أُلقي القبض على اللعين الذي ضرب الإمام علي (ع)، قال الإمام (ع) لولده الحسن (ع) : (ارفق يا ولدي بأسيرك ، وارحمه وأحسن إليه وأشفق عليه) .
وعندما جيء إليه بلبن شرب منه قليلاً ثم قال : (احملوا إلى أسيركم) .. ثم قال لولده الحسن (ع) : (بحقي عليك يابني إلا ما طيبتم مطعمه ومشربه ، وإرفقوا به إلى حين موتي ، وتطعمه مما تأكل وتسقيه مما تشرب ، حتى تكون أكرم منه) .

التواضـع

وزينـــة الإنسان بالتـــواضعِ

فإنـــه مـــــــن أرفـع الطبـــائعِ

يقول الله تعالى :

(إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) النحل- ٢٣

(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) الزمر- ٦٠

(وَلا تُـصَعِّـرْ خَـدَّكَ لِلنَّـاسِ ، وَلا تَمْـشِ فِـي الأَرْضِ مَرَحـاً ، إِنَّ اللَّـهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) لقمان- ١٨

(وَلاَ تَمْـشِ فِـي الأَرْضِ مَرَحـاً ، إِنَّـكَ لَـن تَخْـرِقَ الأَرْضَ ، وَلَـن تَبْلُـغَ الْجِبَـالَ طُولاً) الإسراء- ٣٧

وفي جامع السعادات ان التواضع ضد الكبر ، والتواضع هو انكسار للنفس يمنعها من ان ترى لذاتها مزيـة على الغير ، وفي الحديث عن النبي (ص) : (من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر خفضه الله) .

وفي الخبر ان الـنبي (ص) قـال لأصـحابه : (مـالي لاأرى علـيكم حـلاوة العبادة ، فقالوا : وما حلاوة العبادة ؟ فقال (ص) : التواضع) .

وفي مجمع البحرين ان التواضع التذلل ..

ولكن ينبغي ان لايُدخل المرء نفسه في الذلـة فعلاً ، فان المؤمن عزيز كما سيأتي في محله ، وفي الحديث عن النبي (ص) : (طـوبى لمن تواضـع في غـير مسكنة) ..

وفي الـدعاء عـن الإمـام الـسجاد (ع) : (ولا تحـدث لـي عـزاً ظـاهراً ، إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها) .

وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا ان التواضع هو من أعظم الأسباب المؤدية لتحصيل الجنة ورضا الله عز وجل ، رغم انه في متناول اليد ، لكل إنسان مهما كان وضعه وظرفه ومستواه ، ففي الحديث عن الصادق (ع) فيما أوحى الله عز وجل إلى داود (ع): كما ان اقرب الناس من الله المتواضعون ، كذلك ابعد الناس من الله المتكبرون).

والتواضع هو صفة الأنبياء والمعصومين (ع) ، الذين يجب الإقتداء بهم ، وقد مدح الله تعالى عباده بقوله :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) الفرقان- ٦٣.

وورد عن النبي (ص) : (أربع لايعطيهن الله إلا من أحبه: الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد في الدنيا) ..

هذا علاوة على ان للتواضع عدة فوائد وآثار منها :

أ - تحصيل الرفعة : ففي الحديث عن النبي (ص): (ان التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرحمكم الله).

وهذا مثال يوضح لنا ان البشر في غفلة عن جملة من الحقائق الواقعية، فهم يعتقدون ان التكبر يؤدي إلى الرفعة، في حين يكشف لنا المعصومون(ع) ان التكبر لا يؤدي إلا إلى التسافل ، و ان التواضع هو الذي يؤدي إلى الرفعة سواء في الدنيا أم في الآخرة ..

وقد ورد في الحديث عن الصادق(ع): (ان في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه ، ومن تكبر وضعاه).

وقد جاء في الحكمة ان المتكبر على الناس كمثل الصاعد فوق الجبل ، فهو يرى الناس صغاراً ويرونه صغيراً .. فافهم لتنجو بنفسك .

وسيأتي الكلام عن التكبر والكبر في محل خاص .

ب - تحصيل الحكمة ، حيث ذكرنا في كتابنا (معالم التكامل في المعرفة) ان التواضع هو سبب من أسباب تحصيل الذكاء أو تقويته ، وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (تواضع للحق تكن أعقل الناس).

ج- تحصيل الصفاء وخلوص النفس، فان التواضع علاج أكيد لجملة من الأمراض والعيوب النفسية التي تحجب صاحبها عن الحق والكمال ، ولذلك يقول الله تعالى:

(كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) غافر- ٣٥.

د- تحصيل الاجر والحسنات ، على اعتبار ان الله تعالى أمرنا بالتواضع :

(واخفض جناحك) الشعراء- ٢١٥

فيكون امتثال هذا الأمر طاعة توجب الثواب .

ثم ان التواضع له عدة مستويات ، كلها مطلوبة وواجبة ، حيث ورد في الدعاء (وفي جميع الأحوال متواضعاً).

فأول هذه المستويات هو التواضع أمام الله تعالى ، باعتبار انه عزوجل هو الخالق والمنعم والمولى والهادي ، وقد ورد في الدعاء : (مولاي يا مولاي أنت المولى وأنا العبد، وهل يرحم العبدَ الا المولى، مولاي يا مولاي أنت المالك وأنا المملوكَ وهل يرحم المملوك إلا المالك، مولاي يا مولاي أنت العزيز وأنا الذليل، وهل يرحم الذليل إلا العزيز)... إلى آخر هذه المناجاة الشريفة للإمام علي (ع) الواردة في أعمال مسجد الكوفة .

والتواضع لله تعالى له عدة مصاديق..

منها: ما قلناه من استشعار العبودية لله تعالى داخل النفس، بحيث يأتي الفرد بالطاعات بكل تواضع وانكسار أمام مولاه وخالقه عز وجل، وفي الحديث ان الله تعالى أوحى لنبيه موسى (ع): (يا موسى تدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ ثم قال له :إني قلبت عبادي ظهراً لبطن، فلم أجد فيهم أحداً أذل لي نفساً منك يا موسى).. وقد مر الحديث عن استصغار النفس لتأديبها .

ومنها: عدم الاعتداد بالنفس أمام الله تعالى ، بمعنى ان الفرد يبني على انه لا شيء أمامه ،وأن جميع النعم التي هو فيها انما هي راجعة إلى الله تعالى ومتوقفة على أرادته ، وفي الدعاء عن الحسين (ع): (الهي أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيراً في فقري ، إلهي أنا الجاهل في علمي ، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي).

ومنها: الشعور بالتقصير أمام الله عزوجل، بمعنى انه لا يمنَّ على الله تعالى بالطاعات، ولا يَغتّر بأعماله ، فانها قليلة مهما كانت ، اذا ما قورنت بحقوق الله تعالى على العباد ، ولذلك يقول الإمام علي (ع): (الهي ان كان صغر في جنب طاعتك عملي، فقد كبر في جنب رجائك أملي). وكذلك ورد في الدعاء ما مضمونه (الهي ان كنتُ بئس العبد فأنتَ نعم الرب) .

وفي الحقيقة فان الفرد كلما ارتقى وتكامل ، كلما شعر بالتقصير أكثر ، فتشمله العناية الربانية أكثر وهكذا..

ولذلك يلاحظ المتأمل في أدعية المعصومين(ع) انهم يصفون أنفسهم بالتقصير الشديد ، رغم إنهم القمة في التكامل ، وهذا يرجع إلى ان

التكامل يكشف للفرد عن مستويات معمقة من النعم التي تفضل بها الله تعالى على عباده، فيحس المرء عندئذ بمقدار تقصيره وقصوره أمام هذه النعم ..

وفي مناجاة الشاكرين للإمام السجاد(ع) : (إلهي تصاغر عند تعاظم الآئك شكري ، وتضاءل في جنب إكرامك إياي ثنائي ونشري) ..

ولذلك ورد أن (حسنات الأبرار سيئات المقربين) ، فان (البار) يفرح مثلاً اذا أدى النوافل اليومية ، في حين يحزن (المقرب) على ذلك ، ويعتبر الاقتصار على النوافل تقصير منه يحتاج إلى التوبة والاستغفار .

واما المستوى الثاني للتواضع فهو التواضع أمام النفس، بمعنى ان الفرد لايتصنع التواضع ، بل يعتقد فعلاً انه لاشيء أمام الله تعالى..

وكذلك يعتقد في نفسه انه ليس بأفضل من سائر العباد ، فلماذا يتكبر عليهم، وقد ورد في الخبر أن الرضا (ع) دعا يوماً بمائدة ، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم ، فقيل له جعلت فداك، لو عزلت لهؤلاء مائدة ؟ فقال (ع): ان الرب تعالى واحد، والدين واحد، والأم واحدة، والأب واحد - يقصد (ع) حواء وآدم (ع) - والجزاء بالإعمال).

وفي الدعاء عن الإمام السجاد (ع) : (ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها) .

نعم لابأس ان يعرف الفرد قابلياته وإمكانياته ، ليتصرف على أساسها ، في وجوه الطاعة الخاصة والعامة ، وقد ورد عن المعصومين (ع): (التواضع درجات ، منها ان يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم) ..

حيث يشير الإمام (ع) هنا إلى ان تصرفات الفرد على ضوء إمكانياته ،

يجب ان تكون في حدود الشريعة وبما لا ينافي التواضع ، فالنبي (ص) قاد الأمة نحو الهداية ، الا أنه لم يتكبر طرفة عين ، بل كان (ص) يقول: (انما أنا عبد آكل في الأرض، وألبس الصوف، وأعقل البعير، وألعق أصابعي، وأجيب دعوة المملوك، فمن رغب عن سنتي فليس مني).

وروي عن الصادق(ع): (ما صافح رسول الله (ص) رجلاً قط فنزع يده ، حتى يكون هو الذي ينزع يده منه) .. فليتأمل بعض (أهل العلم) في هذا الحديث..

وقد ورد في الحكمة :

ملأى السنابل تنحني بتواضع   والفارغات رؤسهن شوامخ

وأما المستوى الثالث فهو التواضع أمام الناس ، وهو من أظهر المصاديق ، حيث ورد عن الإمام الحسن (ع): (أعرف الناس بحقوق إخوانهم وأشدهم قضاء لهم أعظمهم عند الله شأناً ، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين، ومن شيعة علي بن أبي طالب(ع) حقاً).

وقد قلنا في بعض كتبنا ان هذا التواضع يجب ان يكون حقيقياً ، بمعنى انه لايكون متصنعاً أمام الناس ، لأن فائدة التواضع هو القضاء على العجب والغرور اللذين يصيبان الإنسان ، فاذا لم يدخل التواضع إلى ذات الإنسان وحقيقته ، فانه سوف لن ينجو من هذين الدائين الخبيثين .

ولا يخفى ان للتواضع أمام الناس ، عدة مصاديق يتداخل بعضها مع جملة من العناوين السابقة واللاحقة ..

فمن ذلك ما ورد عن الصادق(ع): (من التواضع ان ترضى بالمجلس دون المجلس، وان تسلم على من تلقى ، وان تترك المراء وان كنت محقاً ، وان لاتحب ان تُحمَد على التقوى) ..

وعن الرضا(ع): (التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه).

ومن التواضع أخذ النصيحة من أي شخص يقولها، ومهما كان حاله أو وضعه أو علاقته، حيث ورد في الحكمة (لاتنظر إلى من قال ، ولكن انظر إلى ما قال) ..

وقد مدح الله تعالى طائفة من عباده بقوله عزوجل.

(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ) الزمر- ١٨.

في حين يعاند البعض وتأخذه العزة بالإثم ، أو العصبية للرأي ، لأبسط الأسباب ، ناسياً ان الله تعالى توعد مثله بقوله تعالى :

(وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) البقرة- ٢٠٦.

نسأل الله تعالى ان يعيذنا من التكبر، وان يرزقنا التواضع بفضله ورحمته فهو ارحم الراحمين.

العدالة أو العدل (بالمعنى الأخص)

والعدل بين الناس فرضٌ شديـــد

وانـــما يــعـــدل حـــرٌ رشيـد

يقول الله تعالى :

(وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) الشورى- ١٥

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) النحل- ٩٠

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ) النساء- ٥٨

وفي مجمع البحرين ان العدل خلاف الجور ، وذو العدل هو الذي لايميل بـــه الهوى فيجور في الحكم ، وفي الحديث (من المنجيات كلمة العدل في الرضا والسخط) .

والعدل بهذا المعنى مطلوب في جميع الأحوال ، حيث يقول الله تعالى :

(وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) الأنعام- ١٥٢

وكذلك يقول عزوجل :

(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ ، اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) المائدة- ٨

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (قل الحق ولو على نفسك) .

فلا يجوز ان يبتني الحكم على المصالح والأهواء ..

ولذلك اشترطوا في القاضي الشرعي مجموعة من الشرائط ، منها ان يكون مجتهداً عادلاً على تفصيل مذكور في كتب الفقه ضمن (باب الاجتهاد والتقليد ، وباب القضاء) ..

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (القضاة أربعة : ثلاثة في النار ، وواحد في الجنـة) ، ثم فصلهم (ع) بقوله (ع) : (رجل قضى بجور وهو يعلم ، فهو في النار ، ورجل قضى بالجور وهو لايعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو لايعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو يعلم انه الحق ، فهو في الجنة) .

والعدل له آثار جليلة وفوائد عظيمة ، في الأمة عموماً ..

وفي الحديث عن الإمام الصادق (ع) : (العدل أحلى من الشهد ، وألين من الزبد ، وأطيب ريحاً من المسك) .

بينما ورد في الحديث انه بالجور (تحبس السماء ماؤها ، وتمنع الأرض بركتها)

ثم انه سيأتي في الحديث عن إنصاف الناس ولو من النفس ، كما سبق الحديث عن العمل بالعلم ، ومطابقة الأفعال للأقوال ..

وقد ورد في الحديث عن الصادق (ع) : أن من أشد الناس عذاباً (حسرة) يوم القيامة ، من وصف عدلاً ثم عمل بغيره .

كذلك سبق الحديث عن العدالة بمعناها الأعم ، الشامل للالتزام والإستقامة .

كـظــم الغـيـظ

وكـــاظم الغيظ عظيم الشـــانِ

بُشــراه بالأمـــن وبالإيـــمانِ

يقول الله عزوجل :

(وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ، إنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأمُورِ) الشورى- ٤٣

(فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً) المعارج- ٥

وقد مر الحديث عن الصبر عموماً ، كما مر الحديث عن الحلم ، وسيأتي الحديث عن العفو وضبط الغضب ..

وقد ذكر الله تعالى ان الجنة أعدت للمتقين الذين من صفاتهم :

(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) آل عمران- ١٣٤

وفي مجمع البحرين (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) ، أي الحابسين غيظهم ، المتجرعين له ، من كظم غيظه كظماً اذا تجرعه وحبسه ، وهو قادر على إمضائه ، وفي الحديث : من كظم غيظاً أعطاه الله أجر شهيد) انتهى كلامه .

وفي مرآة الرشاد عن النبي (ص):(من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ، ملأه الله أمناً وايماناً) ..

ومثله عن الباقر (ع) : (من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه ، حشا الله قلبه امناً وايمانا يوم القيامة) .

وعن الصادق (ع) : (من كظم غيظاً ولو شاء ان يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه) .

وعنه (ع) أيضاً : (نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها ، فان عظيم الأجر لمن عظيم البلاء ، وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم) .

وفي حديث آخر عنه (ع) : (ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عزوجل عــزاً في الـدنيا والآخـرة ، وقـد قـال الله عزوجـل : (وَالْكَـاظِمِينَ الْغَـيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وأثابه الله مكان غيظه ذلك).
وكـذلك ورد عنـه (ع) : (مـا مـن جرعـة يتجرعهـا العبـد أحـب إلى الله عزوجل مـن جرعـة غـيظ يتجرعها عنـد ترددهـا في قلبـه ، إمـا بـصبر وإمـا بحلم).
وفي الحديث ان الإمام السجاد (ع) كـان يقـول : (ما تجرعـت جرعـة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها) .
وفي رواية أخرى انه قال لولده الباقر (ع) : (مـا مـن شـيء أقـر لعـين أبيـك من جرعة غيظ عاقبتها صبر) .
وحادثته (ع) معروفة مع جاريته التي شجت وجهه كما في الرواية ، فقالـت له : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ) ، فقال (ع) : كظمت غيظي ، فقالت : (وَالْعَافِينَ عَـنِ النَّـاسِ) ، فقــال (ع) : عفــا الله عنـك ، فقالــت : (وَاللّـهُ يُحِـبُّ الْمُحْسِنِينَ) ، فقال (ع) : اذهبي فأنت حرة .

وفي الحقيقة فان هذا أمر طبيعي واعتيادي جداً ، بالنسبة لمن يتعامــل مع الله تعـالى في كـل صـغيرة وكـبيرة ، ومـن يكـون لديـه وعــي وإلتفــات حاضـرين ، بحيث يحوّل كـل شـيء يـمرّ بـه أو يـمرّ عليه إلى طاعـة وأجـر وتقرب إلى الله تعـالى ، وهـذه هـي السـعادة الحقيقيـة الـتي لا يعرفهـا إلا مـن أتى الله بقلب سليم ..
وقد تحدثنا عن كل هذه الأمور في فصول سابقة .

ضبط الغضب

وانـما الشديـد عنـــد النُوَبِ

من يملك النفس بوقت الغضبِ

حيث ورد عن النبي (ص) : (ليس الشديد بالصرعة ، وانما الشديد من ملك نفسه عند الغضب) .

وورد عنه (ص) أيضاً : (من كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة) .

وفي بعض الروايات ان الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه (ع) : (اذكرني في غضبك ، أذكرك في غضبي) ..

وقد مدح الله تعالى طائفة من عباده وصفهم بقوله عزوجل :

(وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) الشورى- ٣٧

وعن رسول الله (ص) انه قال : (الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل) ..

وعن أبي عبد الله (ع) انه قال : (الغضب مفتاح كل شر) .

وعنه (ع) أيضاً : (من لم يملك غضبه لم يملك عقله) .

وعن الصادق (ع) أيضاً : (انما المؤمن الذي اذا غضب لم يخرجه غضبه من حق ، واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل) .

وعن ابي جعفر (ع) انه قال : (ان الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار ، فأيما رجل غضب على قومه وهو قائم فليجلس من فوره ذلك ، فانه سيذهب عنه رجس الشيطان ، وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه ، فإن الرحم إذا مُست سكنت) .

وقد ذكرنا في غاية المتفقهين ان الرسائل العملية للفقهاء وان ذكرت الغضب على انه من المنكرات ، ولكنهم بالتأكيد لا يقصدون كل غضب ، وانما خصوص الذي يكون منهياً عنه شرعاً ، كما لو غضب من الحق ، أو أدى به غضبه إلى المعصية ، وهو ظاهر الروايات الواردة في المقام ، وإلا فالغضب لله تعالى واجب كما سيأتي بعد قليل ..

وقد ذكر النراقي في جامع السعادات ان الاعتدال في الغضب ان يصدر غضبه فيما ينبغي ، ولا يصدر فيما لاينبغي ، بمعنى انه يجعل غضبه تابعاً لسياسة الشرع والعقل في الغضب وعدمه .

وهذا هو المقصود بضبط الغضب ..

وقد مر الحديث عن الحلم وكظم الغيظ والصبر عموماً ، وسيأتي الحديث عن العفو .

الغضب لله تعالى ، وللحق عموماً

واغضب اذا ما عُصي الرحمنُ

فنعمــت الحميــةُ الإيـــمانُ

يقول الله تعالى واصفاً نبيه موسى (ع) عندما رجع الى قومه ، ووجدهم قد انحرفوا من بعده :

(وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً ، قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ) الأعراف- ١٥٠

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (امرنا رسول الله (ص) ان نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة) .

وعنه (ع) أيضاً : (من شنئ الفاسقين ، وغضب لله ، غضب الله له وأرضاه يوم القيامة) .

ومن كلام له (ع) مع ابي ذر : (يا أبا ذر إنك غضبت لله ، فإرج من غضبت له) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (أوحى الله تعالى إلى شعيب النبي (ع) اني معذب من قومك مائة ألف ، أربعين ألفاً من شرارهم ، وستين ألفاً من خيارهم ، فقال (ع) : يارب هؤلاء الأشرار ، فما بال الأخيار ؟ فأوحى الله عزوجل له : داهنوا أهل المعاصي ، ولم يغضبوا لغضبي) .

وعن السجاد (ع) : (ان النبي موسى بن عمران (ع) سأل الله تعالى : يارب من أهلكَ الذين تظلهم في ظل عرشك يوم لاظل الا ظلك ؟ ، فأوحى الله اليه : الطاهرة قلوبهم ، والبرية ايديهم ، الذين يذكرون جلالي ذكر آبائهم .. الى ان قال : (والذين يغضبون لمحارمي اذا استحلت مثل النمر اذا جُرح) .

وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (التعامل مع الله تعالى مطلقاً) ، وسيأتي الحديث عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

عدم التعصب إلا لله تعالى

وان يكن يأثم مـــــن تَعصبا

فـــإنه لله قَـــد تـــوجـبا

يقول الله تعالى :

(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) الفتح- ٢٦

وفي الحديث عن النبي (ص) :(من كان في قلبه حبة خردل من عصبية ، بعثه الله يوم القيامة مع اعراب الجاهلية) .

وفي الحديث عن السجاد (ع) : (لم يدخل الجنة حمية ، غير حمية حمزة بن عبد المطلب ، وذلك حين أسلم غضباً للنبي (ص)) .

وفي حديث آخر عنه (ع) : (العصبية التي يأثم عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين ، وليس من العصبية ان يحب الرجل قومه ، ولكن من العصبية ان يُعين الرجل قومه على الظلم) .

وفي نهج البلاغة لأمير المؤمنين (ع) :

(وأما الأغنياء من مترفة الامم ، فتعصبوا لآثار مواقع النعم ، فقالوا : (نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) ، فإن كان لا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ، ومحامد الأفعال ، ومحاسن الأمور ، التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل ، بالأخلاق الرغيبة ، والأحلام العظيمة ، والاخطار الجليلة ، والآثار المحمودة .

فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار ، والوفاء بالذمام ، والطاعة للبر ، والمعصية للكبر ، والأخذ بالفضل ، والكف عن البغي ، والإعظام للقتل ، والإنصاف للخلق ، والكظم للغيظ ، واجتناب الفساد في الأرض .
واحذروا ما نزل بالامم قبلكم من المثلات ، بسوء الأفعال ، وذميم الأعمال ..
فتذكروا في الخير والشر أحوالهم ، واحذروا ان تكونوا أمثالهم .

عـدم التكبـر

وليس بالعـــاقل مـــــن تكـبرا

وإنــــه يصغــــــر إذ تصعَّـــرا

يقول الله تعالى :

(إِنَّهُ لاَ يُحبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) النحل- ٢٣

(قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) الزمر-٧٢

(وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ، وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ، إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) لقمان- ١٨

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (الكبر رداء الله ، فمن نازع الله شيئاً من ذلك أكبه الله في النار) .

وعنه (ع) أيضاً : (المتكبر أعظم الناس في نفسه ، وأصغر الناس في أعين الناس) .

وقد قال الله تعالى :

(إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ) غافر- ٥٦

وعن الصادق (ع) أيضاً : (ان المتكبرين يجعلون في صور الذر ، تتوطاهم (أي تتطأهم) الناس حتى يفرغ الله من الحساب) .

وفي الحديث أن أكثر أهل جهنم المتكبرون).

وعن السجاد (ع) : (عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ، ثم هو غداً جيفة) .

وفي مجمع البحرين ان الكبر من الأخلاق المذمومة في الإنسان ، وعلاجــه بما يعرف به الإنسان نفسه من ان أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بين ذلك يحمل عذرة .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) : (ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمّه من غير ما فضلٍ فيه ، سوى ما ألحقت العظمة من عداوة الحسد ، وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب ، ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر الذي أعقبه الله به الندامة) .

وفي كلام آخر له (ع) : (ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ، ويتعبدهم بأنواع المجاهد ، ويبتليهم بضروب المكاره ، إخراجاً للتكبر من قلوبهم ، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم ، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله ، وأسباباً ذللاً لعفوه) .

وفي المستدرك عن النبي (ص):(يا أبا ذر أكثر من يدخل النار المتكبرون) فقال رجل : وهل ينجو من الكبر أحد ، قال (ص) : (نعم ، من لبس الصوف وركب الحمار وحلب العنز وجالس المساكين ، يا أبا ذر من حمل بضاعته فقد برئ من الكبر ، يا أباذر من رقع ذيله وخصف نعله وعفر وجهه فقد برئ من الكبر) .

ومقصوده (ص) انه يفترض بالإنسان أن لايستنكف من فعل الأمور البسيطة التي يفعلها الناس البسطاء ، من قبيل ما ذكره وأشار إليه (ص) .

وينبغي الإلتفات إلى ان التكبر لايختص بمورد التكبر على العباد ، ففي الحديث عن المعصومين (ع) ان : (الكبر ان تغمص الناس وتسفه الحق) .

وعن الصادق (ع) في تفسير ذلك : (يجهل الحق ويطعن على أهله ، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عزوجل رداءه) .

بل التكبر على الحق أعظم أنواع التكبر كما في الروايات الواردة عن المعصومين (ع) .

وقد قال الله تعالى :

(وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) الجاثية(٧- ٩)

(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا ، لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء) الأعراف- ٤٠

وأشد هؤلاء وأعظمهم جرماً واثماً ، هو المتكبر عن عبادة الله رب العالمين ، حيث يقول عزوجل :

(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) غافر- ٦٠

(وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً) النساء- ١٧٢

ثم قال عزوجل :

(وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلُيماً) النساء- ١٧٣

وفي الميزان ٢٦٦/١٢ ذكر ان الاستكبار مذموم دائماً ، أما استكبار المخلوق على مخلوق فلأن الفقر والحاجة قد استوعبهما جميعاً وشيء منهما لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا لغيره ، فاستكبار أحدهما على الآخر خروج منه عن حدّه ، وتجاوز عن طوره وظلم وطغيان .

وأما استكبار المخلوق على الخالق فلا يتم إلا مع دعوى المخلوق الاستقلال والغنى لنفسه ، وذهوله عن مقام ربه ، فإن النسبة بين العبد وربه نسبة الذلة والعزة والفقر والغنى ، فما لم يغفل العبد عن هذه النسبة ولم يذهل

عن مشاهدة مقام ربه لم يُعقل استكباره على ربه ، فإن الصغير الوضيع القائم أمام الكبير المتعالي ، وهو يشاهد صغار نفسه وذلته وكبرياء من هو أمامه وعزّته لا يتيسر له ان يرى لنفسه كبرياء وعزة إلا أن يأخذه غفلة وذهول .

وإذ كان الكبرياء والعلو لله جميعاً فدعواه الكبرياء والعلوّ ، تغلّب منه على ربه ، وغصب منه لمقامه، واستكبار واستعلاء عليه دعوى ، وهذا هو الاستكبار بحسب الذات، ويتبعه الاستكبار بحسب الفعل وهو أن لا يأتمر بأمره ولا ينتهي عن نهيه ، فإنه مالم يرَ لنفسه إرادة مستقلة قبال الإرادة الإلهية مغايرة لها ، لم يرَ لنفسه ان يخالفه في أمره ونهيه .

ثم انه قد مر مايرتبط بالمقام عند الحديث عن التواضع ، وسيأتي في الفصل القادم الحديث عن الغرور ، وعن التجبر والتيه والاختيال وفيه ما يرتبط بالمقام .

بقي ان نشير إلى ما إشتهر من ان التكبر على المتكبر عبادة ، وقد بحثت عنه سريعاً فلم أجد حديثاً بهذا المضمون ، نعم ذكر الطباطبائي في الميزان ٢٤٦/٨ عند تفسير قوله تعالى :(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا) : الآية تقييد التكبر في الأرض بغير الحق ، مع أن التكبر فيها لا يكون إلا بغير الحق ، كتقييد البغي في الأرض بغير الحق ، للتوضيح لا للاحتراز ، ويراد به الدلالة على وجه الذم في العمل ، وأن التكبر كالبغي مذموم لكونه بغير الحق .

وأما ماقيل : إن القيد احترازي للدلالة على أن المراد هو التكبر المذموم دون التكبر الممدوح كالتكبر على أعداء الله والتكبر على المتكبر ، وهو تكبر بالحق ، ففيه أن المذكور في الآية ليس مطلق التكبر بل التكبر في الأرض ، وهو الاستعلاء على عباد الله واستذلالهم والتغلب عليهم ، وهذا لايكون إلا بغير الحق) ..انتهى كلامه (قدس) .

وسيأتي في فصل قادم الحديث عن الإمام علي (ع) : (ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله) .

عدم الغُـــرور

وإنــما المغـــرور في الفانيـــة

حقـــاً هو المغبـــون في الباقيـــة

يقول الله تعالى :

(وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) آل عمران- ١٨٥

(فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) لقمان- ٣٣

(يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) الانفطار- ٦

(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا ، قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا ، وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ) الأنعام- ١٣٠

وفي الحقيقة فانه يوجد لفظان أحدهما الغُرور (بالضم) وهو المقصود في المقام ، وفي مجمع البحرين ان الغرور (بضم المعجمة) الباطل ، وفي المنجد انه الأباطيل .

والآخر هو الغَرور (بالفتح) وهو الذي يوهم الآخرين ويغرهم ، ومصدره الغَرر أو التغرير ..

وفي مفردات الراغب الغِرّة غفلة في اليقظة ، و الغَرور كل ما يغرّ الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان ، وقد فُسّر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين ، وبالدنيا لما قيل ان الدنيا تغرّ وتضرّ وتمرّ ..

أقول : ويمكن ارجاع الغرور (بالضم) الى الغرر ، باعتبار ان المغرور متوهم ومخدوع ..

وفي الحديث عن الصادق (ع) ان عيسى (ع) كان يحذر الناس من الدنيا ويقول : (المغرور من إغتر بها ، المغبون من اطمأن إليها) .

وعلى أية حال فقد ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (المغرور في الدنيا مسكين ، وفي الآخرة مغبون ، لأنه باع الأفضل بالأدنى) .
وفي جامع السعادات ذكر تكملة لهذا الحديث نقلها عن مصباح الشريعة : (ولا تعجب من نفسك ، فربما إغتررتَ بمالك وصحة جسدك ان لعلك تبقى ..
وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم ..
وربما اغتررت بجمالك ومُنيتك وإصابتك مأمولك وهواك ، فظننت انك صادق ومصيب ..
وربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك في العبادة ، ولعل الله يعلم من قلبك بخلاف ذلك ..
وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفاً والله يريد الإخلاص ..
وربما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل عن مضمرات ما في غيب الله تعالى ..
وربما توهمت انك تدعو الله وأنت تدعو سواه ..
وربما حسبت انك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك ان يميلوا إليك ..
وربما ذممتَ نفسك وأنت تمدحها على الحقيقة) .

وفي جـامع الـسعادات أيـضاً ذكـر ان الغـرور مركـب مـن الجهـل وحـب مقتضيات الشهوة والغضب .

ثم نقل عن مصباح الشريعة قولاً للإمام الصادق (ع) : (واعلم انك لن تخـرج مـن ظلمـات الغـرور والـتمني ، إلا بـصدق الإنابـة إلى الله ، والإخبـات لـه ، ومعرفـة عيـوب أحوالـك مـن حيـث لايوافـق العقـل والعلـم ، ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وأئمة الهدى ..

وان كنـت راضـياً بمـا أنـت فيـه ، فمـا أحـد أشـقى بعملـك منـك وأضـيع عمـراً ، فأورثت حسرة يوم القيامة).

عدم التيـه أو التجبـر أو الإختيال

وقد هوى للنــار مــــن تـجـبّرا

أو تـــاه أو يــختال إذ تبخترا

يقول الله تعالى :

(كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) غافر- ٣٥

(وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) إبراهيم- ١٥

(إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً) النساء- ٣٦

وقد مدح الله تعالى نبيه يحيى (ع) بقوله :

(وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً) مريم- ١٤

وفي رواية عن النبي (ص) نقلها في جامع السعادات :

(بئس العبد عبــد تجبر وإعتدى ، ونسي الجبار الأعلى ..

بئس العبد عبد تبختر واختال ، ونسي الكبير المتعال) .

وفي حـديث آخـر عنـه (ص) :(ويـل لمـن يختـال في الأرض ، يعانـد جبـار السموات والأرض) .

وعن البـاقر (ع) : (عجبـاً للمختـال الفخـور ، وإنما خُلق من نطفــة ، ثـم يعود جيفة ، وهو فيما بين ذلك لايدري ما يُصنع به) .

وعن الصادق (ع) :(إياكم والتجبر على الله ، واعلمـوا أن عبـداً لم يُبتـَل بالتجبر على الله ، إلا تجبر على دين الله) .

وعنه (ع) أيضاً : (الجبارون أبعد الناس من الله عزوجل يوم القيامة) .

وعنه (ع) أيضاً : (ما من رجل تكبر أو تجبر ، إلا لذلة يجدها في نفسه) .

وفي حديث آخر : (مامن أحد يتيه ، إلا من ذلـة يجدها في نفسه) .

وفي الحديث أيضاً : (أن من حقّر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار ، وأن من مشى في الأرض إختيالاً لعنته الأرض ومن تحتها ومن فوقها) .

وفي مجمع البحرين ان التيه بمعنى التكبر ، وتاه أي تكبر ..

ومنه حديث الإمام علي (ع) : (ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء ، طلباً لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ، إتكالاً على الله).

وفي المنجد ان التيه الصلف والكبر .

أقول : الذي أفهمه من لفظ التيه في المقام ، هو عدم الاهتمام بالمقابل ، وكأنه تاه عنه ولم يره ، ولما كان ذلك غالباً ما يكون بداعي التكبر ، استعمل اللفظ فيه .

ثم انه قد مر الحديث عن التكبر ، وسيأتي الحديث عن عدم الافتخار .

الزهـــد

وازهد فـــان الزهد كنز الحيـــاة

وتاج عـــزٍ ضمّ خـــير الصفات

يقول الله تعالى :

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الكهف- ٢٨

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ، وَلا تَنس نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) القصص-٧٧

(أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ، فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) التوبة- ٣٨

(بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) الأعلى(١٦-١٧) .

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الزهد وأهميته في حياة الإنسان (انظر الوسائل باب ٦٢ من أبواب جهاد النفس) .

والزهد له عدة معان أو مستويات ..

فهناك الزهد في المحرمات ، بمعنى إجتنابها ، وعدم الرغبة فيها ، أو الميل إليها ، ففي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) في معنى الزهد في الدنيا فقال (ع) : (تنكيب حرامها) ، وفي حديث آخر (حرامها فتنكبه) أي اجتنبه وابتعد عنه.

وهناك الزهد في الأمور المشكوكة أو المشبوهة ، بمعنى انه يجتنبها ويبتعد عنها حذراً من الإشكالات والمشاكل ، من قبيل الورع عن الشبهات ، وقد مر بيانه ، وفي الحديث عن الإمام (ع) : ان الزاهد في الدنيا (الذي يترك حلالها مخافة حسابه ، ويترك حرامها مخافة عقابه) .

وهناك الزهد في الأمور المباحة اذا كانت غير ضرورية ، ففي الحديث عن النبي (ص) : (يكفيك منها - يعني الدنيا- ما سدّ جوعتك ، ووارى عورتك ، فان يكن بيت يكنّك فذاك ، وان يكن دابة تركبها فبخ بخ ، وإلا فالخبز وماء الجرة ، وما بعد ذلك حساب عليك أو عذاب) .
وفي حديث آخر عنه (ص) : (ما قل وكفى خير مما كثر وألهى) .

وفي بعض الأحاديث أيضاً عن المعصومين (ع) أن : (الزهد في الدنيا قصر الأمل ، وشكر كل نعمة ، والورع عما حرم الله عليك) .
وفي الحديث عن النبي (ص) : (ليس الزهد في الدنيا لبس الخشن وأكل الجشب ، ولكن الزهد في الدنيا قصر الأمل) .
كذلك ورد عن الصادق (ع) انه : (ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا بتحريم الحلال ، بل الزهد في الدنيا ان لاتكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عزوجل) .. فهذا معنى مهم من معاني الزهد .
وفي الحكمة ما مضمونه انه ليس الزهد ان لاتملك شيئاً ، بل الزهد أن لايملكك شيء .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : الزهد بين كلمتين من القرآن ، قال الله تعالى : (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ، وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) ، ومن لم يأس على الماضي ، ولم يفرح بالآتي ، فقد استكمل الزهد بطرفيه) .
وفي الحديث عن السجاد (ع) أن الزهد في آية من كتاب الله : (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) .

ثم ان أهم مراتب الزهد هو الزهد في كل ما يبعد عن الله تعالى وعن قربه ورضاه عزوجل ، وهذه مرتبة عالية تشمل المراتب السابقة وغيرها ، وفي الحديث عن الصادق (ع) : (انما أرادوا بالزهد في الدنيا ، لتفرغ قلوبهم للآخرة) .
وفي الدعاء : (اللهم اجعل زهدي فيما يوجب لي أليم عقابك) .
وفي دعاء آخر : (اللهم إني استغفرك من كل لذة بغير ذكرك ، ومن كل راحة بغير انسك ، ومن كل سرور بغير قربك ، ومن كل شغل بغير طاعتك) .

وفي الحقيقة فان الزهد مطلقاً له آثار وفوائد عديدة ، مع الإلتفات أولاً إلى ماورد عن أمير المؤمنين (ع) : (ان زهد الزاهد في هذه الدنيا لاينقصه مما قسم الله له فيها وإن زهد ، وان حرص الحريص على عاجل زهرة الحياة الدنيا لايزيده فيها وان حرص ، فالمغبون من غبن حظه من الآخرة) .
فالزهد خير عون على الدين والتقوى ، حيث ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (ان من أعون الأخلاق على الدين : الزهد في الدنيا) .
والزهد مفتاح الخير ، حيث نسمع في الحديث عن الصادق (ع) : (جُعل الخير كله في بيت ، وجُعل مفتاحه الزهد في الدنيا) .
وعن أمير المؤمنين (ع) : (الزهد ثروة) .
والزهد مفتاح الوصول إلى التكامل والمراتب العالية ، حيث ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (اذا تخلى المؤمن من الدنيا ، سما ووجد حلاوة حب الله فلم يشتغلوا بغيره) .

وعنه (ع) أيضاً : (ألا من صبّار كريم ، فانما هي أيام قلائل ، ألا انه حرام عليكم ان تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا) .

وفي حديث آخر : (حرام على قلوبكم ان ترى حلاوة الإيمان ، حتى تزهد في الدنيا) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وانطلق بها لسانه ، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها ، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام) .

وروي ان رجلاً قال لأبي عبد الله (ع) : (إني لا ألقاك إلا في السنين ، فأوصني بشيء حتى آخذ به ؟ فقال (ع) : (أوصيك بتقوى الله ، والورع والاجتهاد ، وإياك أن تطمع إلى من فوقك ، وكفى بما قال الله عزوجل لرسول الله (ص) : (وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا به أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا) ، وقال تعالى : (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ) ، فإن خفت ذلك فاذكر عيش رسول الله (ص) ، فإنما كان قوته من الشعير ، وحلواه من التمر ، ووقوده من السعف إذا وجده . وإذا أصبت بمصيبة في نفسك أو مالك أو ولدك فاذكر مصابك برسول الله (ص) ، فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط) .

ثم انه قد مر مايرتبط بالمقام عند الحديث عن مجاهدة النفس ، وإيثار رضا الله تعالى ، وإجتناب الشهوات المحرمة ..

وسيأتي في الفصلين القادمين مايرتبط بالزهد أيضاً ..

ولايفوتنا أخيراً التذكير بأهمية مراجعة مناجاة الزاهدين لزين العابدين (ع) .

عدم الحـرص على الأمـور الدنيويـة

وإنـما الدنيا متـــاع رخيــص

يلهث خلفـه الجهـول الحريص

يقول الله تعالى :

(قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ ، وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى) النساء- ٧٧

(فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) التوبة- ٣٨

(وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ) الرعد- ٢٦

(يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ)غافر- ٣٩

وقد ذم الله تعالى طائفة من خلقه بقوله عزوجل :

(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ) البقرة- ٩٦

وفي نهـج البلاغـة عـن أمـير المؤمنين (ع) : (ان البخـل والجـبن والحـرص ، غرائـز شتى يجمعها سوء الظن بالله) .

وعنه (ع) أيضاً : (الحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم في الذنوب) .

وفي حـديث آخـر يـصف (ع) قلـب الإنـسان (إن هـاج بـه الطمـع أهلكـه الحرص) .

وفي الحديث عـن البـاقر (ع) : (مثـل الحـريص عـلى الـدنيا كمثـل دودة القـز كلما ازدادت على نفسها لفاً ، كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً).

وعـن الـصادق (ع) : (حُـرم الحـريص خـصلتان ، ولزمتـه خـصلتان ، حُـرم القناعة فافتقد الراحة ، وحُرم الرضا فافتقد اليقين) .

وعن الصادق (ع) : (أبعـد مـا يكـون العبـد مـن الله عزوجـل ، اذا لـم يهمـه الا بطنه وفرجه) .

وقد مر الحديث عن القناعة والرضا ، وعن العفة ، وعن الزهد ، وعن إجتناب الشهوات المحرمة ، وسيأتي الحديث عن عدم الاغترار بالأمل ، وقطع الطمع عما في أيدي الناس .

ولا يخفى ان الممنوع انما هو الحرص على الأمور الدنيوية ، بداعي حب الدنيا ، وبهذا التقييد يخرج الحرص على بعض الأمور الضرورية بداعي التدبير الراجح ، وكذلك يخرج الحرص على بعض الأمور الدنيوية بداعي حفظها لأجل صرفها في الوقت المناسب وفي موضعها المناسب طلباً للآخرة وتقرباً إلى الله تعالى .

بل توجد أمور ينبغي أو يتوجب الحرص عليها ، ففي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) في صفات المتقين : (فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين ، وحزماً في لين ، وايماناً في يقين ، وحرصاً في علم) .

وفي حديث آخر عنه (ع) : (فليس أحد وان اشتد على رضا الله حرصه ، وطال في العمل اجتهاده ، ببالغٍ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له) .

وقد مدح الله تعالى نبيه (ص) بقوله عزوجل :

(إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ) النحل- ٣٧

(لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكم) التوبة- ١٢٨

ولنقل بكلمة جامعة انه يفترض بكل مؤمن ان يحرص على آخرته ، وان يحرص بالخصوص على رضا الله وقربه عزوجل .

ثم انه سيأتي في الفصلين القادمين ما يرتبط بالمقام .

عدم التعلـق بالدنيـا

وفي الحديث أن حب الدنيـــا

رأس الخطايا ، وهو يُعيي الحيّا

حيث يقول الله تعالى :

(زُيِّنَ للَّذين كفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، ويَسْخَرُونَ من الَّذين آمَنُواْ ، والَّذين اتَّقَواْ فوْقَهُمْ يومَ الْقِيَامَة ، واللّهُ يرزُقُ من يشاء) البقرة- ٢١٢

(زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهَوَات منَ النِّساء وَالْبَنِين وَالْقَنَاطِير الْمُقَنطَرَة من الذَّهَب وَالْفضَّة وَالْخَيْلِ الْمُسوَّمَة وَالأَنْعَام وَالْحَرْث ، ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا ، وَاللّهُ عندَهُ حُسْنُ الْمَآب) آل عمران- ١٤

(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ لَعبٌ وَلَهْوٌ ، وَلَلدَّارُ الآخرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذين يَتَّقُونَ ، أَفَلاَ تَعْقلُونَ) الأنعام- ٣٢

(تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ، وَاللّهُ يُرِيدُ الآخرَةَ ، وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)الأنفال- ٦٧

(أَرَضِيتُم بِالْحَيَاة الدُّنْيَا مِنَ الآخرَة ، فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا فِي الآخرَة إلاَّ قَلِيلٌ) التوبة- ٣٨

(بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالآخرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)الأعلى(١٦-١٧) .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان أول ماعُصي الله به ستة : حب الدنيا ، وحب الرئاسة ، وحب الطعام ، وحب النوم ، وحب الراحة ، وحب النساء) .

وفي حديث آخر عنه (ص) : (من أحب دنياه أضر بآخرته) .

وفي كتاب (الدنيا في نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين (ع):(أعظم الخطايا حب الدنيا ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة) .

وعن الصادق (ع) : (حب الدنيا رأس كل خطيئة) .

وورد ان الله تعالى أوحى الى نبيه موسى (ع) : (ياموسى ان عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم ، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم ، وما من أحد عظّمها فقرّت عينه بها ، ولم يحقّرها أحد الا انتفع بها) .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) : (مِن هوان الدنيا على الله انه لايعصى الا فيها ، ولا يُنال ماعنده الا بتركها) .

وفيه أيضاً عنه (ع) ان الدنيا : (تغرّ وتضرّ وتمرّ .. ان الله لم يرضها ثواباً لأوليائه ، ولا عقاباً لاعدائه) ..

و(كلما إزداد المرء بالدنيا شغلاً وزاد بها ولهاً ، أوردته المسالك ، وأوقعته في المهالك) ، و (من عظمت الدنيا في عينه ، وكبر موقعها في قلبه ، آثرها على الله تعالى ، فانقطع إليها وصار عبداً لها) .

وفي الدعاء : (سيدي أخرج حب الدنيا من قلبي) .

وفي كتابنا (الله أكبر من الشيطان) ذكرنا انه قد يتصور الكثير منا ، ان الدنيا لما كانت دار امتحان وبلاء ، فالمفروض ان المؤمن يتعذب فيها ولا يرتاح، لكن هذا توهم وغفلة عن الواقع ، فقد ذكرنا في مناسبات سابقة ضمن هذا الكتاب وغيره ، ان المؤمن يستطيع ان يفعل كل ما يريده بشرط ان يطبق فيه الاحكام الشرعية ، فهو يتزوج ويتاجر ويسافر ويأكل ويمارس جميع ما يحتاجه ما دام داخلاً ضمن الحدود الشرعية الالهية ، حيث يقول الله تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا) القصص-٧٧.

وقد روي ان جماعة من الصحابة حرَّموا على أنفسهم النساء والافطار بالنهار ، والنوم بالليل، فقال لهم النبي(ص) : (إني آتي النساء وآكل بالنهار وأنام بالليل) .
وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) ..
وقد مر الحديث عن الزهد ، وعدم الحرص ، وسيأتي الحديث عن (عدم الطمع) في الفصل القادم .

واما بالنسبة للإبتلاءات والمشاكل ، فهذه تعم المؤمن وغيره على حد سواء ، أي انها ليست واقعة على خصوص المؤمن..
(إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ، وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ) النساء- ١٠٤ .
وفي الحقيقة فان التحذير من الدنيا، انما يعني التحذير من ارتكاب المحرمات فيها، او تقليد الشياطين فيها أو الإفتتان بهم ، وكذلك التحذير من الانشغال بها عن الواجبات ، حيث نسمع في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) : (لاتبع آخرتك بدنياك) ، و(لاتصلح دنياك بمحق دينك) ..
وفي الحديث انه : (ليس لابدانكم ثمن الا الجنة ، فلا تبيعوها بغيرها) .
ولكن هذا التحذير لا يعني ان الدنيا في نفسها سيئة ، او خالية من الفوائد..
ففي الحديث : (لاتسبوا الدنيا ، فنعم المطية الدنيا للمؤمن ، عليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر .. انه اذا قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه) .

وفي نهج البلاغة عن الإمام علي (ع) عندما سمع رجلاً يذم الدنيا ، فقال (ع) : (أيها الذام للدنيا ، المغتر بغرورها ، المخدوع بأباطيلها ، أتغتر بالدنيا ثم تذمها ، أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك ؟ ثم يقول (ع) : (ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، ودار موعظة لمن إتعظ بها .. مسجد أحباء الله ، ومصلى ملائكته ، ومهبط وحي الله ، ومتجر أولياء الله ، أكتسبوا فيها الرحمة ، وربحوا فيها الجنة) ..

الى ان يقول (ع) : (فذمّها رجال غداة الندامة ، وحمدها آخرون يوم القيامة ، ذكّرتهم الدنيا فتذكروا ، وحدّثتهم فصدّقوا ، ووعظتهم فاتعظوا).

وأما ماورد من الآيات في ذم الدنيا ، فالمقصود به التحذير من مخاطر الدنيا ، وذم التعلق بالدنيا ، وذم الاهتمام بزينتها الباطلة ، وزخارفها الزائلة ، وبيان انها مجرد طريق وممر الى دار الآخرة ، حيث القرار والحياة الحقيقية ..

وقد ورد في الحديث عن الإمام علي (ع) : (الدنيا خُلقت لغيرها ، ولم تخلق لنفسها) .

وورد عنه (ع) أيضاً ان الدنيا : (دار ممر الى دار مقر) ، و(انما الدنيا دار مجاز ، والآخرة دار قرار) ، و(ان الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها ، وابتلى فيها أهلها ، ليعلم ايهم أحسن عملاً ، ولسنا للدنيا خُلقنا) .

وعنه (ع) أيضاً : (تزوّدوا في الدنيا من الدنيا ، ماتحرزون به أنفسكم غداً) .

وفي الحديث عنه (ع) أيضاً : (ألا وانه لايضركم تضييع شيء من دنياكم ، بعد حفظكم قائمة دينكم ، الا وإنه لاينفعكم بعد تضييع دينكم ، شيء حافظتم عليه من أمر دنياكم) ..

وقد قال الله تعالى :

(وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى) الضحى(٤- ٥)

وتحسن الإشارة الى أننا قد تحدثنا في كتابنا المتواضع (الله أكبر من الشيطان) ، وكذلك في (نصائح عامة للداعي والمدعو) ، عن الهدف من خلق الانسان في هذه الدنيا ، وعن مسئولية الإنسان وأمانته ، وعن إمتحانه في هذه الدنيا ، كما تحدثنا هناك استطراداً عن عالم الذر .

عدم الطمع في الأمور الدنيوية

وبئس مـــن كانت له مطـامع

تقـــوده للنـــار وهـــو طـائع

يقول الله تعالى :

(فَيَطْمَعَ الَّذي فِي قَلْبِه مَرَضٌ) الأحزاب- ٣٢

(ولَـكنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ واتَّبعَ هواهُ ، فمَثَلُه كمَثَلِ الْكَلْبِ ، إِن تحْمِلْ عَلَيه يلْهَثْ أَوْ تتْرُكْه يلْهَث) الأعراف- ١٧٦

(أُوْلَئكَ الَّذينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ) محمد- ١٦

(اعْلَمُوا أنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ، وَتفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَال وَالْأَوْلَاد ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُه ، ثُمَّ يَهِيجُ فتَرَاهُ مُصْفَرّاً ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً)الحديد- ٢٠

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع):(إياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك موارد الهلكة) ..

وعنه (ع) أيضاً : (الطمع رقّ مؤبد) ، و (الطمع مُورِد غير مصدر ، وضامن غير وفي) .

وفي الحديث عن الإمام الباقر (ع) : (بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده ، و بئس العبد عبد له رغبة تذله) .

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) واصفاً نبي الله عيسى (ع) بأنه لم يكن له (طمع يذله) .

وعن أمير المؤمنين (ع) في صفات المتقين ان من علامة أحدهم (تحرجاً عن طمع) .

وعنه (ع) أيضاً : (اذا أحببت ان تجمع خير الدنيا والآخرة ، فاقطع طمعك مما في أيدي الناس) .
وعن السجاد (ع) : (رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس) .
وقد مر مايرتبط بالمقام في الفصول السابقة .
وفي فصل (التوكل) تحدثنا عن أهمية قطع الطمع عما في أيدي الخلق ، والتوكل والإعتماد على الله تعالى ..
وكذلك تحدثنا في فصل سابق عن (عدم التعلق والأمل بغير الله تعالى) .

ثم ان الطمع كالحرص انما يكون ممنوعاً أو مرجوحاً ، اذا كان متعلقاً بالأمور الدنيوية ، واما اذا كان الطمع متعلقاً بما عند الله تعالى من المراتب العالية أو الجنان السامية ، فهذا طمع في محله ..
وقد مدح الله تعالى بعض عباده لأنهم :
(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً) السجدة- ١٦
ولأنهم كانوا يقولون :
(إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا) الشعراء- ٥١
(وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ) المائدة- ٨٤
وفي الدعاء : (أدعوك يارب ، وأرجوك ياسيدي ، واطمع في إجابتي) .
وفي دعاء آخر : (وحطَّ طمعي بفناء جودك) .

عدم قصد الجاه أو الشهرة أو السلطة

لاسيما من يطلب الرئاسة

وأكثر الذنوب عند الساسة

يقول الله تعالى ان أهل النار حينما يدخلون جهنم ينادون :
(مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ) الحاقة (٢٨- ٢٩) .
وقد ورد عن النبي (ص) : (حب الجاه والمال ينبتان في القلب النفاق) .
وعن الباقر (ع) : (ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع ، هذا في أولها وهذا في آخرها ، بأسرع فيها من حب المال والشرف - يعني الجاه - في دين المؤمن) .
وعن الصادق (ع) : (كفى بالمرء خزياً ان يلبس ثوباً يشهره ، أو يركب دابة تشهره) .
وعنه (ع) أيضاً : (حب الشرف والذكر ، لايكونان في قلب الخائف الراهب) ..
وقد مر علينا في الفصل السابق ان النبي (ص) ذكر ان أول ماعصي الله به ستة أمور ، وعدّ منها (حب الرياسة) .
وعن النبي (ص) : (من تعلم علماً ليماري به السفهاء ، أو ليباهي به العلماء ، أو يصرف به الناس إلى نفسه يقول أنا رئيسكم ، فليتبوأ مقعده من النار ، ان الرئاسة لاتصلح إلا لأهلها ، فمن دعى الناس إلى نفسه وفيهم من هو أعلم منه ، لم ينظر الله إليه يوم القيامة) .
وعن السجاد (ع) : (إياك ان تترأس فيضعك الله ، واعلم انك ان تكن ذَنباً في الخير ، خير لك من ان تكون رأساً في الشر) .
وعن الصادق (ع) : (من طلب الرئاسة هلك) .

وعنـه (ع) أيـضاً : (إيـاكم وهـؤلاء الـذين يترأســون ، فـوالله ماخفقـت النعــال خلف الرجل ، إلا هلك وأهلك) .

وفي نهـج البلاغـة عـن أمـير المـؤمنين (ع) : (صـاحب الـسلطان كراكـب الأســد ، يُغبط بموقعه ، وهو أعلم بموضعه) .

وعـن عبـد الله بـن عبـاس انـه دخـل علـى أمير المؤمنين (ع) بـذي قـار وهـو يخصف نعلـه ، فقـال لـه الإمـام (ع) : (ماقيمـة هـذا النعـل ؟) ، فقـال ابـن عباس : لاقيمة لها ، فقال (ع) : (والله لهي أحب إلي مـن إمرتكــم ، إلا ان أقيم حقاً أو أدفع باطلاً) .

وفي مناسبة أخرى ذكر (ع) : (لولا حضور الحاضر ، وقيام الحجـة بوجـود الناصر ، ومـا اخـذ الله علـى العلمـاء ، ان لايقـاروا علـى كظـة ظـالم ، ولا سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز) .

وهو القائـل (ع) : (لايزيـدني كثـرة النـاس حـولي عـزة ، ولا تفـرّقهم عـني وحشة) .

وفي الوسـائل للحـر العـاملي (بـاب ٥٠ مـن جهـاد الـنفس) ، ان الحـرام انمـا هــو طلب الرئاسة مع عدم الوثوق بالعدل ، وان كـان الأقـوى ان طلـب الرئاسـة عمومـاً مـذموم أو مرجـوح ، واذا كـان لابـد منهـا لأجـل حفـظ الديــن وتقويته ، وخدمـة المؤمنين وحمـايتهم ، فـالمفروض الاقتصـار منهـا علـى مقـدار الـضرورة ، وإجتنـاب الزائـد قـدر الإمكــان ، مـع مراعـاة الالتزام بالضوابط الشرعية والأخلاقية .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (لاتصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال : ورع يحجزه عن معاصي الله ، وحلم يملك به غضبه ، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا ، منافسة في سلطان ، ولا إلتماس شيء من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الإصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك) .

وقد كتبنا كتاباً متواضعاً عن (المعالم الأولية للحكومة الإسلامية) .

عدم طـول الأمـل
(أو عدم الإغتـرار بالأمـل)

فصدٌ مــن قبـل فـوات الأجـــلِ

سيطرة الهـوى وطـــول الأمـلِ

حيث يقول الله تعالى :

(ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) الحجر-٣

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (ان أخوف ما أخاف عليكم اثنتان : إتباع الهوى وطول الأمل ، فتزودوا في الدنيا من الدنيا ماتحرزون به أنفسكم غداً) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (انما أخاف عليكم اثنتين : إتباع الهوى وطول الأمل ، أما إتباع الهوى فانه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة).

وعنه (ع) أيضاً : (انما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم) .

وقال (ع) أيضاً : (واعلموا ان الأمل يسهي العقل ، وينسي الذكر ، فأكذبوا الأمل ، فانه غرور ، وصاحبه مغرور) ..

وقال (ع) : (إن الدنيا تغر المؤمل لها ، والمخلِد إليها) .

ومن مواعظه (ع) أيضاً :(لاتكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ، ويرجّي التوبة بطول الأمل) ... إلى ان يقول : (ان سقم ظل نادماً ، وان صح أمن لاهياً) .

وكذلك من مواعظه (ع) : (لو رأى العبد الأجل ومصيره ، لأبغض الأمل وغروره) .

وعن الصادق (ع) : (كم من طالب للدنيا لم يُدركها ، ومدركٍ لها قد فارقها ، فلا يشغلنك طلبها عن عملك ، والتمسها من مُعطيها ومالكها ، فكم من حريصٍ على الدنيا قد صرعته ، واشتغل بما أدرك منها عن طلب آخرته ، حتى فني عمره وأدركه أجله) .

وقد ورد في الدعاء :(وحبسني عن نفعي بُعد آمالي ، وخدعتني الدنيا بغرورها) .

وفي مجمع البحرين ذكر ما نصه انه روي ان أسامة بن زيد اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر ، فبلغ النبي (ص) ذلك فقال: ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر ! ، إن أسامة لطويل الأمل .

والسبب في طول الأمل كما قيل حب الدنيا ، فإن الإنسان إذا أنس بها وبلذاتها ثقل عليه مفارقتها وأحب دوامها ، فلا يفتكر بالموت الذي هو سبب مفارقتها ، فإن من أحب شيئاً كره الفكر فيما يزيله ويبطله ، فلا زال يمني نفسه البقاء في الدنيا ، ويقدّر حصول ما يحتاج إليه من أهل ومال وأدوات ، فيصير فكره مستغرقاً في ذلك ، فلا يخطر الموت بخاطره ، وإن خطر بباله التوبة والإقبال على الأعمال الأخروية ، أخّر ذلك من يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر ومن سنة إلى سنة ، فيقول إلى أن أكتهل ويزول سن الشباب عني ، فإذا اكتهل قال إلى أن أصير شيخاً ، فإذا شاخ قال إلى أن أُتمم عمارة هذه الدار ، وأُزوج ولدي ، وإلى أن أرجع من هذا السفر ..

وهكذا يؤخر التوبة شهراً بعد شهر وسنة بعد سنة ، وهكذا كلما فرغ من شغل ، عرض له شغل آخر بل أشغال ، حتى يختطفه الموت ، وهو غافل

غير مستعد ، مستغرق القلب في أمور الدنيا ، فتطول في الآخرة حسرته فتكثر ندامته ، وذلك هو الخسران المبين) .. انتهى كلامه (قدس) .

وفي مقابل طول الأمل ذكروا قصر الأمل ، حيث ورد عن أمير المؤمنين (ع) :(الزهادة قصر الأمل ، والشكر عند النعم ، والتورع عند المحارم).

وفي حديث آخر عنه (ع) يصف فيه أولياء الله :(استقربوا الأجل فبادروا العمل ، وكذّبوا الأمل فلاحظوا الأجل) .

وفي جامع السعادات ان قصر الأمل من شعار المؤمنين ودثار الموقنين ، ونقل عن النبي (ص) قوله : (اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من دنياك لآخرتك ، ومن حياتك لموتك ، ومن صحتك لسقمك) .

وقوله (ص) : (أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ قالوا : نعم يارسول الله ! قال : قصروا من الأمل ، واجعلوا آجالكم بين أبصاركم ، واستحيوا من الله حق الحياء) ..

وكان (ص) يقول في دعائه : (اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل) .

وقد مر مايرتبط بالمقام عند الحديث عن سيطرة العقل على الهوى ، وايثار رضا الله تعالى ، واجتناب الشهوات المحرمة ، ومجاهدة النفس ، والزهد ..

كما مر الحديث عن عدم الحرص وعدم الطمع ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

وينبغي الإلتفات في المقام إلى ان المفروض بالعاقل والمؤمن ان يجعل أمله كله بالخالق عزوجل وبما عنده جل شأنه ..
(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً) الكهف- ٤٦
وقد مر الحديث في فصل مستقل عن عدم التعلق والأمل بغير الله تعالى .
و ورد في الدعاء : (اللهم فضلك رجائي ، وكرمك ورحمتك أملي ، ولا عمل لي استحق به الجنة) .
وفي دعاء آخر : (ولنيل عطاياك بسطت أملي) .
وفي الدعاء أيضاً : (يارب ان لنا فيك أملاً طويلاً) .
وفي الدعاء كذلك : (يا من لايرد سائله ، ولا يخيب آمله) .

عدم الكسل والتضجر

ولا تكن عبداً كسولاً ضجرا

تقضي الحياة قاصراً مقصرا

حيث ذم الله تعالى بعض خلقه بقوله عزوجل :

(وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى) النساء- ١٤٢

(وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى) التوبة- ٥٤

وفي الحديث عن النبي (ص) : (إياك وخصلتين : الضجر والكسل ، فانك ان ضجرت لم تصبر على الحق ، وان كسلت لم تؤد حقاً) .

ثم قال (ص) : (من استولى عليه الضجر ، رحلت عنه الراحة) .

وفي رواية أخرى عنه (ص) أيضاً : (علامات الصابر في ثلاث : أولها ان لا يكسل ، والثانية ان لايضجر ، والثالثة ان لايشكو من ربه عزوجل ، لأنه اذا كسل فقد ضيع الحقوق ، واذا ضجر لم يؤد الشكر ، واذا شكا من ربه عزوجل فقد عصاه) .

وفي الدعاء : (ولاتجعلنا ممن شقي فكسل) .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) : (ان من أبغض الرجال إلى الله تعالى ، لعبداً وكله الله إلى نفسه ، جائراً عن قصد السبيل ، سائراً بغير دليل ، ان دُعي إلى حرث الدنيا عمل ، وان دُعي إلى حرث الآخرة كسل ، كأن ماعمل له واجب عليه ، وكأن ما ونى فيه ساقط عنه) .

وعن الصادق (ع) : (عدو العمل الكسل) .

وفي الحديث عن الكاظم (ع) : (إياك والكسل والضجر ، فانهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة) .

وعن الباقر (ع) : (اني لابغض الرجل (أو ابغض للرجل) ان يكون كسلاناً عن أمر دنياه ، ومن كسل عن أمر دنياه ، فهو عن أمر آخرته أكسل) .

وعن الصادق (ع) : (من كسل عن طهوره وصلاته فليس فيه خير لأمر آخرته ، ومن كسل عما يصلح به أمر معيشته ، فليس فيه خير لأمر دنياه) .

وفي الحديث - كما في بعض المصادر- : (ان الله يبغض الشاب الفارغ) .

وعن الكاظم (ع) : (ان الله عزوجل يبغض العبد النوام الفارغ).

ولا يخفى ان الكسل خلاف الهمة والنشاط وهما مطية المؤمن لتحصيل الكمال والآخرة ..

وفي حديث جنود العقل والجهل ان النشاط ضده الكسل .

واما الضجر (بمعنى التضجر) فهو خلاف القناعة والرضا والتسليم لله رب العالمين .

وفي مجمع البحرين ذكر الحديث : (أعوذ بك من الكسل) بالتحريك ، وهو التثاقل عما لاينبغي التثاقل عنه ، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير مع ظهور الاستطاعة فلا يكون معذوراً ، بخلاف العاجز فانه معذور لعدم القوة وفقد الاستطاعة .

وفي مادة (ضجر) ذكر ان الضجر من الشيء هو أن يغتم أو يقلق منه ..

وقد كتبنا كتاباً مختصراً عنوانه (معالجات نفسية للقلق والضجر) .

وفي الدعاء : (اللهم اني أعوذ بك من الكسل والفشل ، والهم والجبن) .

وفي بعض أدعية شهر رمضان : (واذهب عني فيه النعاس والكسل والسامة) .

قـوة الإرادة

وإنـما بـــــالعـــزم والإرادة

تظفــر بــالنجـاح والسعـادة

يقول الله تعالى :

(فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه) آل عمران- ١٥٩

(وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) لقمان- ١٧

(خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) البقرة- ٩٣

وفي نهـج البلاغـة عـن أمير المؤمنين (ع) : (فتـداوَ مـن داء الفـترة في قلبـك بعزيمة) .

وفي الحـديث عـن الـصادق (ع) : (القــوة مفتـاح الـيقين) ، و في روايـــة أخرى : (العزم مفتاح اليقين) .

وفي مجمع البحرين ان العــزم والعزيمة ما عقــد عليه قلبك انك فاعلـه ، وذكر أيضاً ان العزيمـة هـي إرادة الفعـل والقطـع عليه ، والجد في الأمـر ، ومنه الدعاء : (أسألك الثبات في الأمر ، والعزيمة على الرشد) .

وفي كتابنـا (معالجـات نفـسية للقلـق والـضجر) تحـدثنا عـن قـوة الإرادة وأهميتها في معالجة أمور كثيرة ..

وقلنـا هنـاك إن طاقـات الإنـسان كـبيرة جـداً ، إلى درجـة قـد لا نـستطيع إدراكها، وقد قال الله تعالى :

(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسنِ تَقْوِيمٍ)

إن كثيراً من الأشخاص جرحوا في المعارك ، وكانـت دماؤهم تسيل بشدة ، ولكـنهم لم يخافوا ولم يرتبكـوا ولم يـضعفوا ، بـل تحملـوا جراحـاتهم بقـوة الإرادة ، وبالروح الشجاعة ، والمعنويات العالية .

إن قوة الإرادة تصنع المعجزات ، لأن الإنسان نفسه يمكن ان يصنع المعجزات باذن الله تعالى ، حيث يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : (عبدي أطعني ، تكن مثلي ، تقل للشيء كن فيكون) .
ولهذا نجد أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام كانوا أسعد الناس ، وذلك لأنهم - في حياتهم كلها- لم يجزعوا ولم يضعفوا ..
وهذا دليل على أنهم عليهم السلام كانوا مطمئنين داخلياً ، بسبب إرادتهم القوية التي يتغلبون بها على أشد المصاعب والهموم ..
علماً أن امتحانات الأنبياء ومصائبهم ، كانت أعظم بكثير مما نعانيه نحن البسطاء .
إن الاطمئنان الداخلي هو سبب أكيد للسعادة الحقيقية ، ودرع حصين ضد جميع الأمراض النفسية .
إننا - بالتأكيد - نشاهد أشخاصاً كثيرين لا يخافون ، ولا يرهبون الليل، ولا يخافون الحيوانات المتوحشة ، ولا يرهبون حتى الموت ..
هؤلاء الأشخاص الذين نقول عنهم : أنهم أبطال وشجعان ، ونتمنى - من كل قلوبنا- أن نكون مثلهم ، ونقول دائماً : هنيئاً لهم ..
هؤلاء الأشخاص لا يختلفون عنا في شيء ، ولا يمتازون عنا بأعضاء إضافية ، فهم بشر ونحن بشر ، وهم يتكونون من نفس الأعضاء التي نتكون منها ..
غاية ما هنالك أنهم يمتلكون إرادة قوية يواجهون بها الحياة ، ويمتلكون تصميماً شديداً يثبتون به أنفسهم وقلوبهم .
إن حبيب بن مظاهر الأسدي (رحمه الله) وهو من أنصار الإمام الحسين بن علي عليه السلام كان شخصاً عادياً وبسيطاً مثلنا تماماً ،

لكنه كان يضحـك مستبشراً في يوم كربـلاء ، مع أنه كان في وضـع لا يُحسد عليه ، حيث الجوع والعطش ، وحيث المعركة والعدو ، وحيث الدماء والموت ..

لماذا يا ترى ؟

الجواب : لأن حبيباً (رحمه الله) كان يمتلك إرادة قوية ، يستطيع بها أن يتغلب على جميع المخاوف والأحاسيس المزعجة والمؤلمة ، فقد استطاع أن يتغلب على الأحاسيس العضوية (كالجوع والعطش) ، واستطاع أيضاً أن يتغلب على الأحاسيس النفسية (كالخوف من القتل) ..

تغلب على كل هذه الأشياء ، لأنه أراد ذلك .

لقد أراد (حبيب) ذلك كله ، فصمّم ونفّذ ما يريد ، دون أن يتراجع ، ودون أن يتهاون ..

وهذا هو معنى الإرادة ..

ولعل من المناسب ذكره الآن ، هو أن امرأة قدّمت لنا الكثير من صور البطولة والصبر ، وأعطتنا دروساً قوية ، في صلابة الأيمان وقوة الإرادة..

هذه المرأة هي الحوراء زينب بنت علي عليها السلام التي تحملت مآسي كربلاء ، ونظرت بعينها مصرع أولادها وإخوانها وأقربائها ، الواحد بعد الآخر ، وفي ساعة واحدة .. ولم تجزع ولم تستسلم ، ولم يسلبها كل ذلك إرادتها أو إيمانها أو اطمئنانها أو ثباتها .

هذه هي الإرادة ، وهذه هي آثارها ، وسيأتي في الفصل اللاحق ما يرتبط بالمقام .

مـع الإلتفـات إلى ان الإرادة المطلوبـة في المقـام ، يفـترض ان تكـون إيجابية ..

حيث نسمع في الـدعاء : (وقـد علمـتُ ان أفـضل زاد الراحـل إليـك عزم إرادة يختارك بها ، وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي) .

وفي دعـاء آخـر : (الهـي انـك تعلـم أنـي - وان لم تـدم الطاعــة منـي فعـلاً جزماً - فقد دامت محبـة وعزماً) .

قـوة التحـمل

ومـن لـــديه قـــوة التـــحملِ

يعــيش بين النـــاس في تـجمّـلِ

يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ) آل عمران- ٢٠٠

(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) البقرة- ٢٥٠

(وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) آل عمران- ١٤٦

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (الاحتمال قبر العيوب) ..

وفي بعض الشروح ان مقصوده (ع) ان مَن تحمل الأذى خفيت عيوبه ..

وعنه (ع) أيضاً : (بإحتمال المؤن يجب السؤدد) .

وعن الباقر (ع) : (المؤمن أصلب من الجبل) .

وفي الحقيقة فان الحديث عن قوة التحمل ، مرتبط بالحديث عن الصبر عموماً ، وعن قوة الإرادة ، وكذلك مرتبط بالشجاعة والقوة (انظر الفصل اللاحق) .

كما انه يفترض ان يكون مع قوة التحمل عزة وكرامة ، فالمؤمن عزيز كما سيأتي في محله .

ومن مصاديق قوة التحمل المطلوبة في المقام :

تحمل المصاعب والابتلاءات ، من باب الصبر والتسليم ..

وتحمل مسئوليات العيال والأولاد ، من باب العطف أو المودة أو إبراء الذمة ..

وتحمل أذى الجار والأخوة ، من باب كظم الغيظ والحلم والعفو ، ونحو ذلك ..

وتحمل مسئوليات المؤمنين أيضاً ، من باب إغاثتهم ، أو إدخال السرور عليهم ، أو إيثارهم على النفس ..

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (قد فرض الله التحمل على الأبرار في كتاب الله ، فقيل له : وما التحمل ؟ ، قال (ع) : اذا كان وجهك آثر من وجهه إلتمست له .. وقال في قول الله عزوجل : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وقال : (لاتستأثر عليه بما هو أحوج إليه منك) .

(انظر مستدرك الوسائل باب ٢٦ من أبواب الصدقة) .

ثم ان المفروض أيضاً تحمل مسئوليات الدين بالمقدار الممكن ، سواء على المستوى الفردي أو النوعي ، الخاص أو العام ، وكلما ازدادت قوة التحمل ، كلما ازداد العطاء وعظم الأجر والثواب .

نسأل الله تعالى ان يمن علينا بما يحبه ويرضاه ، وان لا يحمّلنا ما لاطاقة لنا به ، انه ارحم الراحمين .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) : (حتى اذا رأى الله سبحانه جِدّ الصبر منهم على الأذى في محبته ، والاحتمال للمكروه من خوفه ، جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً ، فأبدلهم العز مكان الذل ، والأمن مكان الخوف) .

الشجاعـة

وإنــما المـؤمن ذو شجــاعـة

جنبـاً إلى جنـب مع الـوداعة

يقول الله تعالى :

(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ)الفتح- ٢٩

(لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم) الحشر- ١٣

(خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) البقرة- ٦٣

(قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ، فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) الكهف- ٩٥

(فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) الاسراء-٥

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (ان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله) .

وعنـه (ع) أيـضاً في صـفات المـتقين ان علامـة أحـدهم : (قـوة في ديـن ، وحزماً في لين) .

كذلك ورد عنه (ع) : (الجبن منقصة) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (المؤمن أصلب من الجبل) .

وفي دعاء الإمام السجاد (ع) للمجاهد في سبيل الله : (وأعفه من الجبن ، وألهمه الجرأة ، وارزقه الشدة) .

وفي مجمع البحرين الشجاعة شدة القلب عند البأس .

ثم انه ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله) .
مع الإلتفات إلى ان الجهاد في سبيل الله له معنى عام ومعنى خاص ، وكلاهما مطلوب كما فصلناه في محله .
وقد مر علينا قول النبي (ص) : (ليس الشديد بالصرعة ، وانما الشديد من ملك نفسه عند الغضب) .
وفي سفينة البحار عن الإمام علي (ع) : (أشجع الناس من غلب هواه) .
فالشجاعة ليست محصورة بالقتال المتعارف ، وانما هي أعم منه ومن غيره مما يحتاج إليها ، فتشمل قوة الصبر والتحمل ، حيث ورد في الحديث عن علي (ع) : (الصبر شجاعة ، والزهد ثروة ، والورع جنة) .
وقد تتمثل الشجاعة في موقف معين ، أو كلام معين ، لايقدر عليه في ظرفه الا الشجاع ، من قبيل المواقف التي مر بها الإمام السجاد (ع) وعمته زينب (ع) ، والكلمات الشجاعة التي صدرت منهما أثناء الأسر..
وفي سفينة البحار نقل في مادة (شجع) ، شجاعة إبراهيم الخليل (ع) في كسر الأصنام ، فان مقاومة الرجل الواحد ألوفاً من أعداء الله تمام الشجاعة).
نعم ورد في الحديث عن الإمام العسكري (ع) : (للشجاعة (للحزم) مقدار فان زاد على ذلك فهو التهور) .
وفي الحكم والمواعظ : (من تهور ندم) ، وفي بعض المصادر عن الجواد (ع) : (من تهور أصيب) .
وقد قال الله تعالى : (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) البقرة- ١٩٥

وقد تحدثنا في (المعالم الأولية للحكومة الإسلامية) ، عن مراعاة التقية بمعنى السياسة وحسن المناورة ، والحكمة في الأقوال والأفعال ، فان الوارد في الرواية عن المعصومين (ع) انه (لا دين لمن لا تقيـة له) ، بمعنى إن من يترك العمل بالتقية السياسية ، فانه يعرض دينه ومجتمعه وأرضه لخطر الزوال والاندثار، وهذا فهم جديد للتقية ينبغي بيانه بشيء من التفصيل ..

فالتقية ليست كما يتصورها البعض حالة من الخوف والجبن والهروب ، وليست التقية كما يتصورها البعض الآخر مجرد غطاء شرعي ، يتخلص بـه من كل مشكلة تواجهه ، بل التقية لها مفهوم عظيم يحمل بين طياته خطوات عملية منتجة ومؤثرة وبناءة .

فالأئمة المعصومون (ع) رغم انهم كانوا يقولون بالتقية ، إلا انهم لم يقصروا طرفة عين ، وكانوا يؤدون مسؤولياتهم الشرعية والاجتماعية بكل شجاعة وثبات ، حتى ان بعضهم تعرض للإعتقالات المؤقتة ، وتعرض بعضهم للإقامة الجبرية ، في حين قضى بعضهم فترات طويلة في السجون ، وكلهم بالنتيجة قضى ما بين شهيد أو مسموم كما هو مضمون الرواية.

وهذا إن دلَّ على شيء ، فإنما يدل على أن التقية عند المعصومين (ع) إنما هي سياسة لحفظ الدين ، وهي مبدأ استراتيجي لحماية مصدر التشريع أو خطوطه الأساسية المتصلة بالمجتمع ، وهذا هو معنى من معاني قولهم (ع) : (لا دين لمن لا تقية له) . .

كذلك يدل على قولهم (ع) : (إنكم على دين ، من كتمه اعزه الله ، ومن أذاعه أذله الله) .

والمقصود طبعاً هو كتمانه عن غير أهله ، وأما كتمانه عن أهله فهو تقصير يتنافى مع مباديء الأمر بالمعروف وإنفاق العلم بالتعليم .

ومحل الشاهد هنا ان المعصوم (ع) حينما يشعر أن هناك ضرر فعلي ، متوجه نحوه كما في رواية العيد عندما أفطر (ع) عندهم ، أو متوجه نحو أهم اتباعه وخطوطه في المجتمع كما في قصة وضوء علي بن يقطين ، فانه (ع) يعمل بالتقية عندئذ ، ويناور أعداءه ، على اعتبار إن الموقف لا يستدعي المخاطرة ، وان حفظ الدين والمجتمع الإسلامي يتوقف على ممارسة هذه السياسة (التقية) في مثل تلك الظروف.

ولا يخفى أن هذا المبدأ معمول به عقلائياً ، بل العالم اليوم بتياراته المختلفة يعتمد على هذه الفكرة ، ويعتبرها من أهم مبادئ السياسة ، سواء على المستوى الخارجي أم الداخلي .

ثم إن من حق المعصومين (ع) أن يتقوا في جميع الموارد ، التي يجوز للمكلفين عموماً استعمال التقية فيها ، إلا إن مسؤولياتهم القيادية تجعلهم يقتصرون في ذلك على موارد الضرورة والوجوب ، وهذه حقيقة ينبغي الإلتفات إليها.

بقي ان نشير إلى ان الشجاعة يجب ان تكون في محلها ، ولا تتجاوزه إلى البغي أو التعدي أو نحوهما والعياذ بالله ، ففي الحديث عن النبي (ص) : (آفة الشجاعة البغي) .

وفي كلام لأمير المؤمنين (ع) ان المؤمن (لايتهور ولا يتهتك ولا يتجبر) .

فالمفروض مراعاة ذلك ، وأخذه بنظر الاعتبار .

عدم الخرق وعدم السفاهة

ليس به خرق ولا سفاهة

إن السفيه حظّه الكراهة

يقول الله تعالى :

(وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ) البقرة- ١٣٠

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ) البقرة- ١٣

وفي مجمع البحرين ان السفيه هو من يستطيل (يتجاوز) على من دونه ويخضع لمن فوقه ، وهو مضمون رواية عن الصادق (ع) :(ان السفه خلق لئيم ، يستطيل على من دونه ...) .

وفي الحديث عنه (ع) أيضاً : (من كافأ السفيه بالسفه ، فقد رضي بمثل ما أتى اليه حيث احتذى مثاله).

وفي بعض المصادر عن الإمام الصادق (ع) : (المؤمن بريء من السفه) ، و(السفه من أبواب جهنم) ، و(السفه ضد النور) .

واحتمل في مجمع البحرين ان السفيه من لايبالي بما قال ، ولا ماقيل فيه .. وفي بعض الروايات ان هذا هو الفحاش (انظر الوسائل باب ٧١ من أبواب جهاد النفس) .

وسيأتي الحديث عن عدم الفحش .

وفي روايات عديدة ان شر الناس يوم القيامة ، الذين يُكرمون اتقاء شرهم ، وسيأتي تفصيله في فصل خاص .

ثم ان السفه يأتي بمعنى الجهل ، ويأتي بمعنى الحماقة .
وفي مجمع البحرين أيضاً ان السفه ضد الحُلم بمعنى رجاحة العقل ، ولذلك قد يحجر على السفيه لأنه يصرف أمواله لأغراض غير عقلائية ، أو لأنه لايميز غالباً بين المعاملات التي تنفعه أو تضره ..
وقد قال الله تعالى :
(وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً) النساء- ٥
وفي عيون أخبار الرضا (ع) :(حُظر على السفيه ان يُدفع ماله إليه ، لما يتخوف عليه من إفساده ، حتى يؤنس منه رشده) .
وفي حديث جنود العقل والجهل ذكر (الحلم وضده السفه) ..
وفي الدعاء (وأعوذ بك رب أن أشتري السفه بالحلم) .
وفي مستدرك الوسائل عن الإمام علي (ع) ، أنه قال لولده الحسن (ع) : (يابني ماالسفه ؟ ، فقال (ع) : إتباع الدناة ، ومصاحبة الغواة) .

وفي الميزان ١٦٩/٤ ان السفه خفة العقل ، وكأن الأصل في معناه مطلق الخفة فيما من شأنه ان لايخف ، ومنه الزمام السفيه أي كثير الاضطراب ، وثوب سفيه أي ردئ النسج .. ثم غلب في خفة النفس ، واختلف باختلاف الأغراض والمقاصد ، فقيل سفيه لخفيف الرأي في الأمور الدنيوية ، وسفيه للفاسق غير المبالي في أمر دينه ، وهكذا .
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (كل من يشرب الخمر فهو سفيه) .

واما الخرق ففي مجمع البحرين انه الحمق وضعف العقل ، والخرق أيضاً بخلاف الرفق ، ومنه الحديث : (الرفق يمن ، والخرق شؤم) .
وفي حديث جنود العقل والجهل : (الرفق وضده الخرق) .
وعن الإمام علي (ع) : (من الخرق المعاجلة قبل الإمكان ، والأناة بعد الفرصة) .
وورد عنه (ع) أيضاً في وصف المؤمن : (لايخرق به فرح ، ولا يطيش به مرح) .

عدم اللهو بالباطل

وآيـــة المـــؤمنِ والعـــاقـــلِ

فِـــراقـــه للّهـــوِ بالبـــاطـــلِ

يقول الله تعالى :

(وَمَا هَذه الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ) العنكبوت- ٦٤

(ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) الحجر- ٣

(قُلْ مَا عندَ اللَّه خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَة) الجمعة- ١١

(لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذكْرِ اللَّه) المنافقون- ٩

(الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا) الأعراف- ٥١

(فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) المعارج- ٤٢

وفي جامع السعادات عن النبي (ص) : (أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (ولسنا للدنيا خُلقنا) ..

وفي الروايات ان النبي يحيى (ع) قيل له وهو صبي : هلمّ نلعب ، فأجاب (ع) : ما للعب خُلقنا) .

وعن أمير المؤمنين (ع) في وصف المتقين : (لايدخل في الباطل ، ولا يخرج من الحق) .

وفي مفردات الراغب ان اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ، يقال لهوت بكذا ، ولهيت عن كذا اشتغلت عنه بلهو .

وفي بعض الأخبار عن النبي (ص) مامؤداه ان اللهو باطل ، إلا في الأمور النافعة ، حيث ذكر (ص) منها التدريب على الفرس والرماية .
وفي حديث آخر عن الباقر (ع) ذكر أن لهو المؤمن في مفاكهة الأخوان (أي زيارتهم وملاقاتهم قربة إلى الله تعالى ، كما سيأتي تفصيله) ، وفي الصلاة بالليل ..
وفي كتابنا (أصناف الناس في الليل) يوجد بعض مايرتبط بالمقام .

وفي الحديث عن الباقر (ع) عندما سُئل عن قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) ، فقال (ع) هو الغناء ، لقد تواعد الله عزوجل عليه بالنار ..
وفي رواية أخرى عنه (ع) انه سُئل عن الغناء ، فقال للسائل ويحك ، اذا فرق الله بين الحق والباطل ، أين ترى الغناء يكون ؟ ، قال : مع الباطل والله جعلت فداك ، فقال (ع) : ففي هذا ما يكفيك) .

ويتحصل مما سبق ان اللهو إما ان يكون مباحاً أو مندوباً ، كما في الأمثلة التي ذكرناها قبل قليل .. و إما ان يكون محرماً وممنوعاً ، كما في مثال الغناء في الرواية السابقة .. وإما ان يكون اللهو مكروهاً أو مرجوحاً ..
فالمفروض بالمؤمن ان يلتفت الى هذه الأقسام ، ويميز بينها بالرجوع إلى احكامها الشرعية الأولية أو الثانوية ، وان كان هناك مقياس واضح وبسيط ، فصلناه في مقدمة هذا الكتاب ، وهو يعتمد على الدعاء الوارد في شرح زيارة أمين الله : (اللهم اجعل نفسي مستنة بسنن أوليائك ، مفارقة لأخلاق أعدائك) .

الإعراض عن اللغـو

ولـيس للّغـو نصيـــب عنـــدهُ

يُعرض عنه إن أحـــسّ وردَهُ

يقول الله تعالى واصفاً أهل الجنة :

(لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إلا سَلاماً) مريم- ٦٢

(لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً ، إلا قِيلاً سَلاماً سَلاماً) الواقعة(٢٥-٢٦)

وقد مدح الله تعالى عباده المؤمنين الذين هم من ورثة الفردوس بقوله :

(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) المؤمنون- ٣

كذلك مدح الله تعالى طائفة من عباده بقوله :

(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ، وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) القصص- ٥٥

(وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) الفرقان- ٧٢

وقال تعالى :

(خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين) الأعراف - ١٩٩

وفي مجمع البحرين ذكر عدة معان للغو منها : الباطل ، والفحش من الكلام ، والكذب ، والهجر في الكلام الذي لانفع فيه ..

ثم ذكر قوله تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) ، وقال انه يعني عن كل لعب ومعصية .

وفي ورثة الفردوس ذكر عدة مصاديق للغو ، فعدَ منها كثرة الكلام ، وكثرة المزاح ، والاستهزاء والسخرية ، والمراء والجدال والخصومة ، والسب واللعن، والفحش ، والكذب ، والخوض في الباطل ، والنفاق ،

وتعيير المؤمن ، وفعل الملاهي ، والغناء ، والغيبة ، والنميمة ، والبهتان ، ونحو ذلك ..

وقد مر الكلام عن بعض هذه العناوين ، وسيأتي الكلام عن بعضها في فصول لاحقة .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) : (أيها الناس اتقوا الله فما خُلق امرؤ عبثاً فيلهو ، ولا تُرك سدى فيلغو) .

وفي دعائم الإسلام عن الإمام الصادق (ع) : (وفرض الله على السمع الإصغاء إلى ما أمر الله به ، وان يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله ، وما لايحل له مما نهى الله عزوجل عنه ، وعن الإصغاء إلى ما أسخط الله عزوجل) .

كذلك ورد في الحديث عن الإمام الصادق (ع) بعد ان ذكر مامضمونه ان الصيام ليس بمجرد الامتناع عن الطعام والشراب : (الإنسان ينبغي له ان يحفظ لسانه من اللغو الباطل ، في رمضان وغيره) .

بل ورد في بعض الرايات عن أمير المؤمنين (ع) : (كل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو) ، وهذه مرتبة عالية كما لايخفى ، من قبيل ما ورد عن السجاد (ع) : (اللهم إني استغفرك من كل لذة بغير ذكرك ، ومن كل راحة بغير انسك ، ومن كل سرور بغير قربك ، ومن كل شغل بغير طاعتك) .

وان كان الواقع ان كل كلام ليس فيه ذكر أو طاعة أو قربة ، فهو تضييع للوقت والجهد بما لاينفع ، فيدخل في اللغو من هذه الناحية .

وفي الميزان ٩/١٥ ان اللغو من الأفعال في نظر الدين : هو الأعمال المباحة التي لاينتفع منها في الآخرة ، أو في الدنيا بحيث ينتهي أيضاً إلى الآخرة ، كالأكل والشرب بداعي شهوة التغذي ، اللذين يتفرع عليهما التقوي على

طاعة الله تعالى وعبادته ، فاذا كان الفعل لاينتفع به في آخرة ، ولا في دنيا تنتهي بنحوٍ إلى آخرة ، فهو اللغو .. ثم قال : وبنظر أدق هو (أي اللغو) ماعدا الواجبات والمستحبات من الأفعال .

وفي الميزان - نقلاً عن صاحب المجمع - في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) روي عن أبي عبد الله (ع) قال : (ان يتقوّل الرجل عليك بالباطل ، أو يأتيك بما ليس فيك ، فتعرض عنه) .

وفي ينابيع المودة للقندوزي ان رجلاً سبّ الإمام السجاد (ع) ، فتغافل الإمام عنه ، فقال له الرجل : إياك أعني ، فأجابه الإمام (ع) : وعنك أعرض .

وفي القلب السليم ذكر حادثة انقلها استطراداً للموعظة ، فقد مر مالك الاشتر ذات يوم في سوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة خام فرآه شخص لا يعرفه ، ونظر إليه باحتقار ورماه ببندقة (كتلة طين صغيرة) ، فلم يكترث مالك به .. وجاء من قال لذلك الشخص أتعرف بمن هزئت وعلى من اعتديت .. قال لا ، قال انه مالك الاشتر صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ، فارتعدت فرائصه ، وسيطر عليه الرعب ، ومضى خلف مالك ليعتذر منه ووجده في المسجد واقفاً يصلي ، وعندما أنهى صلاته ، وقع على قدميه يقبلهما .. فسأله مالك ما الخبر .. قال جئت اعتذر منك على ما بدر مني ..

قال مالك : لا تثريب عليك .. والله ما دخلت المسجد إلا لكي اصلي واستغفر الله لك ..

وقد مر الحديث عن الحلم وكظم الغيظ ، وسيأتي الحديث عن حفظ اللسان .

حفظ اللسان

وأحسِن الصنع بحفظ اللســان

فــــإنــه للنــار أو للجنـــان

يقول الله تعالى :

(مَا يَلْفِظُ من قَوْل إلا لَدَيْه رَقيبٌ عَتيدٌ) ق- ١٨

(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)النور- ٢٤

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) الأحزاب- ٧٠

وفي الحديث عن النبي (ص) : (نجاة المؤمن في حفظ لسانه) .

وعنه (ص) أيضاً : (اصمت لسانك إلا من خير) .

وفي الكافي انه جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : يارسول الله أوصني .. فقال (ص) : (احفظ لسانك) ، فأعاد عليه الرجل ، وأعاد النبي (ص) نفس الجواب ، ثم قال له : (احفظ لسانك ، ويحك ، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم).

وعن الإمام علي (ع) :(الكلام في وثاقك مالم تتكلم به ، فاذا تكلمت به صرت في وثاقه ، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك ، فرب كلمة سلبت نعمة) .

وعنه (ع) أيضاً : (اللسان سبع عقور ، ان خلى عنه عقر) .

وعنه (ع) : (من حفظ لسانه ، ستر الله عورته) .

وعن السجاد (ع) : (ان لسان ابن ادم يُشرف على جميع جوارحه كل صباح ، فيقول : كيف أصبحتم ، فيقولون بخير ان تركتنا ، ويقولون : الله الله فينا ، ويناشدونه ، ويقولون انما نثاب ونعاقب بك) ..

وعن الباقر (ع) ان أبا ذر يقول:(ان هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك) .

وعن الصادق (ع):(ان في حكمة آل داود : على العاقل ان يكون عارفاً بزمانه ، مقبلاً على شانه ، حافظاً للسانه) ..

وعنه (ع) أيضاً : (احفظ لسانك تسلم) .

وعن الصادق (ع) أيضاً : (لايزال العبد يكتب محسناً مادام ساكتاً ، فاذا تكلم كُتب اما محسناً أو مسيئاً) .

وفي الخبر عن أمير المؤمنين (ع) انه مر برجل يتكلم بفضول الكلام ، فوقف عليه ثم قال : (انك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك ، فتكلم بما يعنيك ، ودع ما لايعنيك) .

وعن أبي الحسن الكاظم (ع) : (احفظ لسانك تُعز ، ولا تمكّن الناس من قيادك فتذل رقبتك) .

وقد جاء في الحكمة :

إحفظ لسانك أيها الإنسان   لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه   كانت تهاب لقاءه الشجعان

ويتحصل من مجموع ما سبق انه ينبغي للإنسان حفظ لسانه عن المحرمات حتى لايدخل جهنم بسببه ، وعن الفضول حتى لايقع في المشاكل بسببه ، فان من تدخل فيما لايعنيه لقي ما لايرضيه ..

كذلك ينبغي حفظ اللسان عن المخاطر ، فان التقية واجبة كما هو مفصل في الفقه ..

ولنقل بكلمة جامعة : ان المطلوب في المقام حفظ اللسان عما لاينبغي ، حيث ورد في الحديث عن الصادق (ع):(قولوا للناس حسناً ، واحفظوا ألسنتكم ، وكفوها عن الفضول ، وقبيح القول) ..

وسيأتي في الفصول القادمة ما يرتبط بالمقام ، وسيأتي الحديث عن الصمت و قلة الكلام ، كما مر الحديث عن اللغو والإعراض عنه .

طيب اللسان ، وحسن القول

وكلــما كــان اللـــسان طيّـــبا

كـــان لـه عند الـورى مُحبِّـــبا

يقول الله تعالى :

(وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) الإسراء- ٥٣

(وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً) البقرة- ٨٣

(قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى) البقرة- ٢٦٣

(وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً) النساء- ٨

وفي الحديث عن النبي (ص) : (لايستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

وعن أمير المؤمنين (ع) (ألا وان اللسان الصالح يجعله الله تعالى للمرء في الناس خير له من المال) .

وعنه (ع) : (افشوا السلام ، و أطيبوا الكلام) .

وعن الباقر (ع) في قول الله عزوجل : (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً) قال (ع) : قولوا للناس أحسن ماتحبون ان يقال فيكم .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ان حد حسن الخلق : ان تلين جناحك ، وتطيب كلامك ، وتلقى أخاك ببشر حسن) .

وسيأتي ما يرتبط بالمقام في الفصول اللاحقة ، وفي حسن العشرة .

وفي الحقيقة فان طيب اللسان وحسن القول ، تترتب عليه جملة من الفوائد والآثار ، في الدنيا والآخرة ، وفي الحديث عن السجاد (ع) :

(القول الحسن يثري المال ، وينمي الرزق ، وينسي في الأجل ، ويحبّب إلى الأهل ، ويُدخل الجنة) .

ثم ان طيب اللسان له عدة مصاديق ، منها ما يكون بين العبد وسائر الناس ، من قبيل الكلمة الطيبة ، والموعظة والنصيحة ، وإصلاح ذات البين ، ونحو ذلك .

ومنها ما يكون بين العبد ونفسه ، كمعاتبتها اذا أخطأت ، وتوبيخها اذا تمادت ..

ومنها ما يكون بين العبد وربه عزوجل ، من قبيل الاستغفار والدعاء وقراءة القرآن ونحو ذلك من العبادات التي يؤديها اللسان ..

وفي الحديث عن النبي (ص): (من أعطي لساناً ذاكراً ، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة).

وعن الصادق (ع) : (من أكثر ذكر الله أظله الله في جنته) .

ويحسن التنبيه في المقام على أهمية مراجعة (أبواب الذكر من الوسائل / ضمن كتاب الصلاة) ، فان فيها مصاديق عديدة للذكر .

وعن النبي (ص) : (خير العبادة قول لا اله الا الله).. وعن الصادق (ع) انه ثمن الجنة ..وقد مر ما يرتبط بالذكر ، عند الحديث عن (الاهتمام بالعبادة) في فصل سابق .

وعن الصادق (ع) أيضاً في رسالته الى أصحابه : (فاتقوا الله ، وكفوا ألسنتكم إلا من خير) ...إلى ان قال (ع) (وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ، ويأجركم عليه ، وأكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لايُقدر قدره ، ولا يبلغ كنهه أحد ، فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلوداً في النار ، من مات عليها ولم يتب إلى الله ولم ينزع عنها) .

الصدق

والصدق مطلوب ، ونص الحديـث

(تعلموا..الصدق قبل الحديث)

يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ) التوبة- ١١٩

وقد مدح الله تعالى : (َالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) الأحزاب- ٣٥

وذكر دعاء إبراهيم (ع) :

(وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) الشعراء- ٨٤

ومدح آل إبراهيم (ع) بقوله عزوجل :

(وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً) مريم- ٥٠

وفي نهـج البلاغـة عـن أمـير المـؤمنين (ع) : (الـصادق علـى شفـا منجـاة وكرامـة ، والكاذب على شفا مهواة ومهانة) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (تعلموا الصدق قبل الحديث) .

وعن الصادق (ع) : (من صدق لسانه زكى عمله) .

وعنـه (ع) أيـضاً : (ان الـصادق أول مـن يـصدّقه الله عزوجـل يعلـم انـه صادق ، وتصدقه نفسه تعلم انه صادق) .

وفي حديث آخر عنه (ع) أيضاً : (إن العبد ليصدق ، حتى يكتب عند الله من الصادقين ، ويكذب حتى يُكتب عند الله من الكاذبين ، فإذا صدق قال الله عزوجل : صدق وبر ، وإذا كذب قال الله عزوجل : كذب وفجر) .

وورد عنه (ع) أيضاً : (لاتغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم ، فان الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة) .

ثم انه سيأتي في الفصل القادم ما يرتبط بالمقام ..

بقي ان نشير إلى ان الصدق له معنى أعم ، بمعنى انه مطلوب في الحديث ، ومطلوب في الحال بمعنى مطابقة الأفعال للأقوال ، ومطلوب في الإيمان ، ومطلوب في الولاية ..

وهكذا فان الصدق مطلوب في كل مورد يحتمل فيه الأمران ، إما الصدق وإما الكذب .. وقد قال الله تعالى :

(أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ، وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) العنكبوت (٢-٣).

عدم الكذب

وآفــة اللــسان قــول الكَـــذِبِ
بالجـد كـان الأمر أو باللـعبِ

يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) غافر- ٢٨

(فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ) الأنعام- ١٤٤

وفي الحديث عن النبي (ص) : (آفة الحديث الكذب) .

وعنه (ص) : (لا يخرج من فيك كذبة أبداً) .

وعنه (ص) أيضاً : (لا تكذب فيذهب نورك) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (شر القول الكذب) .

وفي الوسـائل كـان أمـير المـؤمنين (ع) يقـول : (ألا فاصـدقوا ، ان الله مـع الـصادقين ، وجـانبوا الكـذب فانـه يجانـب الإيمـان ، ألا وان الـصادق على شفا منجاة وكرامة ، ألا وان الكاذب على شفا مخزاة وهلكة) .

وعنه (ع) أيضاً : (إياك ومصاحبة الكذاب ، فانه كالسراب ، يقـرّب عليك البعيد ، ويبعّد عليك القريب) .

وروي عنه (ع) أيضاً : (ينبغي للرجل المسلم ان يجتنـب مؤاخـاة الكـذاب ، فانه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يُصَّدق) .

وعـن الـسجاد (ع) : (اتقـوا الكـذب الـصغير منـه والكـبير ، في كـل جـد وهـزل ، فان الرجل اذا كذب في الصغير إجترئ على الكبير .. أما علمـتم ان رسول الله (ص) قال : (ما يزال العبد يصدق حتـى يكتبـه الله صـديقاً ، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً) .

وفي الحديث عن الباقر (ع) : (ان أول من يكذّب الكذّاب : الله عزوجل ، ثم الملكان اللذان معه ، ثم هو يعلم انه كاذب) .

ثم ان الكذب ممنوع وغير جائز ، سواء كان على الآخرين ، أو على النفس ، أو على الله تعالى ، أو على الأنبياء (ع) والأوصياء (ع) .
وقد قال الله تعالى :
(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً) الأنعام- ٢١
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأوصياء (عليهم السلام) من الكبائر) .
وفي الحديث عن النبي (ص): (من قال علي مالم اقل ، فليتبوأ مقعده من النار) .
وفي رواية أخرى : (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .
وقد مر في الفصل السابق مايرتبط بموضوع الكذب ومعانيه .
وفي الدعاء : (اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء ، ولساني من الكذب) .

وفي الحقيقة فان (حبل الكذب قصير) كما في الحكمة ، والكذاب مفضوح في الدنيا والآخرة ..
ففي الحديث عن الصادق (ع) : (ان الكذاب يهلك بالبينات ، ويُهلك أتباعه بالشبهات) .
وعنه (ع) أيضاً : (ان مما أعان الله به على الكذابين : النسيان) .

وروي عن أمير المؤمنين (ع) انه كان يقول : (إياكم والكذب ، فان كل راج طالب ، وكل خائف هارب) .

والكذب له آثار سلبية عديدة ، علاوة على الإثم والسخط الإلهي ، ففي ورثة الفردوس عن الصادق (ع) : ان عيسى بن مريم (ع) قال : (من كثر كذبه ، ذهب بهاؤه) .
وفي المصدر نفسه عن أمير المؤمنين (ع) : (اعتياد الكذب يورث الفقر) .
وعن الصادق (ع) : (ليس لكذاب مروءة) .
وقد مر علينا في حديث سابق ان الكذب يجانب الإيمان ، بل ورد عن علي (ع) : (لايجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع الكذب ، جدّه وهزله) .

بقي ان نشير إلى مسألة مهمة مرتبطة بالمقام ، فقد ورد في الروايات ان المصلح ليس بكذاب ، وان كان مقتضى الاحتياط تقييد ذلك بالاضطرار وعدم المندوحة ، أي عدم وجود طريق أو مَخلص آخر غير ذلك .
ويظهر من بعض الأخبار ان الإصلاح يختلف عن الصدق والكذب ، ففي الحديث عن الصادق (ع) : (الكلام ثلاثة : صدق ، وكذب ، وإصلاح بين الناس) ، وعندما سُئل (ع) عن الإصلاح بين الناس ، أجاب (ع) :
(تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه ، فتقول سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه) .
وفي مجمع البحرين ذكر ان الكلام ثلاثة : صدق ، وكذب ، وإصلاح ، فلإصلاح لا يوصف بالكذب البحت وليس مبغوضاً صاحبه .

ولذا قال الصادق (ع) في قول يوسف : (أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) ، والله ما سرقوا ، وما كذب يوسف (ع) .. وقول إبراهيم : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) ، والله ما فعلوا وما كذب ، وذلك أنهما أرادا الإصلاح ، والله أحب الكذب في الإصلاح ، وأبغضه في غيره ، فقوله وما كذب يوسف أراد الكذب البحت ، الذي يلعن الله صاحبه ويبغضه عليه .

وفي حديث آخر ان بعض الأمور يقبح فيها الصدق ، وعدّ منها (النميمة).

وفي رواية أخرى عن الرضا (ع):(ان الرجل ليصدق على أخيه ، فيناله عنتٌ من صدقه ، فيكون كذاباً عند الله ، وان الرجل ليكذب على أخيه يريد به نفعه ، فيكون عند الله صادقاً)

قلـة الكـلام

وقـلة الكـلام حصـــن حصيـن
يهـــنأ فيــه الـمرء دنيا وديـن

يقول الله تعالى في وصف ورثة الفردوس :
(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) المؤمنون- ٣
وفي الحديث عن النبي (ص) : (اصمت لسانك إلا من خير) .
وعنه (ص) أيضاً : (اترك فضول الكلام ، وحسبك من الكلام ، ماتبلـغ به حاجتك) .
وعن الصادق (ع) : (الصمت كنز وافر) .
وعنـه (ع) أيـضاً : (ان لقمـان (ع) قـال لابنـه : يـابني ان كنـت زعمـت ان الكلام من فضة ، فان السكوت من ذهب) ..
ثم ان كثرة الكلام لها آثار سلبية كثيرة ومتعـددة ، ففـي الحديث عـن الـنبي (ص) : (لاتكثـروا الكـلام بغـير ذكـر الله ، فـان كثـرة الكـلام بغـير ذكـر الله قسو القلب) .
وفي حديث آخر عـن الـصادق (ع) : (ان عيـسى (ع) كـان يقـول لاتكثـروا الكـلام في غـير ذكـر الله ، فـان الـذين يكثـرون الكـلام في غـير ذكـــر الله ، قاسية قلوبهم ولكن لايعلمون) .
وعن أمير المؤمنين (ع) : (من كثر كلامه ، كثر خطؤه) .
في حـين ورد في الـصمت عـن أمـير المـؤمنين (ع) : (بكثـرة الـصمت تكـون الهيبة) ..
وعـن الرضـا (ع) : (ان الـصمت بـاب مـن أبـواب الحكمـة ، وان الـصمت يكسب المحبة ، إنه دليل على كل خير) .

وعنه (ع) أيضاً ان من علامات الفقه (الحلم والصمت) .
وفي مجمع البحرين ذكر الحديث: (إلزم الصمت تسلم)، أي من الآفات والمعاصي ..
وعن الصادق (ع) : (عليكم بالصمت ، إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ، ويأجركم عليه) .
وقد مر في (حفظ اللسان) مايرتبط بالمقام .
ثم اننا تحدثنا في (مطالعات عرفانية) عن أهمية الصمت أو السكوت ، وقلنا انه مطلوب سواء كان معناه السكوت مع الناس إلا عند الضرورات الخاصة والعامة ، أو كان معناه السكوت عن الكلام مطلقاً أثناء الاشتغال بالأذكار الكلامية الحصرية .
وقد ورد في الحديث (ان شيعتنا الخرّس)..
وورد أيضاً (الصمت شعار المحبين ، وفيه رضا الرب ، وهو من أخلاق الأنبياء، وشعار الأصفياء) .
وفي الحديث عن الصادق (ع): (لايزال العبد يكتب محسناً مادام ساكتاً ، فاذا تكلم كتب إما محسناً أو مسيئاً).. فهذه هي الفلسفة والميزان في المقام ..
فالعبد اذا كان ساكتاً لايتكلم ، يكون في مأمن من الذنوب اللسانية ، كالغيبة والنميمة والبهتان ونحو ذلك .
فاذا نوى العبد بهذا الصمت التقرب إلى الله عزوجل ، والامتناع عن هذه المحرمات ونحوها ، طاعة لله تعالى ، فهو بالتأكيد مأجور ومثاب ، ويزداد أجره ويتضاعف حتماً اذا استغل صمته بالتفكر أو بالذكر القلبي ، وتزداد فائدته اذا استغل صمته في الاعتبار ، أو التأمل بأحاديث الآخرين .

واما اذا تكلم فكلامه قد يكون ممنوعاً ومحرماً ، كالغيبة أو الكذب ، وعندئذ يدخل في الحرام ويكون مسيئاً ومذنباً ، فيستحق بذلك العقوبة ..
وقد يكون كلامه مرجوحاً أو مكروهاً ، كالمراء أو اللغو في فضول الكلام المباح بدون حاجة أو مبرر ، وعندئذ يكون أيضاً قد أساء إلى نفسه ، لأنه حرمها ثواب الاستفادة من الوقت ، وجنى عليها بملاقاة الحسرة والندامة .
نعم قد يكون كلامه مفيداً وصالحاً ، كالمواعظ والنصائح والإرشادات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك ، اذا كان قربة إلى الله تعالى ، فان مثل هذا الكلام طاعة ورضا لله عزوجل ، فيكون راجحاً من هذه الناحية ، مع الإلتفات إلى ماورد في الحكمة من ان : (خير الكلام ما قلّ ودلّ) .
وقد ورد في الحديث عن علي (ع) : (كلام في حق ، خير من سكوت على باطل) .
أقول : مع الإلتفات إلى ما تقدم في (الشجاعة) عند الحديث عن التقية.
وعنه (ع) أيضاً : (لاخير في الصمت عن الحكم ، كما انه لاخير في القول بالجهل) .
وفي الوسائل انه سُئل الإمام السجاد (ع) عن الكلام والسكوت أيهما أفضل ؟ فقال (ع) : لكل منهما آفات ، فاذا سلما من الآفات ، فالكلام أفضل من السكوت . قيل : وكيف ذلك يا بن رسول الله ؟ قال : لأن الله عزوجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت ، انما يبعثهم بالكلام ، ولا استحُقت الجنة بالسكوت ، ولا استُوجب ولاية الله بالسكوت ، ولا توقّيت النار بالسكوت ، ولا تُجتنب سخط الله بالسكوت ، إنما ذلك كله بالكلام..

وما كنت لأعدل القمر بالشمس ، إنك لتصف فضل السكوت بالكلام ، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت) .
وفي الحديث عن السجاد (ع) أيضاً : (المؤمن يصمت ليسلم ، وينطق ليغنم).

بقي ان نشير إلى نكتة لطيفة مفادها ان الكلام كالطعام ، من حيث قلته وكثرته ، فكما ان قلة الطعام انفع واسلم للإنسان ، فكذلك الكلام ، ولذلك كان هناك صوم عن الكلام ، كالصوم عن الطعام ، حيث يقول الله تعالى مخاطباً مريم (ع) :
(فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً) مريم- ٢٦
ولكن ذكرنا في غاية المتفقهين ، ان الوارد في أحاديث المعصومين (ع) ، أن (صوم الصمت حرام) ، وانما يحرم مع النية (نية الصوم بهذه الكيفية) .
وفي مستند النراقي (٥١١/١٠) ذكر أن المراد بصوم الصمت ، أن يجمع في النية بين قصد الصوم عن المفطرات ، وبين قصد الصمت ، وأما اذا كان المقصود به الإمساك عن الكلام خاصة ، فلا حرمة فيه - كما يذكر النراقي - إلا مع قصد التشريع به .
وذكر صاحب العروة أن الممنوع في المقام هو أن يجعل الصمت - في نيته - من قيود صومه ، وأما اذا لم يجعله قيداً ، فلا بأس به وان صمت ، وهذا هو مبنى صاحب المسالك أيضاً (انظر مسالك الافهام ٨١/٢) .

تقليل المزاح
وعدم الخروج به عن الأدب والوقار

وقلّل المـــزاح إن المــزاح

تــكون فيه غـــرضاً مستباح

يقول الله تعالى :

(فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) التوبة- ٨٢

وذكر طائفة من أهل جهنم تستغيث ، فيأتيها الجواب :

(ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ) غافر- ٧٥

وفي الحديث عن النبي (ص) : (لا تمزح فيذهب بهاؤك) .

وفي الوسائل باب ٨٣ من أحكام العشرة ، ذكر عدة أحاديث في كراهة كثرة المزاح والضحك ..

فعن الصادق (ع) : (إياكم والمزاح فانه يذهب بماء الوجـه) ..

وفي رواية أخرى : (كثرة الضحك تذهب بماء الوجـه) .

وكذلك ورد عنه (ع):(لاتمار فيذهب بهاؤك ، ولا تمازح فيُجترى عليك).

وعن أبي الحسن (ع) : (إياك والمزاح ، فانه يذهب بنور إيمانك ، ويستخف بمروتك) .

فيتحصل من مجموع ما سبق ان المرجوح أو الممنوع انما هو المزاح الكثير الذي يخرج الإنسان عن أدبه ووقاره ، أو يدخله في مشاكل مع الآخرين ..
وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) في وصف المؤمن : (لايخرق به فرح ، ولا يطيش به مرح) .
وفي حديث آخر عنه (ع) : (إياك والمزاح فانه يجر السخيمة ، ويورث الضغينة ، وهو السب الأصغر) .

كما ان كثرة المزاح توقع العبد في الغفلة ، وتؤدي به إلى الحسرة والندامة ، حيث ورد عن الصادق (ع) : (كم ممن كثر ضحكه لاغياً ، يكثر يوم القيامة بكاؤه) .
وعنه (ع) أيضاً :(كثرة الضحك تميت القلب) أي تجعله قاسياً أو غافلاً .

واما المزاح المناسب المعتدل ، فلا مانع منه في حد نفسه ، وقد دلت الروايات على ان المؤمن هش بش ، وانه يُفترض بالمؤمن ان يكون من الذين يألفون و يؤلفون .
وفي الحديث عن الكاظم (ع) : (كان يحيى بن زكريا يبكي ولا يضحك ، وكان عيسى بن مريم يضحك ويبكي ، وكان الذي يصنع عيسى (ع) أفضل من الذي كان يصنع يحيى (ع)) .
وعن الصادق (ع) : (مامن مؤمن إلا وفيه دعابة ، فقيل له وما الدعابة ، فقال (ع) : المزاح) .

وفي حديث آخر عنه (ع) : (ان المداعبة من حسن الخلق ، وانك لتدخل بها السرور على أخيك ، ولقد كان رسول الله (ص) يداعب الرجل يريد ان يسره) .
وفي الوسائل عن معمر بن خلاد سألت الإمام أبا الحسن (ع) : (فقال جعلت فداك ، الرجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام فيمزحون ويضحكون ، فقال (ع) : لابأس ما لم يكن ، فظننت انه عنى الفحش ..
ثم قال (ع) : ان رسول الله (ص) كان يأتيه الاعرابي فيأتي إليه الهدية ، ثم يقول مكانه : أعطنا ثمن هديتنا ، فيضحك رسول الله (ص)) .
وفي مجمع البحرين عن النبي (ص) : (اني لأمزح ولا أقول إلا الحق) .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (كان ضحك النبي التبسم) .
وعن الصادق (ع) : (ان ضحك المؤمن تبسم) .

عدم الفحش والبـذاء

واجتنب الفحش ونطق البـذاء

فـــــإنه مــــنطق أهل الشــقاء

يقول الله تعالى :

(وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) الأنعام- ١٥١

(لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ) النساء- ١٤٨

(وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ، بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) الحجرات - ١١

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان الله يبغض الفاحش البذيء) .

وعنه (ص) أيضاً : (ان من أشر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه) .

ومن وصيته (ص) لعلي (ع) : (من خاف الناس لسانه ، فهو من أهل النار) ، و(شر الناس من أكرمه الناس اتقاء فحشه وأذى شره) .

وكذلك ورد عنه (ص) :(ان الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء ، قليل الحياء ، لايبالي ما قال ولا ما قيل له) .

وعن الصادق (ع) : (من علامات شرك الشيطان الذي لايشك فيه ، ان يكون فحاشاً لايبالي ما قال ولا ما قيل فيه) .

و قد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (عدم السفه و عدم الخرق)..

وسيأتي الحديث عن (عدم السباب) ، و (عدم إهانة الآخرين) ، ونحو ذلك مما له صلة بالموضوع .

ثم ان المقصود بالفحش الكلام الفاحش .. وفي مجمع البحرين انه ورد في الخبر (ان الله يبغض الفاحش المتفحش) ، والفاحش ذو الفحش في كلامه وفعاله ، والمتفحش من يتكلمه ويتعمده ..

وفيه أيضاً ان كل سوء جاوز حده فهو فاحش .

واما البذاء فهو الكلام البذيء ..وفي مجمع البحرين ان البذيء هو السفيه ، من قولهم بذا على القوم يبذو بذاء (بالفتح) والمد : سفه عليهم ، وأفحش في منطقه ، وان كان صادقاً فيه ، ولعلهما في الحديث واحد مفسر بالآخر ، وفي الخبر (البذاء من الجفاء) ، يعني الفحش من القول .. انتهى كلامه.

وفي الدعائم عن النبي (ص) : (لاتتكلموا بالفحش فانه لايليق بنا ولا بشيعتنا)

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) في وصف المتقي : (بعيد فحشه ، لين قوله ، غائب منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلاً خيره ، مدبراً شره) .

وفي الدعاء : (واصمت لساني عن الفحشاء) ..

وفي الحقيقة فان الفحش وان كان معناه ما سبق ، إلا انه يمكن ان يشمل بمعناه العام جميع المعاصي والفواحش اللسانية من قبيل الكذب والغيبة والغناء ونحوها .

وفي مفردات الراغب ان الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال .

وقد قال الله تعالى :

(قلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ منْهَا وَمَا بَطَنَ) الأعراف - ٣٣

(وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) الأنعام- ١٥١

عدم قذف الآخرين
وعدم التجاوز على أعراضهم

ويحرم التعريــض بالأعـراضِ
والقذفُ فيه الحـد عند القاضي

يقول الله عزوجل :

(إِنَّ الَّـذِينَ يَرْمُـونَ الْمُحْـصَنَات الْغَـافلات الْمُؤْمنَـات ، لُعنُـوا فـي الـدُّنْيَا وَالآخـرَةِ ، وَلَهُـمْ عَـذَابٌ عَظِـيمٌ ، يَـوْمَ تَـشْهَدُ عَلَـيْهِمْ أَلْـسِنَتُهُمْ وَأَيْـدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) النور(٢٣- ٢٤) .

وفي الحديث عن النبي (ص): (ألا أخبركم بالذي هو أشد من الزنا ، وقع الرجل في عرض أخيه) .

وفي عقاب الأعمال عن النبي (ص) : (من رمى محصناً أو محصنة ، أحبط الله عمله) .

وعن الباقر (ع) : (من كف عن أعراض الناس أقالـه الله نفسه يوم القيامـة ، ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضبه يوم القيامة) .

وفي رواية أخرى : (من كف نفسه عن أعراض الناس ، أقاله الله عثرته يوم القيامة) .

وعن الصادق (ع) : (عز المؤمن كفه عن أعراض الناس) .

وفي الوسائل عن أبي الحسن الحذّاء قال : كنت عند أبي عبد الله (ع) فسألني رجل ما فعل غريمك ؟ قلت : ذاك ابن الفاعلة ، فنظر إلي أبو عبد الله (ع) نظراً شديداً ، فقلت : جعلت فداك إنه مجوسي أمه أخته ، فقال : أوليس ذلك في دينهم نكاحاً ؟ !).

وفي رواية أخرى عن عمرو بن نعمان الجعفي قال : كان لأبي عبد الله (ع) صديق لايكاد يفارقه (إلى ان قال) فقال يوماً لغلامه : يا ابن الفاعلة أين كنت ؟ قال : فرفع أبو عبد الله (ع) يده فصك بها جبهة نفسه ثم قال : سبحان الله تقذف أمه ، قد كنت أرى أن لك ورعاً ، فاذا ليس لك ورع ، فقال : جعلت فداك ان أمه سنديّة مشركة ، فقال : أما علمت ان لكل أُمة نكاحاً ، تنح عني .. فما رأيته يمشي معه حتى فرق بينهما الموت).

وفي رواية عن الرضا (ع) : (وحرّم الله قَذف المحصنات ، لما فيه من فساد الأنساب ، ونفي الولد ، وإبطال المواريث ، وترك التربية ، وذهاب المعارف ، وما فيه من الكبائر والعلل التي تؤدي إلى فساد الخلق).

.

عدم الإفتخار أو الـمفاخرة

ومن يــكن مفتــخراً بالحســـبِ

لــــم يُغنه فَـــــخاره بـــالنسبِ

وإنــما تـــنفعه أخـــــلاقـــهُ

تلـــك التي يـــريدها خــلاقهُ

يقول الله تعالى :

(إنَّ اللّهَ لاَ يُحبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً) النساء- ٣٦

(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) التكاثر(١-٢)

(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ) المؤمنون- ١٠١

(يَـوَدُّ الْمُجْـرِمُ لَـوْ يَفْتَـدِي مِـنْ عَـذَابِ يَوْمِئِـذٍ بِبَنِيـهِ ، وَصَـاحِبَتِهِ وَأَخِيـهِ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ، وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ) المعارج(١١- ١٤).

وفي الحديث عن النبي (ص): (آفة الحسب : الافتخار والعجب) .

وفي حـديث آخـر عنـه (ص) أيـضاً : (ان الله قـد اذهـب بالإسـلام نخـوة الجاهليـة وتفاخرهـا بآبائهـا ، الا إن النـاس مـن آدم ، وآدم مـن تـراب ، وأكرمهم عند الله اتقاهم) .

وعن الإمام علي (ع) : (ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفة ، وآخره جيفـة ، ولا يرزق نفسه ، ولا يدفع حتفه) ..

وفي الحكمة المنسوبة لأمير المؤمنين (ع) :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا   يغنيك محمودهِ عن النســـبِ

فليس يغـني الحسيـب نسبتُــــه   بــــلا لســـان لــه ولا أدبَ

ان الفتى من يقـول هـا أنــا ذا   ليس الفتى من يقول كان أبي

وعن الباقر (ع) : (عجباً للمختال الفخور ، انما خُلق من نطفة ، ثم يعود جيفة ، وهو فيما بين ذلك لايدري ما يُصنع به) .
وعن الصادق (ع) افتخر رجلان عند أمير المؤمنين (ع) فقال : أتفتخران بأجساد بالية ، وأرواح في النار ، ان يكن لك عقل فان لك خلقاً ، وان يكن لك تقوى فان لك كرماً ، وإلا فالحمار خير منك ، ولست بخير من أحد) .
وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن عدم التكبر ، وعدم الغرور ، وعدم التعصب إلا للحق .
وفي مجمع البحرين ذكر : الفَخَار بالفتح ، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك ، وفاخرني مفاخرة ففخرته : أي غلبته ، وتفاخر القوم فيما بينهم : إذا افتخر كل منهم بمفاخرة .

وفي الحقيقة فان التفاخر أو المفاخرة أو الافتخار ، من مصاديق اللغو الباطل ، ويترتب عليها الكذب أوالغيبة أو الاجتراء على الآخرين ونحو ذلك من المحرمات ..
وتؤدي إلى مشاكل اجتماعية ، غير مقبولة شرعاً وعقلائياً ..
من هنا جاء المنع عنها تنزيهاً للأفراد ، وحماية للأمة عموماً .

واما اذا كانت المفاخرة أو الافتخار لأجل تقوية الدين أو إعلاء شأنه أو نحو ذلك مما هو لله رضا وطاعة ، فهذا لامانع منه ، كما لو إفتخر المسلم بأنه مسلم ، أو افتخر الامامي بأنه من الشيعة أو الموالين ..

وقد ورد عن النبي (ص) انه قال :

(أنـــا النبي لا كـــذب　　　أنــا بـــن عبـــد المطـــلب)

وكذلك ورد عن علي الأكبر في كربلاء انه قال :

أنـــا علي بن الحسين بن علي　　　نحن وبيت الله أولى بالنـــبي

ونحو ذلك مما ورد عن أهل البيت (ع) ، بناء على انه يدخل في الافتخار ، وإلا فقد يكون خارجاً عنه تخصصاً أو موضوعاً .

طيبة الفؤاد (القلب)

وإن منها طيبة الفؤادِ

ورقّة القلب على العبادِ

يقول الله تعالى :

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران- ١٥٩

(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ، رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) الفتح - ٢٩

(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) البلد(١٧-١٨) .

(قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) المائدة- ١٠٠

(وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ) النور- ٢٦

(الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ ، يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) النحل- ٣٢

وفي الحديث عن النبي (ص) عندما سُئل عن بكائه عند موت بعض ولده فأجاب (ص) : (انما هذه رقة ورحمة ، يجعلها الله تبارك وتعالى في قلب من شاء من خلقه ، ويرحم الله من يشاء ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)..

وفي مجمع البحرين الرقة بمعنى الرحمة ، من رق لهم : رحمهم .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان أنسك الناس نسكاً أنصحهم جيباً (حباً) ، واسلمهم قلباً لجميع المسلمين) .

وفي جامع السعادات انه روي عن النبي (ص) مامضمونه ان بدلاء أمتي دخلوا الجنة بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للمسلمين) .

ثم ان رقة القلب تأتي بمعنى آخر وهو الخشوع والإقبال ، حيث ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (اذا رقّ أحدكم فليدع ، فان القلب لا يرق حتى يخلص) .
وفي مستدرك الوسائل عن الصادق (ع) : (طلبت رقة القلب فوجدتها في الجوع والعطش) .. وسيأتي الحديث عن الخشوع في الفصل اللاحق .
وفي مجمع البحرين ذكر حديث شهر رمضان : (وارزقنا فيه الرقة والنية الصادقة) ، يريد رقة القلب ، وعدم صلابته (أي عدم قساوته) .

و تأتي طيبة القلب بمعنى سلامته وصفائه ونقائه ، وسيأتي الحديث عن سلامة الصدور ، كما سيأتي الحديث عن الرحمة والرأفة ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام ..
وقد مر الحديث عن الرفق في فصل سابق .

عـدم قسـوة القلب

وقسوة القـلب من العيـوبِ

وإنـها من كـثرة الـذنـوبِ

يقول الله تعالى :

(فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم) الزمر- ٢٢

(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) المائدة- ١٣

وخاطب الله تعالى بني إسرائيل بقوله عزوجل :

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْد ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحجَارَة ، أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّه) البقرة - ٧٤

وفي الحقيقة فان قسوة القلب لها معنيان :

أولهما - القسوة على الآخرين ، أو عدم الإحساس بالرحمة أو الرأفة أو الرقة نحوهم ، وهذه صفة خبيثة وقبيحة ، فالمفروض إجتنابها .

وقد مر الحديث عن طيبة القلب ، كما مر الحديث عن الرفق ، وسيأتي الحديث عن الرحمة والمودة واللين ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

وفي الحديث عن النبي (ص) ان الله تعالى يقول : (اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم ، فاني جعلت فيهم رحمتي ، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي) .

وفي بعض المصادر عن الصادق (ع) : انه لاتطلبوا الحوائج (من القاسية قلوبهم ، فان الله تعالى أحل غضبه بهم) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) أيضاً : (المؤمن رؤوف رحيم ، لايقسو قلبه على أخيه المؤمن) .

وفي بعض الأخبار ان الله تعالى أوحى إلى نبيه موسى (ع) : (القاسي القلب مني بعيد) .
وعن الصادق (ع) ان الله تعالى حرم الدم المسفوح : (لانه يورث القساوة ، ويسلب الفؤاد الرحمة) .

أما المعنى الثاني لقسوة القلب ، فهو جموده وعدم انفعاله وتأثره بالأمور الأخروية ، فلا وعي ولا التفات ، ولا خشوع ولا خضوع ، ولا رقة ولا صفاء ..
وفي الحديث عن النبي (ص) أربع خصال من الشقاء ،وعّد منها (جمود العين ، وقساوة القلب) .
وعن الإمام علي (ع) : (ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب ، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب) .
فقسوة القلب بهذا المعنى أثر وضعي وعقوبة إلهية في نفس الوقت ، لان العبد الذي يكون قلبه قاسياً ، يُحرم من بركات كثيرة ونعم وافرة ..
وفي تحف العقول ذكر الحديث عن الإمام (ع) :(ان لله عقوبات في القلوب والأبدان، ضنك في المعيشة ، ووهن في العبادة ، وما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب) .
وعن الصادق (ع) : (من قسا قلبه بَعُد من ربه) ..
وان كان الواقع ان العبد هو الجاني على نفسه ، بارتكابه ما يوجب قساوة القلب .
ففي مستدرك الوسائل عن الباقر (ع) : (إياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب).

وعن الصادق (ع) : (ليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكــل ، وهي مورثة لشيئين ، قسوة القلب وهيجان الشهوة) .
وعنه (ع) كان المسيح (ع) يقول لاتكثروا الكلام في غير ذكر الله ، فان الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لايعلمون) .
وعن الصادق (ع) انه قال النبي (ص) : أربع يُمتن القلب : الذنب على الذنب ، وكثرة مناقشة النساء يعني محادثتهن ، ومماراة الأحمق يقول وتقول ولا يؤول إلى خير أبداً ، ومجالسة الموتى ، فقيل له وما الموتى فقال : كل غني مترف).

وفي مناجاة الشاكين : (الهي إليك أشكو قلباً قاسياً مع الوسواس متقلباً ، وبالرين والطبع متلبساً ، وعيناً عن البكاء من خوفك جامدة ، والى مايسرها طامحة) .
وقد مر الحديث عن البكاء من خشية الله تعالى ، كما مر الحديث عن الوعي والإلتفات ، ومجاهدة النفس .

ثم انه يحسن ان نشير بالمناسبة إلى قول الله تعالى :

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّه ، وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ، وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) الحديد- ١٦

أقول : الخشوع هو الحضور والإقبال والتفاعل بإنقياد وخضوع .

وفي مجمع البحرين ذكر ان الخشوع هو الخضوع ومنه قوله : (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) المؤمنون- ٢ ، والخشوع في الصلاة : قيل خشية القلب والتواضع ، وقيل هو أن ينظر إلى موضع سجوده ، بدليل أن النبي (ص) كان يرفع بصره إلى السماء فلما نزلت هذه الآية طأطأ رأسه ونظر إلى مُصَلاه ..

وقوله : (تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً) فصلت- ٣٩ أي يابسة متطامنة ، مستعار من الخشوع والتذلل ..

و قوله : (خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ) القلم- ٤٣ أي لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم ..

وقوله : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ) الغاشية- ٢ أي خاضعة ذليلة .

وخشع في صلاته ودعائه : أي أقبل بقلبه على ذلك ..

والفرق بين الخشوع والخضوع هو أن الخشوع في البدن والبصر والصوت ، والخضوع في البدن .

وروي أن النبي (ص) رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته ، فقال (لو خشع قلبه لخشعت جوارحه) .

قال بعض الشارحين : في هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة يكون في القلب والجوارح ، فأما في القلب فهو أن يفرّغ قلبه بجمع الهمّة لها ،

والإعـراض عمـا سـواها ، فـلا يكـون فيـه غـير العبـادة والمعبـود ، وأمـا في الجوارح فهو غضّ البصر وترك الإلتفات والعبث .
وعن علي (ع): هو أن لا يلتفت يميناً ولا شمـالاً ، ولا يعـرف مـن علـى يمينـه وشمالـه . وفي الحـديث : فقـال بخـشوع (الله أكـبر) أي بـسكون وتـذلل واطمئنان ، وانقطاع إلى الله تعالى .. انتهى كلامه في المجمع .
وفي جـامع الـسعادات عـن أمـير المؤمنين (ع) انـه اذا أخـذ في الوضـوء يـتغير وجهـه مـن خيفـة الله ، وكـان اذا حـضر وقـت الـصلاة يتزلـزل ويتلـون ، وعنـدما سُئل عـن ذلـك أجـاب (ع) : (جـاء وقـت أمانـة عرضـها الله عَلَـى الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَـأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا ، وَحَمَلَهَـا الإِنسَانُ) .
وعن الحسن بن علي (ع) انه كان يمر بمثـل هـذا الموقـف أيضاً ، فقـال عنـدما سُئل عنه (حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش ان يتغير لونه) .
وفي الميزان ذكر في قـول الله تعـالى : (الَّذِينَ هُـمْ فِـي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ) ، الخـشوع تـأثر خـاص مـن المقهـور قبـال القـاهر ، بحيـث ينقطـع عـن غـيره بالتوجـه إليـه ، والظـاهر أنـه مـن صـفات القلـب ثـم ينـسب إلى الجـوارح أو غيرها بنوع من العناية كقولـه (ص) - علـى مـاروي- فـيمن يعبـث بلحيتـه في الصلاة : أما إنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ، وقولـه تعـالى : (وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) طه- ١٠٨ .
والخشوع بهذا المعنى جامع لجميع المعـاني الـتي فـسر بهـا الخـشوع في الآيـة ، كقول بعضهم : هو الخوف وسكون الجوارح ، وقول آخرين : غـض البـصر وخفـض الجنـاح ، أو تنكيس الـرأس ، أو عـدم الإلتفـات يمينـاً وشمـالاً ، أو إعظام المقام وجمع الاهتمام ، أو التذلل إلى غير ذلك .

وفي رواية نقلها في الميزان عن تفسير القمي في قوله تعالى : (الَّذينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ) قال : غضك بصرك في صلاتك وإقبالك عليها .
وقد مر في الفصل السابق ما يرتبط بموضوع الخشوع .
ونقل في الميزان عن الدر المنثور ، عن النبي (ص) ما في معناه ولفظه إستعيذوا بالله من خشوع النفاق ، فقيل له : وما خشوع النفاق ؟ فقال (ص) : ان ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع .
وعن الصادق (ع) : قال رسول الله (ص) : ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق .

ثم انه ينبغي الإلتفات إلى ان مطلوبية الخشوع لا تنحصر في الصلاة فقط ، وإنما تشمل جميع المواقف التي يقفها العبد أمام خالقه عزوجل ، من قبيل الوضوء للصلاة أو الدعاء أو قراءة القرآن أو نحو ذلك .
وقد قال عزوجل :
(وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) الأنبياء- ٩٠
(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) الحشر- ٢١
(وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْساً ، يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً) طه (١٠٨- ١٠٩)

سلامـة الصدر (القلب)

وإنـما يـحظى بـدار النعـــيمِ

مـــن جــاء لله بقــلب سليــم

يقول الله تعالى في وصف يوم القيامة :

(يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ، إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) الشعراء- ٨٩

ومدح الله تعالى نبيه إبراهيم (ع) بقوله :

(إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) الصافات- ٨٤

وقال تعالى أيضاً :

(أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ، فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) الزمر- ٢٢

وفي الحديث عن النبي (ص) ما مضمونه أن بدلاء أمتي دخلوا الجنة بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للمسلمين .

وفي المستدرك عن أمير المؤمنين (ع) في وصف المؤمن انه يكون : (سليم القلب) ..

وعنه (ع) أيضاً : (طوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه ، وتجنب من يرديه ، وأصاب سبيل السلامة ببصر من بصره ، وطاعة هاد أمره) .

وعن النبي (ص) أيضاً : (أنسك الناس نسكاً أنصحهم (جيباً) حباً ، وأسلمهم قلباً لجميع لمسلمين) .

وعن الإمام السجاد (ع) : (ان موسى سأل الله تعالى يا رب من أهلَك الذين تظلهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ؟، فأوحى له الله تعالى : الطاهرة قلوبهم) .

وعن الإمام الجواد (ع) ثلاث خصال تجلب فيهن المودة ، وذكر منها : (الإنطواء على قلب سليم) .
وفي الدعاء : (اللهم إرزقني سلامة الصدر) .

ثم ان سلامة الصدر تأتي بمعنى السلامة من الأمراض الخلقية كالغل والحسد والتكبر ونحو ذلك ، وقد وصف الله تعالى أهل الجنة بقوله :
(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) الحجر- ٤٧

وتأتي أيضاً بمعنى السلامة من عموم الحجب والموانع ، التي تمنع وتحجب عن التكامل والوصول إلى رب العالمين ..
وفي الدعاء : (وسلامة من السيئات) ..
وفي دعاء آخر : (والسلامة من كل إثم) ..
وفي الدعاء أيضاً : (وتمنحني السلامة في ديني ونفسي) .
وقد تحدثنا عن (القلب) في فصل (الوعي والإلتفات وانفتاح القلب) ، كما مر الحديث عن مجاهدة النفس ، وسيأتي في فصول لاحقة ما يرتبط بالمقام .

الرحمة والرأفة
والعطف والشفقة

ذو رحمـةٍ وبالـبرايا رؤوف

والـمؤمن الحق رحوم عطـوف

يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) الحج- ٦٥

(لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُم، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) التوبة- ١٢٨

وقد ذكرنا في مقام سابق انه ينبغي التخلق بأخلاق الله تعالى ، وأخلاق رسوله المصطفى (ص) .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان الله عزوجل رحيم يحب كل رحيم) .

وفي بعض المصادر عن النبي (ص) : (الراحمون يرحمهم الله ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) .

وفي حديث آخر عن النبي (ص) : (من مسح يده على رأس يتيم ، ترحماً له ، أعطاه الله بكل شعرة نوراً يوم القيامة) .

فهذا مصداق من مصاديق الرحمة ، وأثرها وفضلها .

وفي الحديث ان : (أربع من كن فيه بنى الله له بيتاً في الجنة) ، وعدّ منها (الرحمة بالضعيف) .

ويحضرني حديث آخر ان عمدة شعب الإيمان الشفقة على خلق الله .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ان الله جعل الرحمة في قلوب رحماء خلقه ، فاطلبوا الحوائج منهم ، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم) .

وعنه (ع) أيضاً : (شيعتنا الرحماء بينهم) .
وكذلك ورد عنه (ع) : (تواصلوا وتباروا وتراحموا وتعاطفوا) .
ومما ورد عنه (ع) : (المؤمن رؤوف رحوم ، لايقسو قلبه على أخيه المؤمن) .
وفي حديث آخر عنه (ع) - كما في بعض المصادر - :(من تحنن على أخيه المؤمن وتعطف عليه ، يجد الله له معيناً وناصراً) .

ثم انه ذكر في مجمع البحرين في مادة (رحم) ان الرحمة من بني آدم رقة القلب ثم عطفه ، ورحمت الرجل اذا رققت له وحسنت عليه ، والفاعل راحم ..
ولا يخفى ان الله تعالى هو أرحم الراحمين .
وفي المصدر المذكور ذكر في مادة (رؤوف) أن الرأفة أرق من الرحمة ، ولاتكاد تقع في الكراهة ، والرحمة تقع في الكراهة للمصلحة .
والرؤوف من أسمائه تعالى وهو الرحيم بعباده ، العطوف عليهم بألطافه .

وفي الحقيقة فإن الرحمة والعطف والشفقة والرأفة أمور معروفة ومعلومة عند الناس ، وكل واحد منهم يطمع فيها ، ويحب ان يعامله الآخرون بها ..
ولكن المشكلة في التطبيق والتعامل مع الآخرين ، بمعنى ان كل واحد منا يُفترض أن يرحم الآخرين ، ويشفق عليهم ، ويعطف عليهم ، ويرأف بهم ، بمقدار ما يمكنه ، تماماً مثلما يريدهم ويتمنى منهم ان يفعلوا معه ..
وسيأتي في فصول لاحقة ما يرتبط بالمقام ..

وسيأتي انه يفترض بالإنسان ان يحب للآخرين ما يحبه لنفسه ..
وقد مر الحديث عن الرفق وطيبة القلب ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

ثم ان المفروض بالإنسان ان يرحم نفسه ويعطف عليها ويرأف بها ، بمنعها عن المحرمات ، وتعويدها وقهرها على الطاعات ..
كذلك يفترض بالإنسان ان يرحم البشرية عموماً ، بأن يجتنب ارتكاب المحرمات التي تؤدي إلى إهلاك البشرية أو إفسادها مادياً أو معنوياً ، فانه من المعلوم انه توجد ذنوب يمكن ان تترتب عليها آثار نوعية أو عامة ، وقد قال الله تعالى :
(وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً) الأنفال- ٢٥
كذلك توجد أمور يفعلها بعض الناس ، تؤدي بالنتيجة إلى مفاسد كبيرة ومخاطر كثيرة تصيب المجتمع أو البيئة أو كليهما معاً ، من قبيل الأجهزة والمعدات التي تلوث البيئة وتعرض حياة الإنسان للخطر ..
فالمفروض بالمؤمن الواعي ملاحظة كل هذه الأمور ، فانه مسئول عنها على أية حال ، مادام طرفاً مؤثراً فيها .

الحياء والحشمة

وأحسن الثياب ثوب الحيـــاء

وحشمة الإنســـان أحلـى رداء

يقول الله تعالى :

(قُل لِّلْمؤْمنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ، ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ، وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ...) النور(٣٠- ٣١)

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ان الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف).

وعنه (ص) أيضاً : (الحياء خير كله) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (من كساه الحياء ثوبه ، لم ير الناس عيبه) .

وعن الباقر (ع) : (أربع من كن فيه كمل إسلامه (إيمانه) ، ومحيت ذنوبه ... ثم ذكر منها (الحياء بما يقبح عند الله وعند الناس) .

وعن الصادق (ع) : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، ولا إيمان لمن لا حياء له) .

وعن الإمام الكاظم (ع) : (لاتذهب الحشمة بينك وبين أخيك ، أبقِ منها ، فان ذهابها ذهاب الحياء) .

وفي رواية أخرى : (وبقاء الحشمة بقاء المروءة) .

وفي مستدرك الوسائل عن الصادق (ع) : (حشمة الإنقباض أبقى للعز من أنس التلاقي) .

ثـم انـه ورد في قـرب الإسـناد عـن الـنبي (ص) : (اسـتحيوا مـن الله حــق الحياء ، قالوا : وما نفعل يارسول الله ، قال (ص) : فـان كنتم فـاعلين فـلا يبيتن أحدكم إلا وأجله بين عينيه ، ولـيحفظ الـرأس ومـا وعـى ، والبطــن وما حوى ، وليذكر القبر والبلى) .

وقـد مـر الحـديث عـن خـشية الله وتقـواه ، ومراقبتـه عزوجـل في جميـع الأحوال .

وفي مجمع البحرين ذكر الحديث : الحياء من الإيمان ، والحياء من شعب الإيمان ، وذلك لأن المستحيي ينقطع بحيائه عن المعاصي ، وإنما جعله بعضه ومن شعبه ، لأن الإيمان ينقسم إلى الائتمار بما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى الله عنه ، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان .

والحيـاء - ممـدوداً - : الاسـتحياء ، وهـو الانقبـاض والانـزواء عـن القبـيح مخافة الذم .

وقـولهم : الاسـتحياء مـن الله حـق الحيـاء ، فُـسّـر بـان تحفــظ الـرأس وماوعــى ، والبطن وماحوى ،وتذكر الموت والبلى .

ومن كلام الأنبياء السابقين : إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، ومعناه : إذا لم تستح من العيب ولم تخش من العار مما تفعله ، فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها ، فقوله : (اصنع) أمر ومعناه التهديد والتوبيخ ، أي اصنــع ما شئت فإن الله يجزيك ، وفيه إشعار بأن الرادع عن المساوئ هو الحياء ، فإذا انخلع عنه ، كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة ، وتعاطي كل سيئة . قيل : يمكن حمل الأمر على بابه ، ومعناه : إذا كنت في فعلك آمناً أن تستحي ، لجريك فيه على سنن الصواب وليس من الأفعال التي يُستحيى منها فاعمل ما شئت .. إنتهى كلامه في المجمع .

بقي ان نشير إلى ان للحياء حد ..
حيث ورد في الحديث عن الإمام العسكري (ع) : (واعلم ان للحياء مقداراً ، فان زاد على ذلك فهو ضعف) ..
وقد قال الله تعالى :
(وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) الأحزاب- ٥٣
فالمفروض مراعاة ذلك وأخذه بنظر الاعتبار ، مع ملاحظة العناوين الأخرى أيضاً ، من قبيل التقية ، والرفق ، والحلم ، ونحو ذلك مما ينبغي ان يلاحظ عند التزاحم بين هذه الأمور .

الكرامة وعـزة النفس

وعــزة النفس رُبــى الأحرارِ

(والموت أولى من ركوب العارِ)

يقول الله تعالى :

(مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ ، فَلِلَّه الْعِزَّةُ جَمِيعاً) فاطر- ١٠

(وَلِلَّه الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِه وَلِلْمُؤْمِنِينَ) المنافقون- ٨

(يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُواْ مَن يرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِه ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّة عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) المائدة- ٥٤

(إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّه أَتْقَاكُمْ) الحجرات- ١٣

(وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ) الحج- ١٨

وفي الحديث عن النبي (ص) : (المؤمن عز كريم)

وعـن الـصادق (ع) : (ان الله فـوض إلى المؤمن أمـوره كلـها ، ولم يفـوِّض إليه ان يكون ذليلاً ، أمـا تـسمع الله عزوجـل يقـول : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) فالمؤمن يكون عزيزاً ، ولا يكون ذليلاً) ..

ثم قال (ع) : (ان المؤمن أعـز مـن الجبـل ، ان الجبـل يُستقل منـه بالمعـاول ، والمؤمن لا يُستقل من دينه شيء) .

وفي روايـة أخـرى عنـه (ع) : (المـؤمن ينبغـي ان يكـون عزيـزاً ، ولا يكـون ذليلاً ، يُعزه الله بالإيمان والإسلام) .

وفي حديث آخر عنه (ع) : (لاينبغي للمؤمن أن يذل نفسه) .

وفي الحـديث عـن الإمـام (ع): (شـرف المـؤمن قيام الليـل ، وعـزُه اسـتغناؤه عن الناس) .

وقد مر الحديث عن التوكل على الله تعالى ، وقطع الطمع عما في أيدي الناس ، وعدم التعلق والأمل بغير الله عزوجل .

وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (طلب الحوائج إلى الناس إستلاب للعز ، ومذهبة للحياء ، واليأس مما في أيدي الناس عز المؤمن في دينه) .

وعن أمير المؤمنين (ع): (ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس ، والاستغناء عنهم ، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك ، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك) .

وفي الدعاء : (وأعزني في عشيرتي وقومي) ، و (أعزني بعزك الذي لايضام) .

وفي نهج البلاغة عنه (ع) : (لا عز كالحلم) ، و (لا عز أعز من التقوى) ، و (التقوى دار حصن عزيز) .

وتوجد له كلمة مشهورة يقول فيها (ع) : (لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة) .

وكذلك يقول (ع) : (الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له ، والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه) .

ويتحصل من مجموع النصوص التي ذكرناها ان العزة الحقيقية والكرامة الواقعية إنما هي في طاعة الله والالتزام بدينه وتعاليمه ، وليست العزة أو الشرف أو الكرامة ، بالأمور الدنيوية ، وهذا مقياس مهم ينبغي الإلتفات إليه ، والتقييم على أساسه .

ففي مستدرك الوسائل عن الحسن بن علي (ع) : (اذا أردت عزاً بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان ، فاخرج من ذل معصية الله ، إلى عز طاعة الله عزوجل) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (من أخرجه الله عزوجل ، من ذل المعاصي إلى عز التقوى ، أغناه الله بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا أنيس) .

فالعزة خلاف الذلة ، ولا يكون الفرد عزيزاً إلا اذا أخرج نفسه من ذل العبودية للشيطان والنفس الإمارة بالسوء وكل من يأسره بروابط دنيوية كالمال والجاه ونحوهما ..

ومتى ما تحرر الإنسان من هذه القيود ، ونزع عنه سلطان الحجب والموانع التي تحجبه وتمنعه عن الكمال ، أصبح عندئذ حراً عزيزاً كما ينبغي له ، وكما يفترض به ..

ولا تتحقق الحرية والعزة بهذا المعنى إلا بتحقق العبودية التامة للخالق عزوجل ، لأنه بهذه العبودية يتم الخلاص والخلوص .

وفي الحديث عن الصادق (ع) :(لاعزّ لمن لايتذلل لله عزوجل ، ولا رفعة لمن لايتواضع لله تبارك وتعالى) .

وفي الخبر المشهور ما مضمونه ان الإمام الكاظم (ع) مر بأحد المترفين ، فوجد على بابه آثار اللهو والباطل ، فسأل جاريته : مولاك هذا حر أم عبد ، فأجابته انه حر ، فقال لها (ع) : صدقت ، لو كان عبداً لله لإستحى مما يفعل.

فكانت هذه الكلمات سبباً في رجوع هذا المترف وتوبته وعودته إلى الله تعالى .

بقـي ان نـشير إلى ملاحظـة مهمـة ترتبطـة بموضـوع العـزة والكرامـة ، حيـث تحـدثنا في مناسـبات سـابقة عـن عـدم التكـبر ، وعـدم الغـرور ، وعـدم الافتخـــار ، وسيأتي الحديث عن عدم العجب ، فالمفروض مراعاة هذه العناوين أيضاً ، جنباً إلى جنب مع العزة ، حتى لايصل الأمر سهواً أو تمادياً إلى ما لا يرضاه الله ولا يقبل به .

وقد مر الحديث عن التواضع ، والشجاعة ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

الأمانـة

وإن مـن شيمة ذي الديـــانة

الحـــفـظ والأداء للأمـــانــــة

يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) النساء- ٥٨

(فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ، وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ) البقرة- ٢٨٣

(إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ }) الأنفال- ٥٨

وقد مدح الله تعالى :

(وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) المؤمنون- ٨

وقال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ ، وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) الأنفال- ٢٧

وفي الحديث عن النبي (ص) : (المؤمن من إئتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (من استهان بالأمانة ، ورتع في الخيانة ، ولم ينزه نفسه ودينه عنها ، فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا ، وهو في الآخرة أذل وأخزى ، وان أعظم الخيانة خيانة الأمة) .

وعن الصادق (ع):(المؤمن أخو المسلم ، هو عينه ومرآته ودليله ، لا يخونه ولا يخدعه) .

وفي الحقيقة فان (الأمانة) لها معنى خاص ، وآخر عام (شامل) ..

فأما المعنى الخاص ، فهو المعنى المتعارف لها وهو حفظ الأمانة وأدائها ، سواء كانت الأمانة مادية أو معنوية .

ففي الحديث عن النبي (ص): (أدّ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ثلاثة لاعذر فيها لأحد) وعدّ منها : (أداء الأمانة إلى البر والفاجر) .

وروي عنه (ع) : (اتقوا الله ، وعليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم ، فلو ان قاتل علي (ع) ائتمنني على أداء الأمانة لأديتها إليه) .

وعنه (ع) : (أوصيكم بتقوى الله عزوجل ، والورع في دينكم ، والاجتهاد لله ، وصدق الحديث وأداء الأمانة ...)..

وقد مر في (صدق الحديث) ان العبرة - كما مضمون الحديث عن الصادق (ع) - بصدق الحديث وأداء الأمانة ، فبهذا يُعرف المؤمن الملتزم..

ثم انه ورد في الحديث عن علي (ع): (المستشار مؤتمن) ، بمعنى انه أمين في إعطاء المشورة الصالحة اذا استشير ، وقد ائتمنه من استشاره على مصلحته ، فالمفروض ان يحفظها ..

كذلك يجب حفظ أسرار الآخرين ، فانها أمانة قد استودعت عنده ..

وفي الحديث عن السجاد (ع) في وصف المؤمن : (لايحدث أمانته الأصدقاء).

وفي ميزان الحكمة عن الإمام (ع):(المؤمن أمين على نفسه ، مغالب لهواه وحسه) ..

وفي نهج البلاغة عن علي (ع) : (من لم يختلف سره وعلانيته ، وفعله ومقالته ، فقد أدى الأمانة وأخلص العبادة) .

وهكذا تتعدد مصاديق الأمانة ، وتختلف وجوه حفظها أو أدائها .

وفي (شرح زيارة أمين الله) ، ذكرنا أن الأمين هو الذي يحفظ الحقــوق ولا يتعدى عليها ، ومعلوم ان المؤمن المتكامل هو الذي يحفظ علاقته مع الله تعالى ، ويصون حقــوق خالقه عليه ، ويحفظ حقــوق الآخرين عليه ، و يراعـي حقـوق نفـسه وجوارحـه ، فـلا يعرّضـها للتهلكـة ولا يـسلمها إلى الـشياطين ، فإنما هـي أمانـة في يـده ، فـلا يفـرّط بهـا ولا يخونن مـن استأمنه عليها، فإن المالك عظيم والحساب عسير ، كما ان الثواب وفير ، وقد قال الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) النساء- ٥٨
وقـال أيـضاً عـز وجـل (لا تَخُونُـوا اللَّـهَ وَالرَّسُـولَ ، وَتَخُونُـوا أَمَانَـاتِكُمْ) الأنفال- ٢٧ .
وينبغي الإلتفات إلى ان لفظ (الأمانة) يطلق على ما يؤتمن عليه الإنسان ، كما في مجمع البحرين ، أو كما في الميزان ان الأمانة - أياً ما كانت - شيء يودع عند الغير ليحتفظ به ثم يرده إلى من أودعه ..
وكذلك يطلق لفظ الأمانة على صفة أو ملكة حفظ ذلك الشيء وأدائه ، فيقال لمن يحفظ الأمانة انه يتصف بالأمانة .

واما المعنى الآخر للأمانة ، والذي قلنا انه معنى أوسع وأشمل وأعم ، فهو مستفاد من قول الله تعالى :
(إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ) الأحزاب- ٧٢
وفي مجمع البحرين بعد ان ذكر الآية : قيل المراد بالأمانة : الطاعة ، وقيل العبادة ، روي أن علياً (ع) كان إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل فيقال له :

مالك يا أمير المؤمنين فيقول : جاء وقت الصلاة ، وقت أمانةٍ عرضها الله على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها .

وفي (شرح زيارة أمين الله) ذكرنا ان الأمانة بحسب الوارد في جملة من الروايات هي الخلافة على هذه الأرض، حيث يقول الله عز وجلّ (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ) الأحزاب- ٧٢ .

وكما يوجد خلفاء صالحون ، يوجد بالمقابل متصدون للخلافة ضالون منحرفون ، ولما كان أغلب الناس يسارعون في الشهوات ولا يطيقون الصبر على الطاعات ، فقد عبّر الله تعالى بقوله بعد الآية السابقة (إنه كان ظلوماً جهولاً) ، مشيراً بذلك إلى الأعم الأغلب من النوع الإنساني ، فإنهم يظلمون أنفسهم بعدم أداء الأمانة وعدم القيام بأعباء الخلافة ومسئولياتها ، جهلاً منهم بواقع الحال ، مع ان هذا الجهل يمكن ان يرتفع عنهم بالوعي والتدبر والتمسك بمنهج الأنبياء والأئمة (ع) .

ولعل هذا هو المقصود بما ورد من ان الأمانة هي ولاية أمير المؤمنين (ع) ، باعتبار ان الالتزام بهذه الولاية هو التزام بمنهج الحق الذي يرفع الإنسان إلى مقام الخلافة ومسؤولية الأمانة .

فهذه الأمانة والخلافة لها مقامات كثيرة ، وفيها ميزات عظيمة ، فلا يصلح لها كل من هبّ ودبّ وان ادعاها وتنافس عليها بجهله وظلمه ، وقد قال رب العالمين (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) .

وانما يصلح لهذا المنصب خصوص من اعتصم بالله ، فأخلصه واجتباه إليه ، وجعله متكاملاً نحوه من الناحيتين النظرية والعملية ، وعلى المستويين الظاهري والباطني .

فأمين الله وهو الخليفة الذي استودعه الله تعالى على أسراره وخليقته ، وجعله قيّماً على هذه الأرض وسائر المخلوقات ، ليتصرف وفق الولايتين التشريعية والتكوينية (عبدي أطعني تكن مثلي).

وبذلك تحفظ الأمانة وتصان الوديعة ، حينما تتحقق المبادئ الإلهية ، وتطبق التشريعات المولوية ، ويكون القائد أول القوم إسلاماً وأكثر الأمة التزاماً , فيكون النموذج الرمز والعنوان ، وبذلك تتحقق الأسوة الصالحة للأمة ، لتعرف خطها ومنهاج حياتها وتمضي برفقة قائدها في طريق التخلق بأخلاق الله رب العالمين ، امتثالاً للحكمة الشرعية التي تقول لنا جميعاً على حد سواء (تخلّقوا بأخلاق الله) .

ومحل الشاهد هنا ان الإمام علي (ع) وسائر الأئمة (ع) كما ورد في الأحاديث الشريفة هم خلفاء الله في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى ، وقد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها ، والحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى .

وفي كتابنا (نصائح عامة للداعي والمدعو) تحدثنا عن خلافة الإنسان أو استخلافه في الأرض وذكرنا ان عرض الأمانة ومسؤولية الخلافة كان متوجهاً نحو جميع الأجناس الموجودة ، وكانت هناك فرصة للتفكير والتأمل ، فأبت جميعها أن تتحمل هذه المسؤولية خوفاً من عدم القدرة على تبعاتها والتزاماتها ، ولا يخفى أن هذا الإباء أو الرفض كان من باب الاختيار المشروع لا من باب العصيان والرفض .

ويمكن - كأطروحة - أن يكون المراد بالسماوات والأرض والجبال ، سكانها مما عدا الإنسان ، فيكون المعنى أن سائر المخلوقات لم تتحمل هذه الأمانة الثقيلة والواسعة ، في حين قبلها النوع الإنساني وتحملها مختاراً .

فالوحيد الذي وافق على تحمّل هذه الأمانة ، هو النوع البشري ، حينما خيّرهم الله تعالى في عالم الذر بين أن يخرجوا إلى الدنيا ليؤدّوا الأمانة وينالوا شرفها وثوابها ، وبين أن لا يخرجوا إليها ولا ينالوا هذه الفرصة الثمينة .

ويبدو أن جميع من خيّرهم الله تعالى آنذاك ، قد اختاروا الخروج إلى الدنيا ، لأنهم لاحظوا قصر مدة الامتحان ، في مقابل النعيم الخالد الذي سيحظون به فيما لو أطاعوا والتزموا .

وبما أن الله تعالى يعلم أن الأكثرية سوف تنسى هذا الميثاق ، وتترك الطاعة والالتزام ، فقد عبّر عن هذا الأعم الأكثر بأنه ظلوم وجهول ، على اعتبار أنه سيظلم نفسه إذا خرج إلى الدنيا بدون التزام وطاعة ، وهذا إن دلّ على شيء ، فإنما يدل على جهل الإنسان النابع من سوء نفسه ، وفساد سريرته وغلبة شهواته .

وقد تحدثنا عن عالم الذر في (نصائح عامة للداعي والمدعو) ، وفي (الله أكبر من الشيطان) ، وفي آخر (مطالعات عرفانية) .

الإنصــاف

وأنصف الناس ولو من نفسك

وكن بحبل العدل دوماً ممسك

يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) النحل- ٩٠

(اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) المائدة- ٨

وفي الحديث عن النبي (ص) : (سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك ، ومواساة الأخ في الله ، وذكر الله على كل حال) .

وفي مستدرك الوسائل عنه (ص) : (السابقون إلى ظل العرش طوبى لهم) ثم وصفهم بقوله (ص) : (الذين يقبلون الحق اذا سمعوه ، ويبذلونه اذا سُئلوه ، ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم ، هم السابقون إلى ظل العرش) .

وفي نهج البلاغة عن علي (ع) في قول الله تعالى (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحسان) ، العدل : الإنصاف .

وعن أمير المؤمنين (ع) أيضاً : (من ينصف الناس من نفسه ، لم يزده الله إلا عزاً) .

وعنه (ع): (وشُحّ بنفسك عما لايحل لك ، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت) .

وعن الصادق (ع) : (ما ناصح الله عبدٌ في نفسه ، فأعطى الحق منها ، واخذ الحق لها ، إلا أعطي خصلتين رزقاً من الله يسعه ، ورضا من الله يغنيه) .

وقد مر قوله (ع) : (قل الحق ولو على نفسك) .

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (أنصف الله ، وأنصف الناس ، من نفسك ومن خاصة أهلك ، ومن لك هوى فيه من رعيتك ، فانك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده) .
وفي مجمع البحرين أنه ورد في الحديث (خافوا الله حتى تُعطوا من أنفسكم النصف) أي الإنصاف .
فتحصل من كل ماسبق ان الأنصاف مطلوب ، مع الله تعالى ، بأن يحسن الظن بالله تعالى ، ويرضى بقضائه ، ويلتزم بأوامره ، ويؤثر رضاه على ماسواه ، ويشكر نعمته ، ويقر بتقصيره أمامه عزوجل ..
و الإنصاف مطلوب مع النفس ، بأن يحفظها ويراقبها ، ولا يوردها مورد الهلكة والندامة ..
والإنصاف مطلوب مع الخلق عموماً ، بأن يتعامل معهم بالعدل والعدالة ، وقد مر الحديث عنهما بمعناهما الخاص والعام .

الطهارة

وحبذا الكون على طـــهارة

فــيه رضــا الله مع النضــارة

يقول الله تعالى :

(مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ، وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ ، وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) المائدة- ٦

(وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) التوبة- ١٠٨

وفي الحقيقة فان الطهارة لها عدة معان ، وعدة مستويات ، كلها مطلوبة ، إما بنحو الوجوب والإلزام ، وإما بنحو الندب والاستحباب والرجحان .

فهناك طهارة الأموال ، ومن مصاديقها الزكاة والصدقة :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم) التوبة- ١٠٣

وهناك طهارة القلب :

(ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) الأحزاب- ٥٣

وهناك طهارة العصمة ، أو الخلاص من الذنوب والحجب :

(لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) الواقعة- ٧٩

بناء على أن المقصود هو المس المعنوي أي مس حقيقته ومعانيه (القرآن) ، وليس المس المادي .

وكذلك قال عزوجل :

(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) الأحزاب- ٣٣

وهناك طهارة التوبة والاستغفار من الذنب :
(إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) البقرة- ٢٢٢
وهناك طهارة الإنسان من الخبث والنجاسات العينية :
(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) المدثر- ٤
وهناك طهارة الفرد من الجنابة ونحوها بالغسل :
(وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ) المائدة- ٦
وهناك طهارة الوضوء :
(فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ) المائدة- ٦

وفي (طريقك نحو الجنة) تحدثنا عن أهمية البقاء على الطهارة قدر الإمكان ، رغم انه عمل ميسور نسبياً ، حيث ورد في روايات عديدة التركيز على الوضوء ، بل ورد ان الوضوء على الوضوء نور على نور ، وهو ما يسمى بالوضوء التجديدي .

ولنذكر الآن أهم فوائد الوضوء ، رغم انه - كما قلنا - عمل بسيط لايحتاج إلى جهد أو تعب

أ - عن النبي(ص) انه يُبعد الشيطان.

ب - عن الصادق (ع): انه ينفع في قضاء الحاجات.

ج - عن الصادق (ع) : من جدد وضوءه لغير حدث ، جدّد الله توبته من غير استغفار).

د- عن النبي (ص) : من بات على طهر ، فكأنما أحيا الليل.

هـ - عن النبي (ص) : أكثِر من الطهور ، يزيد الله في عمرك.

و- وفي نفس الرواية : وان استطعت ان تكون بالليل والنهار على طهارة فأفعل ، فانك تكون اذا متَّ على طهارة شهيداً.

ز- عن النبي (ص) : ان الوضوء قبل الطعام وبعده ، شفاء في الجسد ويمنٌ في الرزق.

الى غير ذلك من الفوائد التي تترتب على الوضوء ، حتى انه ورد عن النبي(ص) : (الوضوء نصف الإيمان) ، ولعله لان الطهارة تجلو الروح ، وتجعل الفرد مستعداً للعبادة في أي وقت..

ومن هنا يقول الله تعالى:

(وينزل من السماء ماء ليطهركم به) الأنفال- ١١.

فالطهارة مطلوبة اذاً ، سواء بنحو الوضوء ، أو التيمم ان لم يقدر، خصوصاً عند النوم لأن (روح المؤمن تروح إلى الله عز وجل فيلقيها ويبارك عليها) كما ورد عن الإمام علي (ع).

فلنحاول - اذاً - تحصيل هذا الأمر قدر الإمكان ، لعل الله تعالى يرزقنا به الجنة والنعيم ، أنه أرحم الراحمين .

النظافـة

وإن في نظــــافة الأبـــدانِ

عــلامة للـــوعي والإيــمانِ

يقول الله تعالى :

(وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) التوبة- ١٠٨

وفي بحار الأنوار عن النبي (ص) : (النظافة من الإيمان ، والإيمان مع صاحبه في الجنة) .

وفي ميزان الحكمة عنه (ص) أيضاً : (ان الإسلام نظيف ، فتنظفوا ، فانه لايدخل الجنة إلا نظيف) .

وورد عنه (ص) : (بئس العبد القاذورة) .

كذلك ورد عنه (ص) : (من إتخذ ثوباً فلينظفه) .

وعن أمير المؤمنين(ع) : (النظيف من الثياب يُذهب الهم والحزن ، وهو طهور الصلاة) ..

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (غسل الثياب يُذهب الهم والحزن ، وهو طهور الصلاة) .

كذلك ورد عنه (ع) : (تنظفوا بالماء من نتن (منتن) الريح ، الذي يُتــأذى بـه ، تعهدوا أنفسكم ، فان الله يبغض من عباده القاذورة التي يتأنف (يتأفف) به من جلس إليه) .

وعن الصادق (ع) : (ان الله جميل يحب الجمال ، وليكن من حلال) .

وفي الوسائل للحر العاملي عدة أبواب في آداب الحمام والتنظيف ، يحسن مراجعتها (ضمن أبواب مقدمة العبادات والأغسال).. من قبيل تنظيف الجسم والأسنان ، وتقليم الأظافر ، وتمشيط الشعر ، وإزالة الشعر غير المرغوب به ، والتطيب ونحو ذلك .

وكذلك يحسن مراجعة أبواب أحكام الملابس وآدابها ومستحباتها ومكروهاتها (انظر كتاب الصلاة / أبواب لباس المصلي ولو في غير الصلاة) .

وفي مرآة الكمال ذكر في فصل آداب التنظيفات والتزيينات ان المستفاد من الأخبار على وجه الجزم ، محبوبيّة النظافة والزينة اللايقة بالمكلّف للشارع الحكيم غاية المحبوبية ، ومبغوضيّة القذارة والكسافة عنده نهاية البغض ، ومن أمعن النظر وجد ذلك بعين اليقين .

ثم فصّل التنظيفات المندوب إليها ، وذكر منها :(تنظيف الجسد والثياب وإزالة نتنهما وريحهما ووسخهما ، وحسن ذلك مما استفاض به الأخبار) .

ثم ان النظافة تأتي أيضاً بمعنى الطهارة ، وقد مر الحديث عنها .

عدم العُجب

والعُجب بالنفس طريق الهلاك

فــــلا تثق بـــما حَوته يــداك

يقول الله تعالى :

(ويومَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُم كثرتكُمْ ، فَلَمْ تُغْنِ عنكُم شَيْئاً) التوبة- ٢٥

(لَقَد استَكْبَرُوا فِي أنفُسهِمْ وعَتَوْ عتُوّاً كَبيراً) الفرقان- ٢١

(أَلَمْ تر إِلَى الّذين يزكّون أَنفُسَهُمْ ، بَلِ اللّهُ يُزكّي مَن يشاءُ ، ولاَ يُظْلَمُونَ فَتيلاً) النساء- ٤٩

(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) الكهف- ١٠٤

(يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَان إن كُنتُمْ صَادقِينَ) الحجرات- ١٧

(فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَم بِمَنِ اتَّقَى) النجم- ٣٢

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ثلاث مهلكات ، شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (من دخله العجب هلك) ، و (الإعجاب يمنع الازدياد) ، و (عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله) ، و (لا وحدة أوحش من العجب) ، و(أوحش الوحشة العجب) ..

وكذلك ورد عنه (ع) : (إياك والإعجاب ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب الإطراء ، فان ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين) .

ومن كلام له (ع) في وصف الملائكة : (لم يتولّهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم) .

وفي الحديث عن النبي (ص) ان الله تعالى يقول : (ان من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي ، فيقوم من رقاده ، ولذيذ وساده ، فيجتهد لي الليالي ، فيتعب نفسه في عبادتي ، فاضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له ، وإبقاءً عليه ، فينام حتى يصبح ، فيقوم وهو ماقت زارئ لنفسه عليها ، ولو اُخلي بينه وبين مايريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك ، فيصيره العجب إلى الفتنة بأعماله ، فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ، ورضاه عن نفسه ، حتى يظن أنه قد فاق العابدين ، وجاز في عبادته حدّ التقصير ، فيتباعد مني عند ذلك ، وهو يظن أنه يتقرب إلي) .

وعن الصادق (ع) : (قال : قال رسول الله (ص) في حديث : قال موسى بن عمران (ع) لإبليس : أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم ، إستحوذت عليه ، قال : إذا أعجبته نفسه ، واستكثر عمله ، وصغر في عينه ذنبه) .

وقال : قال الله عزوجل لداود : ياداود بشر المذنبين ، وأنذر الصديقين ، قال كيف أبشر المذنبين ، وأنذر الصديقين ؟ قال : ياداود بشرالمذنبين أنيّ أقبل التوبة وأعفوا عن الذنب ، وأنذر الصديقين أن لايعجبوا بأعمالهم ، فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك).

وعن علي بن سويد عن ابي الحسن (ع) قال سألته عن العجب الذي يفسد العمل ، فقال (ع) : العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعاً ، ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على الله عزوجل ، ولله عليه فيه المن .

نعم لامانع من سرور العبد بعبادته أو طاعاته ، من غير عجب أو منٍّ أو ثقةً بالنفس ، على اعتبار ان العجب كما يقولون هو ان يشعر الإنسان بالزهو أو المنة على الله تعالى بعبادته ، أو يشعر انه أدى إلى ربه عزوجل كامل حقه ..

فاذا انتفى ذلك كله ، فلا إشكال عندئذ في سرور العبد وفرحه بعبادته وطاعاته ..

مع إلتفاته إلى ان هدايته وتوفيقه من فضل الله ، ورحمته عليه ، وانه لا اتكال على العمل مهما كان ، وانما الاتكال على رحمة الله تعالى ..

وفي الحديث عن النبي (ص) عندما سُئل عن خيار العباد ، فقال (ص) : (الذين اذا أحسنوا استبشروا ، واذا أساؤوا استغفروا ، واذا أعطوا شكروا ، واذا ابتلوا صبروا ، واذا غضبوا غفروا) .

وعن الصادق (ع) : (من سرّته حسنته ، وساءته سيئته فهو مؤمن) .

بل ورد عن الصادق (ع) ، عندما سُئل عن الرجل يكون في صلاته خالياً ، فيدخله العجب بعد ذلك ، فقال (ع) : (اذا كان أول صلاته بنية يريد بها ربه ، فلا يضره مادخله بعد ذلك ، فليمض في صلاته وليخسأ الشيطان) .

وفي غاية المتفقهين ذكرنا انه ليس من العجب ، ما يحصل من فرح وسرور عند إفراغ الذمة أو أداء العمل العبادي بصورة جيدة ، كما يحصل عادة للمؤمنين الذين يفرحون ويأنسون بما يرضي الله ويقربهم منه تعالى .

وفي مجمع البحرين ، ذكر في الحديث القدسي عن الله تعالى : (ولو خليت بينه وبين مايريد لدخله العجب بعمله ، ثم كان هلاكه في عجبه ورضاه عن نفسه ، فيظن أنه قد فاق العابدين وجاز باجتهاده المقصرين ، فيتباعد بذلك مني ، وهو يظن أنه يتقرب بذلك إلي) ، قال بعض الشارحين لا ريب أن من عمل أعمالاً صالحة من صيام الأيام وقيام الليالي ونحو ذلك يحصل له ابتهاج ، فان كان من حيث كونها عطية من الله تعالى ونعمة منه عليه ، وكان مع ذلك خائفاً من نقصها ، مشفقاً من زوالها ، طالبًا من الله الازدياد منها ، لم يكن ذلك الابتهاج عجباً ..

وإن كان من حيث كونها صفة ومضافة إليه ، فاستعظمها وركن إليها ورأى نفسه خارجاً عن حد التقصير بها ، وصار كأنه يمنّ على الله تعالى بسببها ، فذلك هو العجب المهلك وهو من أعظم الذنوب ، حتى روي عن النبي (ص) : (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر من ذلك :العجب العجب) .

وعن أمير المؤمنين (ع): (سيئة تسؤك خير (عند الله) من حسنة تعجبك) .

وعلاج العجب - على ماقيل - احتقار ما في جنب الصانع واستضعافه ، فإنه بالنسبة إليه لم يوازن نعمة من نعمه ، وبأنه لولا إعانة الله ، ما فعله ولا تمّ ولا استقام ، بل لم يمكن صدوره من العبد أصلاً ، وبذلك يندفع العجب عنه .. انتهى كلامه في المجمع .

ثم انه قد مر في الفصول السابقة الحديث عن الإخلاص والتواضع والإعتراف بالأخطاء والذنوب ، وعدم الافتخار وعدم التكبر ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

عدم الرياء

ومثله الرياء في الأعمال

فإنه يبطلها بالتالي

يقول الله تعالى :

(لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ ، وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً ، لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ، وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) البقرة-٢٦٤

وذم الله تعالى طائفة من خلقه وصفهم بقوله عزوجل :

(يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً) النساء- ١٤٢

(الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ) الماعون- ٦

(وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ) النساء- ٣٨

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من تزين للناس بما يحب الله ، وبارز الله في السر بما يكره الله ، لقى الله وهو عليه غضبان ، له ماقت) .

وفي أمالي الصدوق عن النبي (ص) : (انما النجاة في ان لاتخادعوا الله فيخدعكم ، فانه من يخادع الله يخدعه ، ويخلع منه الإيمان ، ونفسه يخدع لو يشعر ، فقيل له ، وكيف يخادع الله ، قال (ص) : يعمل بما أمره الله ، ثم يريد به غيره ، فاتقوا الله ، واجتنبوا الرياء ، فانه شرك بالله ، ان المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء ، ياكافر يافاجر ياغادر ياخاسر ، حبط عملك وبطل أجرك ، ولا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له) .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) : (واعملوا في غير رياء ولا سمعة ، فانه من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له) ..

وفيه أيضاً : (واعلموا ان يسير الرياء شرك) .

وعن الصادق (ع) : (كل رياء شرك ، انه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله) .

وعنه (ع) أيضاً :(اجعلوا أمركم هذا لله ، ولا تجعلوه للناس ، فانه ما كان لله فهو لله ، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله) .

وورد عنه (ع) : (قال الله عزوجل : انا خير شريك ، من أشرك معي غيري في عمل عمله ، لم أقبله ، إلا ما كان لي خالصاً) .

وفي الحديث أيضاً : (ما يصنع أحدكم أن يُظهر حسناً ويُسرّ سيئاً ، أليس يرجع إلى نفسه ، فيعلم ان ذلك ليس كذلك ، والله عزوجل يقول: (بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) ، ان السريرة اذا صحت قويت العلانية) .

وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن الإخلاص ، وعدم الشرك ..

وقد ورد في الدعاء : (اللهم طهر قلبي من النفاق ، وعملي من الرياء) .

وفي دعاء أخر : (ولا تجعل شيئاً مما أتقرب به آناء الليل وأطراف النهار ، رياء ولا سمعة ولا أشراً ولا بطراً) .

وفي الدعاء أيضاً : (اللهم أخلصني بخالصتك) .

ثم انه ورد عن أمير المؤمنين (ع) : (ثلاث علامات للمرائي : ينشط اذا رأى الناس ، ويكسل اذا كان وحده ، ويحب ان يحمد في جميع أموره) .

وقد قال تعالى :

(لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ ، فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) آل عمران- ١٨٨

وفي الوسائل باب ١٤ من أبواب مقدمة العبادات ، كراهة ذكر الإنسان عبادته للناس ، ونقل رواية عن الصادق (ع) عندما سُئل عن قول الله عزوجل : (فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) فقال (ع) : قول الإنسان صليت البارحة وصمت أمس ونحو ذلك .

نعم لا مانع من سرور الإنسان بإطلاع الآخرين على عمله ، من دون قصد الرياء أو المفاخرة أو نحوهما .

ففي الحديث عن الباقر (ع) عندما سُئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلك ، فقال (ع) : لابأس ، ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر له في الناس الخير ، اذا لم يكن صنع ذلك لذلك).

وعن أبي ذر انه قال رسول الله (ص) الرجل يعمل العمل لنفسه ويحبه الناس ، فقال (ص) : تلك عاجل بشرى المؤمن .

وفي الوسائل (باب ١٦ من أبواب مقدمة العبادات) جواز تحسين العبادة ليُقتدى بالفاعل ، وللترغيب في المذهب .

ونقل روايتين عن الصادق (ع) ..

أحدهما : (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير ، فان ذلك داعية).

والأخرى : انه (ع) سُئل عن الرجل يدخل في الصلاة فيجوّد صلاته ويحسنها ، رجاء ان يستجرّ بعض من يراه إلى هواه ، فقال (ع) : ليس هذا من الرياء .

وعن عبد الله بن سنان قال : كنا جلوساً عند أبي عبد الله (ع) إذ قال له رجل : أتخوف أن أكون منافقاً ، فقال له : إذا خلوت في بيتك نهاراً أو ليلاً أليس تصلي ؟ فقال : بلى ، فقال : فلمن تصلي ؟ قال : لله عزوجل ، قال : فكيف تكون منافقاً وأنت تصلي لله عزوجل لا لغيره).

بقي أن نشير إلى الجانب الفقهي في موضوع الرياء ، حيث ذكرنا في غاية المتفقهين ان الرياء مبطل للعبادة ، سواء كان في الابتداء أو في الأثناء ، في تمام الأجزاء أو في بعضها الواجب ، في ذات الفعل أو في بعض قيوده ، مثل أن يُراءي في صلاته جماعة أو في المسجد أو في الصف الأول خلف الإمام أو في أول الوقت أو نحو ذلك .

واما الرياء في الأجزاء المستحبة كالقنوت أو زيادة التسبيح أو نحو ذلك فالمشهور يستشكل في كونه مبطلاً للصلاة ، رغم أنه غير جائز .

كذلك ذكروا أن الظاهر عدم البطلان بالرياء ، بما هو خارج عن الصلاة مثل إزالة الخبث قبل الصلاة والتصدق في اثنائها ..

وليس من الرياء المبطل ما لو أتى بالعمل خالصاً لله ، ولكنه كان يعجبه أن يراه الناس كما أشرنا قبل قليل .

كما ان الخطور القلبي لا يبطل الصلاة ، خصوصاً اذا كان يتأذى بهذا الخطور ولا يقبل به .

ولو كان المقصود من العبادة أمام الناس رفع الذم عن نفسه أو رفع ضرر آخر غير ذلك ، لم يكن رياء ولا مفسداً كما يقولون .

ويرى البعض كقاعدة عامة ان القدر المتيقن بطلانه ، هو في مورد يكــون فيه الرياء هو السبب الأساسي (الرئيسي) للاتيان بأصل العمل العبادي ، أو بالكيفية الواجبة فيه.

كذلك يذكر البعض أن قصد الرياء في القواطع والموانع للصلاة ، لا يكون مبطلاً لها ، فلو ترك الضحك أو الإلتفات أو الكلام رياء لم تبطل الصلاة ، نعم لو إطمأن في صلاته رياء ، أو حافظ على الموالاة رياء ، فالاحــوط عدم الإجتزاء بصلاته .

واما الرياء المتأخــر عن العبادة فانه لا يبطلها ، كما لو كان قاصداً الاخلاص ، ثم بدا له بعد اتمام العمل ان يراءي بعمله.

هذا كله من حيث بطلان العبادة أوعدمه ، وأما من حيث أصل الرياء وعدم جوازه فقد تقدم بيانه وتفصيله .

عدم الظلم

واجتنب الظلم فإن الظلوم
يذيقه الجبار نار السموم

يقول الله تعالى :

(وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ) يونس- ٥٤

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) البقرة- ١٦٥

(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) الشعراء- ٢٢٧

(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ) الشورى- ٤٢

(وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً) طه- ١١١

(وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ، وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ)الأنبياء-١١

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (لاتظلم كما تحب ان لا تُظلم) ..

وعنه (ع) أيضاً : (من ظلم عباد الله ، كان الله خصمه دون عباده) .

وفي روضة الواعظين عن علي (ع) : (بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد ، ويوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم).

وعنه (ع) أيضاً : (ظلم الضعيف أفحش الظلم) .

وعن السجاد (ع) : (إياك وظلم من لايجد عليك ناصراً إلا الله) .

وعن الصادق (ع) : (مامن مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله) .

وعن الباقر (ع) : (ما من أحد يظلم مظلمة إلا أخذه الله بها في نفسه وماله ، فاما الظلم الذي بينه وبين الله فاذا تاب غفر له) .

وكذلك ورد عن الصادق (ع) : (من ظلم مظلمه أُخذ بها في نفسه أو في ماله أو في ولده) .

وروي عنه (ع) أيضاً انه قال : (ما ظفر بخير من ظفر بالظلم ، أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم) .

وعنه (ع) أيضاً : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه) .

وفي مجمع البحرين ان الظالم من يتعدى حدود الله تعالى ، بدليل قوله تعالى : (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) البقرة- ٢٢٩

وفي الحديث : (ألا وان الظلم ثلاثة : ظلم لايغفر ، وظلم لايترك ، وظلم مغفور لايطلب .. فأما الظلم الذي لايغفر فالشرك بالله تعالى ، واما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات (يعني الصغيرة من الزلات) ، واما الظلم الذي لايترك فظلم العباد بعضهم بعضاً) انتهى كلامه في المجمع.

وعن الباقر (ع) لمن سأله التوبة ، فقال (ع) : (لا ، حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه) .

نعم ورد عن النبي (ص):(من ظلم أحداً ففاته ، فليستغفر الله له ، فانه كفارة له) .. وتفصيل الحكم الفقهي موكول إلى محله في باب الغصب والضمان ومجهول المالك .

وفي الروايات أيضاً (انظر الوسائل /باب ٧٩من جهاد النفس)، أن من ظلمَ الآخرين بالإضلال ، وجب عليه ردهم إلى طريق الصواب والهداية .

وفي دعاء يوم الاثنين للإمام السجاد (ع) :
(وأسألك في مظالم عبادك عندي ، فأيُّما عبدٍ من عبيدك أو أمةٍ من إمائك ، كانت لهُ قِبلي مظلمة ظلمتها إياه ، في نفسه أو في عرضه أو في ماله ، أو في أهله وولده ، أو غيبة اغتبته بها ، أو تحامل عليه بميل أو هوى ، أو أنفة أو حمية أو رياء أو عصبية ، غائباً كان أو شاهداً ، وحياً كان أو ميتاً ، فقصرت يدي وضاق وسعي عن ردها إليه والتحلل منه ، فأسألك يامن يملك الحاجات ، وهي مستجيبة لمشيئته ومسرعة إلى إرادته ، أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن ترضيه عني بما شئت ، وتهب لي من عندك رحمة ، إنه لا تنقصك المغفرة ولا تضرك الموهبة ، يا أرحم الراحمين).

ويتحصل مما سبق أن الظلم له عدة مصاديق وصور ..
فمن الظلم الحكم بالجور ، وعدم الإنصاف ، وقد مر الحديث عن الإنصاف والعدل والعدالة..
وقد مر علينا حديث الإمام علي (ع) : (انصف الله وانصف الناس من نفسك ... فانك إلا تفعل تظلم) .
ومن الظلم التعدي المباشر على الآخرين باللسان أو باليد أو ما يؤدي مؤداهما ، وقد مر الحديث عن عدم القذف وعدم الفحش والبذاء ، ونحو ذلك ، كما سيأتي الحديث عدم البغي وعدم العدوان على الآخرين ، وعدم إهانتهم .
ومن الظلم التعدي على الآخرين بمثل الغيبة والبهتان ونحوهما .

ومن الظلم غصب أموال الآخرين أو حقوقهم المادية أوالمعنوية ، حيث ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (من أكل مال أخيه ظلماً ، ولم يرده إليه ، أكل جذوة من النار يوم القيامة) .

وهكذا تتعدد وجوه الظلم وتختلف موارده ، فالمفروض الإلتفات والوعي والحذر والحيطة ، حتى لايدخل العبد في زمرة الظالمين والعياذ بالله تعالى .

وسيأتي في الفصل القادم ان المعين للظالم كالظالم .

(رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المؤمنون- ٩٤

ثم ان الله تعالى يقول :

(وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) الطلاق- ١

(وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً) النساء- ١١٠

فالعبد اذا ارتكب المعاصي ، أو تكاسل عن الطاعات ، أو ضيع وقته فيما لاينفعه ، أو تقاعس عن تهذيب نفسه ومراقبتها ، فقد ظلم نفسه ..

مع الإلتفات إلى ان كل من يظلم أحداً مهما كانت تلك المظلمة ، فانه انما يظلم نفسه أولاً ، فيلحقه وزر الظلمين ، وإثمهما معاً ..

ولعل من مصاديق ذلك قول الله تعالى :

(وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَّتَعْتَدُواْ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) البقرة - ٢٣١

ولنختم كلامنا بقول الله تعالى :

(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ، أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) الأنعام- ٨٢

عدم الرضا بالظلم
وعدم الإعانـة عليه

ومن يعاون ظالماً في ظـــلمه

أَو يرضَ عنـه ، حـكمهُ كـحكمهِ

يقول الله تعالى :

(وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) المائدة- ٢

(وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) هود- ١١٣

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) الممتحنة- ١٣

(لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) المجادلة- ٢٢

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) : (للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية ، ومن دونه بالغلبة ، ويظاهر للقوم الظلمة) .

وفي المستدرك عنه (ع) : (شر الناس من يعين على المظلوم) .

وعن الصادق (ع):(العامل بالظلم ، والمعين له ، والراضي به ، شركاء ثلاثتهم) .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من أحب عمل قوم أُشرك في عملهم) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (انما يجمع الناس الرضا والسخط ، وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد ، فعمهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضا) .

وفي رواية أخرى في مجموعة الشيخ ورام عنه (ع) : (اذا ظهر إمام جور ، فمن رضي بحكمه ، وأعانه على جوره ، فهو وليه) .

وعن الصادق (ع) : (من عذر ظالماً بظلمه ، سلط الله عليه من يظلمه) .

وكـذلك ورد عنـه (ع) : (إيـاكم ان تعينـوا علـى مـسلم مظلـوم ، فيدعـو عليكم فيُستجاب له فيكم) .

وعنه (ع) : (من أعـان على مؤمن بـشطر كلمـة ، لقـى الله عزوجـل وبـين عينيه مكتوب آيس من رحمة الله) .

وفي تفسير العياشـي عـن الـصادق (ع) في قـول الله تعـالى : (قُـلْ قَـدْ جَـاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَـاتِ وَبِالَّـذِي قُلْتُمْ ، فَلِـمَ قَتَلْتُمُـوهُمْ إِن كُنـتُمْ صَـادِقِينَ) وقد علم ان هؤلاء لم يقتلوا ولكن كـان هـواهم مـع الـذين قتلـوا ، فـسماهم الله قاتلين لمتابعة هواهم ورضاهم بذلك) .

ولا يخفى ان الاعانة كلما كانت أعظم أو أكثر ، كلمـا كـان وزرهـا أعظـم ، وأثرها أكبر ..

وكلمـا كـان الظلـم أشـد وأخطـر ، كلمـا كانـت الاعانـة عليـه أو الرضـا بـه أفحش وأسوء ..

وقد مر في الفصل السابق، وسيأتي في الفـصل اللاحـق ، مـا يـرتبط بالمقـام ، كما مر الحديث عن ايثار رضا الله تعالى على رضا المخلوقين .

عدم البغي والعدوان

قــد حــرّم الله على الإنســانِ
أن يـــــبتدي بالبـــغي والعــدوانِ

يقول الله تعالى :

(وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة- ١٩٠

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم ، مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يونس- ٢٣

(وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات ، وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) ص- ٢٤

(ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ) الحج- ٦٠

(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) الحجرات- ٩

وذم الله طائفة من خلقه بقوله عزوجل :

(لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) التوبة- ١٠

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها ، أخافه الله عزوجل يوم لاظل إلا ظله) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد) .

وورد عنه (ع) : (ان البغي يقود أصحابه إلى النار) ، و (من سل سيف البغي قُتل به) .

وعنه (ع) : (لو بغى جبل على جبل لهُدّ الباغي) .

وعنه (ع) أيضاً : (لايحل لمسلم أن يروّع مسلماً) .

وعن الصادق (ع) : (من روّع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه ، فلم يصبه فهو في النار ، ومن روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه ، فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار) .
وعن الباقر (ع) : (إن أسرع الشر عقوبة البغي) .
وعن الصادق (ع) : (إياكم أن يبغي بعضكم على بعض ، فانها ليست من خصال الصالحين ، فانه من بغى صيّر الله بغيه على نفسه ، وصارت نصرة الله لمن بغى عليه ، ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله) .
وقد مر الحديث عن الظلم ..
كما مر في فصل (الشجاعة) انها قد تصل عند بعض الأشخاص إلى البغي والتعدي والعياذ بالله تعالى ..
ولذلك ورد في الحديث ان : (آفة الشجاعة البغي) ، وفي نهج البلاغة ان الإمام علي (ع) كان يدعو : (ان أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي ، وسددنا للحق) .

ثم ان البغي قد يكون جماعياً ، حيث ذكرنا في غاية المتفقهين أحكام أهل البغي (البغاة) .
وقد يكون البغي شخصياً أو فردياً ، سواء كان باللسان أو باليد أو بما يؤدي مؤداهما ، حيث نسمع في دعاء الإمام السجاد (ع) : (وأسألك ترك قليل البغي وكثيره في القول مني والفعل) ..
وفيه تفاصيل كثيرة موجودة في باب الديات والقصاص ، وكذلك في باب الضمان والغصب ونحوهما .
وقد مر فصول سابقة ، وسيأتي في فصول لاحقة ، مايرتبط بالمقام .

بقي ان نشير إلى ان البغي - كما في مجمع البحرين- هو الفساد ، ومجاوزة الحد.

وفي مفردات الراغب ان البغي المذموم هو تجاوز الحق إلى الباطل ، وذكر قول الله تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) الشورى- ٤٢

ولنقل كمحصلة عامة ان البغي المقصود في المقام ، هو التجاوز والتعدي (العدوان) على النفس أو على ذوات العباد ، أو على الأموال ، أو على الأعراض ، أو على الحقوق ، أو على غير ذلك ، مما لاينبغي التعدي عليه ..

والبغي له مصاديق ومستويات ، أوضحنا بعضها إجمالاً قبل قليل .

عدم الإضرار بالآخرين

وفي الحديث أنه (لا ضرر ولا ضرارَ) بين كل البشر

يقول الله تعالى :

(ولا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) الطلاق- ٦

(وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ) البقرة- ٢٣١

(وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ)البقرة- ٢٨٢

وفي دليل القواعد الفقهية تحدثنا عن قاعدة (لاضرر ولا ضرار) ، وقلنا انها وردت في روايات عديدة تكاد تصل إلى حد التواتر عند الخاصة والعامة .

ففي معتبرة عبد الله بن بكير عن زرارة عن الباقر (ع) في قصة سمرة بن جندب المشهورة : أن النبي (ص) قال للأنصاري : (إذهب فأقلعها وإرم بها فانه لاضرر ولا ضرار) ..

وفي رواية عبد الله بن مسكان عنه أيضاً(ع): (لاضرر ولا ضرار على مؤمن) ..

وفي مرسلة (من لا يحضره الفقيه) قوله (ع) : (لاضرر ولا ضرار في الإسلام) ..

بل لعل مفاد هذه القاعدة هو من ضروريات الدين ، حيث يلاحظ المتأمل المتتبع ان احكام الشريعة مبنية على عدم الضرر والاضرار ، ولذلك شُرِّع التيمم أو الوضوء الجبيري مع عدم القدرة على الوضوء ، وشُرِّعت الفدية على العاجز عن الصوم ، إلى غير ذلك من تطبيقات (لاضرر).

وكـذلك مـن جهـة أخـرى نجـد احكـام الحرمـة والـضمان علـى الغاصـب والمعتدي ، ونحوهما من تطبيقات (لاضرار).

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) في وصف المتقي (لايضار بالجار) ..

وعنـه (ع) : (مـن أوصـى ولم يحـف ولم يـضار ، كـان كمـن تـصدق في حياتـه) .

وفي الحديث : (ولايضار أخاه المؤمن) .

وعـن الـصادق (ع) : (لايـضار الرجـل امرأتـه الـتي طلقهـا ، فيـضيـق عليها) .. إلى غير ذلك من الموارد والتطبيقات .

وهذا إنما يكشف عن كبروية هذه القاعدة.

حتـى الأفعـال الـصالحة بـالعنوان الأولـي اذا صـدرت بـداعي الاضـرار بالآخرين ، فانها تكون محرمة عندئذ ..

ومن ذلك قول الله تعالى :

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ، وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ، لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً) التوبة (١٠٧-١٠٨) .

ثم ان قاعدة (لاضرر ولا ضرار) يستفاد منها عدة أمور .

أولها - عدم جواز الاضرار بالنفس ، وقد قال الله تعالى :

(وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) البقرة- ١٩٥

ثانيها - عدم جواز الاضرار بالآخرين ، وقد مرت بعض مصاديقه .

ثالثها - عدم جواز الاضرار بالمصالح العامة للدين وللمؤمنين .

رابعها - عدم جواز الاضرار بالبشرية أو الحياة عموماً .

وفي الحديث عن النبي (ص) انه كان يقول لأمير سريته : (لاتحرقوا النخل ، ولا تغرقوه بالماء ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا زرعاً) .

وعن الصادق (ع) : (من أضر بشيء من طريق المسلمين فهو له ضامن) .

وفي الحقيقة فان المقام فيه تفاصيل كثيرة ، وتفريعات عديدة ، ينبغي مراجعتها في محلها ضمن كتب الفقه والقواعد الفقهية والأصولية ..

وانما نكتفي في كتابنا هذا بالحديث إجمالاً عن العنوان الأخلاقي .

عـدم الحســد

ولا تــكن عينك عين الحسود

فالنـــار مثـــواه وبئس الــورود

يقول الله تعالى :

(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِه) النساء- ٥٤

(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ، حَسَداً مِّنْ عند أَنفُسهم) البقرة- ١٠٩

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ... وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) الفلق

وفي الحديث عن النبي (ص) ان الله تعالى أوحى إلى نبيه موسى (ع) يابن عمران لاتحسدن الناس على ما أتيتهم من فضلي ، ولا تمدن عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك ، فان الحاسد ساخط لنعمتي ، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني) .

وورد أنه (ص) قال يوماً لأصحابه : (انه قد دب إليكم داء الأمم من قبلكم ، وهو الحسد ، ليس بحالق الشعر ، ولكنه حالق الدين ، وينجي فيه ان يكف الإنسان يده ، ويخزن لسانه ، ولا يكون ذا غمز على أخيه المؤمن) .

وعن الإمامين الباقر والصادق (ع) : (ان الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب) .

وعن الصادق (ع) : (اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً) .

وفي مرآة الكمال ذكر الحسد ضمن الصفات والأفعال المحرمة ، وقال ما نصه :
فانه - مع ظهور أماراته بقول أو فعل - معصية ، وان لم يبلغ المحسود خبره ، وقد ورد مستفيضاً أنه ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب ، ويميث الإيمان في القلب كما يميث الماء الثلج ، ولا يجتمع الإيمان والحسد في قلب امرء ، وان الإيمان بريء من الحسد ، وانه يشين الدين ، وورد انه آفة الدين ، وانه من أصول الكفر ، وان الحاسد لايصل عمله إلى السماء السادسة ، بل يضرب به وجه صاحبه ، وانه لو قدم أحدكم ملء الأرض ذهباً على الله ثم حسد مؤمناً لكان ذلك الذهب مما يكوى به في النار ، وان الحسد حالق الدين ، وانه شر ما استشعره قلب المرء ، وانه ينكد العيش ، وينشئ الكمد ، ويضني الجسد ، ويزري بالنفس ، وانه مقنصة إبليس الكبرى ، وانه دأب السفل ، وانه شر شيمة ، وأقبح سجية ، وان أصل الحسد من عمى القلب والجحود لفضل الله ، وهما جناحان للكفر ، وثمرته شقاء الدنيا والآخرة ، وان الحسود ذو نفس دائم ، وقلب هائم ، وحزن لازم ، وانه لاينال شرفاً ولا يسود ، وانه مغتاظ على من لاذنب له (إليه) ، بخيل بما لايملكه ، وانه أقل الناس راحة ، مغموم لا راحة له ، وانه لاخلة ولا شفاء له ، وانه غضبان على القدر ، وانه يفرح بالشر ويغتم بالسرور وانه كثير الحسرات ، متضاعف السيئات ، دائم السقم وان كان صحيح الجسم .
وورد انه لما هبط نوح (ع) من السفينة أتاه إبليس فقال له : ما في الأرض رجل أعظم منة علي منك ، دعوت الله على هؤلاء الفساق فأرحتني منهم ... ألا أعلمك خصلتين ، إياك والحسد ، فهو الذي عمل بي

ما عمـل ، وإياك والحرص فهو الـذي عمل بـآدم ما عمل) ..انتهى ما في مرآة الكمال .

وفي سفينة البحار ، نقل عن مصباح الشريعـة قول الإمام الصـادق (ع) : (الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود ، كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ، ولآدم الإجتباء والهدى والرفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء ، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً ، فان ميزان الحاسد أبداً خفيف ، بثقل ميزان المحسود ، والرزق مقسوم ، فماذا ينفع حسد الحاسد ؟ فماذا يضرّ المحسود الحسدُ ؟ والحسد أصله من عمى القلب وجحود فضل الله تعالى وهما جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد ، وهلك مهلكاً لاينجو منه أبداً.
ونقل عن كنز الكراجكي قول أمير المؤمنين (ع) : (ما رأيتُ ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد ، نفسٌ دائم وقلبٌ هائم وحزنٌ لازم).
وقال : (يكفيك من الحاسد أنه يغتمّ في وقت سرورك) ..
وقال لقمان لابنه : إياك والحسد ، فانه يتبين فيك ولا يتبين فيمن تحسده .
وفي سفينة البحار أيضاً عن رسول الله (ص): (أقل الناس لذة الحسود)، وقيل الحسد منصف لأنه يبدأ بصاحبه ، وقيل الحسود لايسود .
وعن الصادق (ع) : (لايؤمن رجل فيه الشح والحسد والجبن) .
وعنه (ع) أيضاً ان لقمان قال لابنه : (للحاسد ثلاث علامات : يغتاب اذا غاب ، ويتملق اذا شهد ، ويشمت بالمصيبة) .

وأجد من المناسب الآن الحديث عن فلسفة الحسد ، لأن هذا الموضوع مما يكثر الابتلاء والاهتمام به ، خصوصاً في أوساط العامة .
فان كثيراً ما يتهم بعضنا البعض الآخر بالحسد ، ويحقد عليه أو يتأذى منه اذا ظن أنه تأثر بسببه ، مع أن المسألة تحتاج إلى تفصيل وتوضيح :
فالحسد - كما يعرفونه - هو ان يرى الشخص نعمة في غيره فيتمنى زوالها عنه ، بحيث تكون له دونه ..
وهذا الفعل محرم قطعاً ، وصاحبه مأثوم ، بمعنى ان الحرمة والإثم تعلقا بنيته ورغبته النفسية مادام يتمنى زوال نعمة الغير .
ولكن الحاسد - مهما كانت نيته - ليس له تأثير أو فاعلية في المقابل (المحسود) ، ولا تجري واقعاً ولاتحصل بالنتيجة إلا إرادة الله عزوجل ومشيئته ..
وقد قال الله تعالى عن السحر :
(وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ) البقرة- ١٠٢
صحيح ان الوارد عن المعصومين (ع) ، ان الله تعالى أبى إلا ان يجري الأشياء بأسبابها ، إلا ان هذه الأسباب لاتحصل إلا بإذن الله تعالى ..
حيث يقول عزوجل :
(وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) التكوير - ٢٩
(وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ)الكهف (٢٣-٢٤)
وهذه مسألة عقائدية فصلناها في كتابنا (معالم التكامل في العقيدة) ، وفي فصل (التوكل) من كتابنا هذا (دليل الأخلاق) .
وفي الدعاء :(لامصدر لما أوردت ، ولا صارف لما وجهت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا ميسر لما عسّرت) .

وقد قال الله تعالى :
(قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا) التوبة- ٥١
(مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ ، إِلا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا) الحديد- ٢٢
وقد مر الحديث عن اليقين بالله والرضا والتسليم له عزوجل .
والمهم - مع ذلك - ان الحسد بمجرده لاتأثير له ، ولافاعلية له في حد نفسه ..
أو لنقل بتعبير آخر ان نية الحاسد لاتؤثر لوحدها ، وليس لها أي أثر تكويني على الآخرين ، كما ان الله تعالى لايستجيب لدعاء الحاسد اذا تمنى زوال نعمة الغير ، لان الله تعالى لايرضى بهذا الفعل ..
نعم قد يكون الحسد سبباً لتحرك الحاسد باتجاه إيذاء المقابل (المحسود) أو الاضرار به ..
بمعنى ان الحاسد لايتمنى زوال نعمة الغير فحسب ، وانما يحاول ان يزيلها أو يغيّرها أو يفسدها ، بفعل خارجي من قبيل الافتراء أو النميمة ، أو السرقة أو الضرب (كما فعل أخوة يوسف (ع) به) ، أو القتل (كما فعل قابيل مع أخيه هابيل) ، أو غير ذلك من التصرفات المحرمة .
فهذه مرتبة أشد وأخطر من مجرد (الحسد القلبي) ..
وعلى هذا يحمل ما ورد ان الحسد يدخل القبر ..
وفي الميزان للطباطبائي ذكر بعد قوله تعالى : (وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) أي اذا تلبس بالحسد وعمل بما في نفسه من الحسد ..
وعلى هذا المعنى أيضاً يحمل الحديث الوارد : (كاد الحسد ان يغلب القدر) ، فان المقصود به هو الحسد الذي يدفع الإنسان إلى الاضرار

بالآخرين والعياذ بالله ، من أجل ان يزيل النعمة فعلاً عنهم ، وليس المقصود به مجرد تمني زوال النعمة .
ثم ان الوارد في الحديث (كاد) أي أوشك ، وهو معنى مجازي ، بقرينة المقطع الذي قبله (كاد الفقر ان يكون كفراً) ..
وفي سفينة البحار نقل قول الراوندي في شرح الشهاب : اعلم ان للحسد تأثيراً قوياً في النظر في إزالة النعمة عن المحسود أو التمني لذلك ، فانه ربما يحمله حسده على قتل المحسود ، وإهلاك ماله وإبطال معاشه ، فكأنه سعى في غلبة المقدور ، لان الله تعالى قد قدّر للمحسود الخير والنعمة ، وهو يسعى في إزالة ذلك عنه).
وسنذكر بعد قليل بعض الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى .

ثم ان بعض الأشخاص قد يُتهمون بالحسد وهم منه براء ، وليس ذنبهم إلا أنهم كانوا موجودين في ظرف ما ووقت ما ، بحيث يتصور المتضرر أنهم حسدوه أو تسببوا في ضرره ، مع أنهم لم يحسدوه واقعاً ، ولم يفكروا في إضراره ..
فان ما أصابه من الضرر لم يكن ليخطأه ، سواء كان هذا الشخص موجوداً أم لا ، وقد مر علينا في فصل اليقين قول الإمام علي (ع) : (لايجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطأه ، وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه) .
وكذلك مر علينا الحديث : (ما أنصف الله من اتهم الله في قضائه) .
وفي حديث عن الكاظم (ع) : (ملعون من إتهم أخاه) .

بل حتى لو حسدوه فعلاً ، فانه لايحق له ان يحاسبهم أو يحقد عليهم ، أو يعتبرهم مسئولين عما أصابه ، ما داموا لم يتصرفوا بفعل خارجي ، يسبب له الأذى أو الضرر ..

مع الإلتفات إلى ان الحقد - كما سيأتي - مذموم و ممنوع كالحسد ، وفي حديث جنود العقل والجهل ذكر (العفو وضده الحقد) ، وانما يستغل الشيطان مثل هذه الظروف لإيقاع الفتنة والعداوة بين المؤمنين ، بينما سيأتي ان العفو والصفح من صفات أهل الجنة ..

وقد ورد في الحكمة :

إصبر على حسد الحسود   فان صبرك قاتله
كالنار تأكل نفسها   ان لم تجد ما تأكله

وعلى أية حال فبالإمكان دفع شرور الحاسد ومكائده ، بقراءة المعوذتين والتوحيد (الإخلاص) ، وبالدعاء ، وبالإعتصام والإستعاذة بالله تعالى ، وبدفع الصدقة ، ونحو ذلك مما ينفع في الحفظ (أنظر المصباح للكفعمي).

وظاهر الروايات ان الله تعالى لايؤاخذ الحاسد على حسده ، مالم يظهره بلسانه أو يعمل به ، وفي الرواية ان : (المؤمن لايظهر الحسد) ، أي لايصرح به ، وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ان المؤمن لايستعمل الحسد) ، أي لايعمل بموجبه ، ولا يتصرف على أساسه ، ولا يدفعه حسده إلى الاضرار بالآخرين .

وفي حديث آخر عن النبي (ص) ذكره في جامع السعادات : (اذا حسدت فلا تبغ) ، أي ان وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به ، وكن كارهاً له) ..

وكذلك مر علينا قول النبي (ص) في الحسد (وينجي فيه أن يكف الإنسان يده ، ويخزن لسانه ، ولايكون ذا غمز على أخيه المؤمن) .
فالحسد وحده لايؤثر ولايضر ، كما وضحناه قبل قليل .

بقي أن نشير الى ما ورد في بعض الروايات ، عن النبي (ص) ما مضمونه انه : (لاحسد إلا في طلب العلم) ، و (لاحسد إلا في إنفاق المال في سبيل الله ، وقراءة القرآن في الليل والنهار) .
وانما يراد بالحسد في مثل هذه الأحاديث الغبطة أو المنافسة ، بناء على ان الحسد يشمل هذين العنوانين أيضاً كما في بحار الأنوار وجامع السعادات ، وان كان الأظهر انه استعمال مجازي يراد به ما يشمل الغبطة أو المنافسة ..
اذ ليس من المعقول جواز تمني زوال نعمة العلم أو الإنفاق أو قراءة القرآن عن الآخرين .
وفي جامع السعادات ذكر ان المنافسة هي تمني مثل ما للمغبوط من غير ان يريد زواله عنه ، وليست مذمومة ، بل هي في الواجب واجبة ، وفي المندوب مندوبة ، وفي المباح مباحة ..
قال الله تعالى : (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) انتهى كلامه .
أقول : وقد مر الحديث عن المسابقة والمسارعة في الخيرات والأعمال الصالحة .
فالمنافسة اذا كانت بعنوان التقدم وتحصيل الأفضل من دون الاضرار بالآخرين - كما هو المفروض- فهي منافسة شريفة كما يعبرون ، وانما يختلف حكمها من حيث الإباحة أو الاستحباب أو الوجوب على حسب اختلاف الأمر المتنافس فيه .

وأما الغبطة ففي مجمع البحرين انها إسم من غبطته غبطاً اذا تمنيت مثل حاله من غير ان تريد زوالها عنه ، وهذا جائز وليس من الحسد الا اذا تمنيت زواله ، وفي الحديث القدسي (المتحابون في جلالي ، لهم منابر من نور يغبطهم النبيون) انتهى ما في المجمع .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (المؤمن يغبط ولا يحسد) .

ومن مصاديق الغبطة ان تقول للمغبوط : هنيئاً لك ، أو ياليتنا معك ، أو نحو ذلك مما يدل على الفرح والسرور ، وتمني تحصيل ما حصل عليه المغبوط ، من دون الإساءة إليه بنية أو قول أو فعل .

عدم التشاؤم والتطيّـر

وليـــذكر الرحمن مَن تطيّرا

وليـــمش في طـريقه مُـــيَسَّرا

وقد ذم الله تعالى التطير بقوله عز وجل :

(قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ، لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ، وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ، قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ)يس(١٨-١٩).

(قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ، قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) النمل- ٤٧

(فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ ، أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ ، وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) الأعراف- ١٣١

وفي الحديث عن النبي (ص) انه : (لاطيرة ، ولا شؤم) .

وعنه (ص) : (اذا تطيرت فامضِ) ، و (كفارة الطيرة التوكل) .

وفي روضة الواعظين عن النبي (ص) ، ان الله تعالى أوحى إلى داود (ع) : (كما لاتضر الطيرة من لايتطير منها ، كذلك لاينجو من الفتنة المتطيرون) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (الطيرة ليست بحق) .

وعن الصادق (ع) : (الطيرة على ماتجعلها ، إن هونتها تهونت ، وان شددتها تشددت ، وان لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً) .

وفي هامش مفردات الراغب نقل حديثاً في مصادر العامة عن النبي (ص) : (من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك) .

وفي مجمع البحرين ان : (أصل الطيرة التشاؤم بالطير ، ثم اتسع فيها فوضعت موضع الشؤم) .
وقد تحدثنا عن القلق التشاؤمي وآثاره ، وكيفية التخلص منه ، في (معالجات نفسية) و (تحرر من قيود الوسواس) .

ثم انه ورد في بعض الأخبار ان (مجالسة الأحمق شؤم) ، و(الخرق شؤم) ، و (شؤم المرأة كثرة مهرها وعقوق زوجها) ، وهذا ليس من الطيرة أو التشاؤم المنهي عنهما ، وانما هو من باب التنبيه على وجود المقتضي الواقعي (الخارجي) لحصول المحذور ، فمجالسة الأحمق تقتضي فعلاً الوقوع في مشاكل ، وكذلك الخرق يقتضي فعلاً حصول مشاكل شرعية أو أخلاقية ، وكثرة مهر المرأة وعقوق زوجها يقتضيان فعلاً وقوعها في مشاكل مع زوجها ، فهذا هو المقصود بالشؤم في مثل هذه الأخبار .

عدم إساءة الخُلق

وسيء الخــــلق يـــضر نفسَهُ

وليس يـجنـي الـمرء الا غـرسَهُ

يقول الله تعالى :

(إِنْ أَحْسَنَتُمْ أَحْسَنَتُمْ لأنفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) الإسراء- ٧

وفي الحديث عن النبي (ص) : (إياكم وسوء الخلق ، فان سوء الخلق في النار لامحالة) .

وفي الحديث ان جبرائيل (ع) قال للنبي (ص) عن الباري عزوجل : (ان سوء الخلق يذهب بخير الدنيا والآخرة) .

وعن أمير المؤمنين (ع) :(ان سيء الخلق لاتسلم توبته ، لأنه لايتوب من ذنب إلا وقع في غيره أشر منه) .

وعن الصادق (ع) : (ان سوء الخلق ليفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل).

وكذلك ورد عنه (ع) : (من ساء خلقه ، عذب نفسه) .

وفي الحقيقة فان سوء الخلق عنوان عام ، كما ان حسن الخلق عنوان عام .. وفي مجمع البحرين ان الخلق هو السجية والجمع أخلاق ، وقد ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب ان الأخلاق قد تكون صالحة وقد تكون سيئة ، وفي الدعاء :(واجعل نفسي مستنة بسنن أوليائك ، مفارقة لأخلاق أعدائك) .

وفي مجمع البحرين ذكر الحديث : (وأكره ان أتخذ ذلك خلقاً ، أي عادة وطبعاً) .
ثم قال : والخلق كيفية نفسانية تصدر عنها الأفعال بسهولة .
ونقل عن بعض الشارحين ان حقيقة حسن الخلق انه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه ، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرية وأوصافها ومعانيها ، ولها أوصاف حسنة وقبيحة).
أقول : خُلق الإنسان - بكلمة بسيطة - هو سلوكه وتصرفاته ، سواء مع خالقه تعالى أو مع نفسه أو مع الآخرين ، فان كانت حسنة ، وصف خلقه عموماً بالحسن ، وان كانت سيئة ، وصف خلقه عموماً بالسيء ..
فمن مصاديق سوء الخلق : التكبر والوقاحة والبخل والخرق والسفاهة والفحش والبذاء والاضرار بالآخرين وإهانتهم ، ونحو ذلك .
ومن مصاديق حسن الخلق : التواضع ، وحسن العشرة ، والمداراة ، ونحو ذلك .
وبهذا يتضح وجه ارتباط هذا الفصل بفصول كثيرة تحدثنا عنها ، ونتحدث عنها باذن الله تعالى ضمن هذا الكتاب .

مأمونية الجانب
وعدم كون الإنسان ممن يُتقى شره

وإن شر النـــاس من يُـــتّقى
لشـــره الفـــاحش إذ يُـلـتـقى

يقول الله تعالى :
(وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة- ١٩٠
وقد ذم طائفة من خلقه وصفهم بقوله تعالى :
(وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ) الممتحنة- ٢
وفي الحديث عن النبي (ص) : (شر الناس عند الله يوم القيامة ، الذين يكرمون إتقاء شرهم) .
وعنه (ص) أيضاً : (شر الناس من أكرمه الناس ، إتقاء فحشه وأذى شـره) .
وكذلك ورد عنه (ص) ان شر الناس : (من لايؤمَن شره ، ولا يرجى خيره) .
وعن الصادق (ع) : (من شر عباد الله ، من تكره مجالسته لفحشه) .
وعنه (ع) أيضاً : (من خاف الناس لسانه فهو في النار) .
وكذلك ورد عنه (ع) : (ان ابغض خلق الله عبد إتقى الناس لسانه) .
وقد مر مايرتبط بالمقام عند الحديث عن عدم الخرق وعدم السفاهة ، وكذلك عند الحديث عن عدم الفحش والبذاء ، وعدم الاضرار أو عدم البغي والعدوان ، وسيأتي في الفصول القادمة ما يرتبط بالموضوع أيضاً .

وفي نهـج البلاغـة عـن أمـير المـؤمنين (ع) في وصـف المتقين ان مـن علامـة أحدهم : (الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون) .

ثم إنه سيأتي أن من صفات المؤمن أنه سهل لـين ، يألف ويؤلـف ، والنـاس منه في راحـة ..

وفي الحديث عن علي (ع) : (شر الإخوان من تُكلّف له) ..

وسيأتي الحديث عن كل ذلك في فصول مستقلة .

عدم الإساءة إلى الآخرين
وعدم إيذائهم

ومن يلاقي الناس عمداً بالأذى
فحسبُه من ربه أن يُنبذا

وفي الحقيقة فان الكلام هنا مرتبط بما في الفصول السابقة ، حيث تحدثنا عن عدم الظلم ، وعدم البغي وعدم العدوان ، وعدم الاضرار بالآخرين ، وعدم إساءة الخلق ، ونحو ذلك مما يستفاد منه عدم جواز الإساءة إلى الآخرين ، وعدم جواز إيذائهم .

وسيأتي مايرتبط بالمقام أيضاً في الفصول القادمة .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من لقي أخاه بما يسوءه ، ساءه الله يوم القيامة) .

بل ورد عنه (ص) : (من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها ، أخافه الله عزوجل يوم لاظل إلا ظله) .

وعنه (ص) أيضاً : (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ، والمهاجر من هجر السيئات وترك ماحرم الله ، والمؤمن حرام على المؤمن ان يظلمه أو يخذله أو يغتابه) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (لايحل لمسلم ان يروّع مسلماً) .

وعن الصادق (ع) : (من آذى مؤمناً ، فقد آذى الله عزوجل في عرشه ، والله ينتقم ممن ظلمه) ..

وعنه (ع) : (المؤمن لايسيء) .

وعنه (ع) ان الله تعالى يقول : (ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن ، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن) (أنظر الوسائل باب ١٤٥ من أبواب أحكام العشرة) .
وعن الرضا (ع) : (المسلم : الذي يسلم المؤمنون من لسانه ويده) .

ثم ان الإساءة أو الإيذاء يمكن ان تتصور من عدة جهات :
أولها - ان الإساءة قد تكون قلبية (كالحسد أو الحقد) ، وقد تكون لسانية (كالغيبة والبهتان) ، وقد تكون فعلية من قبيل الضرب أو الغصب أو نحوهما .
ثانيها - ان الإساءة قد تكون مادية ، وقد تكون معنوية ، ومن مصاديق الإساءة المعنوية تحميل المقابل فوق طاقته ، وقد ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (من كسر مؤمناً فعليه جبره) .
وان كان هذا الحديث يشمل بإطلاقه كل إضرار أو إساءة ، تلحق بالمؤمن ، فانه يتوجب على المسيء جبرها .
ثالثها - ان الإساءة قد تكون تجاه شخص أو مجموعة أشخاص ، وقد تكون تجاه الأمة عموماً ، وقد تكون تجاه البشرية قاطبة ، وقد تكون تجاه الدين ، أو المؤمنين خصوصاً ، أو الصورة النموذجية للمؤمن أو الإيمان ، وقد ورد في الحديث عن المعصومين (ع):(كونوا لنا زيناً ، ولا تكونوا علينا شيناً) .

رابعها - ان الإساءة قد تكون متوجهة نحو الخالق تعالى والعياذ بالله ، ومن مصاديقها قول الله تعالى :
(وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ ، فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً) الأنعام- ١٠٨
ومن مصاديقها أيضاً الكفر والجحود والاستكبار والافتراء على الله تعالى .
وقد تكون الإساءة متوجهة نحو المعصومين (ع) ، ومن مصاديقها الكذب عليهم (ع) ، أو التعدي على مقامهم الشريف (ع) ..
ومن مصاديقها أيضاً عمل السيئات فان ذلك يسوءهم (ع) ، حيث ورد في الحديث عن الصادق (ع):(مالكم تسوؤون رسول الله (ص) ؟)، ثم قال (ع) : (ان أعمالكم تعرض عليه ، فاذا رأى فيها معصية ساءه ذلك ، فلا تسوؤوا رسول الله ، وسرّوه) .
وقد تكون الإساءة متوجهة إلى النفس ، ومن مصاديقها تحميل النفس فوق طاقتها ، وإعطاءها شهواتها المحرمة ، ونحو ذلك ، وقد قال الله تعالى :
(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا) فصلت- ٤٦
وقد تكون الإساءة متوجهة إلى سائر الخلق ، ومن مصاديقها الإهانة والإضرار ونحوهما مما ذكرناه .

عدم إهانة الآخرين
وعدم احتقارهم أو إذلالهم

ومــن أهـــان مؤمناً أو مسلـما

كـــان لـه الله خصيـماً مُلجِما

يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ ، عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ ، وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء ، عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ ، وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ، وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ ، بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ، وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) الحجرات- ١١

(فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) الأنعام- ١٠

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ، وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون) الجاثية-٣٣

وفي الحديث القدسي ان الله تعالى يقول : (من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وانا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي) .

وكذلك ورد في الحديث القدسي : (ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن).

وعن النبي (ص) :(قال الله عزوجل قد نابذني من أذل عبدي المؤمن) .

وعن النبي (ص) : (من استخف بفقير مسلم ، فقد استخف بحق الله) .

وعنه (ص) أيضاً : (من استذل مؤمناً أو حقّره لفقره وقلة ذات يده ، شهره الله يوم القيامة) .

وكذلك ورد عن النبي (ص) : (أذل الناس من أهان الناس) .

وقد مر علينا قول أمير المؤمنين (ع) :(من ظلمَ عباد الله ، كان الله خصمه دون عباده) .

وعن الصادق (ع) ان الله تعالى يقول : (من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي ، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي) .

وعنه (ع) أيضاً : (لاتحقّروا مؤمناً فقيراً ، فان من حقّر مؤمناً أو استخف به، حقّره الله ، ولم يزل ماقتاً له ، حتى يرجع عن محقرته أو يتوب) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين ، لم يزل الله عزوجل حاقراً له ماقتاً ، حتى يرجع عن محقرته إياه) .

وفي الحديث : (لاتحقروا ضعفاء إخوانكم ، فانه من احتقر مؤمناً لم يجمع الله عزوجل بينهما في الجنة ، إلا ان يتوب) .

وفي مرآة الكمال ذكر انه ورد ان من استخف مؤمناً ، إستخف بأهل البيت (ع) ، وضيّع حرمة الله عزوجل ، وان من بغى على فقير أو تطاول عليه أو استحقره ، حشره الله يوم القيامة مثل الذرة في صورة رجل حتى يدخل النار) .

ثم انه قد مر الحديث عن التواضع وعدم التكبر ، وعدم الغرور ، وعدم التفاخر ، وعدم البغي والعدوان ، وسيأتي الحديث عن احترام الآخرين ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

عدم الحقد على الآخرين

و(الحقد لا يسكن قلب المؤمنِ)

ويالُه مــن مُــؤلم ومحزنِ

يقول الله تعالى :

(قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) آل عمران- ١١٨

وقال تعالى واصفاً أهل الجنة :

(ونَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) الحجر- ٤٧

(ونَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ) الأعراف-٤٣

وفي الدعاء القرآني :

(وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا) الحشر- ١٠

وفي الحديث عن أمير المؤمنين (ع) في وصف المؤمن : (لاحقود ، ولا حسود) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (المؤمن لايكون حسوداً ولا حقوداً) .

وفي بعض المصادر عدة أحاديث عن الإمام الصادق (ع) منها :

(الحقد لايسكن قلب مؤمن ، لان الحقود من أهل النار) ..

(احذروا الحقد ، فان الله تعالى يخذل الظالم وينصر المظلوم) ..

(من حقد على أخيه المؤمن وضرّه ، كنا يوم القيامة من خصمائه)..

(من يأتي الله يوم القيامة ، وفي قلبه لأخيه المؤمن حقد ، لايدخل الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) .

ثم انه ورد في الحديث عن المعصومين (ع) : (أقل الناس راحة الحقود) .. وهذه حقيقة واقعية يعرفها كل حقود ، والعياذ بالله تعالى ..

وفي جامع السعادات ذكر ان الحقد من الإمراض المؤلمة للنفس ، المانعة لها عن القرب إلى الله والوصول إلى الملأ الأعلى ، ويمنع صاحبه عما ينبغي أن يصدر عنه بالنسبة إلى أهل الأيمان ، من الهشاشة والرفق والتواضع والقيام بحوائجهم والمجالسة معهم والرغبة إلى إعانتهم ومواساتهم .. وغير ذلك ، وهذا كله مما ينقص درجته في الدين ، ويحول بينه وبين مرافقة المقربين .

ولما كانت حقيقته (الحقد) عبارة عن العداوة الباطنة ، فجميع الأخبار الواردة في ذم المعاداة تدل على ذمه ، كقول النبي (ص) : (ما كان جبرئيل يأتيني إلا قال : يامحمد ، اتق شحناء الرجال وعداوتهم) ، وقوله (ص) : (ما عهد إلي جبرئيل قط في شيء ، ما عهد إلي في معاداة الرجال).

وقول الصادق (ع) : (من زرع العداوة حصد ما بذر) .. وقس عليها غيرها .

وطريق العلاج في إزالته : أن يتذكر ان هذه العداوة الباطنية تؤلمه في العاجل ، إذ الحقود المسكين لايخلو عن التألم والهم لحظة ، ويعذبه في الآجل ، ومع ذلك لا يضر المحقود أصلاً ، والعاقل لايدوم على حالة تكون مضرة لنفسه ونافعة لعدوه .

وبعد هذا التذكر ، فليجتهد في أن يعامله معاملة أحبائه ، من مصاحبته بالانبساط والرفق ، والقيام بحوائجه ، وغير ذلك ، بل يخصه بزيادة البر والإحسان ، مجاهدةً للنفس وإرغاماً للشيطان ..

ولا يزال يكرر ذلك حتى ترتفع عن نفسه آثار هذه الرذيلة بالكلية) انتهى ما في جامع السعادات .

وينبغي الإلتفات الى أن الحقد قد يكون في بعض الأحيان ، بسبب خطأ من المحقود عليه ، حيث ورد ان المزاح (يجر إلى السخيمة ، ويورث الضغينة) ، وكذلك ورد ان الكذب (ينبت السخائم في الصدور) .

وبالمقابل فانه يمكن دفع الحقد ببعض الأمور التي يُدفع بها السوء ، وتُزال بها العداوة ، حيث ورد ان (الهدية تسل السخيمة) ، وفي رواية أخرى (الهدية تذهب بالغل) ، وورد أن (حسن البشر يذهب بالسخيمة) ، وكذلك ورد (تصافحوا ، فانها تذهب بالسخيمة).. و السخيمة هي الحقد والغِل .

بقي ان نشير إلى نقطة مهمة ، وهي ان البغض لأهل المعاصي ، قد لا يستلزم الشعور بالحقد والكراهية نحوهم ، لأن المطلوب الأساسي هو ان نبغض المعاصي نفسها ، أي الشعور بالغضب والكراهية تجاه الأفعال المنكرة والأعمال السيئة ، فان هذا الشعور واجب نفساني (أي جوانحي) كما ان دفع المنكر واجب باليد أو اللسان (أي جوارحي) .
اما الأشخاص أنفسهم فالمفروض ان نشعر بالمسؤولية تجاهم ، وذلك بالنصح لهم وإرشادهم قدر المستطاع ، فان لم ننجح معهم فلندعو لهم بالهداية والتسديد للخير والصلاح .. واما كيفية التصرف معهم بعد ذلك ،

فهذا يختلف بحسب اختلاف الموارد والظروف ، والمرجع في ذلك كله هو الأحكام الشرعية المفصلة .

وفي نهج البلاغة ان الإمام علي (ع) سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين فقال (ع) : إني أكره لكم ان تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر..

وقلتم مكان سبكم إياهم ، اللهم احقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، واهدهم من ضلالتهم) .

وقد مر مايرتبط بالمقام عند الحديث عن (الحب في الله والبغض في الله) ، وسيأتي الحديث عن (مودة المؤمنين) ، كما سيأتي في الفصل اللاحق ، ما يرتبط بالموضوع .

عدم التباغض والخصومة
مع الآخــرين

ولا يـــجوز البغض والهجرانُ

فـــإنه الـحرمان والـــخسرانُ

يقول الله تعالى :

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء) المائدة- ٩١

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) المجادلة- ٩

وفي الحديث عن النبي (ص) ان شر الناس : (من أبغض الناس وأبغضه الناس) .

وعنه (ص) ان جبرئيل قال له : (يامحمد إتق شحناء الرجال وعداوتهم).

وفي رواية أخرى عنه (ص) : (إياك وملاحاة الرجال) .

وكذلك ورد عنه (ص) ان البغضاء حالقة الدين ، وان مشارّة الناس تورث المعرة ، وتظهر العورة ، وانها تذهب بالعز .

وعن الصادق (ع) : (المخاصمة ممرضة للقلب) .

وعنه (ع) أيضاً : (لايقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمر على أخيه المؤمن سوء) .

والكلام على أية حال مرتبط بما تقدم في فصل (عدم الحقد) ، وبما سيأتي في فصل (المودة للآخرين) .

وفي الدعاء عن السجاد (ع) : (فأمت قلبي عن البغضاء ، وأصمت لساني عن الفحشاء) .

ثـم انـه قـد وردت أحاديـث كـثيرة في تحـريم هجـر المـؤمن بـداعي المقاطعـة والبغضاء (أنظر الوسائل باب ١٤٤ من أحكام العشرة) .
ففي الحديث عن النبي (ص): (لايحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة) .
وفي رواية أخرى عنه (ص) انه نهى عن الهجران ، فمن كان ولابد فاعلاً فلا يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام ، فمن كان مهاجراً لأخيه أكثر من ذلك كانت النار أولى له .
وفي روايـة أخـرى عنـه (ص) أيـضاً : (فأيهمـا سـبق إلى كـلام أخيـه ، كـان السابق إلى الجنة يوم الحساب) .
وعن الباقر (ع) (مـا مـن مؤمنين إهتجـرا فـوق ثلاثـة ، إلا وبرئـت منهمـا في الثالثة ، قيل : هذا حال الظالم فما بال المظلوم ؟ فقال : ما بال المظلوم لايصير إلى الظالم ، فيقول أنا الظالم حتى يصطلحا) .
وسيأتي ما يرتبط بالمقام في فصول لاحقة عند الحديث عن صلة الرحم ونحوها .

عدم المراء والمجادلة

ولا تـــمارِ الناس إن الـــمراء

يـُــذهب بالصفا ونـور البهاء

يقول الله تعالى :

(وَكَانَ الإنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) الكهف- ٥٤

(وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) الحج- ٦٨

ففي الحديث عن النبي (ص) : (ثلاث من لقي الله بهن ، دخل الجنة من أي باب شاء ، من حسنَ خلقه ، وخشي الله في المغيب والمحضر ، وترك المراء وان كان محقاً) .

وعن الإمام علي (ع): (إياكم والمراء والخصومة ، فانهما يمرضان القلوب على الأخوان ، وينبت عليهما النفاق) .

وفي رواية عن الصادق (ع) : (إياكم والخصومة ، فانها تشغل القلب ، وتورث النفاق ، وتكسب الضغاين) .

وعن الباقر (ع) : (إياك والخصومات) .

وعن الصادق (ع): (المخاصمة ممرضة للقلب) ، و(الجدال يميت المودة).

وعنه (ع) أيضاً : (اترك المراء وإن كنت محقـاً) .

كذلك ورد عنه (ع) : (لا تمار فيذهب بهاؤك) .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (لا تمار سفيهاً ولا فقيهاً ، أما الفقيه فيحرمك خيره ، وأما السفيه فيحزنك لسانه) .

وفي رواية أخرى عنهم (ع) : (لاتمار حليماً ولا سفيهاً ، فان الحليم يغلبك ، والسفيه يرديك) .

بقي أن نشير إلى ان إصلاح الآخرين وهدايتهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودفع الشبهات عن الدين والمؤمنين ، وتقوية الإيمان بالحجج والبراهين ، ونحو ذلك كله لايدخل في المراء المنهي عنه كما لايخفى .

نعم ينبغي توقير الحكمة ، وعدم تعريضها للإهانة ، وعدم الدخول في مجادلات فارغة لاجدوى فيها ، أو لغو عقيم لا طائل منه ..

وقد قال الله تعالى :

(إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) القصص- ٥٦

وكذلك قال عزوجل :

(أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) الأعراف- ١٩٩

ومدح عباده الذين وصفهم بقوله عزوجل :

(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) القصص- ٥٥

(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً) الفرقان- ٦٣

فينبغي أخذ ذلك كله بنظر الاعتبار .

عدم الخيانة
وعدم الغدر

واحذر ركوب الغدر والخيانة

فإنما الشريف بالأمانة

يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائنِينَ) الأنفال- ٥٨

(وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائنِينَ) يوسف- ٥٢

(إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً) النساء- ١٠٧

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ ، وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) الأنفال- ٢٧

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (من استهان بالأمانة ، ورتع في الخيانة ، ولم ينزّه نفسه ودينه عنها ، فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا ، وهو في الآخرة أذل وأخزى) .

وورد عنه (ع) أيضاً : (لولا أني سمعت رسول الله (ص) يقول ان المكر والخديعة والخيانة في النار ، لكنت أمكر العرب) .

نعم سيأتي حكم المكر والخديعة في الحرب .

وفي حديث آخر عنه (ع) : (والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس) .

وعن الباقر (ع) : (المؤمن لا يخون) .

وعن الصادق (ع) : (المسلم أخو المسلم ، هو عينه ومرآته ودليله ، لايخونه ولا يخدعه ولا يظلمه) .

وفي الحقيقة فان الخيانة لها عدة معان أهمها مايلي :

١- الخيانة بعدم رد الأمانة أو الوديعة ، وقد تقدم الكلام عن الأمانة بمعناها الخاص .

٢- الخيانة بمعنى الغدر ونقض العهود ، وعدم الالتزام بالمواثيق والاتفاقيات .

٣- الخيانة بإفشاء السر وكشف الستر ..

وفي معاني الأخبار ذكر قول النبي (ص) : (لاتجوز شهادة خائن ولا خائنة) .

ثم قال : (أما الخيانة فانها تدخل في أشياء كثيرة ، سوى الخيانة في المال ، منها : أن يؤتمن على فرج فلا يؤدي فيها الأمانة ..

ومنها : أن يستودع سراً يكون إن أفشاه فيه عطب المستودع أو فيه شينه..

ومنها : أن يؤتمن على حكم بين إثنين أو فوقها فلا يعدل ..

ومنها : أن يغل من المغنم شيئاً ..

ومنها : أن يكتم شهادة ..

ومنها : أن يستشار فيشير بخلاف الصواب تعمداً .. وأشباه ذلك.

ثم ان الخيانة قد تكون في أمر مادي كالاستيلاء على الأمانات والودائع ، وقد تكون بأمر معنوي كإفشاء السر .

وفي الحديث عن الصادق (ع): (أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر إليه من عنده أو من عند غيره ، أقامه الله يوم القيامة أسوداً وجهه ، مزرقة عيناه ، مغلولة يداه إلى عنقه ، فيقال : هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ، ثم يؤمر به إلى النار) .

وعن الصادق (ع) ان الله تبارك وتعالى ، آلى على نفسه أن لايجاوره خائن ، فقيل له وماالخائن ؟ ، فقال (ع) : من إدّخر على مؤمن درهماً أو حبس عنه شيئاً من أمر الدنيا) .
وفي تحف العقول عن النبي (ص) : (علامة الخائن : عصيان الرحمن ، وأذى الجيران ، وبغض الأقران ، والقرب إلى الطغيان) .

وقد تكون الخيانة متوجهة إلى الخالق تعالى ، بنقض العهود والمواثيق معه ، وعدم أداء الأمانة بمعناها العام .
وقد تكون الخيانة متوجهة نحو الآخرين بعناوينهم الشخصية ، أو بعناوينهم المعنوية ..
حيث يقول الله تعالى مخاطباً النبي محمد (ص) :
(وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ) الأنفال- ٧١
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (ان أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأفظع الغش غش الأئمة) .
وقد تكون الخيانة متوجهة إلى النفس ، باعتبار انه لم يصنها ولم يحفظها عن الوقوع في المحرمات والمهلكات ..
ومن ذلك قول الله تعالى :
(عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ) البقرة- ١٨٧
(وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ) النساء- ١٠٧
والكلام مرتبط على أية حال بما تقدم في فصل (الأمانة) .

وفي الميزان ذكر بعد قول الله تعالى : (ولاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ ، وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ) ، انه يكون مجموع قوله نهياً واحداً ، متعلقاً بنوع خيانة ، هي خيانة أمانة الله ورسوله ، وهي بعينها خيانة لأمانة المؤمنين أنفسهم ، فان من الأمانة ما هي أمانة الله سبحانه عند الناس كأحكامه المشرّعة من عنده ، ومنها ما هي أمانة الرسول كسيرته الحسنة ، ومنها ما هي أمانة الناس بعضهم عند بعض كالأمانات من أموالهم وأسرارهم ، ومنها ما يشترك فيه الله ورسوله والمؤمنون ، وهي الأمور التي أمر بها الله سبحانه وأجراها الرسول وينتفع بها الناس ويقوم بها صلب مجتمعهم كالأسرار السياسية والمقاصد الحربية التي تضيع بإفشائها آمال الدين ، وتضل بإذاعتها مساعي الحكومة الإسلامية ، فيبطل به حق الله ورسوله ، ويعود ضرره إلى عامة المؤمنين .

فهذا النوع من الأمانة خيانته خيانة لله ورسوله وللمؤمنين ، فالخائن بهذه الخيانة من المؤمنين يخون الله والرسول وهو يعلم ان هذه الأمانة التي يخونها أمانة لنفسه ولسائر إخوانه المؤمنين ، وهو يخون أمانة نفسه ، ولن يقدم عاقل على الخيانة لأمانة نفسه ، فان الإنسان بعقله الموهوب له يدرك قبح الخيانة للأمانة فكيف يخون أمانة نفسه ؟

بقي ان نشير إلى ما ذكرناه في غاية المتفقهين من انه لا يجوز الغدر بالأعداء حيث ورد في الحديث عن النبي (ص) ، انه كان يأمر أصحابه بقوله : (لاتغلوا ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ، ولا صبياً ، ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجرة إلا ان تضطروا إليها) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (لا ينبغي للمسلمين ان يغدروا ولا يأمروا بالغدر) ..

والغدر - كما يفسرونه - ترك الوفاء ونقض العهد .

نعم لا مانع من الخدعة في خصوص الحرب ، لأن الحرب مبتنية غالباً على المراوغة وإظهار خلاف الواقع ..

وقد ورد عن النبي (ص) انه قال : (الحرب خدعة) ..

والخداع والمكر في الحرب غير الغدر كما لايخفى ..

وفي مهذب السبزواري (٥٣/١٥) ان الخديعة في المقام عبارة عن الإحتيال والمكر وإظهار خلاف الواقع .

وقد قال الله تعالى :

(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ) الأنفال- ٣٠

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) النساء- ١٤٢

فهذا أمر آخر غير المكر والخديعة المنهي عنهما ، وإنما يكون مكر الله عزوجل بالمد في الطغيان ، وعدم الهداية ، وسلب النعم ، ونحو ذلك مما هو مفصل في محله (أنظر كتابنا الله أكبر من الشيطان) ..

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (إذا رأيتم العبد متفقداً لذنوب الناس ، ناسياً لذنوبه ، فإعلموا أنه قد مُكر به) .

عدم الغُــش

كـــذلك الغش حرام فعـلُهُ

وإنــه وزرٌ عظيـــم حـمـلُهُ

يقول الله تعالى :

(وَمِـنَ النَّـاسِ مَـن يَقُـولُ آمَنَّـا بِاللّـه وَبِـالْيَوْمِ الآخِـرِ وَمَـا هُـم بِمُـؤْمِنِينَ ، يُخَـادِعُونَ اللّـهَ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَمَـا يَخْـدَعُونَ إِلاَّ أَنفُـسَهُم وَمَـا يَـشْعُرُونَ) البقرة(٨- ٩) .

(وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) هود- ٨٤

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ليس منا من غش مسلماً) .

وفي رواية أخرى عنه (ص) : (ليس من المسلمين من غشهم).

وعن أمير المؤمنين (ع) : (المؤمن لايغش أخاه) .

وعن الصادق (ع) : (ليس منا من غشنا) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) :(ان من حق المؤمن على المؤمن (أن لايغشه) .

وعن الكاظم (ع) : (الغش لا يحـل) .

وفي الـدعاء عـن الإمـام الـسجاد (ع) : (نعـوذ بـك ان ننطـوي علـى غـش أحد).

وعن أمير المؤمنين (ع) : (أفظع الغش غش الأئمة) .

ثـم ان ظـاهر الروايـات ان الغـش يقابـل النـصيحة ، وان النـصيحة خـلاف الغش .

ففـي الحـديث عـن الـنبي (ص) : (لاتجلـسوا إلا عنـد عـالم يـدعوكم مـن خمس إلى خمس) وذكر منها : (ومن الغش إلى النصيحة) ..

وعن الإمام علي (ع) في وصف القرآن : (هو الناصح الذي لايغش) .
وعنه (ع) أيضاً : (ولا يغش العقل من إستنصحه) .
وكذلك ورد عنه (ع) في إحدى خطبه الشريفة : (فأعينوني بمُناصحةٍ خلية من الغش ، سليمة من الريب) .

كما ان الغش له معنى عام يشمل التدليس والخداع والخيانة والكذب ، ونحو ذلك .

ثم ان الغش كالخيانة ، يمكن ان يصدر من العبد تجاه ربه عزوجل ، من قبيل قربان قابيل كما في القصة المعروفة ، فلم يتقبله الله تعالى منه .
ويمكن ان يصدر الغش من العبد تجاه نفسه ، حيث ورد في الحديث عن الإمام علي (ع) : (انصح الناس لنفسه أطوعهم لربه ، وان أغشهم لنفسه أعصاهم لربه) .
واما الغش الذي يصدر من العبد تجاه الآخرين ، فهذا أوضح المصاديق وأظهرها .

عدم النفـاق

وأسـوء النــاس هو المنــافقُ

وليس منه تــؤمن البـــوائقُ

يقول الله تعالى :

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) النساء- ١٤٥

(بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) النساء- ١٣٨

(وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) المنافقون- ١

(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) النساء- ١٤٢

وقد وصف الله تعالى المنافقين بعدة أوصاف ، منها :

(مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء) النساء- ١٤٣

(وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ) النساء- ١٤٢

(الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ، وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ ، وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ) النساء- ١٤١

(وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) البقرة- ١٤

ثم انه يوجد في الكافي للكليني باب خاص في صفة النفاق والمنافقين ..

وفي الميزان مباحث عديدة في النفاق والمنافقين أيضاً (أنظر دليل الميزان) .

وفي الميزان عن النبي (ص) : (آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أتُمن خان) .

وفي الحديث ان علامة المنافق أربعة : (فاجر دخله ، يخالف لسانه قلبه ، وقوله فعله ، وسره علانيته) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (لا تكونوا بمنزلة المنافق الذي يصف ما لا يفعل) .
وعن السجاد (ع) ان المنافق ينهى ولا ينتهي ، ويأمر بما لا يأتي ، وإذا قام إلى الصلاة اعترض (أي إلتفت) ، وإذا ركع ربض ، يمسي وهمّه العشاء وهو مفطر ، ويصبح وهمّه النوم ولم يسهر ، ان حدّثك كذبك ، وان ائتمنته خانك ، وان غبت إغتابك ، وان وعدك أخلفك) .
وعن الصادق (ع) : (إن المنافق لا يرغب فيما قد سعد به المؤمنون).

ويتحصل مما سبق ، ان المنافق هو الذي يتعمد ان يُظهر خلاف ما يُبطن ، وهذا له عدة مصاديق ..
منها : عدم مطابقة الأفعال للأقوال ، فانه من مصاديق النفاق ، كما فصلناه في فصل خاص .
ومنها : المبالغة في تزيين الظاهر ، حيث ورد في الحديث عن النبي (ص) : (ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق) .
وفي ميزان الحكمة عنه (ص) : (تعوذوا بالله من خشوع النفاق ، خشوع البدن ونفاق القلب) .
ومنها : إظهار الإيمان ، وإبطان الكفر .
ومنها : إظهار المودة ، وإبطان الحقد والكراهية .
ومنها : ذو اللسانين وذو الوجهين .
حيث ورد في الحديث عن النبي (ص):(من مدح أخاه المؤمن في وجهه ، واغتابه من ورائه ، فقد انقطع مابينهما من العصمة) .

وعن الباقر (ع) : (بئس العبد عبد يكون ذا وجهين ولسانين ، يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً) .
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (من لقي المسلمين بوجهين ولسانين ، جاء يوم القيامة وله لسانان من نار) .

نعم قد يضطر الإنسان أحياناً - من باب التقية - إلى ان يُظهر لمن يتقيه خلاف ما يبطنه ، وهذا ليس من النفاق كما لايخفى ، مادامت التقية متحققة بشروطها المذكورة في كتب الفقه .. وقد تحدثنا عنها إجمالاً في (فصل الشجاعة) ..

عدم السبـاب أو الشتيمـة

ونــزّه النفس عن السُبـــابِ
ولايجــوز النبـزُ بالألقـــاب

يقول الله تعالى :
(وَلا تَنَابَزُوا بِالألْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ) الحجرات- ١١
وكذلك قال عز وجل :
(وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ) الأنعام- ١٠٨
وفي الحديث عن النبي (ص) : (سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية ، وحرمة ماله كحرمة دمه) .
وفي حديث آخر عنه (ص) : (لاتسبوا الناس فتكسبوا العداوة لهم) .
وفي تهذيب الأحكام ان النبي (ص) سمع امرأة تساب جارية لها وهي صائمة ، فدعا رسول الله (ص) لها بطعام ، فقال لها : كلي ، فقالت : إني صائمة ، فقال : كيف تكونين صائمة ، وقد سببتِ جاريتك ، ان الصوم ليس من الطعام والشراب) ..
و مقصوده (ص) انه يفترض بالصائم الحقيقي ان يجتنب المحرمات أيضاً ، ولا يقتصر على اجتناب الطعام والشراب .
وفي نهج البلاغة ان أمير المؤمنين (ع) قال لأصحابه يوم صفين :(إني أكره لكم ان تكونوا سبابين) ، وقد مرت الرواية في فصل (عدم الحقد) .
وعنه (ع) في وصف المؤمن : (لا وثّاب ، ولا سبّاب ، ولا عيّاب ، ولا مغتاب) .

وعن الكاظم (ع) في رجلين يتسابّان قال : (البادي منهما أظلم ، ووزره ووزر صاحبه عليه ، مالم يعتذر إلى المظلوم) .

وعن الصادق (ع) : (ان اللعنة اذا خرجت من صاحبها ، ترددت بينه وبين الذي يلعن ، فان وجدت مساغاً ، وإلا رجعت إلى صاحبها ، وكان أحق بها ، فاحذروا ان تلعنوا مؤمناً فيحل بكم) .

وكذلك ورد عنه (ع) : (اذا وقع بين رجلين منازعة ، نزل ملكان ، فيقولان للسفيه منهما : قلتَ وقلتَ ، وأنت أهل لما قلت ، ستجزى بما قلت . ويقولان للحليم منهما : صبرت وحلمت ، سيغفر الله لك ، ان أتممت ذلك ، فان ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان) .

وقد تقدم الحديث عن عدم الخرق وعدم السفه ، وعدم الفحش والبذاء ، وعدم القذف ، وعدم الإهانة ، وعدم الحقد ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام ، كما تقدم الحديث عن طيب اللسان وحفظه من كل سوء .

ثم انه ورد في الوسائل (باب ١٦ من أبواب صلاة الآيات) عدم جواز سب الرياح ، ولا الجبال ، ولا الساعات ، ولا الأيام ، ولا الليالي..

وفي رواية انه : (لاتسبوا الدنيا ، فنعم المطية الدنيا للمؤمن ، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر . انه اذا قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه) .

وقد تقدم الحديث عن هذا الموضوع في فصل (عدم التعلق بالدنيا) .

عدم النميمة

ولاتكن كصاحب النميمة
يُفسد كل أُلفةٍ حميمة

يقول الله تعالى :
(وَلا تُطعْ كُلَّ حَلاف مَّهِينٍ ، هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ) القلم(١٠-١١) .
وفي الحديث عن النبي (ص) ان شرار الناس : (المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبراء المعائب) .
وفي رواية أخرى انه عن أمير المؤمنين (ع) .
ومن وصية النبي (ص) لأبي ذر : (لا يدخل الجنة قتات ، فقال له : يارسول الله ما القتات ؟ ، قال (ص) : النمام ، يا أبا ذر صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله في الآخرة) ثم قال (ص) : (المجالس بالأمانة وإفشاؤك سر أخيك خيانة ، فاجتنب ذلك) .
وورد عنه (ص) أيضاً : (من مشى في نميمة بين إثنين ، سلط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة) .
وعن الباقر (ع) : (الجنة محرّمة على القتاتين المشائين بالنميمة) .
وعن الصادق (ع) : (من نمّ أخاه بلاه الله بضرٍّ يعتريه) ، و (إياكم وعشرة النمام فانه يقول الزور ، ويحمل الإفك ، ويفرق الشمل ، فهو طول عمره بغير رشد) .
وفي مجمع البحرين ذكر في مادة (قتت) : في الحديث الجنة محرمة على القتات والمراد به النمام المزور ، من قتّ الحديث نمّه وأشاعه بين الناس ، ومنه يقت الأحاديث أي ينمها ، وفيه : من بلّغ بعض الناس ما سمع من بعض آخر منهم فهو القتات ، فلا ينبغي سماع بلاغات الناس بعضهم على

بعض ، ولا تبليغ ذلك ، وقيل النمام هو الذي يكون مع القوم يتحدثون فينمّ عليهم ، والقتات هو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون فينمّ حديثهم .

وفي جامع السعادات ذكر انه لا ريب في ان النميمة أرذل الأفعال القبيحة وأشنعها ، وذكر قول الله تعالى : (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) أي النمام المغتاب.

وقال الصادق (ع) : (من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس ، أخرجه الله تعالى من ولايته إلى ولاية الشيطان ، ولا يقبله الشيطان) .

وروي : (أنه أصاب بني إسرائيل قحط ، فاستسقى موسى مرات ، فما أجيب ، فأوحى الله تعالى إليه : إني لا استجيب لك ولمن معك ، وفيكم نمام قد أصر على النميمة ، فقال موسى : يارب ، من هو حتى نخرجه من بيننا ؟ فقال : يا موسى ، أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً ؟! ، فتابوا بأجمعهم ، فسُقوا) .

وروي : (أن ثلث عذاب القبر من النميمة) .

ومن عرف حقيقة النميمة ، يعلم أن النمام شر الناس وأخبثهم ، كيف وهو لا ينفك من الكذب ، والغيبة ، والغدر ، والخيانة ، والغل ، والحسد والنفاق ، والإفساد بين الناس ، والخديعة ، وقد قال الله سبحانه : (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ) .

والنمام يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسد في الأرض .

وقال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) ، والنمام منهم .

وقال رسول الله (ص) : (لا يدخل الجنة قاطع) أي قاطع بين الناس ، والنمام قاطع بينهم ، وقال (ص) : (شر الناس من اتقاه الناس لشره) ، والنمام منهم ، والنمام أعظم شراً من كل أحد .

كذلك ذكر في جامع السعادات انه يلزم على من تُحمل إليه النميمة أن لا يصدق النمام ، لأنه فاسق ، والفاسق مردود الشهادة بقوله تعالى : (إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) .

وان ينهاه عن ذلك ، وينصحه ويقبح له فعله ، لقوله تعالى : (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ) .

وان يبغضه في الله ، لكونه مبغوضاً عنده تعالى ، وأن لا يظن بأخيه سوء بمجرد قوله ، لقوله تعالى : (اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ) .

وأن لا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام ، فلا يحكي نميمته ، فيقول : فلان قد حكى كذا وكذا ، فيكون به نماماً ومغتاباً ، وروى محمد بن فضيل عن الكاظم (ع) : (أنه قال له (ع) : جعلت فداك ! الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه ، فاسأله عنه فينكر ذلك ، وقد أخبرني عنه قوم ثقات ، فقال لي : يا محمد ، كذّب سمعك وبصرك عن أخيك ، فان شهد عندك خمسون قسامة ، فقال لك قولاً ، فصدّقه وكذّبهم ، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به وتهدم مروته ، فتكون من الذين قال الله : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) : (أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل ، فقال : يا هذا ، نحن نسأل عمن قلت ، فان كنت صادقاً مقتناك ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت أن نقيلك أقلناك ، قال : أقلني يا أمير المؤمنين) .

ونقل : (أن رجلاً زار بعض الحكماء واخبره بخبر عن غيره ، فقال : قد أبطأت عني الزيارة ، وبغّضت إلي أخي ، وشغلت قلبي الفارغ ، وإتهمت نفسك الأمينة) . انتهى ما في جامع السعادات .

وفي ورثة الفردوس انه قيل لعلي بن الحسين (ع) : ان فلاناً يقول فيك ويقول ، فقال له : والله ما حفظت حق أخيك إذ خنته وقد استأمنك ، ولا حفظت حرمتنا إذ أسمعتنا ما لم يكن حجة بسماعه ، أما علمت ان نقلة النميمة هم كلاب النار ، قل لأخيك ان الموت يعمنا ، والقبر يضمنا ، والقيامة موعدنا ، والله يحكم بيننا) .
وفيه أيضاً عن سفينة البحار عن الصادق (ع) : (ان من أكبر السحر النميمة ، يفرق بها بين المتحابين ، ويجلب العداوة بين المتصافيين ، ويسفك بها الدماء ، ويهدم بها الدور ، ويكشف بها المستور ، والنمام شر من وطئ الأرض بقدم) .

بقي ان نشير إلى معنى (السعاية) وهي النميمة إلى السلطان ونحوه ، ممن تخاف سطوته ، وتسمى أيضاً (الوشاية) ..
وفي مجمع البحرين سعى به إلى الوالي وشى به ، ووشى به إلى السلطان نمّ وسعى ، فهو واشي .
وفي ورثة الفردوس عن النبي (ص) : (شر الناس المثلث ، فقيل له : وما المثلث ؟ فقال (ص) : الذي يسعى بأخيه إلى السلطان ، فيهلك نفسه ، ويهلك أخاه ، ويهلك السلطان) .

عــدم الغيبــة

وغيبــة الناس هــي المصيبــة

وهل يكبّ الناس الا الغيبـــة

يقول الله تعالى :

(وَلا يَغْتَـب بَّـعْـضُكُم بَعْـضاً ، أَيُحِـبُّ أَحَـدُكُمْ أَن يَأْكُـلَ لَحْـمَ أَخِيـهِ مَيْتـاً فَكَرِهْتُمُوهُ) الحجرات- ١٢

وفي الحديث عن أبي ذر عن النبي (ص) : (إياك والغيبــة) ، و (الغيبـــة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها) .

وعندما سأله أبو ذر عن معنى الغيبة ، أجاب (ص) : (ذكر أخاك بما يكـــره) ، فقال له : يارسول الله فان كان فيه الذي يُذكر به ، فقال (ص) : (اعلم انك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته ، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه) .

وعنـه (ص) : (وهـل يكـب النـاس في النـار يـوم القيامـة ، إلا حـصائد ألسنتهم).

وقد مر الحديث عن أهمية حفظ اللسان عن كل ما لا ينبغي .

وعن النبي (ص) ان الجنة تحرم (على المغتاب) ، وان (الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه) .

وفي حديث المناهي ان رسول الله (ص) نهى عن الغيبة والاستماع إليها .

وفي ورثة الفردوس ومنهاج الفقاهـــة عن النبي (ص) : (ان الغيبة حرام على كل مسلم ، وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (اجتنب الغيبة فانها إدام كلاب النار) .

وعن الصادق (ع) : (الغيبة ان تقول في أخيك ما قد ستره الله عليه) .
وفي رواية أخرى عنه (ع) : (ان من الغيبة ان تقول في أخيك ما ستره الله عليه ، وان من البهتان ان تقول في أخيك ما ليس فيه) .
وعنه (ع) : (المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يغتابه ، ولا يغشه).
وورد عنه (ع) أيضاً : (من قال في مؤمن ما رأته عيناه ، وسمعت أذناه فهو من الذين قال الله عزوجل : (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .
وفي الحديث عنه (ع) أيضاً : (الغيبة حرام على كل مسلم ، وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اليابس) ، و (من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس ، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان) .
وقد مر في الفصل السابق (عدم النميمة) ما يرتبط بالمقام .
وفي الوسائل عدة أبواب في حرمة الغيبة ، وكفارتها ، ووجوب ردها ، (أنظر باب ١٥٢ و١٥٥ و١٥٦ من أحكام العشرة) .
فاما كفارة الاغتياب فقد ورد عن النبي (ص) انها ان : (تستغفر الله لمن اغتبته كلما ذكرته) .
وقد مر علينا قوله (ص) لأبي ذر ان الغيبة : (لا تغفر حتى يغفرها صاحبها) .
فالمفروض بالمغتاب اذا تاب ، ان يرضي من اغتابه اذا قدر على الوصول إليه ، وإلا استغفر له ، واستغفر لنفسه .

وأما وجوب رد الغيبة عن المؤمن ..
ففي الحديث عن النبي (ص) : (من اغتيب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصره فلم ينصره خذله الله في الدنيا والآخرة) .
وفي حديث أخر عنه (ص) : (من ردّ عن أخيه غيبة سمعها في مجلس ، رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة ، فان لم يرد عنه وأعجبه ، كان عليه كوزر من اغتاب) .
وعن الباقر (ع) : (من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه ، نصره الله وأعانه في الدنيا والآخرة ، ومن لم ينصره ولم يُعنه ولم يدفع عنه ، وهو يقدر على نصرته وعونه ، إلا خفضه الله في الدنيا والآخرة) .
وفي ورثة الفردوس عن النبي (ص) :(نزهوا أسماعكم عن استماع الغيبة فان القائل والمستمع شريكان في الإثم ، وقال (ص) : والمستمع أحد المغتابين ، فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه ، فان خاف فبقلبه) .
وفي الوسائل (باب ١٥٧ من أحكام العشرة) تحريم إذاعة سر المؤمن ، وكشف عيوبه ، وقد مر الحديث عن هذا الموضوع ضمن عدة فصول سابقة .

وفي غاية المتفقهين ذكرنا ان الغيبة من الكبائر ، وهي : أن يذكر المؤمن بعيبٍ في غيبته ، وورد في بعض الأحاديث أن الغيبة هي أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه.. سواء أكان بقصد الانتقاص، أم لم يكن، وسواء أكان العيب في بدنه ، أم في نسبه ، أم في خلقه، أم في فعله، أم في قوله ، أم في دينه ، أم في دنياه ، أم في غير ذلك ، مما يكون عيباً مستوراً عن

الناس ، كما لا فرق في الذكر بين أن يكون بالقول ، أو بالفعل الحاكي عن وجود العيب .. وسيأتي حكم ما لو ذكره بأمر ظاهر فيه .

والظاهر اختصاصها (الغيبة) بصورة وجود سامع يقصد إفهامه وإعلامه .

كما أن الظاهر أنه لابد من تعيين المغتاب ، فلو قال: (واحدٌ من أهل البلد جبانٌ) لا يكون غيبةً ، وكذا لو قال: (أحد أولاد زيد جبان) ، نعم قد يحرم ذلك من جهة لزوم الإهانة والانتقاص عندئذ ، لا من جهة الغيبة .

ولو قال أهل البلد الفلاني جبناء ، أو أهل المدينة الفلانية بخلاء ، فهو من الغيبة العامة .

ويجب عند وقوع الغيبة ، التوبة والندم ..

والأحوط - عند الفقهاء - الاستحلال من الشخص المغتاب ، إذا لم تترتب على ذلك مفسدة ، أو الاستغفار له أو دفع الصدقة عنه ، بل هذا الاحتياط مؤكد عند البعض قدر الإمكان .. وقد مرت بعض النصوص التي يستفاد منها ذلك .

وقد يظهر من الروايات عن النبي (ص) والأئمة (ع) : أنه يجب على سامع الغيبة أن ينصر المغتاب ، ويرد عنه ، وأنه إذا لم يرد خذله الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وأنه كان عليه كوزر من اغتاب ، ولكن هذا طبعاً إذا كان يستطيع نصره ولم ينصره ، كما في الرواية.. (أنظر مباحث الغيبة في الجواهر ج٢٢ ، والمهذب ج١٦) .

وقد تجوز الغيبة في موارد ..
منها: المتجاهر بالفسق ، فيجوز اغتيابه في غير العيب المستتر به ..
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (اذا جاهر الفاسق بفسقه ، فلا حرمة له ولا غيبة) .
ومنها: الظالم لغيره ، فيجوز للمظلوم غيبته ، والأحوط (استحباباً عند المشهور ووجوباً عند البعض) الاقتصار على ما لو كانت الغيبة بقصد طلب الانتصار ، أو للدفاع عن النفس أو نحو ذلك ، مما يدخل في قوله تعالى (لا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُوءِ مَن القَولِ ، إلا مَنْ ظُلِمَ) .
ومنها: نصح المؤمن ، فتجوز الغيبة بقصد النصح ، وقد مثلوا له بما لو إستشار شخص في تزويج إمرأة ، فيجوز نصحه ، ولو إستلزم إظهار عيبها إذا كان محرزاً ، بل قالوا أنه لا يبعد جواز ذلك إبتداء بدون إستشارة ، إذا علم بترتب مفسدة عظيمة على ترك النصيحة .
ومنها: ما لو قصد بالغيبة ردع المغتاب عن المنكر ، فيما إذا لم يمكن الردع بغيرها .
ومنها: ما لو خيف على الدين من الشخص المغتاب ، فتجوز غيبته، لئلا يترتب الضرر الديني.
ومنها: جرح الشهود .
ومنها: ما لو خيف على المغتاب ، الوقوع في الضرر اللازم حفظه عن الوقوع فيه ، فتجوز غيبته لدفع ذلك عنه.
ومنها: القدح في المقالات الباطلة ، وإن أدّى ذلك إلى نقص في قائلها ، وقد صدر من جماعة كثيرة من العلماء القدح في القائل بقلة التدبر، والتأمل، وسوء الفهم ونحو ذلك ، وكان صدور ذلك منهم لئلا يحصل

التهاون في تحقيق الحقائق ، ولكن الأفضل (كما يقول البعض) إجتناب ذلك والتنزه عنه ..
عصمنا الله تعالى من الزلل ، ووفّقنا للعلم والعمل ، إنه حسبنا ونعم الوكيل.

وفي الوسائل (باب ١٥٤ من أحكام العشرة) عن الصادق (ع) : (الغيبة ان تقول في أخيك ما ستره الله عليه ، واما الأمر الظاهر مثل الحِدّة والعجلة فلا) .
وروي عن الكاظم (ع) : (من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه ، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته) .
وان كان الأولى - بطبيعة الحال - حفظ اللسان ، إلا من كلام فيه طاعة وصلاح .

عــدم البهتــان
وعــدم الافتراء

كــذلك البهتـــان والإفتـــراء

كلاهـما ظلـم ، ووزرٌ ، وداء

يقول الله تعالى :

(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) الأحزاب- ٥٨

(وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى) طه- ٦١

والبهتان - كما في الروايات - ان تقول في أخيك ما ليس فيه ، وفي الحديث عن الصادق (ع) : (الغيبة ان تقول في أخيك ما قد ستره الله عليه ، فاما اذا قلت ما ليس فيه ، فذلك قول الله عزوجل : (فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً) ..

وقد تقدم ما يرتبط بالمقام في الفصل السابق .

وعن النبي (ص) : (من بهت مؤمناً أو مؤمنة ، أو قال فيه ما ليس فيه ، أقامه الله يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه) .

واما الافتراء فهو التقوّل على الغير بما لم يصدر منهم ، وقد قال الله تعالى:

(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَد عَنْهُ حَاجِزِينَ) الحاقة (٤٤-٤٧)

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً ، أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ ، وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) الأنعام- ٩٣

(وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ ، لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ) النحل- ١١٦

وفي نهج البلاغة لأمير المؤمنين (ع) : (هلك من إدعى ، وخاب من افترى).

وفي مجمع البحرين ان الافتراء هو العظيم من الكذب ..

وقد مر الحديث عن (الكذب) .

ثم ان الافتراء أو الفرية لهما مصاديق متعددة من حيث الشكل والمضمون ، كما ان لهما مستويات ومراتب ، تختلف بحسب اختلاف الجهة المفترى عليها ، وبحسب اختلاف نوع الفرية ..

وقد مر الحديث عن (القذف) في فصل سابق .

عدم الشماتة

وإن من يَشمت في أخيهِ
يرحمهُ الله ويبتليهِ

يقول الله تعالى :

(إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ، وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً) آل عمران- ١٢٠

(إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ، قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا ، هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) التوبة(٥٠-٥١) .

وحكى تعالى على لسان هارون قائلاً لأخيه موسى (ع) :

(فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء) الأعراف- ١٥٠

والشماتة هي الفرح والسرور بمكاره الآخرين ومصائبهم .

وفي أمالي الصدوق عن النبي (ص): (لا تُظهر الشماتة بأخيك ، فيرحمه الله ويبتليك) .

وعن الصادق (ع) : (لا تُبدي الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ويصيرها (ويُحلها) بك) ، وعنه (ع) أيضاً :(من شمت بمصيبة نزلت بأخيه ، لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن) .

وقد قيل في الشعر :

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وفي المستدرك عن أمير المؤمنين (ع) ان من علامات الحاسد انه : (يشمت بالمصيبة) ، بينما ورد في نهج البلاغة عنه (ع) في وصف المتقين ، ان من علامة أحدهم انه : (لا يشمت بالمصائب) .

عدم تتّبع عثرات الآخرين
وعـدم إظهـارها

ومن يتابع عثَـرات الناسِ
فإنـه يُسقى بنفس الكـاسِ

يقول الله تعالى :
(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) النور- ١٩

وفي الحديث عن النبي (ص) : (لا تذموا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته ، يفضحه ولو في بيته) .

وفي رواية أخرى عنه (ص) : (لا تتبعوا عثرات المسلمين) ..

وسيأتي في الفصل القادم ما يرتبط بالمقام .

وفي (الوسائل باب ١٥٠ من أحكام العشرة) تحريم إحصاء عثرات المؤمن وعوراته لأجل تعييره بها .

فعن الصادق (ع) : (أبعد ما يكون العبد من الله ان يكون الرجل يواخي الرجل وهو يحفظ زلاته فيعيره بها يوماً ما) .

وعن الصادق (ع) أيضاً : (أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان ان يواخي الرجل على دينه ، فيحصي عليه عثراته ، وزلاته ليعّيره بها يوماً ما) .

وقد مر الكلام عن أهمية حفظ السر ، وان المجالس بالأمانات ، وان من الخيانة إفشاء أسرار الآخرين .

وفي الوسائل أيضاً (باب ١٥٧ من أحكام العشرة) تحريم إذاعة سر المؤمن، وان يروي عليه ما يعيبه ، وعدم جواز تصديق ذلك ما أمكن ، وقد مر الحديث عن الغيبة والنميمة ، ونحو ذلك مما يرتبط بالمقام .

وفي بعض الأحاديث ان مصاديق (عورة المؤمن على المؤمن حرام) إذاعة سره ، وان تروي عليه أو تعيبه) .

وفي الوسائل (باب ١٥١ من أحكام العشرة) تحريم تعيير المؤمن وتأنيبه ، وقد مر الحديث عن عدم جواز إهانة الآخرين ، وعدم جواز احتقارهم .

فعن النبي (ص) : (من أذاع فاحشة كان كمبتديها ، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه) .

وعن الصادق(ع) : (من عيّر مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه) .

ويحسن الإشارة إلى ما ذكره في جامع السعادات عن ستر العيوب ، وهو ضد كشفها ، حيث ورد في الحديث عن النبي (ص) : (من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة) ، و (لا يستر عبد عيب عبد إلا ستره الله يوم القيامة) ، و (لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة) .

ولا يخفى ان الله تعالى هو الستار بل هو خير الساترين ، فالمفروض بالعبد ان يتصف بأخلاقه عزوجل ، حيث ورد في الحديث : (تخلقوا بأخلاق الله).

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ولكن الله ستير يحب الستر) .

الاشتغال(أو الانشغال) بعيوب النفس عن عيوب الآخرين

طوبى لـمن تفكيره في عيبهِ
وفي صلاح النـفس همٌّ قـلبهِ

يقول الله تعالى :
(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) الشمس (٩-١٠) .
(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ) البقرة- ٤٤

وفي الحديث عن النبي (ص) : (طوبى لمن شغله خوف الله عزوجل عن خوف الناس ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب المؤمنين) .

وعنه (ص) أيضاً : (ان أسرع الخير ثواباً البر ، وان أسرع الشر عقاباً البغي ، وكفى بالمرء عيباً ان يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه ، وان يعير الناس بما لا يستطيع تركه ، وان يؤذي جليسه بما لا يعنيه) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (يا عبد الله لا تعجل في عيب عبد بذنبه ، فلعله مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك تعذب عليه ، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلى به غيره) .

وعن الباقر (ع) : (كفى بالمرء عيباً ان يتعرف من عيوب الناس ما يعمى عليه من أمر نفسه ، أو يعيب على الناس أمراً هو فيه ، لا يستطيع التحول عنه إلى غيره) .

وعن الصادق (ع) : (ان الخضر (ع) أوصى موسى (ع) : (اذكر خطيئتك ، وإياك وخطايا الناس) .

وعنه (ع) أيضاً : (اذا رأيتم العبد متفقداً لذنوب الناس ناسياً لذنوبه ، فاعلموا انه قد مُكر به) .

وفي الحديث عنه (ع) أيضاً : (لا تفتش الناس فتبقى بلا صديق) .

وعن الهادي (ع) : (من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه) .

وقد مر في الفصل السابق ما يرتبط بالمقام ، كما مر الحديث عن مجاهدة النفس وإصلاحها ، واستصغارها لأجل تأديبها ، والاعتراف بالأخطاء والذنوب والقصور والتقصير .

وقد أشرنا هناك إلى ان المفروض بالعبد ان يلاحظ عيوبه مع خالقه عزوجل ، ومع نفسه ، ومع الآخرين ، وان يكون نعم الرقيب والحسيب على نفسه وعلى تصرفاته ، بصدق وأمانة .

حسن الخُـلـق

وأحسنِ الخُـلق فان الخلوق

لـه جنـان الخلـد دومـاً تـتـوق

يقول الله تعالى مادحاً نبيه المصطفى محمد (ص) :

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم- ٤

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي (ص) ، في حسن الخلق وثوابه وآثاره ، منها قوله (ص) : (عليكم بحسن الخلق ، فان حسن الخلق في الجنة لا محالة) .

وقوله (ص) : (أكمل المؤمنين أيماناً أحسنهم خلقاً) ..

وقوله (ص) : (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم بأخلاقكم) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً) .

وكذلك ورد:(ان الخلق الحسن يميث الخطيئة ، كما تميث الشمس الجليد) .

وقد مر ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (الرفق) و(عدم إساءة الخلق) ، وسيأتي أيضاً في الفصول اللاحقة .

وسيأتي في (مداراة الناس) ان الله تعالى يعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله .

وفي طريقك نحو الجنة ذكرنا قول النبي (ص) : (أكثر ما يلج به أمتي الجنة ، تقوى الله وحسن الخلق) ، وهو يظهر الترابط الوثيق والملازمة الوجودية بين حسن الخلق من جهة وبين التقوى من جهة أخرى .

كما يمكن القول ان التقوى سبب يؤدي لتحسين الخلق ، وان حسن الخلق كاشف عن وجود التقوى .

وورد عنه (ص) أيضاً : (ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق) .
وكذلك ورد عن الصادق(ع): (ما يقدم المؤمن على الله عزوجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من ان يسع الناس بخُلقهِ).
ولا يخفى أن المقصود بحسن الأخلاق هاهنا هو حسن التعامل مع الآخرين، حيث قيل للإمام الصادق(ع): ما حد حسن الخلق؟ فقال (ع): تلين جناحك ، وتطيب كلامك ، وتلقى أخاك ببشرٍ حسن).
واما حسن الخلق بالمعنى الخاص ، وهو تهذيب النفس وتعديل الصفات العامة للفرد ، فهو أعمق بطبيعة الحال ، لكنه يتضمن المعنى الوارد في الروايات السابقة ، لان من كانت نفسه خالصة وصفاته عادلة ، فالمفروض بكل تأكيد ان يكون حَسِن التعامل مع الناس ، والاّ فليلاحظ الخلل الذي فيه ، وليحاول إصلاحه .

وستأتي مصاديق كثيرة لحسن الخلق ، من قبيل مداراة الناس ، وإدخال السرور على المؤمنين ، وبذل النصيحة ، والإيثار ، والتسامح ، ولين الجانب ، ونحو ذلك .

مداراة الناس

ودارِ خلق الله بالـمعـروفِ

فـإنه فـــرض على الـمــألوفِ

يقول الله تعالى :

(وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران- ١٥٩

(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) آل عمران- ١٣٤

(وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) القصص- ٧٧

وفي الحديث عن النبي (ص) : (رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس ، واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (فاخفض لهم جناحك ، وابسط لهم وجهك ، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم) .

وعن الصادق (ع) جاء جبرائيل إلى النبي (ص) فقال : يا محمد ربك يقرئك السلام ، ويقول لك : دارِ خلقي) .

وكذلك ورد عنه (ع) ان النبي (ص) قال : (مداراة الناس نصف الإيمان).

وعن الباقر (ع) : (الخلق عيال الله ، فأحبهم إليه أحسنهم صنيعاً إلى عياله).

وعن الصادق (ع) : (ما يقدم المؤمن على الله عزوجل بشيء بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من ان يسع الناس بخلقه) .

وقد مر في الفصل السابق ما يرتبط بالمقام .

وفي طريقك نحو الجنة ذكرنا ان مداراة الناس من أعظم الأسباب المؤدية إلى تحصيل الجنة ، حيث ورد في الحديث عن النبي(ص) : (ثلاث من لم يكنّ فيه لم يتم له عمل : ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس ، وحلم يرد به جهل الجاهل) .

وورد عنه (ص) أيضاً: (امرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض) .

فهذا الأمر اذاً مطلوب وواجب على أية حال ، فالمفروض ان نلتزم بذلك اذا كنا نريد الجنة فعلاً .

وفي الحقيقة فان مداراة الناس ، كاشفة عن مجموعة كبيرة من الصفات الحسنة ، لأنها تتطلب تواضعاً وحباً وصدقاً ومخالفة لهوى النفس ونحو ذلك مما يطول بيانه .

كما ان مداراة الناس يمكن ان تتحقق بعدة صور أو أشكال أشرنا إلى بعضها من قبيل الحلم والرفق ونحوهما ، وستأتي الإشارة إلى بعضها من قبيل حسن البشر ومقابلة الإساءة بالإحسان ونحو ذلك .

وجميع مصاديق المداراة هي بالتأكيد من (الصالحات) ، التي ينبغي ان لا نفرط فيها اذا كنا من المؤمنين (الواعين) ، لأن الله تعالى يقول في كتابه :

(وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ) القصص- ٨٠

كما ذكرنا هناك ان المداراة بمصاديقها المتعددة ممكنة جداً ، وداخلة في حدود القدرة البشرية ، وقد طبقها الكثير من الناس على طول الأجيال البشرية ، نعم يحتاج ذلك إلى شيء من القوة والعزم ، لكي نكبح بهما جماح النفس وانفعالاتها التلقائية ، ولنتذكر ما سمعناه من المعصومين(ع)

من ان الجنة حُفّت بالمكاره والصبر ، وانه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها ..
وعندئذ ندرك ان الواجب علينا ان نلتزم بمداراة الناس قدر الإمكان ، متخطين بذلك غرائزنا وانفعالاتنا العشوائية التي تنبعث من نفسٍ ضعيفة غير صافية ، أو من شيطان يريد السوء لنا ، وكلاهما مما ينبغي مجاهدته .. حيث ورد عن الصادق(ع): (ان الله تبارك وتعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح) .

وفي الختام لنستمع إلى وصية الإمام علي (ع) لولده محمد بن الحنفية حيث قال (ع): (وأحسن إلى جميع الناس كما تحب ان يًحسن إليك ، وإرض لهم ما ترضاه لنفسك ، واستقبح لهم ما تستقبحه من غيرك ، وحسِّن مع الناس خلقك حتى اذا غبتَ عنهم حنوا إليك ، واذا مت بكوا عليك ، وقالوا: (إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ) ، ولا تكن من الذين يقال عند موته (الحمد لله رب العالمين). واعلم ان رأس العقل بعد الإيمان بالله عزوجل مداراة الناس ، ولا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف من لابد من معاشرته) .

طلاقة الوجه وحسن البشر

وإنــــما عنـوان أهل الخيرِ

(طلاقة الوجـه وحســـن البِـشرِ)

يقول الله تعالى في وصف أهل الجنة :

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ، ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) عبس (٣٨-٣٩) .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (الق أخاك بوجه منبسط) .

وعنه (ص) أيضاً : (أنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر) .

وفي رواية عن الإمام علي (ع) : (أنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء) .

وعنه (ع) أيضاً في وصف المؤمن : (بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدراً) .

وقد مر علينا قول الإمام الصادق (ع) ان حد حسن الخلق ان (تلين جناحك ، وتطيب كلامك ، وتلقى أخاك ببشر حسن) .

وسيأتي الحديث عن عناوين أخرى مرتبطة بهذا الموضوع .

مع الإلتفات إلى ان طلاقة الوجه ، وحسن البشر ، والبشاشة ، لها آثار وفوائد كثيرة ، بالإضافة إلى أجرها وثوابها ..

ففي تحف العقول عن النبي (ص) : (حسن البشر يذهب بالسخيمة (أي الحقد) .

وعن الإمام علي (ع) : (البشاشة حبّالة المودة) .

وعنه (ع) أيضاً : (اذا لقيتم إخوانكم ، فتصافحوا ، وأظهروا لهم البشاشة والبشر ، تتفرقوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب) .

وعن السجاد (ع) : (البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبة ، وقربة من الله تعالى ..

وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت والبعد من الله) .

مقابلة الإساءة بالإحسان

وأحسَنُ الـدواء للأضـغانِ

دفـع شرور النـــاس بـالإحســانِ

حيث يقول الله تعالى :

(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) المؤمنون- ٩٦

(ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عداوةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) فصلت(٣٤-٣٥) .

وقد مدح الله تعالى أولي الألباب ووصفهم بأنهم :

(وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) الرعد- ٢٢

وفي الحـديث عـن الـنبي (ص) : (ان مـن خـير أخـلاق الـدنيا والآخـرة ، الإحسان إلى من أساء إليك) .

وعن أمير المؤمنين (ع) في وصيته لمحمد بن الحنفية : (لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته ، ولا على الإساءة إليك أقدر منك على الإحسان إليه) ، وفي دعائم الإسلام عنه (ع) أيضاً : (لاتخن من خانك ، وأحسن إلى من أساء إليك) .

وفي الوسائل (باب ١١٣ من جهاد النفس) استحباب العفو عن الظالم وصلة القاطع والإحسان إلى المسيء ، وإعطاء المانع .

وفي قرب الإسناد عن الباقر (ع) (انا أهل بيت نصل من قطعنا ، ونحسن إلى من أساء إلينا ، فنرى والله في الدنيا في ذلك العاقبة الحسنة) .

ثم انه يوجد ما ينفع في المقام عند الحديث عن الحلم والعفو وكظم الغيظ وضبط الغضب .

حسن العشرة

وأجملُ الخصال حُسن العِشرة

تُعطّــر النفــوس مثل الزهــــرة

يقول الله تعالى :

(يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّـا خَلَقْنَـاكُم مِّـن ذَكَـرٍ وَأُنثَـى وَجَعَلْنَـاكُمْ شُـعُوباً وَقَبَائِـلَ لِتَعَـارَفُوا) الحجرات- ١٣

(وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) الروم- ٢١

وفي الحـديث عـن الـنبي (ص) : (ان أقـربكم مـني غـداً وأوجـبكم علـي شفـاعة ، أصدقكم للحديث ، وأدّاكم للأمانة ، وأحسنكم خلقاً ، وأقـربكم من الناس) .

وعـن أمـير المـؤمنين (ع) : (خـالطوا النـاس مخالطـةً ، إن مـتّم معهـا بكـوا عليكم ، وان غبتم حنّوا إليكم) .

وعنه (ع) أيضاً : (ليجتمع في قلبـك الافتقـار إلى النـاس والاستغناء عـنهم ، فيكـون افتقـارك إلـيهم في لـين كلامـك وحـسن سـيرتك ، ويكـون اسـتغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك) .

وفي حديث آخر عنه (ع) : (لا خير فيمن لا يعاشـر بـالمعروف ، مـن لابـد لـه من معاشرته) .

وعن الـصادق (ع) : (انـه لابـد لكـم مـن النـاس ، ان أحـداً لا يـستغني عـن الناس حياته ، والناس لابد لبعضهم من بعض) .

وعـن الـصادق (ع) : (وطـئ نفـسك علـى حـسن الـصحابة لمـن صـحبت ، وحسن خلقـك ، وكـف لـسانك ، واكظـم غيظـك ، وأقِـل لغـوك ، وتغـرس عفوك ، وتسخو نفسك) .

وقد مر ما يرتبط بحسن العشرة عند الحديث عن حسن الخلق ومداراة الناس ، وسيأتي في فصول لاحقة ما ينفع في المقام أيضاً .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) عن النبي (ص) : (خير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) .

وعن الصادق (ع) : (كان رسول الله (ص) يقسّم لحظاته بين أصحابه ، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية ، ولم يبسط رسول الله (ص) رجليه بين أصحابه قط ، وان كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله (ص) يده من يده حتى يكون هو التارك ، فلما فطنوا لذلك كان الرجل اذا صافحه ، قال بيده ، فنزعها من يده) .

وفي الحقيقة فانه يوجد في الوسائل عدة أبواب عن أحكام العشرة في السفر والحضر ، مع بيان مصاديقها إجمالاً (انظر باب ١و٢) أو تفصيلاً (أنظر سائر الأبواب من أحكام العشرة) .

وفي كتاب النكاح من الوسائل (باب ٨١ من المقدمات) عدة أحاديث في انه يجب على المرأة حسن العشرة مع زوجها .

كما ان الله تعالى يقول :

(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) النساء- ١٩

وهذا موضوع مهم سنتحدث عنه في مناسبة قادمة باذن الله تعالى .

حُسن المُعاملة

فعامِـل الناس بلطف وديـــن

وإنـــه فـــرضٌ على المؤمنيـــن

يقول الله تعالى :

(وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) التوبة- ١٠٥

(وَلْيَتَلَطَّفْ) الكهف- ١٩

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) الحجر- ٨٨

وفي مستدرك الوسائل عن الصادق (ع) : (ان صفاء المعاملة من أصل الورع) .

وفي الحقيقة فان المقصود بحسن المعاملة حسن التعامل مع الآخرين ، وهذا عنوان عام يشتمل على مصاديق كثيرة ، مر بعضها ، وسيأتي بعضها ..

فمن حسن المعاملة أداء الأمانة ، وصدق الحديث ، والحلم ، والعفو ، وعدم الحقد ، وعدم الخرق ، وعدم المراء ، ونحو ذلك ..

وقد تحدثنا قبل قليل عن حسن الخلق ومداراة الناس .

وفي الكافي عن الصادق (ع) : (من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، كان ممن حرمت غيبته ، وكملت مروءته ، وظهر عدله ، ووجبت أخوته) .

وروي هذا الحديث أيضاً في عيون أخبار الرضا عن النبي (ص) .

وفي رسالة الحقوق للإمام السجاد (ع) تفاصيل مهمة تنفع في بيان كيفية المعاملة الحسنة المطلوبة في مختلف الموارد والمجالات والأحوال ..

وسنذكر هذه الرسالة الشريفة في ملحق خاص آخر الكتاب .

السهولة واليُسر
وعــدم العُسر

وإنما يؤلف سهــلٌ هيّــنُ
والمؤمـن الحـق لطيـف ليّـــــنُ

يقول الله تعالى :
(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ) آل عمران- ١٥٩

وقد مر الحديث عن اللين والرفق في الهداية والموعظة ..

وقد قال الله تعالى مخاطباً موسى وهارون (ع) :
(فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً ، لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) طه- ٤٤
(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الشعراء- ٢١٥
(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) الحجر- ٨٨

وفي الحديث عن النبي (ص) : (المؤمن هيّن لين سمح ، له خلق حسن) .

وعنه (ص) ان الله تعالى يقول : (ان من أغبط أوليائي عندي ، رجلاً خفيف الحال) .

وكذلك ورد عنه (ص) : (ألا أخبركم عمن تحرم عليه النار غداً) ، ثم قال (ص) : (الهيّن القريب ، اللين السهل) .

وفي كلام لأمير المؤمنين (ع) في وصف المؤمن : (سهل الخليقة ، لين العريكة) .. (لا متكلف ولا متعمق) .. (سهلاً أمره) .. (الناس منه في راحة) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) ان من أوصاف المؤمن (لين الجانب) .

وقد مر علينا في فصل سابق قول الإمام (ع) : (شر الأخوان من تُكلف له) .

وعن الصادق (ع) : (المؤمن حسن المعونة ، خفيف المؤونة) .

وعنه (ع) أيضاً : (من ذي الإيمان الفقه ، ومن ذي الفقه الحلم ، ومن ذي الحلم الرفق ، ومن ذي الرفق اللين ، ومن ذي اللين السهولة) .

وفي الحديث أيضاً : (المؤمنون هينون لينون) .

وفي عيون أخبار الرضا (ع) في وصف سيرة النبي (ص) في جلسائه : (كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ) .

وفي مجمع البحرين ذكر في مادة (لين) : واللين ضد الخشونة ، يقال لان الشيء يلين ليناً ، ولين مخفف منه ، وفلان لين الجانب أي سهل القرب ، ومنه (سلاح العلم لين الكلمة) ، ومنه (من تلن حاشيته يستدم من قومه المحبة) أراد بالحاشية جوارحه ولسانه ..

وفي الحديث : (من لان عوده كثفت أغصانه) ، قال الشارح هو كالمثل يضرب لمن يتواضع للناس فيألفونه ويحبونه ، فيكثر بهم ويتقوى باجتماعهم عليه .

ثم انه قد مر مايرتبط بالمقام عند الحديث عن الرفق وحسن البشر وحسن الخلق ونحو ذلك .

التسامح وإجتناب المعاتبة

ولاتعـــاتب زلّـــة الرفـــاقِ

إن العتـــاب أول الفـــــــراقِ

يقول الله تعالى :

(وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) التغابن- ١٤

وقد حكى الله تعالى على لسان نبيه هارون (ع) عندما عاتبه أخوه موسى (ع) : (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي) طه- ٩٤

وقد مر علينا في الفصل السابق ان المؤمن هين لين سمح ، ومقتضى ذلك انه يتسامح مع الآخرين .

وكذلك مر الحديث عن الحلم ، والصبر عموماً ، وكظم الغيظ ونحو ذلك ، مما يستفاد منه رجحان التسامح واجتناب المعاتبة ..

وسيأتي الحديث عن (العفو) في الفصل القادم .

وفي الحديث عن النبي (ص) ان شر الناس : (من أبغض الناس وأبغضه الله) ، ثم ذكر ان شراً منه : (الذي لايقيل عثرة ، ولا يغفر ذنباً) .

وفي مستدرك الوسائل عن أمير المؤمنين (ع) : (إياك ان تكرر العتب فان ذلك يغري بالذنب ، ويهون العتب) .

وفي ميزان الحكمة عن الإمام علي (ع) : (لا تكثرن العتاب فانه يورث الضغينة ، ويدعو إلى البغضاء) ، و(كثرة العتاب تؤذن بالارتياب) ، و(احتمل أخاك على ما فيه ، ولا تكثر العتاب فانه يورث الضغينة) .

وعن السجاد (ع) في قول الله عزوجل : (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) ، قال (ع) : (العفو من غير عتاب).

وعن الصادق (ع) : (لا تفتش الناس ، فتبقى بلا صديق) .

وفي حكمة الشعر :

اذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لم تعاتبه

وفي الوسائل (باب ٥٦ من أحكام العشرة) ذكر استحباب الإغضاء عن الإخوان ، وترك مطالبتهم بالإنصاف .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ليس من الإنصاف مطالبة إخوانك بالإنصاف) .

ثم انه ورد عن أمير المؤمنين (ع) : (ضع أمر أخيك على أحسنه ، حتى يأتيك ما يغلبك منه ، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوء ، وأنت تجد لها في الخير محملاً) .

كما مر علينا في فصل (عدم النميمة) قول الإمام الكاظم (ع) : (كذّب سمعك وبصرك عن أخيك ، فان شهد عندك خمسون قسامة ، فقال لك قولاً فصدِّقه وكذِّبهم) .

نعم قد يكون العتاب أحياناً فيه فائدة للمعاتَب ، أو فيه مصلحة عامة ، وعندئذ لا مانع منه ..

وفي ميزان الحكمة عن الإمام علي (ع) : (إستعتب من رجوت عتباه) .

وعنه (ع) : (لا تعاتب الجاهل فيمقتك ، وعاتب العاقل يحببك) .

بل العتاب قد يجب في بعض الأحيان أو يستحب في أحيان أخرى ، اذا كان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد يكون عدم العتاب سبباً لوقوع البعض في الحقد على المقابل ، أو مقاطعته ، فتكون المعاتبة أهون المحذورين ، أو أدنى الضررين ..
ففي ميزان الحكمة عن الإمام الهادي (ع) : (العتاب خير من الحقد) .
وعلى هذا يحمل كلام أمير المؤمنين (ع) في ميزان الحكمة أيضاً : (العتاب حياة المودة) .
وعنه (ع) في وصيته لمحمد بن الحنفية : (لا تصرم أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب ، لعل له عذراً وأنت تلوم) ، ثم قال (ع) : (إقبل من متنصل عذراً (صادقاً أو كاذباً) فتنالك الشفاعة)..
والمتنصل هو المنكر أو المعتذر .

ولنختم كلامنا عن التسامح وعدم العتاب ، بقول أمير المؤمنين (ع) : (عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شره بالإنعام عليه) .

العفــو

واعفُ فإن العفو عند المقــدرة

فيه رضـــا الله ونيـــل المغفـــرة

يقول الله تعالى :

(وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) التغابن- ١٤

(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه) الشورى- ٤٠

(وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) الشورى- ٤٣

وفي الحديث عن النبي (ص):(ان من خير أخلاق الدنيا والآخرة ، العفو عمن ظلمك) .

وعنه (ص) أيضاً : (عليكم بالعفو ، فان العفو لا يزيد العبد إلا عزاً ، فتعافوا يعزكم الله) .

وقد مر ما يرتبط بالعفو ، عند الحديث عن الحلم وكظم الغيظ والصبر عموماً والتسامح والسهولة ومقابلة الإساءة بالإحسان ونحو ذلك .

وأحسن العفو هو العفو عند المقدرة ، أي العفو عن المقابل عند القدرة على معاقبته وإمكان مجازاته .

ففي الحديث عن النبي (ص) قال موسى : (يارب أي عبادك أعز عليك ، قال : (الذي اذا قدر عفى) .

وعن الإمام علي (ع) : (اذا قدرت على عدوك ، فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه) .

ثم ان العفو عن المقابل قد يكون بعد إعتذاره ، وقد يكون بدون إعتذاره أصلاً ، وهذه مرتبة أعلى وأشد ..

ومن الأول ما ورد عن السجاد (ع) : (ان شتمك رجل عن يمينك ، ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك ، فاقبل عذره) .

وفي الدعاء : (الهي اعتذاري إليك اعتذار من لم يستغن عن قبول عذره ، فاقبل عذري يا أكرم من اعتذر إليه المسيئون) .

ومن الثاني ما ورد في الدعاء : (يا من يعطي من لم يسأله ولم يعرفه تحنناً منه ورحمة) ..

وَكذلك ورد (رِزْقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصاكَ، وَحِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ ناواكَ، عادَتُكَ الاِحْسانُ اِلَى الْمُسيئِينَ ، وَسَبيلُكَ الاِبْقاءُ عَلَى الْمُعْتَدينَ)..

بناء على ان العفو والإحسان من العطاء ..

وفي الدعاء : (سبحان من لا يؤاخذ أهل الأرض بألوان العذاب) .

وفي الدعاء أيضاً : (فلم أر مولى كريماً أصبر على عبد لئيم ، منك علي يارب ، انك تدعوني فأولي عنك ، وتتحبب إلي فاتبغض إليك ، وتتودد إلي فلا أقبل منك ، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إلي) .

وفي طريقك نحو الجنة ذكرنا ان العفو له عدة درجات أو مراتب ، بعضها يتداخل مع الحلم وكظم الغيظ ، وهناك مراتب أخرى نذكر منها :

أ- نسيان الأمر واعتباره كأنه لم يكن ، أي ينسى ظلم الآخرين له ، ويجعله وكأنه لم يحصل ، وبذلك يرتاح ويتخلص من تعب التفكير في مثل هذه الأمور التي لا يأتي منها إلا الإزعاج والذنوب ، ولذلك يقول الله تعالى :

(وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) البقرة- ٢٣٧ .

ب- مقابلة الإساءة بالإحسان ، حيث يقول الله تعالى :
(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) المؤمنون- ٩٦.
وغالباً ما يكون لذلك تأثير على الآخرين قد يظهر عاجلاً أو أجلاً :
(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فصلت- ٣٤ .

وقد روي في جامع السعادات ان رجلاً قيل له ان فلاناً قد إغتابك ، فبعث إليه طبقاً من الرطب ، وقال : بلغني انك قد أهديت إلي من حسناتك فأردت ان اكافيك عليها ، فاعذرني فاني لاأقدر ان اكافيك على التمام) .

أقول : يشير بذلك إلى ماورد عن النبي (ص) بما مضمونه ان الغيبة تحول حسنات المغتاب إلى سجل من اغتابه (أنظر جامع السعادات) .

ج- الحزن على المسيء ، كما فعل الإمام الحسين(ع) في يوم عاشوراء حينما بكى على الجموع التي إحتشدت لحربه ، لأنها سوف تدخل النار بسببه .

وقد خاطب الله تعالى نبيه (ص) بقوله :
(فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ) فاطر- ٨ .
لان النبي (ص) كان يتألم ويحزن لحال المكذبين له ، رغم انهم كانوا يؤذونه ويسيئون إليه .

وعلى أية حال : فالعفو صفة شريفة ولها آثار مهمة جداً في الدنيا والآخرة ، وهي لا تحتاج إلى فراغ أو سعة وقت ، لأنها أمر نفساني ، يستطيع الفرد ان يفعله أينما كان ، ومهما كان وضعه ووظيفته .

ولعل أوضح آثار العفو وفوائده ما يلي :

أ- تحصيل المغفرة ، حيث يقول الله تعالى :

(وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ، أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) النور- ٢٢.

وليعلم كل واحد منا انه كلما عفى عن الآخرين ، كلما كان نصيبه من العفو الإلهي أكثر وأعظم ، وقد ورد ان الإمام زين العابدين(ع) كان يجمع غلمانه فيقف بينهم ويبكي ويقول : (ربنا انك امرتنا ان نعفو عمن ظَلَمنا ، وقد عفونا كما امرت ، فاعف عنا فانك أولى بذلك منا) ، ثم يعفو عن جميع عبيده ويعتق رقابهم .

ب- اكتساب رضا الله تعالى ومحبته عزوجل، حيث يقول:

(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) آل عمران- ١٣٤ .

(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) المائدة- ١٣.

ج- دخول الجنة بسرعة ، حيث ورد عن النبي(ص) اذا جمُع الخلائق يوم القيامة ، نادى مناد : أين أهل الفضل ؟ فيقوم ناس - وهم يسير - فينطلقون سراعاً إلى الجنة ، فتتلقاهم الملائكة فيقولون : انا نراكم سراعاً إلى الجنة ؟ فيقولون : نحن أهل الفضل .

فيقولون ما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا إذا ظُلمنا صبرنا ، واذا أُسيء إلينا عفونا ، واذا جُهل علينا حلمنا . فقال لهم : أدخلوا الجنة ، فنعم اجر العاملين) .

وبالمقابل فقد ورد عن المعصومين (ع) ان قبول العذر (الاعتذار) واجب ، فعن الإمام علي (ع) : (واقبل عذر من اعتذر إليك) ..
بل مر علينا في الفصل السابق ، ما ورد عن النبي (ص) ان شر النـــاس : (الذي لا يقيل عثرة ، ولا يغفر ذنباً) .

ولنختم كلامنا في هذا الفصل بقصة ذكرها البهائي في كشكوله ، خلاصتها : أن رجلاً شتم أبا ذر الغفاري ، فقال له أبو ذر : ياهذا إن بيني وبين الجنة عقبة ، فإن أنا جُزتها فوالله ما أبالي بقولك ، وإن هو صدّني دونها فإني أهل لأشد مما قلت) .

محبة الخير للآخرين

وإن حب الخير للبرايا

فضيلة من أفضل المزايا

يقول الله تعالى :

(لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) آل عمران- ٩٢

وقد ذم الله تعالى الذين لا يحبون الخير للآخرين بقوله عزوجل :

(مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ) البقرة- ١٠٥

(وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء) النساء- ٨٩

وفي الحديث عن النبي (ص) : (أحب للناس ما تحب لنفسك ، تكن مؤمناً) .

وفي الخبر انه جاء أعرابي إلى النبي (ص) فقال يا رسول الله : (علمني عملاً أدخل به الجنة ، فقال (ص) : (ما أحببتَ ان يأتيه الناس إليك ، فأتِه إليهم ، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم) .

وعن أمير المؤمنين (ع) في وصيته لولده الحسن (ع) :

(يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تَظلم كما لا تحب أن تُظلم ، وأحسن كما تحب ان يُحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحهُ من غيرك ، وارضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقُل ما لا تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يُقال لك).

وعن الصادق (ع) : (أحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم) .
وعنه (ع) أيضاً في بيان أعظم حق للمسلم على أخيه المسلم : (أحب لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك) .
وفي روضة الواعظين عن الباقر (ع) : (أحبب أخاك المسلم ، وأحبب له ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكرهه لنفسك) .
وعن الصادق (ع) عن النبي (ص) في خصال من كُنّ فيه ، كان بين يدي الله عزوجل ، وعن يمين الله ، ذكر منها :(يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعز أهله ، ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعز أهله) .

المودّة والألفة

وحبـذا بالودّ عبدٌ يـوصَفُ

يـــألَف وهـو بالقلوب يــؤلَفُ

يقول الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً) مريم- ٩٦

(وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) الروم- ٢١

وفي الحديث عن النبي (ص) : (رأس العقل بعد الإيمان : التودد إلى الناس ، واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر) .

وعنه (ص) : (أفضلكم : أحسنكم أخلاقاً ، الموطؤون أكنافاً ، الذين يألفون ويألفون) .

وعنه (ص) : (خير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) .

وفي رواية مقاربة عن الصادق (ع) : (المؤمن مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) .

وعن الصادق (ع) : (من حب الرجل دينه حبه لإخوانه) .

وعنه (ع) أيضاً : (من فضل الرجل عند الله محبته لإخوانه ، ومن عرّفه الله محبة إخوانه أحبه لله ، ومن أحبه الله وفّاه أجره يوم القيامة) .

وكذلك ورد عنه (ع) : (كونوا إخوة بررة متحابين في الله ، متواصلين متراحمين) .

وفي الوسائل (باب ٣١ من أحكام العشرة) انه يستحب لمن أحب مؤمناً ان يخبره بحبه له ..

فعن الصادق (ع) : (اذا أحببت رجلاً فاخبره بذلك ، فانه أثبت للمودة بينكما) .

وفي خبر آخر عن الباقر (ع) ان ذلك : (أبقى للمودة ، وخير في الألفة) .

وينبغي ان يكون التودد مخلصاً ، حيث ورد عن الصادق (ع) : (أخلص ودّك للمؤمنين) .

ولا يخفى ان محبة الآخرين والتودد إليهم والألفة معهم ، فيها نتائج مفيدة وآثار نافعة في الدنيا والآخرة ..

ففي الحديث عن النبي (ص) : (تحبّب إلى الناس يحبوك) .

وعنه (ص) : (ثلاث يصفين ود المرء لأخيه المسلم ، يلقاه بالبشر اذا لقيه ، ويوسع له في المجلس اذا جلس إليه ، ويدعوه بأحب الأسماء إليه).

وعن أمير المؤمنين (ع) : (المودة قرابة مستفادة) ..

وسيأتي في فصل لاحق الحديث عن أهمية تكثير الإخوان والأصدقاء ، وان الرحم أعم من النسب ..

كما سيأتي في الفصل القادم ما يرتبط بالمودة والإقبال على الآخرين .

والتودد إلى الآخرين يبعد عن المشاكل ، ويجلب الأمان والاستقرار ، ولذلك ورد عن النبي (ص) : (ان التودد إلى الناس نصف العقل) ..

وعن الصادق (ع) : (من كف يده عن الناس ، فانما يكف عنهم يداً واحدة ، ويكفون عنه أيدياً كثيرة) .

ثم أنه ينبغي الإلتفات في المقام إلى ما تقدم في فصل (التعامل مع الله تعالى) عند الحديث عن الحب في الله ، والبغض في الله ، مع مراعاة ما فصلناه في (عدم الحقد) و (عدم التباغض) .
وفي الحديث عن الباقر (ع) : (اذا أردت ان تعرف ان فيك خيراً ، فانظر إلى قلبك ، فان كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ، ففيك خير والله يحبك ، واذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته ، فليس فيك خير والله يبغضك ، والمرء مع من أحب) .

بقي ان نشير استطراداً إلى ما ذكرناه في (شرح زيارة أمين الله) :
حيث ورد في عدة أحاديث ما مضمونه ان الإنسان يكون محبوباً عند الله عزوجل إذا أطاعه والتزم بالواجبات وامتنع عن المحرمات ، وتحققت فيه مبادئ الأخلاق وعلامات الصلاح ، حيث يقول الله (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) آل عمران- ٣١ .
ثم انه يمكننا تصفح القرآن الكريم لنعرف مواصفات الفرد الّذي يحبه الله تعالى ، فهو يحب التوابين والمحسنين والمتقين والصابرين والمتوكلين والمتطهرين ونحوهم .
وإذا أحب الله عبداً فإنه كما في بعض الأخبار يجري مدحه على ألسنة العباد ، ويمنّ عليه بمحبة جميع الخلائق سواء كانوا من أهل السماء أو من أهل الأرض .
وقد ورد في حديث آخر ما مضمونه ان خيار خلق الله هم المتواضعون الذين يألفون ويؤلفون ، وان الجنة والحور العين لتشتاق إلى المؤمن .

وكلما عظمت مرتبة المؤمن الإيمانية كلما ازداد حبه ، وعظمت مكانته في عالم الثبوت والإثبات .

وتجدر الإشارة هنا إلى ان تحصيل محبة الله ورضاه هو الطريق الأمثل لتحصيل احترام ومحبة الخلائق في السماوات والأرض ، وان كل من يحبه الله عز وجلّ فإنه بالتأكيد سيكون محبوباً في أرض الله وسمائه ، وهذا هو الحب الحقيقي الذي يريده الله تعالى ، ويجعله مقياساً لقيمة الفرد ومستواه في عالم اللوح والتكوين ..

مع الإلتفات إلى ان المهم هو تحصيل محبة الصالحين ..

وكلما كانت مرتبة المحب أعلى عند الله عز وجل ، كلما كانت مرتبة المحبوب أعلى عند الله تعالى ، فأحباب رسول الله والمعصومين (ع) أعظم من أحباب سائر المؤمنين ، وهكذا .

واما تحصيل محبة الناس وحدها ، فهي لا تكفي أبداً ، لأن الناس قد تحب الكثير من الأفراد ممن ليس لهم أدنى مراتب الصلاح والإيمان ، بل قد يعشقون أناساً بعيدين كل البعد عن ابسط مقومات الأخلاق العامة ، وهنا تكمن الكارثة ، حينما يصبح الباطل محبوباً ، ويصير الحق مبغوضاً ، وهذا بالتأكيد ميزان مقلوب لا يمكن التعويل عليه .

إفشاء السلام والتحية

يُفشي السلام بين كل الأنام

ويزرع الود محل الخصام

يقول الله تعالى :

(فَإِذَا دَخَلْتُم بيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ) النور- ٦١

(دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ) يونس- ١٠

(وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ) هود- ٦٩

(وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) النساء- ٨٦

وفي الحديث عن النبي (ص) : (يا علي ثلاث كفارات : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (لا تَغضبوا ولا تُغضبوا ، افشوا السلام و أطيبوا الكلام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام) .

وعن السجاد (ع) : (ان من أخلاق المؤمن إبتداؤه إياهم بالسلام عليهم) .

وعن الباقر (ع) : (ان الله عزوجل يحب إفشاء السلام) .

وعن النبي (ص) : (ان معنى إفشاء السلام ، ان لايبخل بالسلام على أحد من المسلمين) .

وعن الصادق (ع) : (البخيل من بخل بالسلام) .

وفي الوسائل (ضمن أحكام العشرة) عدة أبواب عن أهمية السلام والتحية (أنظر باب ٣٢- ٥٥) .

حيث ورد استحباب الابتداء بالسلام وتقديمه على الكلام ..

ففي الحديث عن النبي (ص) : (أولى الناس بالله ورسوله من بدأ بالسلام) ، و (إبدأوا بالسلام قبل الكلام) .

وفي الحديث عنه (ص) : (السلام تطوع ، والرد فريضة) ..
أي ان رد السلام واجب شرعاً ، بل الوارد عن المعصومين (ع) انه يجب رد السلام حتى في الصلاة ، واذا لم يرد المصلي أثم ، وتفصيله في محله .
حيث ذكرنا في غاية المتفقهين ضمن أحكام الصلاة عدة فروع عن السلام ورد السلام حال الصلاة وغيرها (أنظر ملحق - ٤ من باب الصلاة) .
وفي الوسائل عدة أحاديث في كيفية السلام ورد السلام (أنظر باب ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و٤٣ من أحكام العشرة) ..
وفي الحديث عن الرضا (ع) : (من لقي فقيراً مسلماً ، فسلم عليه خلاف سلامه على الغني ، لقى الله عزوجل يوم القيامة وهو عليه غضبان) .

والتسليم مستحب حتى على الصبيان ، رغم ان الصغير هو الذي ينبغي (شرعاً وعقلائياً) ان يسلم على الكبير (أنظر باب ٣٥ و ٤٥) .

ولا مانع من سلام الأجنبي على الأجنبية أو بالعكس ، اذا لم تكن هناك ريبة أو فتنة كما يعبرون ..
أو لنقل بتعبير آخر انه اذا لم تكن هناك علاقة شرعية خاصة بين المرأة والرجل كالزوجية أو انها من محارمه ، فلا مانع من ان يسلم أحدهما على الآخر ، مادام السلام في حدود الورع والحشمة واللياقة ، وان كان الأولى والأفضل إجتنابه قدر الإمكان ، ما لم تكن هناك ضرورة أو حاجة فعلية مشروعة ..
واما رد السلام فهو واجب مطلقاً .

وفي الحقيقة فان السلام هو مفتاح التواصل والتقارب مع الآخرين ، وهو علامة المودة والألفة ، وهو يكشف عن الوجه الحسن والمظهر الطيب الذي يفترض ان يكون في الإنسان عموماً ، وفي المؤمن خصوصاً ، حيث ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (كونوا لنا زيناً) .

والسلام مأجور علاوة على ذلك ، وفي مستدرك الوسائل نقل رواية عن النبي (ص) انه قال : (بين المسلم والمجيب مائة حسنة ، تسعة وتسعون منها لمن يسلم ، وحسنة واحدة لمن يجيب) .

المصافحة والمعانقة

ثم انه تجدر الإشارة ولو استطراداً إلى المصافحة والمعانقة باعتبار انهما من ملحقات السلام ولوازمه ، وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ان من تمام التحية للمقيم المصافحة ، وتمام التسليم على المسافر المعانقة) .

وحبذا للإخوة المصافحة
فإنها مندوبة وراجحة
ومثلها العناق للإخوانِ
فإن فيه رحمة الرحمانِ

ففي الحديث عن النبي (ص) : (اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه ، وليصافحه ، فان الله عزوجل أكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة) .

وعنه (ص) أيضاً : (اذا لقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح ، واذا تفرقتم فتفرقوا بالاستغفار) .

وكذلك ورد عنه (ص):(ان المسلمين اذا إلتقيا فتصافحا ، تحاتت ذنوبهما كما يتحات (يتساقط) ورق الشجر) .
وقد مر علينا ان النبي (ص) كان لا يسحب يده من المصافحة ، حتى يسحب الآخر يده (أنظر الوسائل باب ١٠٠ من أحكام العشرة) .
وعن الإمام علي (ع) : (اذا لقيتم إخوانكم فتصافحوا) .

فيتحصل ان المصافحة فيها أجر عظيم وأثر كبير ..
ففي الحديث عن المعصومين (ع) ان فيها مثل أجور المجاهدين ، وانها سبب لإقبال الله بوجهه على المتصافحين ، كما انها سبب لتساقط الذنوب عنهما ، وهي تذهب بالسخيمة (الضغينة) ..
وقد ورد عن الإمام علي (ع) : (صافح عدوك وان كره ، فانه مما أمر الله عزوجل عباده بقوله : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ) ..
(أنظر الوسائل باب١٢٦ من أحكام العشرة) .
وفي الحديث عن الباقر (ع) : (ان المؤمنين اذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما ، فتصافح أشدهما حباً لصاحبه) .

بل وردت أحاديث كثيرة في فضل المصافحة ورجحانها ، حتى مع قرب العهد باللقاء ، حتى انه ورد عن الباقر (ع) : (ينبغي للمؤمنين اذا توارى أحدهما عن صاحبه بشجرة ، ثم التقيا ، ان يتصافحا) .

كذلك ورد استحباب المعانقة للإخوان ، ففـي الحديث عـن الإمامين البـاقر والـصادق (ع) عـن المؤمن يخرج لزيـارة أخيـه قربـة إلى الله : (فـاذا التقيـا وتـصافحا وتعانقـا ، أقبـل الله عليهما بوجهــه ، ثـم بـاهى بهـم الملائكـة فيقـول أنظـروا إلى عبـدَيّ ، تـزاورا وتحابّـا فـيّ ، حقّ علـي ان لا اعـذبهما بالنار بعد ذلك الموقف) .

وفي ثـواب الأعمـال عـن الـصادق (ع) : (لا تمـل مـن زيـارة إخوانـك ، فـان المؤمن اذا لقى أخاه فقـال لـه مرحباً كتـب لـه مرحباً إلى يـوم القيامـة ، فـاذا صـافحه أنـزل الله فيمـا بـين إبهاميهمـا مائـة رحمـة ، تـسعة وتـسعون منهـا لاشدهما حباً لصاحبه ، ثـم اقبـل الله عليهمـا بوجهـه ، فكـان علـى أشـدهما حباً لصاحبه أشد إقبالاً ، فاذا تعانقا غمرتهما الرحمة) .

بقي ان نشير إلى مسألة تقبيل الإخوان عنـد التسليم علـيهم ، حيـث ورد ان القبلـة تكـون في الخـد ، أو علـى الجبهـة (أنظـر الوسائـل بـاب ١٣٣ مـن أحكام العشـرة) .

وفي الحديث عن الكاظم (ع) ان قبلة الإمام بين عينيه .

إدخال السرور على المؤمنين

ومـن أسـرّ مـؤمناً أو مؤمنة

أسـرّه الله بـتــلـك الحـسنـــة

حيث يقول الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) الكهف- ٣٠

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ) الزلزلة- ٧

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من سر مؤمناً فقد سرني ، ومن سّرني فقد سر الله) .

وعن الباقر (ع) : (تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة ، وصرف القذى عنه حسنة ، و ما عُبد الله بشيء أحب إلى الله ، من إدخال السرور على المؤمن) .

وعن الصادق (ع) : (من أحب الأعمال إلى الله عزوجل : إدخال السرور على المؤمن) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (أفضل الأعمال عند الله إدخال السرور على المؤمن) .

وعنه (ع) أيضاً : (من سر أمرؤاً مؤمناً سره الله يوم القيامة ، وقيل له تمنَّ على ربك ما أحببت ، فقد كنت تحب ان تسر أوليائي في دار الدنيا) .

وعن الرضا (ع) : (من فرج عن مؤمن فرج الله عن قلبه يوم القيامة) .

وعنه (ع) أيضاً : (من تبسم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنة) .

وفي مرآة الكمال ورد ان ثواب إدخال السرور على المؤمن ألف ألف حسنة ، وان الله يسرّه يوم القيامة ، ويعطيه ما تمنى ، ويزيده الله من عنده مالم يخطر على قلبه من نعيم الجنة ، وان من أدخل على مؤمن سروراً فرّح الله قلبه يوم القيامة .
وفي طريقك نحو الجنة ذكرنا عدة مصاديق لمداراة الناس ، ومنها إدخال السرور على المؤمنين ، وذلك بان يسأل عن أحوالهم ، ويهتم بزيارتهم ويعتني بهم ، فقد ورد في الحديث عن النبي (ص) : (الخلق عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله ، وأدخل على أهل بيته سروراً) .
وكذلك ورد عنه (ص) : (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين ، فليس بمسلم) ..
وهذا أكيد جداً لان المسلم الحقيقي هو الذي يشعر بإخوانه ويحس بهم ، على اعتبار إنهم شركاؤه في طريقه ، وأصحابه في مسؤوليته الدينية .
وقد مر في فصول سابقة ما يرتبط بالمقام ، وسيأتي في فصول لاحقة .

ثم انه ينبغي الإلتفات إلى قول الله تعالى :
(وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) التوبة- ١٠٥
فان كل عمل صالح - مهما كان مقداره - يسر مؤمناً أو مؤمنة ، فانما هو بعين الله تعالى ، وبعين رسوله محمد (ص) ، وبعين الأئمة المعصومين (ع) ، فيزداد أجره وثوابه على حسب مستوى السرور الذي وصل إليه .
وفي مرآة الكمال عن الصادق (ع) : (لا يرى أحدكم اذا دخل على مؤمن سروراً انه عليه أدخله فقط ، بل والله علينا ، بل والله على رسول الله (ص)) .

وفيه عن الكاظم (ع) : (من سر مؤمناً فبالله بدأ ، وبالنبي (ص) ثنى ، وبنا ثلّث ، وعلى ضده إدخال الكرب على المؤمن) .

بقي ان نشير إلى ما ذكرناه في مناسبات سابقة من ان المفروض بالمؤمن ان يدخل السرور على قلب النبي (ص) بفعل الطاعات واجتناب المحرمات ..
ففي الحديث عن الصادق (ع) : (مالكم تسوؤون رسول الله (ص)) ثم قال : (ان إعمالكم تُعرض عليه ، فاذا رأى فيها معصية ساءه ذلك ، فلا تسوؤوا رسول الله ، وسرّوه) .
كذلك يفترض بالمؤمن ان يدخل السرور على المعصومين (ع) ، بأن يكون نموذجاً صالحاً يقتدى به ويشار إليه ، حيث ورد في الحديث عنهم : (كونوا لنا زيناً) .
وسيأتي في آخر الكتاب ملحق عن المواصفات المطلوبة في الشيعي الحقيقي الذي تتجلى فيه مبادئ الإسلام وعلامات الإيمان .

إحترام الآخرين

ويـنبـغي التـوقيـر و الإحترام
لســـائر النــاس بـــكــل مــقــام

يقول الله تعالى :
(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) الإسراء- ٧٠
فاذا كان رب العالمين وخالق الوجود ، قد كرّم الإنسان ، وهو الغني عن عباده ..
فالمفروض ان نلتزم بهذا الخلق مع بعضنا البعض طاعة لله تعالى ، وتخلّقاً بأخلاقه عزوجل ، ومداراةً لخلقه وعياله جل شأنه .
وفي الحديث عن الباقر (ع) : (من أتاه أخوه المسلم فأكرمه ، فانما أكرم الله عزوجل) .
وعن الصادق (ع) : (من أكرم مؤمناً فبكرامة الله بدأ) .
وعن الباقر (ع) : (عظموا أصحابكم ووقّروهم ، ولا يتهجم بعضكم على بعض) .
وقد مر الحديث عن (عدم إهانة الآخرين) ، و (عدم الإساءة إليهم) .

ثم ان لبعض العناوين خصوصية زائدة تقتضي الاحترام أو توجبه ، منها ذي الشيبة المؤمن ، حيث ورد عن الصادق (ع) : (ان من إجلال الله عزوجل إجلال الشيخ الكبير) ، وفي رواية أخرى : (إجلال ذي الشيبة المسلم) .
ومنها : (حامل القرآن ، والإمام العادل) كما في رواية عن الصادق (ع) أيضاً .

ومنها : الكريم في قومه ، حيث ورد عن النبي (ص) : (اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) .

وعلى أية حال فالمؤمن عموماً يستحق الإكرام والاحترام ، لأنه (عزيز كريم) كما في مر في فصل سابق ، كما ان للمؤمن على المؤمن حق عظيم كما في الروايات .

بل ورد في الخصال عن الصادق (ع) : (المؤمن أعظم حرمة من الكعبة) .

ثم انه لا بأس بالإشارة إجمالاً إلى ان لكل شيء توقيره الذي يناسبه ..

وقد قال الله تعالى :

(مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) نوح- ١٣

وفي الميزان عن تفسير القمي عن الباقر (ع) في قوله تعالى : (لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) : (لا تخافون لله عظمةً) .

وقال تعالى : (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) الفتح- ٩

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من وقّر القرآن فقد وقّر الله) .

وفي الوسائل ذكر رواية : (ما وقّر الصلاة من أخر الطهارة لها ، حتى يدخل وقتها) .

وكان أمير المؤمنين (ع) اذا رفع رأسه من السجود قعد حتى يطمئن ، ثم يقوم ، فلما سُئل عنه أجاب انه (من توقير الصلاة) .

وفي دعائم الإسلام عن الصادق (ع) انه يجب توقير الصوم وتنزيهه بالاجتناب عن بعض المكروهات كشم الطيب والريحان .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (من وقّر مسجداً ، لقى الله يوم يلقاه ضاحكاً مستبشراً) .

تكثير الأخوة والأصدقاء

وحبــذا الإخـوةُ والأصـدقاء

لاسيــما الأخيـار والأتــقـيـاء

يقول الله تعالى :

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) الحجرات- ١٠

(فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً) آل عمران- ١٠٣

وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (المؤمن أخو المؤمن) .

وفي الوسائل عن أمير المؤمنين (ع) :

عليـــك بإخوان الصـفاء فإنهم　　　عماد اذا استنجدتهم وظهـور

وليس كثيراً ألف خلٍّ وصاحبٍ　　　وان عـدواً واحـداً لكـــثير

وعنه (ع) أيضاً : (اعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان ، واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم) .

وعن الصادق (ع) : (أكثروا من الأصدقاء في الدنيا ، فانهم ينفعون في الدنيا والآخرة ، اما في الدنيا فحوائج يقومون بها ، واما في الآخرة فان أهل جهنم قالوا : (فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ، وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ)) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (استكثروا من الإخوان ، فان لكل مؤمن دعوة مستجابة) ، و (ان لكل مؤمن شفاعة) .

وروي عنه (ع) أيضاً : (أكثروا من مؤاخاة المؤمنين ، فان لهم عند الله يداً يكافئهم بها يوم القيامة) .

وعن الرضا (ع) : (من استفاد أخاً في الله استفاد بيتاً في الجنة) .

وعن الباقر (ع) : (ان لهو المؤمن في ثلاث) ، وعدّ منها : (مفاكهة الإخوان) أي الحديث معهم .

وللـشيخ الـصدوق كتـاب لطيـف (مـصادقة الاخـوان) ينبغـي مراجعتـه والانتفاع به من هذه الناحية .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (المودة قرابة مستفادة) .

وفي طريقـك نحـو الجنـة ذكرنـا انـه يمكـن القـول ان الـرحم نـسبي وسـببي ، والأول هو المعنى الحقيقي للرحم وهم القرابة ، واما الثاني فلنقـل انـه معنـى مجازي أو إعتباري ، على اعتبـار ان المـؤمنين إخوة ، فيكونـون أرحامـاً فيمـا بينهم بلحاظ هذا السبب وهو الإيمان ..

وعندئـذ يـدخل المؤمنـون في هـذا العنـوان ، ويكونـون مـشمولين بوجـوب الصلة وحرمة القطيعة .

وفي الكـافي (بـاب ٧٢ مـن كتـاب الإيمـان والكفـر) عـدة أحاديـث في أخـوّة المؤمنين بعضهم لبعض ..

فعن الباقر (ع) : (المؤمن اخـو المؤمن لأبيـه وأمـه ، لان الله عزوجـل خلـق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى في صـدورهم مـن ريـح الجنـة ، فلـذلك هـم أخوة لأب وأم) .

وفي الخـبر عـن الـنبي (ص) انـه قـال للإمـام علـي (ع) : (يـا علـي أنـا وأنـت أبـَوا هذه الأمـة) ، وفي روايـة علـل الـشرايع عنـه (ص): (أنـا وعلـي أبَـوا هذه الأمة) .

بل ذكرنا في (أدعية ومناجيات قرآنية) ان الرحم الحقيقي والنسب الفعلي انما هو نسب الايمان ، ورحم الإرتباط بالله تعالى .. حيث يقول إبراهيم (ع) كما في الآية :

(فمن تبعني فإنه مني) إبراهيم - ٣٦

وفي الميزان نقل رواية عن الصادق (ع) : (من أحبنا فهو منّا أهل البيت) ، فقيل له : منكم ؟ فقال : (منّا والله ، أما سمعتَ قول الله ، وهو قول إبراهيم (ع) : فمن تبعني فانه مني)..

ومثلها رواية عنه (ع) أيضاً فيها : (من إتقى الله منكم وأصلح ، فهو منّا أهل البيت) ، وفيها أيضاً : (إي والله من آل محمد ، إي والله من أنفسهم) ، ثم استشهد بالآية .

وفي رواية نقلها صاحب الميزان عن الإمام الرضا (ع) ان الله عزوجل قال لنوح (ع) عندما خاطبه في ابنه : (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) ، لانه كان مخالفاً له ، وجعل من اتبعه من أهله .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها إئتلف ، وما تناكر منها إختلف) .

بقي ان نشير إلى ان المفروض بالإنسان الواعي ان يختار الصديق المناسب والأخ الصالح ..

ففي الحديث عن النبي (ص) : (الجليس الصالح خير من الوحدة ، والوحدة خير من جليس السوء) .

وفي الوسائل ان النبي (ص) سُئل أي الجلساء خير ؟ فقال (ص) : (من تُذكركم الله رؤيته ، ويزيد في علمكم منطقه ، ويرغّبكم في الآخرة عمله) .

وعنه (ص) : (أسعد الناس من خالط كرام الناس) ..

وفي الحقيقة فان الصديق أو الأخ لا يكون صديقاً أو أخاً حقيقة ، إلا اذا توفرت فيه شروط ومواصفات عديدة ..
ففي الحديث عن الإمام علي (ع) : (لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث ، في نكبته ، وغيبته ، ووفاته) .
وفي الوسائل ان الصادق (ع) قال لبعض أصحابه : (من غضب عليك ثلاث مرات فلم يقل فيك شراً ، فاتخذه لنفسك صديقاً) .
وفيه أيضاً عن الصادق (ع) : (الصداقة محدودة ، فمن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه إلى كمال الصداقة ، ومن لم يكن فيه شيء من تلك الحدود فلا تنسبه إلى الصداقة ، أولها أن تكون سريرته وعلانيته لك واحدة ، والثانية أن يرى زينك زينه وشينك شينه ، والثالثة لا يغيره عنك مال ولا ولاية ، والرابعة أن لا يمنعك شيئاً مما تصل إليه مقدرته ، والخامسة لا يسلمك عند النكبات) .
ثم إنه سيأتي ما يرتبط بالمقام عند الحديث عن (إجتناب أصدقاء السوء) .

التزاور والتلاقي بالمعروف

ومــن يـــزُر أخـاً لـه في اللهِ

نـــال مـــن الله عــظيــم الجـاهِ

يقول الله تعالى واصفاً أهل الجنة :

(إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) الحجر- ٤٧

وفي الحديث عن النبي (ص) :(ثلاث راحة للمؤمن : التهجد آخر الليل ، ولقاء الإخوان ، والإفطار من الصيام) .

وعن الباقر والصادق (ع) : (أيما مؤمن خرج إلى أخيه ، يزوره عارفاً بحقــه ، كتب الله له بكل خطوة حسنة ، ومحيت عنه سيئة ، ورُفعت له درجة ، فاذا طرق الباب فُتحت له أبواب السماء ، فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ، ثم باهى بهم الملائكة ، فيقول : أنظروا إلى عبديّ ، تزاورا وتحابّا فيّ ، حق عليّ ان لا اعذبهما بالنار بعد ذلك الموقف) .

وعن الصادق (ع) : (من زار أخاه في الله ، قال الله عزوجل : إياي زرت ، وثوابك علي) .

وعنه (ع) أيضاً : (لقيا الإخوان مغنم جسيم) ، و(لا تمل من زيارة إخوانك) .

وكذلك ورد عن الصادق (ع) : (كونوا أخوة بررة متحابين متراحمين ، تزاوروا ، وتذاكروا أمرنا وأحيوه) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (تواصلوا وتبارّوا وتراحموا ، وكونوا إخوة إبراراً كما أمركم الله عزوجل) .

بل ورد في عدة أحاديث ، ان الإمامين الباقر والصادق (ع) كانا يشتاقان إلى مثل هذه المجالس التي يجتمع فيها المؤمنون ، ويتحدثون بما هو طاعة لله تعالى ، وإحياء لدينه وشريعته وموعظة للمؤمنين ، ونحو ذلك مما فيه رضا الله ومصلحة العباد في الدنيا والآخرة .

ففي رواية ميسر عن الباقر (ع) انه سأله (أتخلون وتتحدثون ، تقولون ماشئتم ، فقلت أي والله ، فقال (ع) : (أما والله لوددت أني معكم في بعض تلك المواطن) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) أيضاً انه قال : (واهاً لتلك المجالس) .

وكذلك ورد عن الصادق (ع) انه قال : (تلك المجالس أحبها) .

ثم انه قد مرت في الفصول السابقة أحاديث كثيرة ، تبين فضل وآثار زيارة الأخوان ، ومودتهم والسلام عليهم .

وفي مرآة الكمال ورد انه مازار مسلم أخاه المسلم في الله ، ولله ، إلا ناداه الله عزوجل : طبت وطابت لك الجنة ، وان من زار أخاه المؤمن لله لا لغيره ، في مرض أو صحة ، ولا يأتيه خداعاً ولا استبدالاً ، يطلب به ثواب الله ، وتنجّز ما وعده الله عزوجل ، وكّل الله به سبعين ألف ملك من حين يخرج من منزله إلى حين يعود إليه ، ينادونه في قفاه : ألا طبت وطابت لك الجنة .

وعن النبي (ص) من زار أخاه في بيته قال الله عزوجل له : أنت ضيفي وزائري ، عليّ قراك ، وقد أوجبت لك الجنة بحبك إياه) .

وورد عنهم (ع) : (ان من لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي إخوانه ، تكتب له ثواب زيارتنا ، ومن لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي إخوانه تكتب له ثواب صلتنا) ..

إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة .

بقي ان نشير إلى أهمية مراجعة كتاب (مصادقة الاخوان) للشيخ الصدوق ، فانه يبين فضل الاخوان وزيارتهم وآداب التعامل معهم .

وكذلك كتاب (مرآة الكمال) ، فانه يتضمن عدة فصول فيما يستحب أو يكره عند معاشرة الناس ومخالطتهم ، وآداب المجالسة والزيارة والمؤاخاة ، ومن ينبغي مجالسته ، ومن لا ينبغي مجالسته أو مصادقته ، مع بيان آداب الجلوس والمجلس .

عدم مصاحبة أهل المنكر

ولا تصاحب مارقاً أو فاسقا

إن العذاب يشمل المُرافقا

يقول الله تعالى :

(أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) النساء- ٦٣

(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الأنعام- ٦٨

(فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) النجم- ٢٩

(فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) التوبة- ٩٥

وفي الوسائل (باب ٣٧ من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) تحريم مجاورة أهل المعاصي ومخالطتهم اختياراً .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (ان من السفه إتباع الدناة ومصاحبة الغواة) .

وعن الصادق (ع) فيمن اضطر للجلوس معهم قهراً أو تقية : (فلينكر بقلبه ، وليقم ولو حلب شاة ، أو فواق ناقة) ، أي ليقم ولو فترة قليلة للتعبير عن رفضه للمنكر .

وفي (باب ٣٨) تحريم المجالسة لأهل المعاصي وأهل البدع .

وفي الحقيقة فان مصاحبة أهل المنكر ومجالستهم تترتب عليها جملة من الأضرار والآثار السلبية نذكر منها مايلي :

١- ان الاختلاط بهم قد يؤدي إلى التأثر بأفعالهم وصفاتهم وأفكارهم ، وقد ورد في الحديث عن السجاد (ع) : (إياكم وصحبة العاصين ، ومعونة الظالمين ، ومجاورة الفاسقين ، احذروا فتنتهم ، وتباعدوا من ساحتهم) .

وفي الحديث ان عيسى (ع) قال : (ان صاحب الشر يعدي ، وقرين السوء يردي ، فأنظر من تقارن) .

وعن الإمام علي (ع) : (ان قرين السوء يغر جليسه) .

٢- ان اختلاط الصالحين بأهل المنكر قد يؤدي إلى انخداع الناس بهؤلاء ، لأن الناس (خصوصاً البسطاء) قد تعتبر ذلك إمضاء لتصرفات أهل المنكر ، أو تجويزاً للاختلاط بهم ، وكلاهما ممنوع وخطير ..

لذلك ورد عن الصادق (ع) : (من جالس أهل الريب فهو مريب) .

وفي رواية عن الإمام علي (ع) : (من اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه ، فان كانوا أهل دين الله فهو على دين الله ، وان لم يكونوا على دين الله فلا حظّ لهم في دين الله) .

٣- ان اختلاط الصالحين بأهل المنكر يشوه صورتهم أمام الآخرين ، وقد ورد في الحديث عن المعصومين (ع) : (ان مجالسة الأشرار توجب سوء الظن بالأخيار) .

وعن الصادق (ع) : (لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم ، فتصيروا عند الناس كواحد منهم) .

وقد ورد عن الإمام علي (ع) :(من وقف بنفسه موقف التهمة ، فلا يلومن من أساء به الظن) .

٤- انه ورد في بعض الأخبار ان بعض العقوبات تعم وتشمل ، وقد قال الله تعالى : (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً) الانفال- ٢٥.

وفي الحديث عن الكاظم (ع) : (أما تخاف ان تنزل بكم نقمة فتصيبكم جميعاً) ، ثم قال (ع) : (ان موسى (ع) قال : النقمة اذا نزلت لم يكن لها عمن قارب المذنب دفاع) .

ثم انه ورد عن أمير المؤمنين (ع) : (لا ينبغي للمرء المسلم ان يؤاخي الفاجر ، فانه يزين له فعله ، ويحب ان يكون مثله ، ولا يعينه على أمر دنياه ولا أمر معاده ، ومدخله إليه ومخرجه من عنده شين عليه) .

إغاثة (إعانة) الناس وقضاء حوائجهم

وأيسر الأسباب للمعراجِ

إغاثة الملهوف والمحتاجِ

يقول الله تعالى :

(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى) المائدة- ٢

(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ) البلد- ١٧

وفي الحديث عن النبي (ص) : (الخلق عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله ، وأدخل على أهل بيت سروراً) .

وعن الباقر (ع) : (من أتاه أخوه في حاجة فانما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه) .

وعن الصادق (ع) : (ان الله يقول للفقراء يوم القيامة : (انظروا وتصفّحوا وجوه الناس ، فمن أتى إليكم معروفاً فخذوا بيده وأدخلوه الجنة) .

وعنه (ع) أيضاً : (أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً ، فقد أوصل ذلك إلى رسول الله (ص)) .

وكذلك ورد عنه (ع):(من قضى لأخيه المؤمن حاجة ، قضى الله له يوم القيامة مائة ألف حاجة) .

وورد عنه (ع) أيضاً : (ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى : علي ثوابك ، ولا أرضى لك بدون الجنة) .

وعن الرضا (ع) : (من فرج عن مؤمن فرج الله قلبه يوم القيامة) .

وفي مرآة الكمال عدة روايات تبين الفضل العظيم والثواب الكبير في قضاء حوائج المؤمنين ، وفي إغاثتهم وتنفيس كربهم ، وفي إلطافهم و إكرامهم .
ومما ورد في ذلك ان أفضل المعروف إغاثة الملهوف ، وان من ألطف أخاه في الله بشيء ألطف الله به من خدم الجنة ، وان من أكرم أخاه المؤمن بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته ، لم يزل في ظل الله الممدود عليه من الرحمة ما كان في ذلك .

ثم انه مر في مناسبة سابقة ان نية المؤمن لها أثرها وفضلها ، فاذا نوى المساعدة أو الإعانة كان له أجرها ، وان لم يقدر عليها فعلاً .
وفي الحديث عن الباقر (ع) : (ان المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه ، فلا تكون عنده ، فيهتم بها قلبه ، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمِّه الجنة) .

ويحسن الآن ان نشير إلى أهمية (الاهتمام بأمور المسلمين) ..
ففي الحديث عن النبي (ص) : (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم) ، وفي رواية أخرى : (فليس منهم) .
وورد عنه (ص) ان أحب الناس إلى الله : (أنفع الناس للناس) .
وقد مر ما يرتبط بهذا الموضوع في فصول سابقة ، من قبيل (محبة الخير للآخرين) ، ونحو ذلك .
وينبغي الإلتفات إلى ان الاهتمام بأمور المسلمين (ولو بالمقدار الممكن) مسئولية شرعية وإنسانية وأخلاقية ..
وهذه المسئولية لها عدة مصاديق بعضها عام وبعضها خاص ..

ففي الحديث عن النبي (ص) : (من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين ، فلم يجبه ، فليس بمسلم) ، و (من ردّ عن قوم من المسلمين عادية (ماء) أو نار أوجبت له الجنة) .

فنصرة المظلوم ، وإغاثة الملهوف ، ومساعدة المحتاج ، وهداية المنحرف ، وإرشاد الضال ، ونحو ذلك ، كلها مصاديق تدخل في باب الاهتمام بأمور المسلمين ..

ثم انه سيأتي في الفصل اللاحق الحديث عن صنع المعروف مطلقاً ، أي مع من يستحق ومن لا يستحق ، ولا يخفى انه موضوع مرتبط بإغاثة الناس وقضاء حوائجهم .

صُنع المعروف (أي الخيـر)

وإن في صنـائـع المعـروفِ

وقـايـة مـن أسـوء الصـروفِ

يقول الله تعالى :

(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) آل عمران- ١٠٤

وفي الحديث عن النبي (ص) : (رأس العقل بعد الإيمان ، التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر) .

وعنه (ص) أيضاً : (كل معروف صدقة ، والدال على الخير كفاعله ، والله يحب إغاثة اللهفان) .

وعن الصادق (ع) : (أيما مؤمن أوصل إلى أخيه المؤمن معروفاً ، فقد أوصل ذلك إلى رسول الله (ص)) .

وفي الحديث ان الله يقول للفقراء يوم القيامة انظروا وتصفحوا وجوه الناس ، فمن أتى إليكم معروفاً فخذوا بيده إلى الجنة .

وعن الصادق (ع) : (أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، لأنهم في الآخرة ترجع لهم الحسنات ، فيجودون بها على أهل المعاصي) .

وفي الحديث عن المعصومين (ع) : (صنائع المعروف تقي مصارع السوء) .

ثم انه ورد عن النبي (ص) : (اصنعوا المعروف (الخير) إلى من هو أهله ، وإلى من ليس من أهله ، فان لم تصب من هو أهله ، فأنت أهله) .

وعن الصادق (ع) : (إصنع المعروف إلى من هو أهله ، وإلى من ليس من أهله ، فان لم يكن هو أهله ، فكن أنت من أهله) .

وعن الإمام علي (ع) : (لا يزهدنك في المعروف من لا يشكرك عليه) .

وقد مدح الله تعالى الذين يقولون للآخرين : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ، لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً) الإنسان- ٩

وسيأتي ماينفع من هذه الناحية عند الحديث عن التضحية والإيثار .

نعم ينبغي الإلتفات إلى عناوين ثانوية قد تكون مؤثرة في رجحان صنع المعروف أو عدمه ..

فمن هذه العناوين ان يكون المقابل من المؤمنين أو الصالحين أو يكون من الأرحام فان صنع المعروف إليه أهم وأولى وأرجح ، بل قد يتعين في بعض الحالات .

ومن هذه العناوين ان يكون صنع المعروف في بعض الحالات خلاف المصلحة ، أو كان سبباً لوقوع المقابل في مفسدة أو في معصية .

ومن هذه العناوين ان يكون المعروف حقاً شرعياً كالزكاة ، فانه لا يجوز صرفها إلا على من يستحقها .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (لو ان الناس اخذوا ما أمرهم الله عزوجل به ، فأنفقوه فيما نهاهم الله عنه ما قبله منهم) .

ومن هذه العناوين ان يتعمد الشخص صنع المعروف إلى غير أهله ، أو أنه يفعل ذلك دائماً وان لم يتعمده ، ولعل هذا هو المقصود بما ورد عن الصادق (ع) : (اذا أردت ان تعرف إلى خير يصير الرجل أم إلى شر ، فانظر أين يصنع (يضع) معروفه ، فان كان يصنع معروفه عند أهله فاعلم انه يصير إلى خير ، وان كان يصنع معروفه مع غير أهله فاعلم انه ليس له في الآخرة من خلاق) .

بقي ان نشير إلى ما ذكره في مرآة الكمال من تصغير صاحب المعروف معروفه وستره وتعجيله ، لقول الصادق (ع) : (رأيت المعروف لا يتم إلا بثلاث : تصغيره ، وستره ، وتعجيله .. فاذا صغّرته عظّمته عند من تصنعه إليه ، واذا سترته تمّمته ، واذا عجّلته هنأته ، واذا كان غير ذلك سخّفته (محقته) ونكّدته) .

وعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : (اذا صنعتَ معروفاً فاستره ، واذا صُنع إليك معروف فانشره) .

ثم أنه سيأتي الحديث عن الإحسان والبر ، وسبق الحديث عن فصول أخرى ترتبط بفعل المعروف .

الإحسان

وان للإحسـان والـمحسنين

أجــراً مـن الله وحــبـاً مبـيــن

يقول الله تعالى :

(إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأنفُسكُمْ) الإسراء- ٧

(وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) البقرة- ١٩٥

(وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) القصص- ٧٧

(إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) الأعراف- ٥٦

(إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) التوبة- ١٢٠

(إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) النحل- ١٢٨

(هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ) الرحمن- ٦٠

ويتحصل من مجموع هذه الآيات الشريفة ان المحسن يحبه الله تعالى ، وان رحمة الله قريبة منه ، وان الله تعالى معه ، وانه لا يضيع أجره ، وانه سيجزى بالإحسان ، وانه إنما يحسن لنفسه أولاً وأخيراً .

وفي الحقيقة فان الحديث عن الإحسان يرتبط بالحديث عن عناوين كثيرة مرت في الفصول السابقة ، من قبيل الإغاثة وصنع المعروف ، كما انه يرتبط بفصول لاحقة من قبيل البر .

وقد مر علينا الحديث الوارد عن أمير المؤمنين (ع) : (في تفسير قول الله تعالى : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) : العدل الإنصاف ، والإحسان التفضل) .

وفي مستدرك الوسائل عنه (ع) في وصف المؤمن : (مترادفاً إلى الإحسان).

كما مر علينا قوله (ع) : (عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردُد شره بالإنعام عليه) ، و (لا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ، ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان) .
وقد ورد في الحديث عن المعصومين (ع) :(إمنن (أحسن) إلى من شئت تكن أميره) .
وفي حكمة الشعر قيل :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

ثم ان الإحسان له موارد عديدة ..
فهناك إحسان الوالي إلى رعيته ، وإحسان السيد إلى مواليه ، وإحسان الأب إلى أبنائه ، وإحسان الزوج إلى زوجته ، ونحو ذلك .
وفي بعض المصادر عن الكاظم (ع) ان : (كفارة عمل السلطان الإحسان إلى الأخوان) .
وبالمقابل يوجد إحسان من الطرف الأدنى ، فهناك إحسان الأولاد مع أبويهم بحسن الصحبة والتوقير ونحوهما ، وهناك إحسان الزوجة مع زوجها بحسن التبعل ، وهناك إحسان الرعية مع إمامها الجامع للشرائط بالطاعة والنصيحة ..
كذلك مر علينا في مجاهدة النفس الإحسان إليها ، بتهذيبها وتعديلها وتكميلها ، وقد قال الله تعالى :
(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)العنكبوت-٦٩
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (أحسن إلى نفسك) .

وهناك أيضاً الإحسان في العمل الصالح ، حيث ورد عن الصادق (ع) : (اذا أحسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله) ، وعندما سئل عن هذا الإحسان قال (ع) : (اذا صليت فأحسن ركوعك وسجودك ، واذا صمت فتوقّ كل ما فيه فساد صومك ، واذا حججت فتوقّ ما يحرم عليك في حجك وعمرتك) .

ولنختم كلامنا عن الإحسان بما ورد في مستدرك الوسائل عن الصادق (ع) : (من أكرم لنا موالياً فبكرامة الله بدأ ، ومن أهانه فلسخط الله تعرض ، ومن أحسن إلى شيعتنا فقد أحسن إلى أمير المؤمنين (ع) ، ومن أحسن إلى أمير المؤمنين (ع) فقد أحسن إلى رسول الله (ص) ، ومن أحسن إلى رسول الله (ص) فقد أحسن إلى الله ، ومن أحسن إلى الله كان والله معنا في الرفيع الأعلى) .

الإنفاق في سبيل الله تعالى

وإنــما فــريضــة الإنــفــاقِ

بـالعـلـم والأخـــــلاق والأرزاقِ

يقول الله تعالى :

(وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) سبأ- ٣٩

(وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ) النساء- ٣٩

(وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ) البقرة- ٢٧٢

(لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) آل عمران- ٩٢

(قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ) إبراهيم- ٣١

وفي الحقيقة فان الإنفاق له عدة صور ، بعضها مادي وبعضها معنوي ، فأوضح صور الإنفاق هو بذل المال بعنوان الإغاثة أو الصدقة أو تسهيل أمور الآخرين ، أو فك مشاكلهم ، أو إدخال السرور عليهم ، أو نحو ذلك ..

وقد ذكر صاحب الوسائل بعد زكاة الفطرة ، عدة أبواب في الصدقة عموماً ، حيث يشتمل كل باب على عدد من الأحاديث الواردة عن المعصومين (ع) ..

وفيما يلي ملخص إجمالي لهذه الأبواب :

١- تأكد استحباب الصدقة وأثرها وفضلها .

٢- استحباب ان يعيل الإنسان أهل بيت من المسلمين ، وأفضلية ذلك على الحج أو العمرة المندوبين وعلى العتق .

٣- استحباب الصدقة عن المريض .
٤- استحباب الصدقة عن الطفل ، وأمره بان يتصدق بيده .
٥- استحباب ان يتصدق الإنسان بنفسه ، ويطلب دعاء السائل له (باب ٥) ، واستحباب دعاء السائل له (باب ٢٥) .
٦- استحباب التبكير بالصدقة كل صباح ، وكل يوم ، وانه لابد فيها من النية .
٧- استحباب الصدقة عند توقع البلاء والخوف من السوء والداء .
٨- استحباب افتتاح النهار بالصدقة ، وافتتاح الليل بالصدقة .
٩- الصدقة سراً أفضل من الصدقة علانية .
١٠- استحباب التصدق في الليل .
١١- استحباب الصدقة في الأوقات الشريفة كيوم الجمعة ويوم عرفة وشهر رمضان .
١٢- استحباب الصدقة على المؤمن خصوصاً ، وعلى الناس عموماً إلا النواصب (باب ٢١ من أبواب الصدقة) ، بل على سائر المخلوقات حتى الدواب .
١٣- استحباب الصدقة على ذي الرحم ولو كان كاشحاً .
١٤- جواز الصدقة على مجهول الحال ، واستحبابها على من وقعت له الرحمة في القلب.
١٥- كراهة رد السائل، بل يعطيه ولو قليلاً ،أو يعده ، أو يرده رداً جميلاً إن لم يقدر.
١٦- استحباب مواساة المؤمن في المال .
١٧- استحباب الإيثار على النفس ولو بالقليل .

١٨- استحباب تقبيل الإنسان يده بعد الصدقة ، وتقبيل ما تصدق به ، وشمه ، بعد القبض ، حيث ورد في حديث المعلى عن الصادق (ع) (كان أبي اذا تصدق بشيء وضعه في يد السائل ، ثم إرتجعه منه ، فقبّله وشمّه ، ثم رده في يد السائل ، وذلك انها تقع في يد الله ، قبل ان تقع في يد السائل) .

١٩- عدم جواز السؤال والطلب من غير احتياج .

٢٠- كراهة إظهار الاحتياج والفقر .

٢١- جواز الشكوى إلى المؤمن خاصة ، وإعلام الأخوان بالضيق مع الضرورة .

٢٢- عدم جواز المن بعد الصدقة والجميل .

٢٣- استحباب فعل المعروف ، وانه صدقة .

٢٤- استحباب إطعام الطعام .

٢٥- استحباب التصدق بأحب الأشياء .

٢٦- استحباب سقي الماء للناس والدواب ولو في موضع يوجد فيه الماء .

٢٧- استحباب البر بالإخوان ، والسعي في حوائجهم ، وصلة فقراء الشيعة .

٢٨- استحباب الصدقة في كل حال ، ولو كان في الصلاة .

وهناك أبواب أخرى عن الصدقات ذكرها صاحب الوسائل في ج١٣ (من طبعة المكتبة الإسلامية) ضمن أبواب الوقوف والصدقات .

هذا طبعاً علاوة على النفقات الواجبة من قبيل الزكاة والخمس ، وأحكامها وتفاصيلها موجودة في كتب الفقه .

ومن الإنفاق أيضاً الإقراض (القـرض) ، ففي الحديث عن الـصادق (ع) : (مـامن مـسلم أقـرض قرضـاً حسناً يريـد بـه وجـه الله إلا حُـسب لـه أجرهـا كحـساب الـصدقة حتـى يرجـع إليـه) ، بـل ورد في بعـض الأحاديـث ان القرض أفضل ثواباً من الصدقة .

وقد قال الله تعالى :

(مَـن ذَا الَّـذِي يُقْـرِضُ اللّـهَ قَرْضـاً حَـسَناً فَيُـضَاعِفَهُ لَـهُ وَلَـهُ أَجْـرٌ كَـرِيمٌ) الحـديد- ١١

(مَّـن ذَا الَّـذِي يُقْـرِضُ اللّـهَ قَرْضـاً حَـسَناً فَيُـضَاعِفَهُ لَـهُ أَضْعَـافاً كَثِـيرَةً) البقـرة- ٢٤٥

مـع الإلتفـات إلى ان المقـصود بـالقرض في هـذه الآيـات الـشريفة أعـم مـن القرض والصدقة وغيرهما من وجوه الإنفاق الواجبة والمستحبة .

ومن الإنفاق أيضاً نصرة الدين وأئمـة المؤمنين (ع) ، حيث ورد في الحديث عـن الـصادق ان المقـصود بالآيـة الـسابقة (صـلة الإمـام (ع)) ، أو كمـا في الحديث عن الكاظم (ع): (صلة الإمام في دولة الفسقة) .

ولا يخفى ان هذا المورد من أوضح وأهـم مـصاديق الإنفـاق المـادي في سـبيل الله تعالى .

وفي الحـديث عـن أمـير المـؤمنين (ع): (قـوام الـدين بأربعـة ، بعـالم نـاطق مـستعمل لـه ، وبغـني لا يبخـل بفـضله عـلى أهـل ديـن الله ، وبفقـير لا يبيـع آخرته بدنياه ، وبجاهل لا يتكبر عن طلب العلم) .

وهناك صورة أخرى للإنفاق في سبيل الله ، وهي إنفاق العلم ، حيث ورد في الحديث عن الإمام علي (ع) ان : (زكاة العلم نشره) ، و (بذله لمستحقه ، وإجهاد النفس في العمل به) .
وعن الباقر (ع) : (زكاة العلم ان تعلّمه عباد الله) .
وفي تحف العقول عنهم (ع) : (العلم يزكو على إنفاقه ، فإنفاقه بثّه إلى حفظته ورواته) .
وهناك أيضاً إنفاق الأخلاق الفاضلة ، وانما يكون ذلك بتطبيقها والتحلي بها ، ونشرها بالسيرة العملية ، والتعامل على أساسها بالمقدار الممكن ..
فيحسّن خلقه ، ويداري الآخرين ، ويكون حسن العشرة ، ظاهر المروءة ، طيب اللسان ، صادقاً .. إلى غير ذلك من الأخلاق المطلوبة .
ومن هذا الإنفاق ما ورد عن النبي (ص) : (ما أنفق المؤمن من نفقة هي أحب إلى الله عزوجل من قول الحق في الرضا والغضب) .
وهكذا تتعدد وجوه الإنفاق وموارده ، وتتعدد مستوياته ومراتبه ، وكله بعين الله مادام في سبيل الله تعالى .

عدم البخـل

ولتــحذر البخل فان البخيل

ليـــس لـــه لـربّــهِ مــن سبيـــــل

يقول الله تعالى :

(وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسه ، وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء) محمد- ٣٨

(ولاَ يَحْسَبَنَّ الَّذين يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِه هُوَ خَيْراً لَّهُمْ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخلُواْ به يَوْمَ الْقيَامَة) آل عمران- ١٨٠

(وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) التغابن- ١٦

وفي الحديث عن النبي (ص) : (أقل الناس راحة البخيل ، و أبخل الناس من بخل بما أفترض الله تعالى عليه) .

وعن الإمام علي (ع) : (ان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (الجنة محرمة على كل بخيل) .

وعنه (ع) أيضاً : (إياكم والبخل ، فانه عاهة ، والعاهة لا تكون في مؤمن) ، و (البخل جهل ، وقلة معرفة بالخالق الرازق) .

وعن الصادق (ع) : (الشح أشد من البخل ، ان البخيل يبخل بما في يده ، والشحيح يشح على ما في أيدي الناس وعلى ما في يديه ، حتى لا يرى مما في أيدي الناس شيئاً إلا تمنى ان يكون له بالحل والحرام ، ولا يقنع بما رزقه الله) .

ثم ان الوارد في حديث جنود العقل ان البخل ضد السخاء ..
أو لنقل بتعبير آخر ان البخل خلاف الإنفاق في سبيل الله ، وموارده كموارده قد تكون مادية أو معنوية .
وفي الكافي عن الإمام علي (ع) :(الشحيح اذا شح ، منع الزكاة والصدقة وصلة الرحم وقرى الضيف والنفقة في سبيل الله وأبواب البر ، وحرام على الجنة ان يدخلها شحيح) .
وعن الكاظم (ع) : (البخيل من بخل بما افترض الله عليه) .
كذلك مر علينا في (فصل السلام) ان (البخيل من بخل بالسلام) .

وقد قال الله تعالى :
(فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) الليل (٥- ١٠) .

بقي ان ننبه إلى ان التدبير يختلف عن البخل ، وسنشير إليه إجمالاً في الفصل اللاحق .

عدم الإسراف أو التبذير

وإن يك البـخيـــل مـــمن فـــرّطا

فضـــــدّه المسـرف مـمن أفـــرطا

يقول الله تعالى :

(وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً) الإسراء- ٢٩

(وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) الأعراف- ٣١

(وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) الإسراء(٢٦-٢٧)

وقد وصف الله تعالى خيار عباده بعدة أوصاف منها :

(وَالَّـذِينَ إِذَا أَنفَقُـوا لَـمْ يُـسْرِفُوا وَلَـمْ يَقْتُـرُوا وَكَـانَ بَـيْنَ ذَلِـكَ قَوَامــاً) الفرقـان- ٦٧

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (إتـق الله ولا تـسرف ولا تقـتر ، ولكـن بـين ذلك قواماً) .

وورد عنـه (ع) أيـضاً : (الـسرف أمـر يبغـضه الله) ، و(الـسرف يـورث الفقــر) ، و (ان مع الإسراف قلة البركة) .

وقـد مـر علينـا في فـصل (إجتنـاب الكبـائر) ، ان الإسـراف والتبـذير مـن الكبائر.

وفي مجمع البحرين ومرآة الكمال ان التبذير هو الإنفاق فيما لا ينبغي ، وأما الإسراف فهو الصرف زيادة عما ينبغي .

وفي مرآة الكمال ذكر انه ورد في الحديث ان من أشرف الشرف الكف عـن التبـذير والـسرف ، وان كـل مـا زاد علـى الاقتـصاد إسـراف ، ومـا فـوق الكفاف إسراف .

نعم ورد في الحديث عنهم (ع) :(انه ليس فيما أصلح البدن إسراف ، إنما الإسراف فيما أفسد المال واضر بالبدن) .

وفي غاية المتفقهين ذكرنا انه ليس كل ما يعده العرف إسرافاً ، يكون منهياً عنه شرعاً ، وقد اشتهر انه (لا سرف في الخير) .

وفي المستدرك عن الصادق (ع) : (من أنفق شيئاً في غير طاعة الله فهو مبذّر ، ومن أنفق في سبيل الخير فهو مقتصد) .

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (ع) : (ألا وان إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ، ويكرمه بين الناس ، ويهينه عند الله) .

ثم انه قد ورد الحث على حسن التدبير والتقدير ..

ففي الحديث عن النبي (ص) : (التقدير نصف المعيشة) و (ما عال امرؤ في اقتصاد) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (كن سمحاً ولا تكن مبذراً ، وكن مقدّراً ولا تكن مقتراً) .

وكذلك ورد عنه (ع) : (حسن التدبير مع الكفاف ، أكفى لك من الكثير مع الإسراف) .

وفي عيون الحكم والمواعظ عنه (ع) أيضاً : (حسن التدبير وتجنب التبذير من حسن السياسة) ، و (قوام العيش حسن التقدير ، وملاكه حسن التدبير) .

وعن الصادق (ع) : (لا يصلح المرء إلا على ثلاث خصال ، التفقه في الدين ، وحسن التقدير في المعيشة ، والصبر على النائبة) .
وكذلك ورد عنه (ع) : (المؤمن حسن المعونة ، خفيف المؤونة ، جيد التدبير لمعيشته) .
وفي البحار عنه (ع) : (من الدين التدبير في المعيشة) .
وفي مرآة الكمال انه ورد في الحديث عن المعصومين (ع) : (من اقتصد في معيشته رزقه الله ، ومن بذّر حرمه الله ، وان الله اذا أراد بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد وحسن التدبير ، وجنبه سوء التدبير والإسراف) .
ولذلك نسمع في الدعاء عن الإمام السجاد (ع) : (واحجبني عن السرف والازدياد ، وقومني بالبذل والاقتصاد ، وعلمني حسن التقدير ، وإقبضني بلطفك عن التبذير ، وأجر من أسباب الحلال أرزاقي ، ووجّه في أبواب البر إنفاقي) .

مواساة الآخرين

وإنــه مــن فــرضك المُلزمِ

حـــق مــواســاتك للـمسلـــمِ

يقول الله تعالى :

(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) البلد(١٧-١٨) .

وفي الوسائل ما مضمونه ان رجلاً أبطأ على النبي (ص) فلما سأله عن السبب ، شكى إليه عوز الساتر اللائق ، فقال له النبي (ص) : (أما كان لك جار له ثوبان يعيرك أحدهما ؟ فقال الرجل : بلى يا رسول الله ، فقال (ص) : (ما هذا لك بأخ) .

وعن الباقر (ع) :(ان من حق المؤمن على أخيه المؤمن ان يشبع جوعته ، ويواري عورته ، ويفرج عنه كربته ، ويقضي دينه ، فاذا مات خلفه في أهله وولده) .

وفي المحاسن عن الصادق (ع) : (المواساة المواساة المواساة لإخوانكم) .

وورد عنه (ع) أيضاً جملة من حقوق المؤمن على المؤمن وعد منها :

(المواساة في ماله) .

وستأتي تفاصيل كثيرة عن المواساة في ملاحق الكتاب عند الحديث عن صفات المؤمن الحقيقي ، وحقوق العباد على العباد .

كما مر الحديث عن عناوين كثيرة تدخل ضمن المواساة ، من قبيل إدخال السرور ، والإغاثة وحب الخير للآخرين ، ونحو ذلك .

وفي الحقيقة فان المواساة المطلوبة فيها تفاصيل كثيرة يصعب تحملها على أكثر الناس (انظر الوسائل باب ١٢٢ من أحكام العشرة) .

ففي الحديث عن النبي (ص) : (ثلاثة لا تطيقها هذه الأمة : المواساة للأخ من ماله ، وإنصاف الناس من نفسه ، وذكر الله على كل حال ، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر فقط ، ولكن اذا ورد على ما يحرم خاف الله) .

وعن اسحاق بن عمار انه كان عند الصادق (ع) ، فذكر مواساة الرجل لإخوانه وما يجب له عليهم ، فدخله من ذلك أمر عظيم ..

ولقد كان أمير المؤمنين (ع) يقول : (أأقنع من نفسي بان يقال هذا أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص) .

وكذلك ورد عن الإمام الصادق (ع) انه أصاب الناس في عهده قحط بالمدينة ، وكان عنده طعام قد اشتراه منذ مدة ، فأمر ببيعه ، وأخذ يشتري مع الناس يوماً بيوم ، وقد علل ذلك بقوله (ع) : (انا نكره ان نأكل جيداً ، ويأكل الناس رديئاً) .

بقي ان نشير إلى ان الوارد في حديث جنود العقل والجهل ان المواساة ضد المنع ..

والمواساة قد تتحقق بفعل معين يُعين المقابل به ، كأن يساعده بمال أو غيره ، أو يعينه بموقف ، أو نحو ذلك مما يحتاج إليه .

وقد تتحقق المواساة بكلمة طيبة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وقد يكون لها أثر كبير في التخفيف عن المقابل ، أو تفريج كربه ، أو إدخال السرور عليه .

وقد تتحقق المواساة بالحال ، كما مر قبل قليل عن الإمام علي (ع) ، والإمام الصادق (ع) ، فيُنزل المواسي نفسه منزلة المواسى ، أو يشترك معه بما هو فيه ، فتكون حاله كحاله ، وهذه من المواساة حتماً .. ولها مصاديق كثيرة .

إطعام الطعام قربة إلى الله تعالى

وإن مـــن أجـــود فعل الكرام

قِـــرى الـمساكين وبـذل الطعـام

يقول الله تعالى :

(فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) الحج- ٢٨

ومدح عزوجل الأبرار الذين وصفهم بقوله تعالى :

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً) الإنسان(٨- ٩) .

وبالمقابل فقد ذكر الله تعالى ان أصحاب اليمين يتساءلون يوم القيامة عن المجرمين :

(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ) المدثر(٤٢- ٤٤) .

وقال تعالى أيضاً معاتباً وزاجراً :

(كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) الفجر(١٧-١٨) .

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل إطعام الطعام وضيافة المؤمنين وخصوصاً الفقراء والمساكين منهم ..

وفي الحديث عن النبي (ص) : (خيركم من أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى والناس نيام) .

وفي رواية عن الصادق (ع) ان هذه الخصال من المنجيات .

وعـن الـنبي (ص) أيـضاً أن مـن موجبـات مغفـرة الـرب عزوجـل إطعـام الطعـام .
وكذلك ورد عنه (ص) : (من أطعـم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ، ومن كساه ثوباً لم يزل في ضمان الله عزوجل مادام على ذلك المؤمن من ذلك الثوب) .
وفي الوسائل عن ثواب الأعمال رواية بنفس المضمون تقريباً عن الإمام السجاد (ع) .
وفي الوسائل (باب ١٦ من أبواب فعل المعروف) ، و (باب ٤٧ من أبواب الصدقة) عدة أحاديث في استحباب إطعام الطعام .
وعن الباقر (ع) : (ان الله يحب إطعام الطعام) .
وفي الرواية ان الرضا (ع) كان اذا أكل أتى بصحفة فتوضع بقرب مائدته ، فيعمد إلى أطيب الطعام مما يؤتى به ، فيأخذ من كل شيء شيئاً فيضع في تلك الصحفة ، ثم يأمر بها للمساكين) .

وكذلك ورد استحباب سقي الماء للناس وللحيوانات أيضاً .
وفي الحديث عن الصادق (ع) عن أمير المؤمنين (ع) : (أول ما يُبدأ به في الآخرة صدقة الماء ، يعني في الأجر) .

وفي مرآة الكمال (٢٣١/١) ذكر آداب الوليمة والإطعام ، وآداب الضيافة والضيف ، وذكر انه يستحب إقراء الضيف ، وهو حبه والإحسان إليه .
وقد ورد انه لا يقري الضيف إلا مؤمن تقي ، وان من أطعم مؤمناً محتاجاً كان له بعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل ينقذها من الذبح .

وورد ان الضيف اذا نزل جاء برزقه معه من السماء .
وفي أصول الكافي (باب ٨٦ من كتاب الايمان والكفر) ، عدة أحاديث في ان إطعام المؤمن خير من عتق رقبة ..
بل ورد في حديث سدير عن الصادق (ع) انه (ع) قال له : (ما منعك ان تعتق كل يوم نسمة ، قلت : لا يحتمل مالي ذلك ، فقال (ع) : (تطعم كل يوم مسلماً) فقلت : (موسراً أو معسراً) فقال (ع) : (إن الموسر قد يشتهي الطعام) .
وفي رواية الحسين بن نعيم الصحاف قال : قال أبو عبد الله (ع) : (أتحب إخوانك يا حسين ؟ قلت : نعم ، قال : تنفعُ فقراءهم ؟ قلت : نعم ، قال : أما إنه يحق عليك أن تحب من يحب الله ، أما والله لا تنفعُ منهم أحداً حتى تحبه ، أتدعوهم إلى منزلك ؟ قلت : نعم ما آكلُ إلا ومعي منهم الرجلان والثلاثة والأقل والأكثر ، فقال أبو عبد الله (ع) : أما إن فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم ، فقلت : جعلت فداك أطعمهم طعامي وأوطئهم رحلي ويكون فضلهم علي أعظم ؟! قال : نعم إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك ، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك) .

عدم الإكثار من الطعام والشراب

وصحة الأجسام والألبابِ

بـقــلـة الطعـــام والشـــرابِ

يقول الله تعالى :

(كُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ) الأعراف- ٣١

وفي الميزان عن النبي (ص) : (ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فضيّقوا مجاريه بالجوع) .

وكذلك ورد عنه (ص) : (لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء) .

وفي مكارم الأخلاق عنه (ص) : (لا تشبعوا ، فيطفأ نور المعرفة من قلوبكم) .

وفي مستدرك سفينة البحار عنه (ص) أيضاً :(ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن ، حسب ابن آدم أكلات (لقيمات) يُقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث طعام ، وثلث شراب ، وثلث لنفسه) .

وفي ميزان الحكمة عنه (ص) : (إياكم والبطنة ، فانها مفسدة للبدن ، ومورثة للسقم ، ومكسلة عن العبادة) ، و (ليس شيء أبغض إلى الله من بطن ملآن) .

وفي البحار عن الصادق (ع) : (قلة الأكل محمود في كل حال وعند كل قوم ، لان فيه المصلحة للباطن والظاهر) .. (وليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل ، وهي مورثة شيئين : قسوة القلب ، وهيجان الشهوة .. والجوع أدام المؤمن ، وغذاء الروح ، وطعام القلب ، وصحة البدن) .

ولنختم كلامنا في هذا الفصل بالتنبيه إلى فضل الصوم ، وعظيم آثاره وفوائده في الدنيا والآخرة ، فيحسن مراجعة الروايات الواردة فيه ، لرفع الهمة ، ورفع الموانع ، والله الموفق والمستعان .

البر بالناس عموماً

والبـر بـالنـاس يديم الحيـاة

والبـر بـالنـفس طـريق النـجـاة

يقول الله تعالى :

(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى) المائدة- ٢

(إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ، تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ، يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ، خِتَامُهُ مِسْكٌ ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) المطففين(٢٢-٢٦) .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (كن باراً واقتصر على الجنة ، وان كنت عاقاً (فظاً) فاقتصر على النار) .

وعن الصادق (ع) : (تواصلوا وتباروا وتراحموا ، وكونوا إخوة أبراراً كما أمركم الله عزوجل) .

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (كونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين) .

وفي قرب الإسناد ان أكثر ما كان يوصي به الإمام الصادق (ع) البر والصلة .

وفي مرآة الكمال ذكر عدة أحاديث عن المعصومين (ع) منها : (ان من خالص الإيمان البر بالإخوان ، وفي ذلك محبة من الرحمن ، ومرغمة للشيطان ، وتزحزح عن النيران ، وإن من حسن بره بإخوانه وأهله مُد في عمره ، وان البر وحسن الجوار زيادة في الرزق ، وعمارة في الديار ، وانه ما يعبد الله بمثل نقل الأقدام إلى بر الإخوان وزيارتهم ، وإن أسرع الخير ثواباً البر ، وقد قال تعالى :(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى) .

وقال رسول الله (ص) : (إن معاونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام) .

وفي مجمع البحرين ان البر اسم جامع للخير كله ، والبَر (بالفتح) البار والبررة جمع بار وهو فاعل البر (أي الخير) ، وجمع البَر أبراراً .

وفي مفردات الراغب ان البر (بالكسر) التوسع في فعل الخير ، وجمع البار إبرار وبررة .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (إنما سمي الأبرار أبراراً ، لأنهم بروا الآباء والأبناء والأخوان) .

وفي الحقيقة فان البر له مصاديق عديدة مر بعضها من قبيل إغاثة المحتاج ، ومواساة الإخوان ، والتزاور ، والمودة ، والتراحم ، ونحو ذلك من وجوه الخير والإحسان .

وفي كتاب الأخلاق في حديث واحد ، ذكر مصاديق كثيرة للبر والخير فيحسن مراجعتها للاستفادة أو التذكير ..

وقد ورد عن النبي (ص) : (فوق كل ذي بر بر ، حتى يُقتل الرجل في سبيل الله ، فاذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه بر) .

وفي رواية جميل عن الصادق (ع) :(إن مما خص الله به المؤمن أن يُعرّفه بر إخوانه وإن قلّ ، وليس البر بالكثرة ، وذلك أن الله عزوجل يقول في كتابه : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

ثم قال (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)..

ومن عرّفه الله عزوجل بذلك أحبه ، ومن أحبه الله تبارك وتعالى وفّاه أجره يوم القيامة بغير حساب ، ثم قال : يا جميل إرو هذا الحديث لإخوانك فانه ترغيب في البر .

وفي رواية أخرى عنه (ع) (بروا بإخوانكم ، ولو بحسن السلام ، ورد الجواب).

وفي الحديث عن الصادق (ع) عن الباقر (ع) عن أمير المؤمنين (ع) عن النبي (ص) :
(رحم الله ولداً أعان والديه على بره ، ورحم والداً أعان ولده على بره ، ورحم الله جاراً أعان جاره على بره ، رحم الله رفيقاً أعان رفيقه على بره ، ورحم الله خليطاً أعان خليطه على بره ، ورحم الله رجلاً أعان سلطانه على بره) .

بقي أن نشير إلى ما ذكرناه في (أدعية ومناجيات قرآنية) عن الأبرار ، وهم الذين يتصفون بالبر ، والبر معنى عام له عدة مصاديق :

فهناك البر مع الخالق تعالى ، بالطاعة له والتقوى والعمل بما يحبه ويرضاه عزوجل ، ومنه قوله تعالى :
(ولكنّ البرّ من آمن بالله واليومِ الآخرِ والملائكة والكتاب والنّبيين ، وآتى المال على حُبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك همُ المتقون) البقرة-١٧٧
(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى) البقرة- ١٨٩

وهناك البر مع المخلوقين وهو الإحسان إليهم والتعامل معهم بمكارم الأخلاق ، ومنه قوله تعالى :
(وبراً بوالديه)مريم- ١٤ ..
وسيأتي الحديث عن البر بالآباء والأبناء .
وقوله تعالى :
(لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) آل عمران- ٩٢..
وقد مر الحديث عن الإنفاق في سبيل الله .

وهناك البر مع النفس بالإحسان إليها وعدم الاضرار بها وعدم تعريضها للعقوبات الإلهية ، وعدم حرمانها من البركات والمثوبات الإلهية .
وقد مر الحديث عن مجاهدة النفس ومراقبتها ونحو ذلك مما يدخل في عنوان البر بالنفس والإحسان إليها .

وينبغي الإلتفات هنا إلى مسألة خطيرة ، وهي أن ظاهر القرآن الكريم أن الإنسان إما ان يكون من الأبرار (ولو في الجملة) ، وإما ان يكون من الفجار والعياذ بالله ..
حيث يقول الله عز وجل : (إن الأبرار لفي نعيمٍ ، وإن الفُجّار لفي جحيمٍ) الانفطار(١٣- ١٤)
وهذا التقسيم والتمييز هو من قبيل قوله تعالى :
(إما شاكراً وإما كفوراً) الإنسان -٣
(قد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها)الشمس (٩-١٠)

(فأصحابُ الميمنةِ ما أصحابُ الميمنةِ ، وأصحاب المشئمة ما أصحابُ المشئمةِ) الواقعة (٨- ٩)

ولكن الذي يهون الخطب هنا ، أن البر وان كان معناه واسعاً كما قلنا ، إلا ان مصاديق البر ليست كلها واجبة ، وانما فيها ماهو واجب ، وفيها ماهو مستحب ، والمستحب منها على درجات ومستويات ..

فيكفي - على الأقل - أن يلتزم الفرد بالمصاديق الواجبة ، ليكون من الأبرار ، ومع الأبرار ، بإذن الله عز وجل وحسن توفيقه وقبوله ..

وان كان المطلوب منه أكثر من ذلك كما لا يخفى .

البر بالآباء والأبناء

والبر بالآباء فرض دائمُ
والبر بالأبناء أيضاً لازمُ

والكلام هنا يكون ضمن محورين :

أولهما – البر بالآباء ..

ثانيهما – البر بالأبناء ..

المحور الأول – البر بالآباء (الوالدين)

حيث يقول الله تعالى :

(وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً) الأحقاف– ١٥

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً)الإسراء(٢٣-٢٤) .

(وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ، وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً) لقمان(١٤- ١٥) .

وقد مدح الله تعالى عبده يحيى (ع) بقوله :

(وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ) مريم– ١٤

وفي مرآة الكمال ذكر عدة أحاديث عن البر بالوالدين ، منها :

انه لن يدخل النار البار بوالديه ، وان رضا الرب في رضاء الوالدين ، وسخط الرب في سخط الوالدين .

ونقل عن المستدرك عدة آثار مروية للبر بالوالدين منها: طول العمر ، وكثرة المال ، والمحبة في العشيرة ، وان البار يطير مع الكرام البررة ، وان ملك الموت يتبسم في وجه البار .. هذا علاوة على رضا الله تعالى .

وعن النبي (ص) ان العبد ليرفع له درجة في الجنة ، لا يعرفها من أعماله ، فيقول رب أنى لي هذه ؟ ، فيقول : باستغفار والديك لك من بعدك .

وقد تحدثنا في (طريقك نحو الجنة) عن علاقة الابن بوالديه ، ونبهنا إلى حقيقة ان البر بالوالدين انما هو من ضروريات الدين ، بل من الضروريات العقلائية ، وقد ورد في الحديث عن النبي (ص) : (رضا الله في رضا الوالدين) ، وهو يبين لنا أهمية رضا الوالدين ، وان الله تعالى يرضى لرضاهما ، وفي الحديث ما مضمونه ان البر يدفع ظهر المؤمن يوم القيامة فيدخله الجنة .

وينبغي الإلتفات إلى ان البر لا يقتصر على الأبوين المؤمنين ، بل يشمل حتى الأبوين الفاجرين ، ففي الحديث عن الباقر(ع) :(ثلاث لم يجعل الله عزوجل لأحد فيهن رخصة) ، وذكر منها (ع) : (بر الوالدين برين كانا أو فاجرين) .

وهذا يعني ان الابن مطالب بالإحسان إلى والديه والبر بهما حتى وان كانا قد ظلماه أو قصّرا في حقوقه ، حيث ورد عن الصادق (ع) : (من نظر إلى أبويه نظر ماقتٍ لهما ، وهما ظالمان له ، لم يقبل الله له صلاة) .

هذا طبعاً مالم يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ويصلح ما فاته ، لأن الله تعالى خير الغافرين ، فيحاول الولد ان يسترضيهما ان كانا حيين ، ويجتنب عقوقهما ، واما ان كانا ميتين فيحاول أن يبرهما بالخيرات ، حيث ورد عن

الإمام الباقر(ع) : (انه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار بهما ، فاذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما ، فيكتبه الله عز وجل باراً) .
أقول : المراد بقضاء الدين هنا ما يشمل الديون الدنيوية والأخروية .
وعلى أية حال ، فاذا كانت صلة الرحم واجبة ، فان الآباء والأمهات هم أولى الأرحام بالصلة والمودة ..
مع الإلتفات إلى التركيز على الأم حيث ورد انه جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله من أبر ؟ فقال (ص) : (أمك) . قال : ثم من ؟ فقال (ص) : (أمك) . قال : ثم من ؟ فقال (ص) : (أمك) . قال : ثم من ؟ فقال (ص) : (أباك) .

ثم انه توجد عدة مصاديق للبر بالوالدين ، نذكر منها الأهم :
١- الإحسان إليهما ومساعدتهما من جميع الجهات الممكنة ، فقد روي عن أبي ولاد قال : سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) ما هذا الإحسان ؟ فقال(ع) : (الإحسان ان تحسن صحبتهما ، وان لا تكلفهما ان يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه ، وان كانا مستغنيين ، أليس يقول الله عزوجل (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .
وعن الصادق (ع) أيضاً : (فيمن قال له : ان أبي قد كبر جداً وضعف فنحن نحمله اذا أراد الحاجة ، فقال الإمام (ع) : (ان استطعت ان تلي ذلك منه فافعل ، ولقّمه بيدك فانه جنة لك غداً) .
٢- الصبر وتحمل الأذى من الوالدين ، حيث ورد عن الصادق(ع) في تفسير قول الله عزوجل : (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا) ، فقال (ع) : (ان أضجراك فلا تقل لهما أف ،

ولاتنهرهما ان ضرباك ، قال : (وقل لهما قولاً كريماً) قال (ع) : ان ضرباك فقل لهما : غفر الله لكما ، فذلك منك قول كريم) .
وعن الصادق (ع) أيضاً : (أدنى العقوق أف ، ولو علم الله عزوجل شيئاً أهون منه لنهى عنه) .
٣- الاحترام والتوقير لهما حيث يقول الله تعالى : (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) ، وفي الحديث عن الصادق (ع) : (ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ، ولا يدك فوق أيديهما ، ولا تقدم قدامهما) .
وفي مرآة الكمال انه قيل للإمام السجاد (ع) : أنت أبر الناس ولا نراك تواكل أمك ؟ فقال (ع) : (أخاف ان أمد يدي إلى شيء قد سبقت عينها عليه ، فأكون قد عققتها) .
٤- النظر إليهما بحنان ومودة ، حيث ورد في نفس الحديث : (لا تملأ عينيك من النظر اليهما إلا برحمة ورقة) .
وفي حديث آخر عنه (ع) أيضاً : (من العقوق ان ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر اليهما) .
٥- النصيحة لهما ، والدعاء والاستغفار لهما ، فان ذلك كله من البر بالتأكيد ، حيث ورد عن أبي عبد الله (ع) : (ما يمنع الرجل منكم ان يبر والديه حيين وميتين ، يصلي عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما ، فيكون الذي صنع لهما ، وله مثل ذلك ، فيزيده الله عزوجل ببره وصلته خيراً كثيراً) .
بل ورد عن الباقر (ع) : (ان العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ، ثم يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما ، فيكتبه الله عاقاً) .

وسيأتي في رسالة الحقوق للإمام السجاد (ع) بيان حق الوالدة والوالد ، كما يحسن أكيداً مراجعة دعاء الإمام السجاد (ع) للوالدين في الصحيفة السجادية ، فانه يتضمن معان مهمة ينبغي الإلتفات إليها ومراعاتها في العلاقة مع الوالدين ..

وفي الغدير للأميني أنه ورد في الحديث الآباء ثلاثة : أبٌ ولدك ، وأبٌ زوّجك ، وأبٌ علّمك .. فينبغي مراعاة ذلك .

ولا يفوتنا التنبيه إلى البر بالنبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) باعتبار أنهم آباء هذه الأمة عموماً ، كما فصلناه عند الحديث عن إخوّة المؤمنين فيما بينهم بالايمان ، بل هؤلاء الآباء أولى بالبر .

بقي ان نشير إلى نقطة مهمة ، وهي ان طاعة الوالدين قد لا تكون واجبة أحيانا ، بل قد تكون محرمة أصلاً في بعض الموارد ، إلا ان عدم امتثال أمرهما عندئذ لا يعني ترك البر بهما.
بيان ذلك : انه اذا كان يترتب على امتثال أمر الوالدين حصول ضرر حقيقي على الابن أو ماله أو أهله ، فهنا لا يجب امتثال هذا الأمر ، نعم يفترض بالابن البار عندئذ أن يحاول إقناع والديه أو استرضائهم لأجل دفع سخطهم ، أو نحو ذلك مما يهدأهم به إن أمكنه ذلك .
ثم انه في بعض الأحيان قد يأمر الوالدان أو أحدهما بالمعصية ، وهنا تحرم الطاعة على الابن ، لأن الوارد عن أمير المؤمنين (ع) : (لا طاعة

لمخلوق في معصية الخالق) ، وكذلك ورد أنه (لا يطاع الله من حيث يعصى) .

ومع ذلك ينبغي على الابن أن يبر بوالديه - حتى في مثل هذه الحالة - بان ينصحهما ويحاول هدايتهما ، فان لم يهتديا ، فليستغفر الله تعالى لهما وليصاحبهما بمعروف ، كما ورد في قوله تعالى: (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ، وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً) لقمان- ١٥ .

لا يقال هنا ان الطاعة انما تحرم اذا أمر الوالدان بالشرك فقط ، واما اذا أمرا بالمعصية فالطاعة لازمة ، فان هذا القول واضح الفساد ، لأن ارتكاب المعاصي انما هو وجه من وجوه الشرك ، كما بيّناه في مقام سابق .

هذا بالإضافة إلى عموم الحديث الذي ذكرناه قبل قليل عن أمير المؤمنين (ع) ، لان عنوان (المخلوق) الذي لا طاعة له في معصية الخالق تعالى ، يشمل الوالدين وغيرهما .

نعم ورد في باب الجهاد عن الصادق (ع) انه أتى رجل رسول الله (ص) فقال : يا رسول الله إني راغبٌ في الجهاد نشيطٌ قال : فقال النبي (ص) : (فجاهد في سبيل الله فإنك إن تُقتل تكن حياً عند الله تُرزق ، وإن تمُت فقد وقع أجرك على الله ، وإن رجعت رجعت من الذنوب كما وُلدت)، قال : يا رسول الله إن لي والدين كبيرين ، يزعمان أنهما يأنسان بي ويكرهان خروجي ، فقال رسول الله (ص) : (فقرَّ مع والديك ، فو الذي نفسي بيده لأُنسُهما بك يوماً وليلة خيرٌ من جهاد سنة) .

المحور الثاني – البر بالأبناء

يقول الله تعالى :

(يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ) النساء– ١١

وفي الحديث عن النبي (ص) : (انما سمي الأبرار أبراراً ، لأنهم بروا الآباء والأبناء والإخوان) .

وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا انه يقال أن الوالد والوالدة لا يحتاجان إلى نصيحة أو إرشاد أو أمر بالعطف على أولادهم ، لان هذا هو مقتضى الفطرة الموجودة في النوع الإنساني ، وهذا القول صحيح وسليم ، إلاّ إننا مع ذلك سوف نتحدث عن ذلك مع الآباء ، من باب التذكير ، وبيان الأجر ، خصوصاً وان بعض الآباء يعتقد في نفسه أنه مالك لأولاده ، وان من حقه ان يسيطر عليهم كيفما يشاء ولو بالإضرار بهم ، وهذا ما يعاني منه أبناؤهم المؤمنون الذين يقعون بين المطرقة والسندان ، فمن جهة يريد هؤلاء الأبناء أن لا يُغضبوا آباءهم ، ومن جهة فان الانصياع يؤدي بهم أحياناً إلى الوقوع في أضرار مادية أو معنوية ، دنيوية أو أخروية .

وقد ورد في الحديث عن النبي (ص) : (رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما) ..

وقد قيل للإمام الصادق (ع) : كيف يعينه على بره ؟ فقال (ع) : (يقبل ميسوره ، ويتجاوز عن معسوره ، ولايرهقه ، ولا يخرق له) .

فاذا عرفنا أن إرهاق الأولاد والإضرار بهم يؤدي غالباً إلى القطيعة أو العناد والعقوق ، فعندئذ يكون إرهاق الآباء لأولادهم محرماً ، لان مقدمة الحرام حرام أيضاً كما يقولون ، وهذا هو معنى ماورد عن النبي (ص) : (لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما) .

ثم ان للولد على أبيه حقوق منها واجبة ومنها مستحبة ، فاذا أردنا تحصيل الجنة ومراتبها العالية ، فالمفروض ان نلتزم - كآباء- بأداء الحقوق المستحبة كذلك ، لان الدنيا مزرعة الآخرة ، واذا مضى بالإنسان عمره فقد قلّت فرصته ، فالمفروض به ان يكنز لنفسه ما ينفعه في دار خلوده .
وعلى أية حال فقد ورد عن النبي (ص) : (يا علي حق الولد على والده ، أن يُحسن اسمه، وأدبه ، ويضعه موضعاً صالحاً) ..
وسيأتي بعد قليل ما ورد عن الإمام السجاد (ع) في (رسالة الحقوق) في حق الولد .
وهناك جملة من الروايات توجب السعي في رزق الأولاد والتوسعة عليهم ..
ولئن كانت صلة الرحم واجبة ، فأولاد الرجل هم أولى أرحامه ، وقد ورد عن الصادق (ع) : (ان الله ليرحم الرجل لشدة حبه لولدهِ) .
وعن النبي (ص) : (من قبّل ولده كتب الله له حسنة ، ومن فرَّحه فرّحه الله يوم القيامة ، ومن علّمه القرآن دُعي بالأبوين فكسيا حلتين تضيء من نورهما وجوه أهل الجنة) ..
وعنه (ص) أيضاً :(أكرموا أولادكم ، وأحسنوا آدابهم ، يغفر لكم) .
وفي الحقيقة فان كل والد يحسن إلى أولاده ، فانه انما يحسن إلى نفسه ، لان الوارد في الخبر أنه اذا مات الإنسان انقطع عمله إلاّ من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ..
هذا بالإضافة إلى أن جميع الصالحات التي سيعملها الولد فان للوالد فيها حصة ، لأنه تسبب فيها بنحو من الأنحاء ، وقد ورد عن النبي(ص) : (انه قال : مرّ عيسى بن مريم (ع) بقبر يعذّب صاحبه ، ثم مرّ به من قابل فاذا

هو لا يعذّب . فقال يا رب مررت بهذا القبر عام أول وهو يعذب ، ومررت به العام فاذا هو ليس يعذّب . فأوحى الله إليه أنه أدرك له ولد صالح ، فأصلح طريقاً وآوى يتيماً ، فلهذا غفرت له بما عمل ابنه) .

بقي ان نشير إلى مسألة مهمة ،وهي أهمية العدالة بين الأولاد ، فالمفروض بالمؤمن ان لا يميز بين أولاده ، إلاّ بميزان التقوى أو الحاجة الفعلية ، فقد روي ان رسول الله (ص) نظر إلى رجل له ابنان فقبّل أحدهما وترك الأخر فقال له النبي (ص) : (فهلاّ ساويتَ بينهما) .
وكذلك ينبغي ان لا يفرق الوالد بين الذكر والأنثى ، فان كل واحد منهما انما هو من عند الله ، وقد اختاره الله تعالى له كما في الرواية ، بل ورد عن الصادق (ع) : (البنون نعيم ، والبنات حسنات والله يسأل عن النعيم ، ويثيب على الحسنات) ..
حيث يشير (ع) إلى ما ورد عن النبي (ص) : (من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة . فقيل : يا رسول الله واثنتين ؟ فقال (ص) وإثنتين . فقيل : يا رسول الله وواحدة ؟ فقال : وواحدة) .
ولايخفى انه انما يستحق الجنة مع انحفاظ المباديء العامة التي ذكرناها في (طريقك نحو الجنة) .
وهكذا ندرك ان للولد على أبيه حقوق كثيرة ، اذا تعّمد إهمالها فان الله تعالى لا يرضى عنه عندئذ ، حيث ورد عن النبي (ص) : (يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ، ما يلزم الولد لهما من عقوقهما) .
ومن أوضح مصاديق هذا العقوق هو التقصير في تربية الأبناء دينياً ، لأن من أهم مسئوليات الوالد تجاه أولاده أن يبذل جهده في بناء الجانب

العقائدي والشرعي والأخلاقي لديهم ، لكي لا يقعوا في دائرة الجهل وآثاره المزعجة ، وقد ورد في رسالة الحقوق للإمام السجاد (ع) (و اما حق ولدك فأن تعلم أنه منك ، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وانك مسئول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عزوجل ، والمعونة له على طاعته ، فاعمل في أمره عمل من يعلم انه مثاب على الإحسان إليه ، معاقَب على الإساءة إليه) .

فليحذر الآباء حتى لا يظلموا أبناءهم خصوصاً من هذه الناحية ، فإن الله تعالى لا يحب الظلم ولا يرضاه ..

وبالمقابل فأن الواجب على الأبناء ، أن يتلافوا تقصير آباءهم من هذه الناحية ، وأن يستغفروا لهم من كل قلوبهم فأن هذا هو مقتضى وجوب البر بهم .

وفي (طريقك نحو الجنة) أيضاً تحدثنا عن أهمية دور الأم في التربية ، ولا بأس ان نعيده هنا أيضاً للفائدة والتذكير ..

فالأم تستطيع ان تدخل الجنة من أوسع أبوابها اذا اعتنت بأطفالها وقامت بتربيتهم وفق مبادئ الشريعة وتعاليمها .

وهنا قد تعترض بعض النساء بان هذا الأمر قد يكون خارجاً عن واجباتها ، ولكن هذا الاعتراض غير مقبول من النساء المؤمنات اللواتي يُردن المراتب العالية في الجنة ، فقد مر علينا ان التسابق إلى الخيرات مطلوب ، وان الإحسان إلى الآخرين مطلوب ، خصوصاً مع أبناء الإنسان الذين هم أقرب الناس إليه ..

(وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) الإسراء- ١٩ .
وهنا يُفترض بالمرأة الواعية التي رافقتنا في هذا الطريق (طريق الأخلاق) من البداية ، ان لا تسأل عن جدوى خدمة الأطفال أو العناية بهم ، أو حتى ملاطفتهم وملاعبتهم ، فان جميع هذه الأمور مأجورة ومثابة ، وكلما كانت هذه الأمور أشد على الإنسان كلما كان ثوابها أعظم وأرفع ، وقد قلنا في مناسبة سابقة ان تكامل الإنسان وجهاده لنفسه ينبغي ان يبدأ أولاً مع أقرب الناس إليه ، أو قل يبدأ أولاً ضمن محيطه الاجتماعي ، ولذلك ذكرنا ان المعصومين(ع) كانوا متكاملين من جميع الجهات ابتداء من أنفسهم المقدسة ، وحتى سائر تصرفاتهم مع عوائلهم وأصحابهم وسائر المجتمع ، والى أبعد الحدود ، ومن هنا ورد في بعض الروايات مامضمونه ان النبي (ص) - رغم أهمية الصلاة - فانه خفَّف في صلاته ، حين سمع صوت صبي يبكي ، وقال (ص) لأصحابه : (أوَ ما سمعتم صراخ الصبي ؟!) ، وهذا من باب الرحمة والإحسان كما لا يخفى .
فالأم اذاً ينبغي عليها ان تهتم بهذه الأمور اذا أرادت ان تُكتب عند الله تعالى من المحسنين والسابقين والصابرين ونحوهم ممن ذكرنا آثارهم ومنزلتهم عند الله تعالى ، طبعاً اذا كان عملهم لله تعالى ، أي خالصاً له عزوجل ، حيث عرفنا في مقام سابق ان جميع الأعمال التي نعملها اذا اعتبرناها لأجل تحصيل رضا الله تعالى وقربه فهي محفوظة ومأجورة ...
(مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ) الحديد- ١١

ومعلوم ان الإقراض والتصدق لا يكون بالأموال فقط ، بل هو بالأفعال الحسنة والصالحات أعظم وأرفع ...
(وَأَن لَّيْسَ لِلإنسَانِ إِلا مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) النجم (٣٩-٤٠)

ولنضرب مثالاً على ما ذكرناه الآن ، فالرضاعة مثلاً ليست من واجبات الزوجة (الأم) ، ولكن لنستمع إلى ما ورد عن النبي (ص) فيمن أرضعت إحساناً وتقرباً : (اذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، فاذا وضعت كان لها من الأجر ما لا يدري أحد ما هو لعظمه ، فإذا أرضعت كان لها بكل مصة كعدل عتق محرَّر من ولد إسماعيل ، فإذا فرغت من رضاعه ضرب مَلك كريم على جنبها وقال : استأنفي العمل فقد غُفر لك) ..
وفي الحديث عنه (ص) : (خير نسائكم نساء قريش ، ألطفهن بأزواجهن ، وأرحمهن بأولادهن) .
ثم انه ينبغي الإلتفات إلى بعض الأمثلة من النساء اللواتي خلدتهن الشريعة واعتبرتهن مثالاً يحُتذى به ..
فهاجِر (ع) والدة إسماعيل النبي (ع) لم يكن لها فضل إلاّ انها إعتنت بابنها وقامت بتربيته ، ولم تعترض على زوجها إبراهيم (ع) بان التربية ليست من مسئولياتها ..
وكذلك حال مريم العذراء (ع) ..
ولعل موقف أم البنين (ع) زوجة الإمام علي (ع) هو من أوضح الأمثلة في أذهان النساء ، فإنها كرست حياتها لخدمة أولادها وتربيتهم ، بل وحرصت كذلك ان تراعي أيضاً أولاد زوجها(ع) ، وبذلك استحقت

عند الله تعالى وعندنا نحن العباد اشرف المراتب وأعلاها ، ولا يشك احد انها ستكون مع المعصومين (ع) والصديقين يوم القيامة .

ومن قبلها كانت فاطمة بنت أسد أم الإمام علي (ع) ، التي حزن النبي (ص) عليها كثيراً وتوسد في قبرها ، وعندما سُئل في ذلك أجابهم بما مضمونه انها كانت من أحنّ الناس عليه .

ومن جهة أخرى فان مقتضى الفطرة الموجودة عند الأم هي ما قلناه ، واذا خالفت بعض النساء عن ذلك فانها انما تشذ عن الفطرة السليمة التي أودعها الله تعالى فيها ..

والظاهر ان المعصومين(ع) لاحظوا هذه الجهة ، حينما ورد عنهم ان : (الجنة تحت أقدام الأمهات) ، وان الأم تستحق البر أكثر من الأب ، فإنهم (ع) انما لاحظوا غالبية الأمهات ممن تتصرف على حسب فطرتها وطبيعتها ، أو تتصرف على حسب الإرشادات والتعاليم الإلهية الخاصة والعامة ..

ويؤيده ما ورد عن النبي (ص) انه قال عن النساء : (والدات والهات رحيمات بأولادهن ، لولا ما يأتين إلى أزواجهن ، لقيل لهن ادخلن الجنة بغير حساب) .

وأخيراً لابد من القول ان تربية الأبناء وان كانت غير واجبة عيناً على الأم ، إلا انها بالعنوان الثانوي قد تكون واجبة عليها ، لان الأبناء اذا لم يتحصنوا ضد الشيطان والفساد فانهم سيقعون في المعاصي ، وبذلك تكون الأم عاقة لهم ومقصرة في حقهم ، إذا لم تتحمل مسئوليتها المنجّزة في حقها .

وبهذا ندرك عظمة دور الأم وخطورته ، فهي تستطيع ان تُنتج للمجتمع أفضل الناس ، وذلك حينما تحرص على تربية أولادها تربية إسلامية صحيحة ، كما فعلت هاجر(ع) وأم البنين(ع) ، ونحوهما ، وبذلك يكون لهذه المرأة حصة ونصيب في جميع الحسنات التي سيعملها هؤلاء الأبناء سواء لأنفسهم أم للآخرين .

كما ان المرأة تستطيع أيضاً ان تنتج للمجتمع أناساً سيئين ، وذلك حينما تُهمل تربيتهم أو تقصر فيها ، وهذا ما نلاحظه عند أغلب الأمهات اللواتي يتركن تربية أولادهن لأجل الاهتمام بمصالحهن الخاصة أو الشخصية ، وبذلك تكون هذه المرأة قد ساهمت في خراب ابنها أو خراب المجتمع ..

فهذه المسألة يجب على كل أم ان تضعها في بالها ، قبل ان تحدد طريقها في هذه الحياة ، وطريقتها في كيفية التعامل مع أولادها .

وفي الختام نقول كذلك للام : اذا كنتِ تريدين ان تحصلي على ثواب إحياء جميع الناس ، فما عليك إلا ان تسهري على العناية بأولادك لكي يحيون حياة طيبة ، فان الله تعالى يقول :

(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) المائدة- ٣٢

ومعلوم ان أحياء النفس الإنسانية يكون من الناحيتين التكوينية والمعنوية .

حسن المعاملة الزوجية

وفي حـديـث المصطفى وقولهِ

(خيـارکم خيـارکم لأهـلهِ)

يقول الله تعالى :

(وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) الروم- ٢١

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) الفرقان- ٧٤

وفي قرب الإسناد عن النبي (ص) : (خياركم خياركم لأهله) .

وقد تحدثنا (في طريقك نحو الجنة) عن علاقة الزوجين فيما بينهما ..

فيكون الكلام ضمن محورين :

المحور الأول - علاقة الزوج بزوجته

حيث يعتقد البعض من الرجال ان زوجاتهم ملك لهم ، وان من حقهم أن يأخذوا من المرأة كل شيء ، من دون أن يقابلوها بشيء .

ويعتقد البعض أيضاً أن المرأة لا قيمة لها بإزاء الرجل ، ولذلك لا يأبهون لمشاعرها ولا يفكرون بحقوقها الخاصة .

ولا يخفى ان مثل هذه الاعتقادات هي من رواسب الجاهلية ومخلفاتها ، ولذلك فهي بعيدة تماماً عن مبادئ الرسالة الإسلامية التي ختم الله تعالى بها رسالاته السماوية .

وبما أننا في صدد الكلام عن الأخلاق والتكامل ، فلابد من ان نعرج على حقوق المرأة ، لان التفريط فيها يعتبر ظلماً ، والظلم حرام ، في حين عرفنا أن من مبادئ تحصيل الجنة هو الالتزام بالواجبات وإجتناب المحرمات .

فقد جعل الله تعالى للزوجة عدة حقوق خاصة منها ما هو واجب ، ومنها ما هو مستحب ، وهذا طبعاً بغض النظر عن حقوقها العامة باعتبارها أحد أفراد المجتمع المؤمن ، حيث عرفنا (في فصل سابق) ان مداراة أفراد المجتمع- بما فيهم المرأة - وحسن التعامل معهم انما هو طريق لتحصيل الجنة ورضا الله عز وجل .

وأما حقوق الزوجة الخاصة فالواجب منها هو ما يلي :

١- عدم جواز ظلمها أو الاعتداء عليها ، لأن الله تعالى يقول : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) النساء- ١٩
فقد روي عن النبي (ص) :(خير الرجال من أمتي الذين لا يتطاولون على أهليهم ، ويحنّون عليهم ولا يظلمونهم) .
وفي الحديث عن الإمام علي (ع) :(ان النساء أمانة عند الرجال لا يملكن لأنفسهن ضراً ولا نفعاً ، وإنهن أمانة الله عندكم ، فلا تضاروهن ، ولا تعضلوهن) ..
ولذلك ورد عن أبي الحسن (ع) : (ان الله عز وجل ليس يغضب لشيء ، كغضبه للنساء والصبيان) .
فان الله تعالى هو ولي كل عبد ضعيف لا حول له ولا قوة ، اذا كان هذا العبد مظلوماً ، واما اذا كان ظالماً - رغم ضعفه - فان الله تعالى لا يرضى عنه ، ولا يغضب لغضبه إلاّ ان يتوب ويصلح .

٢- وجوب النفقة عليها ، وذلك بان يشبع الرجل زوجته ويكسوها ، أي يوفر لها الطعام والملبس الذي تحتاجه فعلاً لا تجملاً ، فعن إسحاق بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : ما حق المرأة على زوجها الذي اذا فعله كان محسناً ؟ قال (ع) : (يشبعها ويكسوها ، وان جهلت غفر لها) .
ويلحق بالإشباع والكسوة جميع ما تحتاجه المرأة فعلاً ، من ضروريات المعيشة كالفراش والسكن والدواء ونحو ذلك مما هو مفصل في كتب الفقه ..
وينبغي ان تعرف المرأة ان وجوب نفقتها مشروط بعدم نشوزها ، حيث يقول الله تعالى :
(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ) البقرة- ٢٢٨.

٣- وجوب إتمام مهرها ، سواء كان معجلاً أم مؤجلاً ، حيث يقول الله تعالى:
(وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) النساء- ٢٥.
(وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً)النساء- ٤ .
ولا يخفى ان المراد بالأجور والصدقات هنا هو المهر والصداق ..
فلا يجوز التغاضي عن (المؤخر) منه ، بحجة انه لا يكون للمرأة إلاّ بعد الطلاق ، فان هذا من الاعتقادات السائدة في المجتمع رغم انه لا أساس له من الصحة ، لان المرأة تستحق جميع مهرها من الناحية الشرعية ، وانما تأجل بعض المهر من باب انه دين في ذمة الزوج ، فلا تبرأ ذمته من هذا الدين إلاّ اذا أبرأته الزوجة أو صالحته عليه ، وقد ورد عن الصادق (ع) :
(أيما امرأة وهبت مهرها لبعلها ، فلها بكل مثقال ذهب كأجر عتق رقبة).

وينبغي ان تكون هبتها عن طيب نفس ، فلا يحل للرجل إجبارها على ذلك أو الاحتيال عليها فيه ، فان الله تعالى يقول :
(فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً) النساء- ٤٤

٤- وجوب مواقعتها مرة واحدة على الأقل في كل أربعة اشهر ، بمعنى انه لا يجوز للرجل أن يترك وطيء الزوجة أكثر من أربعة اشهر ، ففي خبر صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا (ع) انه سأله عن الرجل تكون عنده المرأة الشابة فيمسك عنها الأشهر والسنة لا يقربها ، ليس يريد الإضرار بها ، يكون لهم مصيبة ، يكون في ذلك آثماً ؟ قال (ع) : (اذا تركها أربعة أشهر كان آثماً بعد ذلك) ، وزيد في بعض الروايات عبارة (إلاّ ان يكون باذنها) ، وهذا الحكم مما نقل الإجماع عليه (انظر مهذب الأحكام٢٤/٧٧).

٥- وجوب المبيت عندها ليلة واحدة في كل أربعة ليالي ، بمعنى انه لا يجب عليه أكثر من ذلك ، وهذا الحكم هو مشهور الفقهاء ، وان استشكل البعض في هذا التحديد خصوصاً إذا كانت الزوجة واحدة ، بمعنى انه قد لا يجب عليه المبيت عندها حتى في هذه الليلة الواحدة .
ولا يخفى ان الاحتياط متعين ، خصوصاً ونحن نريد الحصول على الجنة وإحراز رضا الخالق عز وجل ..
بل ورد في بعض الروايات ما معناه أن مما ينافي المروءة ان يبيت الرجل عن منزله بالمصر الذي فيه أهله .

هذه هي حقوق الزوجة التي أوجبها الله تعالى لها على زوجها ، إلاّ ان المفروض بنا ونحن نسير في هذا الطريق المبارك ، ان لا نقتصر على الواجبات ، لان الاقتصار على خصوص الواجبات قد يؤدي بالفرد إلى الهلكة ، اذا تبين انه لم يؤد جميع ما عليه ، كما لو كان هناك خلل أو تقصير لم يلتفت إليه ، في حين انه لو عمل المستحبات كذلك ، لأمكن تعويض قصوره في الواجبات بثوابه من المستحبات باذن الله عز وجل .

وهكذا فان الوارد في المقام عن النبي(ص) : (خيركم خيركم لأهله ، وانا خيركم لأهلي) ..

وكذلك قوله (ص) : (خيركم خيركم لنسائه ، وأنا خيركم لنسائي) .

وعن الصادق(ع) : (رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته ، فان الله عزوجل قد ملّكه ناصيتها وجعله القيم عليها) ..

وقد قلنا في مقام سابق ، ان الإيثار والتضحية يحلان جميع المشاكل الزوجية ، وهذا ما تؤكده وصية الإمام علي (ع) لولده محمد بن الحنفية التي رواها الصدوق ، حيث ورد فيها : (فدارِها على كل حال ، وأحسِن الصحبة لها ، ليصفو عيشك) .

ثم انه يستحب تحمّل المرأة والصبر عليها حتى وان كانت مؤذية ، حيث روي عن النبي (ص) : (أوصاني جبرائيل بالمرأة حتى ظننت انه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة مبينة) ..

وفي حديث آخر عنه (ص) أيضاً : (ومن صبر على سوء خلق إمرأته واحتسبه ، أعطاه الله له بكل مرة يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيوب على بلائه) .

بقي ان نهمس في اذن الرجل الذي قد يقول بان زوجته لا تعترف أو لا تقابله بالمثل ، فنقول له : صحيح ان الاعتراف والمقابلة بالخير هو الشيء المفروض فعلاً ، إلاّ اننا ينبغي ان نتذكر جيداً انه يُفترض بنا الآن ان نكون في الطريق إلى التكامل و الجنة ، فاذا لم تعترف المرأة بجهود الرجل معها ، أو لم تقابله بالمثل ، فانها تحكم على نفسها بالخسارة والندامة ، وتجعل نفسها عرضة لسخط الله تعالى ..

فهل تريد أنت أيضاً ان تكون مثلها من هذه الناحية ؟ أم هل ترضى لنفسك ان تحرم ثواب الصابرين والمحسنين والسابقين ونحوهم ؟

بالتأكيد لا ترضى ذلك لنفسك ، فاصبر ، واستمر على فعل الواجبات ، بل والمستحبات معها ان أمكنك ، واجعل عملك لله تعالى وحده ، فانه هو الذي يقدّر الأعمال وهو الذي يجازي عليها في الدنيا والآخرة :

(قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّام اللَّه لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ ، مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ، ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) الجاثية (١٤- ١٥) .

المحور الثاني - علاقة الزوجة بزوجها

حيث سنتحدث الآن عن حقوق الزوج ، وكيفية التعامل الشرعي للزوجة مع زوجها ..

ولكي لاتتهمنا النساء هنا بالتحيز أو المبالغة ، فاننا سوف لن نتدخل في المقام إلاّ اذا استدعت الضرورة ، وسنحاول التركيز على عرض الروايات والأخبار الواردة عن المعصومين(ع) في هذه القضية ..

ولا يخفى ان هذه الروايات حجة على جميع الزوجات ، بمعنى انه لابد من العمل بها والالتزام بمضامينها ، فان الله تعالى يقول :

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) الحشر- ٧

(وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ) النساء- ٥٩

ففي الحديث عن الباقر (ع) : (جاءت امرأة إلى النبي (ص) فقالت : يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة ؟ فقال لها : أن تطيعه ولا تعصيه ، ولا تَصدَّق من بيته إلا بإذنه ، ولاتصوم تطوعاً إلاّ بإذنه ، ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب ، ولا تخرج من بيتها إلاّ بإذنه . وان خرجت بغير اذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة ، حتى ترجع إلى بيتها) .

وفي خبر آخر عن النبي (ص) أيضاً وقد سألته امرأة عن حق الزوج على المرأة فقال (ص) : (وعليها ان تتطيب بأطيب طيبها ، وتلبس أحسن ثيابها ، وتزين بأحسن زينتها وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية ، وأكثر من ذلك حقوقه) .

وأضاف (ص) في رواية أخرى : (ولا تبيت ليلة وهو عليها ساخط) ، قالت : يا رسول الله وان كان ظالماً ؟ قال : (نعم) .

وعن الصادق (ع) : (ثلاثة لايُرفع لهم عمل)، ثم ذكر منهم : (وامرأة زوجها عليها ساخط) .

وفي خبر آخر عنه (ع) : (ثلاثة لا تُقبل لهم صلاة) ثم ذكر منهم : (وأمرأة باتت وزوجها عليها ساخط) .

وعن علي بن جعفر انه سأل أخيه الإمام الكاظم(ع) : عن المرأة الغاضبة زوجها ، هل لها صلاة أو ما حالها ؟ قال : (لا تزال عاصية حتى يرضى عنها) .

بل ورد عن النبي(ص) : (ايما امرأة آذت زوجها بلسان ، لم يقبل الله منها صرفا ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه) ..

فاحترام الرجل اذاً واجب على المرأة ، ولا يجوز لها إيذاؤه بفعل أو قول ..

ففي الحديث عن الصادق (ع) : (ايما امرأة قالت لزوجها : ما رأيت منك خيراً قط ، فقد حبط عملها) .

ثم انه ورد عن النبي (ص): (ان خير نسائكم الولود الودود العفيفة ، العزيزة مع أهلها ، الذليلة مع بعلها ، المتبرجة مع زوجها ، الحصان على غيره ، التي تسمع قوله ، وتطيع أمره) .

ولا يخفى ان معنى (الذلة) الواردة في الحديث انما يراد به التواضع والاحترام ، وليس الذلة الحقيقية ..

ويؤيده ما ورد عن الصادق(ع):(خير نسائكم التي اذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء ، واذا لبست لبست معه درع الحياء) ..

فان الحياء ملازم للاحترام.

كذلك ورد في الحديث عن النبي(ص) :(من كانت له امرأة ولم توافقه ، ولم تصبر على ما رزقه الله ، وشقّت عليه وحمّلته مالم يقدر عليه ، لم يقبل الله لها حسنة تتقي بها النار ، وغضب الله عليها مادامت كذلك) .

فان مثل هذه المرأة اما ان تُوقع زوجها في الحرام ، فتكون آثمة من هذه الناحية ، واما ان تسبب له الأذى ، فتكون آثمة بإيذائها له باعتباره احد المؤمنين فضلاً عن كونه زوجها ..

ومن هنا ورد عن النبي (ص) في النساء : (والدات والهات رحيمات بأولادهن ، لولا ما يأتين إلى أزواجهن ، لقيل لهن أدخلن الجنة بغير حساب) .

وهذا دليل على ماقلناه سابقاً من ان المرأة التي تؤدي حقوق زوجها ولاتؤذيه فانها تدخل الجنة ..

بل ورد عن النبي(ص) :(لا تؤدي المرأة حق الله عزوجل ، حتى تؤدي حق زوجها) .

وهناك أمور أخرى ينبغي الإلتفات إليها ، اذا كانت المرأة المتزوجة تريد فعلاً تحصيل التكامل و الجنة ..

ففي الحديث عن النبي(ص) : (حق الرجل على المرأة إنارة السراج، وإصلاح الطعام ، وان تستقبله عند باب بيتها فترحب به) .

وعن الصادق(ع) : (ما من إمراة تسقي زوجها شربة من ماء ، إلاّ كان خيراً لها من عبادة سنة ، صيام نهارها وقيام ليلها ، ويبني الله لها بكل شربة تسقي زوجها مدينة في الجنة ، وغفر لها ستين خطيئة) .

أقول : يجب ان تحذر الزوجة في تطبيق هذا الحديث ، حتى لا يختنق زوجها من كثرة ما سوف تسقيه من الماء عندما تسمع هذا الحديث .

ثم انه ورد عن النبي(ص) :(ما استفاد امرئ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة ، تسّره اذا نظر إليها ، وتطيعه اذا أمرها ، وتحفظه اذا غاب عنها في نفسها وماله) .

وفي معاونة المرأة لزوجها ورد عن الصادق(ع) : (ثلاثة أشياء لا يحاسب عليها المؤمن : طعام يأكله ، وثوب يلبسه ، وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه) ..

وفي خبر آخر عنه(ع) أيضاً : (ثلاثة للمؤمن فيها راحة) ، وذكر منها : (و أمرأة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة) .

وفي علل الشرائع عن الصادق (ع) : (إن الله تعالى أوحى الى آدم (ع) : يا آدم هذه أمتي حواء ، أفتحب أن تكون معك تؤنسك ، وتحدثك ، وتكون تبعاً لأمرك) .

وهنا قد تعترض بعض النساء بان بعض هذه الأمور التي وردت في النصوص السابقة قد لا تكون من الواجبات الشرعية ..

ولكن هذا الاعتراض مرفوض أكيداً ، ولا يليق بالمرأة المؤمنة التي تريد ان تسير نحو الجنة ، فاننا قلنا في مقام سابق انه من الخطر الشديد ان نغامر بالاقتصار على الواجبات ، فان التقصير فيها ان لم يكن محرزاً فانه مُحتمل ، وهذا يقتضي التعويض بالمستحبات .

أضف إلى ذلك ان المفروض بكل زوجة ، ان تطمح لان تكون من خير النساء أمام رب العالمين ، حتى تكون يوم القيامة مع خير النساء .

ثم ان الله تعالى يقول للنساء : (وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً) الأحزاب- ٢٩

ولايخفى ان الإحسان اعم من أداء الواجبات ، بل لعل الإحسان يختص بما هو فوق الواجبات .

فإرضاع الطفل مثلا ليس من الواجبات الشرعية للزوجة ، ولكننا ذكرنا في الحديث عن علاقة (الأم) خبراً عن النبي (ص) مؤداه ان لها بكل مصة للطفل كعدل عتق رقبة .

وفي حديث آخر عن النبي (ص) أيضاً :(أيما أمرأة دفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضعٍ تريد به صلاحاً ، نظر الله إليها ، ومن نظر الله إليه لم يعذِّبه) ..

وعن الكاظم (ع) : (جهاد المرأة حسن التبعل) ..

وورد عن الباقر(ع) : (انه تقاضى علي وفاطمة إلى رسول الله (ص) بالخدمة ، فقضى على فاطمة (ع) بخدمتها ما دون الباب ، وقضى على علي (ع) بما خلفه .. فقالت فاطمة : فلا يعلم ما دخلني من السرور إلا الله) .

أي ان النبي (ص) قضى على فاطمة (ع) بان تؤدي واجبات البيت ، وقضى على علي(ع) بان يؤدي الواجبات التي خارج البيت كالتسوق والعمل ونحوهما ..

ولا يخفى ان هذا هو مقتضى التعاون على البر والتقوى ، فهو متعين بالعنوان الثانوي ، وان لم يكن واجباً بالعنوان الأولي (الأصلي) .

وقد ورد في بعض المصادر(أنظر كتاب أم أبيها في صحاح المسلمين) عن الإمام (ع) في ذكر فاطمة (ع) : (كانت إبنة رسول الله (ص) ، وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجرَّت بالرحا حتى أثّرت الرحا بيدها ، واستقت بالقربة حتى أثَّرت القربة بنحرها ، وقمّت البيت حتى أغبرَّت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى دنّست ثيابها ، وأصابها من ذلك ضر).

فلتتأمل تلك النساء اللواتي ينادين بالحقوق والواجبات ، هل يفعلن هذا في بيوتهن ؟ أم أنهن أكرم على الله تعالى وعلى خلقه من فاطمة (ع) ؟!.

إن كل من تقول ان هذا ليس من واجبي ، وان ذلك ليس من مسئوليتي ، ينبغي عليها أولاً ان تعرف حقوقها هي ، فهل ترضى ان يتزوج عليها زوجها ، أو يبيت عندها ليلة كل أربع ليالي ، أو يقتصر على ما يستر عورتها ويشبع جوعتها ؟!.
أننا كمؤمنين يفترض بنا ان لا نفكر هكذا ، لان هذا تفكير من لم يجعل الله تعالى في حساباته ، ولم يلتفت إلى عظيم الثواب ، ورفيع الدرجات التي أعدها لأهل التضحية والإيثار والإحسان .

أضف إلى ذلك ان المحبة لا تأتي عن طريق التعامل الحدي ، أو مبدأ الأخذ والعطاء ، وحتى لو حصلت المحبة فانها لا تكون بالدرجة نفسها فيما لو كان هناك تضحية وإحسان وتعاون وعفو ، ونحو ذلك من الأمور الأخلاقية التي عرفناها في هذا الكتاب ..
بل ورد في الحديث عن الإمام علي(ع) : (عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شره بالإنعام عليه) .. فهكذا يجب ان نكون فيما بيننا.
وهنا نقول للزوجة ان تجعل علاقتها مع زوجها خالصة لله تعالى ، فان قابلها زوجها بالمثل فهو رفيقها في الجنة وفي نفس المرتبة ، وان لم يقابلها بذلك أو لم يعترف بفضلها وإحسانها ، فقد امتازت عنه وسبقته ، فاستحقت بذلك ثواب السابقين والصابرين والمحسنين ، ما دامت مستمرة في إحسانها وسبقها وصبرها .

وقد ورد في الحديث عن الصادق (ع) : (جهاد المرأة ان تصبر على أذى زوجها) ..

وفي خبر آخر عنه (ع) : (ثلاث من النساء يرفع الله عنهن عذاب القبر ، ويكون محشرهن مع فاطمة بنت محمد (ص)) ، وذكر منهن (امرأة صبرت على سوء خلق زوجها) ، ثم قال (ع) : (يعطي الله كل واحدة منهن ثواب ألف شهيد ، ويكتب لكل واحد منهن عبادة سنة) .

بقيت هنا نصيحة عامة للنساء أحببت ذكرها ، وهي نصيحة مبدأية خلاصتها على ما ورد عن الصديقة فاطمة الزهراء (ع) : (خيرٌ للنساء أن لايرينَ الرجال ولا يراهن الرجال) ..

وعن الإمام علي (ع) : (وليس خروجهن بأشد من دخول من لا يوثق به عليهن ، فان استطعتَ ان لايعرفن غيرك من الرجال فافعل) ..

وقد عاتب (ع) جماعة فقال لهم : (ان نساءكم يدافعن الرجال في الطريق ، أما تستحون ؟!) .

فالمرأة يُفترض بها ان تهتم بدينها وبزوجها وأطفالها وبيتها ، فان هذا يكفيها في تحصيل الجنة بل والمراتب العالية ..

واذا أرادت ان تتكامل فلتحاول أولاً ان تتكامل من هذه الناحية ، فان تم لها ذلك فلتحاول كذلك من سائر النواحي ، بشرط ان تراعي قدر الإمكان ما ورد في الروايات الثلاثة الأخيرة ، و إلاّ فانها تعرِّض نفسها للمجازفة والمغامرة بدينها وعفتها ، ولتتذكر دائماً ان الله تعالى لا يطاع من حيث يُعصى .

بقـي ان نـشير في آخـر هـذا الفـصل إلى مـشكلة تعـارض رغبـات الـزوجين وحقوقهما الواجبة والمستحبة .

حيث نلاحظ انها مشكلة قلما تنجو منها عائلة من العوائل ، وقد طُرحتْ لها حلول كثيرة ومعالجات مفصلة قد لا يكون أكثرها مفيداً من الناحية العملية .

اما نحن فنطرح هنا علاجاً واحداً يتألف من أمرين متلازمين ، أحدهما الإيمان ، وثانيهما التضحية والإيثار ..

وسيأتي الحديث عن الأخيرين في فصل قادم باذن الله تعالى .

فان إلتزام الطرفين معاً أو أحدهما على الأقل بهذا العلاج سوف يساعد كثيراً في حل المشاكل الزوجية ، لان الفرد اذا آثر غيره على نفسه ، وكان اسبق منه إلى فعل الخيرات ، أو كان سبّاقاً في الإحسان إليه ، وإدخال السرور على قلبه ، فانه بالتأكيد يكون بذلك قد حصل على ثواب جميع هذه الأمور ، ولا داعي لان يطالب الآخر بالمقابل ، أو حتى ان يطالبه بالاعتراف ، لان عمله كلما كان خالصاً لله تعالى ، كلما كانت آثاره أفضل وأحسن .

وهذا طبعاً لا يقتصر على الواجبات ، بل الواجبات مفروضة أصلاً ولها ثوابها الخاص ، وانما نحن نتحدث عن الأمور المستحبة بالعناوين الثانوية السابقة ، كعنوان الإيثار والإحسان وإدخال السرور وقضاء الحوائج ، ونحو ذلك مما قد لا يكون واجباً ، لكن الفرد لو أداه نال عظيم الأجر وحصل على الجنة ..

بل يستطيع ان يرقى أعلى الدرجات كلما زاد عطاؤه وإيثاره وإحسانه ، فكلما كان الفرد اسبق وأكثر إحساناً وعطاءً من الآخر ، كلما كانت منزلته أعظم عند الله عزوجل : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ..

وهذا يستدعي منه الفرح والسرور على هذا التوفيق .

ثم ان الوارد في الروايات ان الفرد المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فاذا أراد الزوج مثلاً من زوجته شيئاً معيناً فوق واجباتها ، فليحاول هو ان يفعله لها قربة إلى الله تعالى ، فان قابلته الزوجة بالمثل فهو خير على خير ، وان قابلته بالأحسن فلربما كانت أفضل منه ، وان لم تقابله بشيء من المعروف فيكفيه انه سبقها إلى الخير ، ونال ثواب التضحية والإحسان ، وقد عرفت ان ثوابهما عظيم جداً .

ومن جهة أخرى فالمفروض بالزوجة المؤمنة كذلك ان تضحي في سبيل زوجها ، وان تُحسِن إليه بعمل المستحبات ، وتحاول ان تُدخل السرور على قلبه قدر الإمكان ، وان تحاول ان لا تتعامل معه بمقدار الحقوق والواجبات فقط ، أو بمبدأ الفائدة والمقابل ، فان ذلك يسبب المشاكل وعدم التوافق غالباً .

ثم ان الواجبات الأساسية مفروضة عليها شرعاً ، فاذا تركتها ستحصل على الاثم والعقاب ، فيكون أداءها للواجبات من باب الإلزام ودفع العقاب الإلهي أو الآثار الوضعية ، في حين انها لو أدت كذلك المستحبات التي ذكرناها قبل قليل ، فانها ستنال أجراً إضافياً ، لأنها جاهدت نفسها وعملت بما يحبه الله تعالى ، قربة إليه عزوجل ، مع انه لم يُلزمها به ، ولم يجعله واجباً عليها ، وهنا تبدأ بالإرتقاء بمقدار إحسانها وإيثارها ..

حيث يقول الله تعالى:

(لِّلَّـذِينَ أَحْـسَنُواْ الْحُـسْنَى وَزِيَـادَةٌ ، وَلاَ يَرْهَـقُ وُجُـوهَهُمْ قَتَـرٌ وَلاَ ذِلَّــةٌ ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) يونس- ٢٦

وهكذا فان المفروض ان يتسابق الزوج والزوجة فيما بينهما ، من أجل تقديم المزيد من الخير والإحسان والإيثار ، وذلك امتثالاً لقوله عزوجل :

(فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ) البقرة- ١٤٨ .

والفائز السعيد منهما هو الأسبق والأكثر عطاء ..

واما الطرف الآخر فهو اما ظالم لنفسه اذا كان مقصراً ، واما انه عادل ولكنه ليس من السابقين ، فيكون محروماً من ثوابهم ومنزلتهم ، حيث يقول الله تعالى :

(فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ، وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) فاطر(٣٢-٣٣) .

حسن الجوار

وزينة الجار بحسن الجوار

وإنه منقبة للخِيار

يقول الله تعالى :

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ، وَالْجَارِ الْجُنُبِ ، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ) النساء- ٣٦

وفي الحديث عن النبي (ص) :(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) .

وعنه (ص) : (من ضيع حق جاره فليس منا ، ومازال جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه) .

وعن الصادق (ع) :(المؤمن من أمن جاره بوائقه) أي (ظُلمه وغُشه) .

وعنه (ع) أيضاً :(اعلموا انه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره) .

بل ورد في الحديث : (ليس حسن الجوار كف الأذى ، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى) .

وفي رسالة الحقوق للإمام السجاد (ع) ذكر حق الجار : (وأما حق جارك فحفظه غائباً ، وإكرامه شاهداً ، ونصرته اذا كان مظلوماً ، ولا تتبع له عورة ، فان علمت عليه سوء سترته عليه ، وان علمت انه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه ، ولا تسلمه عند شديدة ، وتقبل عثرته ، وتغفر ذنبه ، وتعاشره معاشرة كريمة) .

وفي الحديث عن النبي (ص) : (ما آمن بي من بات شبعان ، وجاره جائع).

وأتذكر أني في يوم ما عرضت على أحد المراجع (قدس الله نفسه) ان يأمر الناس - ولو بالولاية - بان يتكفل أهل كل شارع (زقاق) بفقراء ذلك الشارع ، فاذا كان أهل ذلك الشارع (الزقاق) كلهم فقراء ، تكفل بهم أهل الشارع القريب منهم ، وهكذا ، حتى يزول الفقر باذنه تعالى ..

وفي مرآة الكمال عن الصادق (ع) : (ان الرجل منكم يكون في المحلة فيحتج الله تعالى يوم القيامة على جيرانه به ، فيقال لهم : ألم يكن فلان بينكم ؟ ألم تسمعوا بكاءه في الليل ؟ فيكون حجة الله عليهم) .

ولا يخفى ان حسن الجوار له عدة آثار وفوائد،علاوة على الأجر والثواب..

فعن الصادق (ع) : (حسن الجوار يعمر الديار ، ويزيد في الأعمار) .

وعنه (ع) أيضاً : (حسن الجوار يزيد في الرزق) .

وقد روي ان الله تعالى غضب على قوم وأراد إنزال العقاب عليهم ، ولكنهم تعاونوا فيما بينهم ، حتى ان الجار يفتح فتحة في الحائط ليوصل الطعام إلى جاره ، فعفا عنهم رب العالمين ورفع عنهم العذاب ، لهذا التواصل والتراحم فيما بينهم .

بقي ان نشير إلى نوع آخر أو شكل آخر من حسن الجوار ..

ففي الحديث عن الصادق (ع) : (أحسنوا جوار النعم ، فقيل له : وما حسن جوار النعم ، فقال (ع) : الشكر لمن أنعم بها ، وأداء حقوقها).

وفي رواية أخرى عنه (ع) : (أحسنوا جوار النعم ، واحذروا ان تنتقل عنكم إلى غيركم) .

وقد مر الحديث عن شكر النعم في فصل سابق .

صلة الرحم

وإنــــما عـلامـة الأطــايــبِ

تــواصــل الأرحـــام والأقـــاربِ

يقول الله تعالى :

(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى) النحل- ٩٠

(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى) النساء- ٣٦

(فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) محمد(٢٢-٢٣) .

وفي الحقيقة فاننا تحدثنا في فصل سابق عن تواصل الإخوان عموماً وعدم التباغض بينهم ، فاذا كان الأخ من الأرحام ، أصبحت له عندئذ خصوصية إضافية ، فيكون أولى وأحق بالتواصل والتراحم .

وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا ان صلة الرحم يمكن دخولها في (مداراة الناس) ، على اعتبار ان الأرحام هم من جملة الناس الذين تجب مداراتهم وصلتهم، إلاّ ان إفراد (الأرحام) في عنوان مستقل انما هو لأجل ان صلتهم طريق خاص ومستقل لتحصيل الجنة ، كما ان مداراتهم مقدمة على مداراة غيرهم ، حيث يقول الله تعالى :

(وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) الأحزاب- ٦ .

وكذلك لان ثواب صلتهم أفضل من ثواب صلة سائر الناس ، حيث ورد عن النبي(ص) : (ان أعجل الخير ثواباً صلة الرحم) .

ثم انه سُئل الإمام الصادق(ع) : عن قول الله تعالى : (وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ) النساء-١ ، فقال (ع) : (هي أرحام الناس ، ان الله عزوجل أمر بصلتها وعظّمها) .

وكذلك سُئل (ع) عن قوله عزوجل : (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ) الرعد- ٢١ فقال (قرابتك) .

وهنا نود الإشارة إلى الأمور التالية :

١- ان صلة الرحم مطلوبة ، سواء كان هناك تواصل من الطرف الآخر أم لم يكن ، حيث ورد عن الباقر (ع) : (ان الرحم معلقة بالعرش ، تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني) .

وقد أتى رجل للنبي(ص) فقال : يارسول الله ، أهل بيتي أبوا إلاّ توثباً علي وقطيعة لي وشتيمة ، فأرفضهم ؟ قال (ص) : (إذاً يرفضكم الله جميعاً) ، فقال : فكيف أصنع ؟ قال (ص) : (تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، فانك اذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير) .

وعن عبد الله بن سنان انه قال للصادق (ع) : ان لي ابن عم أصله فيقطعني ، وأصله فيقطعني ، حتى لقد هممت لقطيعته إياي ان أقطعه ، أتأذن لي قطعه ؟ فقال (ع) : (انك اذا وصلته وقطعك وصلكما الله عزوجل جميعاً ، وان قطعته وقطعك قطعكما الله) .

وفي الوسائل (باب ١١٣ من أحكام العشرة) عدة أحاديث في فضل (صلة القاطع) في الدنيا والآخرة ، وان من مكارم الأخلاق ان تصل من قطعك ..

وقد مرت علينا وصية الإمام علي (ع) لولده محمد بن الحنفية : (لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته) .

فما يقوله بعض الناس من الاعتذار عن مقاطعة أرحامهم بسبب عدم الترحيب بهم من قبلهم غير مقبول ، ولا يرضى به الله تعالى ، لان المطلوب في جملة من الروايات هو (صِل من قطعك) .

فلا بد اذاً من مجاهدة النفس والصبر واحتساب ذلك عند الله تعالى ، فانه عزوجل يرى ويسمع ويحفظ ، وهو تعالى خير الشاكرين .

وقد ورد عن الصادق (ع) :(اني أحب ان يعلم الله اني قد أذللتُ رقبتي في رحمي ، واني لأبادر أهل بيتي ، أصلهم قبل أن يستغنوا عني) .

٢- ان لصلة الرحم عدة فوائد بالإضافة إلى انها طريق يقتضي تحصيل الجنة ، حيث ورد في عدة روايات انها تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتيسر الحساب وتدفع البلوى وتزيد في الرزق وتطيل في العمر وتحسن الخلق ، وتسمح الكف ، وتطيب النفس ، وتقي مصارع السوء ، وتعصم من الذنوب (انظر الكافي باب ٦٨ من كتاب الإيمان والكفر) ..

والمتأمل يجد ان آثارها كآثار الصدقة بل هي صدقة فعلاً .

وبالمقابل فقد ورد ان قطع الرحم يترتب عليه جملة من الآثار والمفاسد ، فعن الباقر (ع) : (اذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار) .

وعن الإمام علي (ع) : (ان قطيعة الرحم ، من الذنوب التي تعجل الفناء)..

ولذلك ورد عن النبي (ص) : (لا تقطع رحمك ، وان قطعك) .

٣- ان لصلة الرحم عدة أشكال أيسرها التسليم ، حيث ورد عن الإمام علي (ع) : (صلوا أرحامكم ولو بالتسليم) ، أي بإلقاء السلام والتحية عليهم .

وعن الصادق (ع) : (صلوا أرحامكم وبروا بإخوانكم ، ولو بحسن السلام ورد الجواب) .

وأوضحها الزيارة ، لأنها من أظهر مصاديق التواصل والتقارب.

وهناك أشكال أخرى لصلة الرحم كالمساعدة المادية بمالٍ أو نحوه ، أو المساعدة المعنوية بنصح أو أرشاد أو نحو ذلك.

وفي الحديث عن الصادق (ع) : (صل رحمك ولو بشربة ماء ، وأفضل ما توصل به الرحم كف الأذى عنها) .

٤- قد يسأل البعض انه لو كان هناك شخصان أحدهما ذي رحم ، لكنه غير مؤمن أو غير ملتزم ، والآخر ليس بذي رحم لكنه مؤمن ، فمن هو الأولى بالصلة ؟..

وجوابه انه مع عدم التزاحم فان لكل واحد منهما حقه ، فيزور رحمه بمقدار ما يصدق معه صلة الرحم ، ويزور المؤمن بمقدار ما يؤدي به حقه ، أو بمقدار ما يشاء اذا كان في زيارته لهذا المؤمن منافع راجحة شرعاً .

واما مع التزاحم فيقدم الأهم من الناحية الشرعية ، كما لو كان رحمه في حاجة ماسة إليه ، أو كان المؤمن في حاجة أشد إليه ، أو كان هو في حاجة ماسة لزيارة المؤمن ، سواء كانت الحاجة مادية أم معنوية .

فيتحصل مما سبق ان للرحم حقه من الصلة مهما كان مستواه الإيماني .

وقد ورد ان احدهم سأل الإمام الصادق (ع) : تكون لي القرابة على غير أمري ألهم علي حق ؟ فقال(ع) : (نعم ، حق الرحم لا يقطعه شيء ، واذا كانوا على أمرك كان لهم حقان : حق الرحم وحق الإسلام) .

نعم يستطيع الفرد ان يقلل من زياراته لأرحامه المنحرفين اذا كان ذلك لأجل ردعهم عن الانحراف ، أي من باب النهي عن المنكر ، بل يستطيع بعد ذلك ان يقاطعهم لمدة معينة اذا لم يشاهد منهم استجابة ، لكن هذه المدة ينبغي ان لا تطول حتى لايقع في الحرام من حيث لا يشعر ، بمعنى انه اذا لم يشاهد منهم تغيراً ، فليرجع إلى صلتهم ، لكنه ينبغي عندئذ ان يقتصر على الضروريات وعلى ما يتحقق به مسمى الصلة ، كالتسليم أو الزيارة القصيرة ، ولا يجوز له الانقطاع عنهم نهائياً أو لفترة طويلة نسبياً.. اللهم إلا ان يكون لديه عذر شرعي حقيقي كالاضطرار أو عدم القدرة أصلاً أو نحو ذلك مما يمنعه فعلاً عن الاتصال بهم ..

وينبغي للفرد هنا ان يحذر من تسويلات الشيطان أو النفس الإمارة بالسوء ، فقد يصوران له أعذاراً وهمية ، لمنعه من صلة الرحم أو من سائر الطاعات ، فالمفروض بالفرد إذاً ان يتثبت ويتحقق من ذلك .

بقي ان نشير إلى ما ذكرناه في فصل (تكثير الأخوان) ، عن قرابة الإيمان ، والرحم الإيماني ، فالمفروض مراعاة ذلك في صلة الرحم .

السعي في هداية الآخرين

وليـسعَ في هـــــداية العبـادِ

فــإن خيــر الأجر أجر الهـــادي

يقول الله تعالى :

(وَجَعَلْنَا منْهُمْ أَئمَّةً يَهْدُونَ بأَمْرنَا لَمَّا صَبَرُوا) السجدة- ٢٤

(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ) الأنبياء- ٧٣

(إِنَّمَا أَنتَ مُنذرٌ وَلكُلِّ قَوْمٍ هَاد) الرعد- ٧

(فَلَوْلاَ نَفَرَ من كُلِّ فرْقَة مِّنْهُمْ طَآئفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ ، وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) التوبة- ١٢٢

(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَملَ صَالحاً) فصلت- ٣٣

(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) آل عمران- ١٠٤

وفي الحديث عن النبي (ص) مخاطباً أمير المؤمنين (ع) : (لئن يهدي الله عزوجل على يديك رجلاً ، خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت) .

وعن الصادق (ع) :(ان الرجل ليتكلم بالكلمة ، فيكتب الله بها إيمانــاً في قلب آخر ، فيغفر الله لهما) .

وعندما سُئل (ع) عن قول الله تعالى : (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) أجاب (ع) : (من أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنما أحياها ، ومن أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها) ..

وعن الباقر (ع) : (من علّم باب هدى فله مثل أجر من عمل به ، ولا ينقص من أولئك من أجورهم شيءاً ، ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به ، ولا ينقص أولئك من أوزارهم شيئاً) .

وفي كتـاب (منيـة المريـد في آداب المفيـد والمستفيد) عـدة روايـات في فـضل وآداب العلم والتعلم ونشر العلم والهداية ، فيحسن مراجعته .
وفي كتابنـا المتواضـع (نـصائح عامـة للـداعي والمـدعو) تحـدثنا عـن أهـم الشرائط المطلوبة في الداعي (وهو الشخص الذي يريد هداية الآخرين) .
ومن هذه الشروط : ان تكـون دعوتـه خالـصة لله تعـالى ، وأن يكـون مخلـصاً مع نفسه ..
حيث ورد عـن الإمـام علـي (ع) : (إنـي (والله) مـا أحثكـم علـى طاعـة ، إلا وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها).
وقد مر الحديث عن مطابقة الأفعال للأقوال ، وعن العدالة بمعناها العام .
ومنها : ان يكون ملتزماً بالآداب والأخلاق في عموم تـصرفاته ، وفي دعوتـه بالخصوص ، حيث يقول الله تعالى :
(ادْعُ إِلَـى سَبِيلِ رَبِّـكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَنَةِ وَجَـادِلْهُم بِـالَّتِي هِـيَ أَحْسَنُ) النحل- ١٢٥
ومنها : ملاحظة مستوى المدعو وقابليته ، حيـث مـر علينـا (عنـد الحديـث عن الرفق) انه ينبغي الرفق والتدرج مع المدعو ، وعدم تحميله ما لايطيق .
ومنها : ان يكون الـداعي بمستوى موضـوع الدعـوة ، ليكـون كلامـه حجـة فيمـا بينه وبين الله تعالى ، وليكون مؤثراً مع المقابل .
ومنها : الصدق والصبر ، وغير ذلك ..
وسـيأتي في الفـصل اللاحـق مـا يـرتبط بالمقـام عنـد الحـديث عـن الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم ان الله تعالى يقول :
(إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) القصص- ٥٦
فالعبد مسئول عن السعي في هداية الآخرين بمقدار ما يستطيعه ويقوى عليه ، بعد التوكل على الله تعالى ، ورجاء التسديد منه عزوجل ..
واما تحقق الهداية في المقابل ، فهذا أمر خارج عن إرادته وليس بيده ، حيث يقول الله تعالى :
(لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ، وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ) البقرة- ٢٧٢
فالهداية تعتمد على مقدمات عديدة ، ينبغي توفرها في المقابل ، حتى يكون مستعداً ومؤهلاً ومستحقاً لتحقق الهداية فيه ..
وقد ذكرنا في (نصائح عامة للداعي والمدعو) ان المفروض ان تتوفر بعض الصفات في المدعو حتى يكون مستعداً لقبول الهداية ..
ومن هذه الصفات عدم التكبر ، وعدم الاغترار بالنفس ، وعدم العناد ، وعدم الوقوع في دوامة الجهل المركب ، وعدم الهروب من مواجهة الداعي ، وعدم التعصب ..

ثم ان الله تعالى يقول :
(وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالمِينَ) البقرة- ٢٥٨
(وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) المائدة- ١٠٨
(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) غافر- ٢٨
(ومَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ) النمل- ٨١
وقد أشرنا في كتابنا (الله أكبر من الشيطان) إلى ان الله لا يضل أحداً ، وانما هو يسحب هدايته عن غير المستحقين للهداية ، وعن غير الراغبين بالهداية ..
حيث يقول الله تعالى :
(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الصف- ٥
(فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ ، إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء من دُونِ اللّه) الأعراف- ٣٠
(وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، نُوَلِّه مَا تَوَلَّى) النساء- ١١٥
(يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ، وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ، الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ ، وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) البقرة(٢٦-٢٧) .
(وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى ، فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ) البقرة (١٥ – ١٦)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فــالأمــر بــالـمعروف للأنــامِ

فــرضٌ ، كمــا النهي عـن الحرامِ

يقول الله تعالى :

(وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) آل عمران- ١٠٤

(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)

آل عمران- ١١٠

وقد مدح الله تعالى :

(الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ)

التوبة- ١١٢

وقد تقدم في الفصل السابق الحديث عن أهمية السعي في هداية الآخرين .

وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سبب أكيد لتحصيل الجنان ، خصوصاً اذا كان الفرد نفسه ممن يعمل بالمعروف الذي يأمر به ، ويجتنب عن المنكر الذي ينهى الناس عنه .

وقد ورد في الحديث عن النبي (ص) : (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وتعاونوا على البر ، فاذا لم يفعلوا ذلك ، نزُعت منهم البركات وسُلِّط بعضهم على بعض ، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء) .

وهذا يعني ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي نزول البركات الإلهية من الناحيتين المعنوية والمادية ، كما انه يقتضي انتشار الألفة

والمحبة والتعاون بين الأمم ، وكذلك يقتضي حصول النصرة والعزة للمؤمنين .

وقد ورد عن الباقر(ع) : (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله ، فمن نصرهما اعزه الله ، ومن خذلهما خذله الله) .

وفي الحقيقة فنحن لا نريد التوسع في هذا المورد ، لأنه من الواجبات الأساسية التي يفترض ان يعرفها كل مؤمن اطلع على الرسائل العلمية لفتاوى المجتهدين ، فانهم يفردون لهذا الأمر باباً خاصاً يتحدثون فيه عن جميع التفاصيل والشروط والمراتب ..(انظر كتابنا غاية المتفقهين ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ..

إلا ان ما يهمنا الآن هو إلفات النظر إلى ان الجنة يمكن تحصيلها من هذا الطريق ، لان أبسط ثواب يترتب على الأمر بالمعروف ، هو ان الفرد سيشارك الآخرين في ثوابهم اذا التزموا بكلامه وطبقوه ، وهذا يستدعي منا ان نحاول جهدنا وان لا نقصر في هذا المجال ..

حيث ورد عن النبي (ص) : (من أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دل على خير أو أشار به ، فهو شريك . ومن أمر بسوء أو دل عليه أو أشار به ، فهو شريك) .

وكذلك ورد عنه (ص) : (الدال على الخير كفاعله) .

وفي غاية المتفقهين ذكرنا ان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من أعظم الواجبات الدينية ، حيث يقول الله تعالى :

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون) .

وفي الحديث عن النبي (ص) قال :(كيف بكم اذا فسدت نساؤكم ، وفسق شبابكم ، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟

فقيل له : ويكون ذلك يا رسول الله ؟ ..

قال (ص) نعم .

ثم قال (ص) : كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟

فقيل له : يا رسول الله ويكون ذلك ؟ ..

فقال (ص) : نعم ، وشر من ذلك .. كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ؟ .

وقد ورد عن المعصومين (ع) ان بالأمر بالمعروف تقام الفرائض ، وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب ، وتمنع المظالم ، وتعمر الأرض ، ويُنتصف للمظلوم من الظالم).

وفي الحديث (إعرفوا أولي الأمر بالأمر بالمعروف والعدل والإحسان) .

ويتأكد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حق المكلف ، بالنسبة إلى أهله ، حيث يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ، قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد) التحريم -٦

وفي حديث أبي بصير (قلت له كيف أقيهم ، فقال (ع) تأمرهم بما أمر الله ، وتنهاهم عما نهاهم الله ، فان أطاعوك كنت قد وقيتهم ، وان عصوك كنت قضيت ما عليك)..(انظر باب ٩ من الوسائل أبواب الأمر والنهي) .
فالمكلف اذا رأى من أهله التهاون في الواجبات كالوضوء أو الغسل أو الصلاة أو الصوم بحيث يتقاعسون عنها أو لا يؤدونها على الوجه الصحيح ، فالواجب عليه عندئذ ان يأمرهم بالمعروف ويرشدهم إلى الصواب .
وكذا اذا رأى منهم التهاون في المحرمات ، بحيث يرتكبون الغيبة والكذب وسماع الأغاني ونحو ذلك من المنكرات ، فانه يتوجب عليه عندئذ أن ينهاهم عن المنكرات ، ويردعهم عن المحرمات .
ثم انهم ذكروا ان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدة مراتب ، والوارد في الأحاديث أن هذه مراتب الإنكار ، وهو التعبير الذي استخدمه صاحب الجواهر وصاحب العروة ، حيث ذكروا أن لإنكار المنكر مراتب .
وفي الحديث عن النبي (ص) : (من رأى منكم منكراً فلينكر بيده ان استطاع ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، فحسبه ان يعلم الله من قلبه انه لذلك كاره) .
وفي الحديث المشهور في كتب العامة عن النبي (ص) : (من رأى منكم منكراً فلينكره (فليغيره) بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فلينكره بقلبه (فبقلبه) ، وذلك اضعف الإيمان) .
وفي حديث آخر عن الإمام علي (ع) يبين أصناف الناس من هذه الناحية :
(فمنهم المنكِر للمنكَر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير ، ومنهم المنكِر بلسانه وقلبه التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال

الخير ومضيع خصلة ، ومنهم المنكِر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع اشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة ، ومنهم تارك لإنكار المنكَر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء) .
بقي ان نشير إلى ما ذكره صاحب الجواهر (٣٨٢/٢١) ان من أعظم أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأعلاها وأتقنها وأشدها ، خصوصاً بالنسبة إلى رؤساء الدين ، ان يلبس رداء المعروف واجبه و مندوبه ، وينزع رداء المنكر محرمه و مكروهه ، ويستكمل نفسه بالأخلاق الكريمة ، وينزهها عن الأخلاق الذميمة ، فان ذلك منه سبب تام لفعل الناس المعروف ونزعهم المنكر ، خصوصاً اذا أكمل ذلك بالمواعظ الحسنة المرغبّة والمرهّبة ، فان لكل مقام مقالاً ، ولكل داء دواء ، وطب النفوس والعقول أشد من طب الأبدان بمراتب كثيرة ، وحينئذ يكون قد جاء بأعلى أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، نسأل الله التوفيق لهذه المراتب) .
ولعله (قدس) أخذه من كلام أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة : (من نصب نفسه للناس إماماً ، فعليه ان يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته ، قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم) .
وفي الحقيقة فان الروايات صريحة في وجوب الإتيان بما يأمر به من الواجبات ، وترك ما ينهى عنه من المحرمات (انظر الوسائل باب ١٠ من أبواب الأمر والنهي) .
نعم ورد في الحديث عن النبي (ص) : (مُروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله ، وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله) .
وقد تقدم تفصيل ذلك كله في فصول سابقة من هذا الكتاب .

الـمُشاورة والنصيحة

واحرص على استشارة الخواصِّ

وابــذل لهم نصحك في إخلاصِ

يقول الله تعالى :

(وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ) آل عمران- ١٥٩

ووصف الله تعالى الذين آمنوا بعدة أوصاف ، منها :

(وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) الشورى- ٣٨

وقد وردت عدة روايات في أهمية الاستشارة والمشاورة ..

ففي الحديث عن الإمام علي (ع) : (من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها) .

وعنه (ع) أيضاً : (لا ظهير كالمشاورة) .

وكذلك ورد عنه (ع) : (خاطـرَ بنفسه من استغنى برأيه) .

وعن الباقر (ع) : (من لا يستشر يندم) .

وعن الصادق (ع) : (لن يهلك امرؤ عن مشورة)

وكذلك ورد عنه (ع):(من لم يكن له واعظ من قلبه ، وزاجر من نفسه ، ولم يكن له قرين مرشد ، استمكن عدوه من عنقه) .

ثم ان المستشار مؤتمن ، فالمفروض ان ينظر الإنسان بعين الوعي والحـذر إلى من يأتمنه على (سـرّه) بمعناه الشامل لكل ما يهمه ..

وفي الحديث عن النبي (ص) : (مشاورة العاقل الناصح رشد ويُمـن وتوفيق من الله ، فاذا أشار عليك الناصح العاقل فإياك والخلاف ، فان في ذلك العطب) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : (شاور في حديثك الذين يخافون الله) .
وعن الصادق (ع) : (استشر في أمرك الذين يخشون ربهم) .
وعنه (ع) أيضاً : (استشر العاقل من الرجال الورع ، فانه لا يأمر إلا بخير ، وإياك والخلاف ، فان مخالفة الورع العاقل مفسدة في الدين والدنيا) .
ويحسن ان نذكر هنا الحديث الوارد عن الصادق (ع) : (ان المشورة لا تكون إلا بحدودها ، فمن عرفها بحدودها ، وإلا كانت مضرتها على المستشير أكثر من منفعتها له ..
فأولها : ان يكون الذي تشاوره عاقلاً ..
والثانية : ان يكون حراً متديناً ..
والثالثة : ان يكون صديقاً مؤاخياً ..
والرابعة : ان تطلعه على سرك فيكون علمه به كعلمك بنفسك ، ثم يُسر ذلك ويكتمه ..
فانه اذا كان عاقلاً إنتفعت بمشورته ، واذا كان حراً متديناً أجهد نفسه في النصيحة لك ، واذا كان صديقاً مؤاخياً كتم سرك اذا أطلعته عليه ، واذا أطلعته على سرك فكان علمه به كعلمك به ، تمت المشورة وكملت النصيحة) .
واذا كان طلب المشورة راجحاً ومستحباً ، فان بذل النصيحة واجب شرعي وأخلاقي وإنساني ..

وقد قال الله تعالى في نبيه صالح (ع) :
(وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) الأعراف- ٧٩
وفي الحديث عن النبي (ص) : (الدين النصيحة) ، و (ان أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه) .
وفي مستدرك الوسائل ان أمير المؤمنين (ع) قال : (النصيحة تنشر الود) ، و (المؤمن غريزته النصيحة) ، و (خير إخوانك أنصحهم) ، و (من نصحك فقد أنجدك) ، و (ما آل جهداً في النصيحة من دلّك على عيبك وحفظ غيبك) .
وفي الحديث عن الصادق (ع) : (يجب للمؤمن على المؤمن ان يناصحه)..
وكذلك ورد عنه (ع) : (عليكم بالنصح لله في خلقه ، فلن تلقاه بعمل أفضل منه) .
وفي الحقيقة فان المطلوب في المقام هو بذل النصيحة المناسبة والمشورة اللازمة للآخرين ، لأجل إصلاحهم أو إرشادهم لما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة .
ولابد هنا من الإخلاص ، ففي الحديث عن النبي (ص) : (لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه) .
وقد مر ان المفروض بالمؤمن ان يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ..
كذلك مر الحديث عن أهمية الرفق والتدرج مع المقابل عند نصيحته وإرشاده ..
كما مر الحديث عن أهمية قبول النصيحة ..

ولا بأس أيضاً بمراجعة (نصائح عامة للداعي والمدعو) ، فان فيه ما ينفع في باب النصيحة .

وكذلك مرت فصول وعناوين ضمن هذا الكتاب (دليل الأخلاق)، ترتبط بموضوع النصيحة ، فيحسن مراجعتها للاستفادة والأخذ بنظر الاعتبار ..

وقد تقدم الحديث عن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

ثم ان النصيحة مطلوبة مع النفس أيضاً ، وقد مر الحديث عن مشارطتها ومراقبتها ومحاسبتها ، ونحو ذلك مما يرتبط بإصلاحها وتهذيبها .

وفي الحديث عن الإمام علي (ع) : (أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه) .

وهناك معنى آخر للنصيحة ، وهو الإخلاص والصدق والأمانة في التعامل مع الآخرين ، فلا يخدعهم ولا يغشهم ، ولا يتقاعس عن مساعدتهم والدفاع عنهم ، ولا يتهاون في أداء حقوقهم التي يقدر عليها ..

وكذلك يفترض بالإنسان ان يكون مناصحاً ونصوحاً (بهذا المعنى) مع نفسه .

وفي الخصال عن النبي (ص) : (من يضمن لي خمساً أضمن له الجنة) ، ثم فصلها بقوله (ص) : (النصيحة لله عزوجل ، والنصيحة لرسوله ، والنصيحة لكتاب الله ، والنصيحة لدين الله ، والنصيحة لجماعة المسلمين).

الوفاء بالوعد والعهد

وأوفِ بــالعهد فــإن الوفـــاء

مــن شيــمة الأحــرار والأنبيـاء

يقول الله تعالى :

(وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً) الإسراء- ٣٤

وقد مدح الله تعالى :

(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ) البقرة- ١٧٧

(وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) المؤمنون- ٨

ومدح نبيه إسماعيل (ع) بقوله تعالى :

(إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) مريم- ٥٤

وفي الحديث عن النبي (ص) : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليفِ اذا وعد) .

وفي الميزان عن النبي (ص) : (لا دين لمن لا عهد له) ..

وعن أمير المؤمنين (ع) ان لأهل الدين علامات يعرفون بها ، وعدّ منها : (وفاء العهد) .

وعن الصادق (ع) : (عدة (أي وعد) المؤمن أخاه نذر لا كفارة له ، فمن أخلف فبخلف الله بدأ ، ولمقته تعرض ، وذلك قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) .

وفي الحقيقة فان الوفاء بالوعد والعهد يدخل تحت عنوان الصدق ..
حيث ورد في نهج البلاغة عن الإمام علي (ع) : (ان الوفاء توأم الصدق).
وكذلك يدخل الوفاء تحت عنواني الأمانة والعدالة كما فصلناهما في محلهما.
ويجب الإلتفات في المقام إلى الوفاء بالعهد والوعد مع رب العالمين ، حيث يقول الله تعالى :
(وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) الفتح- ١٠
(وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ) النحل- ٩١
(وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً) النحل- ٩٥
(وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي ، أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) البقرة- ٤٠
وقد مدح الله تعالى الذين يوفون بعهدهم معه :
(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) الأحزاب- ٢٣
كما ذم الله تعالى أولئك الذين ينقضون عهدهم معه عزوجل :
(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً ، أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) آل عمران- ٧٧
والعهد مع الله تعالى يمكن ان يتصور بان يتعهد الإنسان (في موقف معين أو مطلقاً) بالولاء والطاعة لله تعالى ..
وقد يكون هذا التعهد بين العبد وبين ربه عزوجل ، وقد يكون بينه وبين النبي (ص) أو الإمام المعصوم (ع) ، وقد يكون بينه وبين جماعة من الناس ..

وان كـان الواقـع ان الإنـسان بمجـرد شـهادته (ان لا إلـه إلا الله وان محمـداً رسول الله) يكون قد تعهـد ضـمناً بـالولاء والطاعـة ، لانهمـا يترتبـان حتمـاً على إسلامه وإيمانه ..

يقول الله تعالى :

(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)البقرة-٢٨٥

وقـد ورد في الحـديث عـن الـنبي (ص) ان : (الإسـلام عريـان ، فلباسـه الحيـاء ، وزينته الوفاء ، ومروءته العمل الصالح ، وعماده الورع) .

وفي مجمع البحرين ان قوله تعالى : (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) هـو العهـد المأخوذ بالعقل والحجة القائمة على عباده .

وفي كتابنا (الله أكبر من الشيطان) ، و (نـصائح عامـة للـداعي والمدعو) ، و (مطالعـات عرفانيـة) تحـدثنا عـن العهـد في عـالم الـذر ، حيـث يقـول الله تعالى :

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُواْ بَلَى ، شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ، أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) الأعراف(١٧٢-١٧٣) .

(وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ ، إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) المائدة- ٧

الإيثار والتضحية

وإن في الإيـثار قـهر النفـــوس

ورفعـــة فـــوق جميع الرؤوس

يقول الله تعالى :

(وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الحشر- ٩

وفي جامع السعادات نقل عن بعض زوجـات النبي (ص) : (انـه (ص) ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ، ولكن كنا نؤثر على أنفسنا) .

ثم ذكر قصة الإمام علي (ع) حينما فدى بنفسه رسول الله (ص) ، وآثر حياة النبي (ص) على حياته (ع) ، فبات في فراشه (ص) ليوهم الكفار ، وخرج النبي (ص) سالماً من مكة .

وفي كتابنا أوثق الأنباء في قصص الأنبياء (ع) ذكرنا ان النبي (ص) قال لعلي(ع) : (ان الروح (أي جبرائيل) هبط علي يخبرني ان قريشاً اجتمعت على قتلي وامرني ربي ان أهجر دار قومي وان انطلق إلى غار ثور ، وانه امرني ان آمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليهم اثري ، فما أنت قائل وصانع ؟ ، فقال علي(ع) أو تَسلَمنَّ بمبيتي هناك يا نبي الله ؟ ، قال نعم ، فتبسم علي(ع) ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً ، فلما رفع رأسه قال : امضي لما أُمرت فداك نفسي ، ومُرني بما شئت أكن فيه بمشيتك وما توفيقي إلا بالله ، ثم ضمه النبي(ص) إلى صدره وبكيا معاً .

وفي الميزان (١٣٢/٢٠) نقل عن الكشاف كيف آثر الإمام علي (ع) وأهل بيته (ع) ، المسكين واليتيم والأسير على أنفسهم .

ففي الرواية ان فاطمة (ع) طحنت صاعاً من الشعير واختبزّت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل وقال : السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة ، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً .

فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك .

فلما أصبحوا أخذ علي (ع) بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله (ص) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، قال : ما اشد ما يسوءني ما أرى بكم ، فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها ، فساءه ذلك ، فنزل جبرائيل وقال : خذها يا محمد ، هنّاك الله في أهل بيتك ، فأقرءه السورة ، وهي سورة الإنسان (الدهر) ، وفيها قوله تعالى :

(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً ، إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً ، وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً)الإنسان(٨- ١٢)

وفي تفسير القمي عن أبيه عن عبد الله بن ميمون عن أبي عبد الله (ع) قال: كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم ، جاء مسكين فقال : مسكين رحمكم الله ، فقام

علي (ع) فأعطاه ثلثاً ، فلم يلبث أن جاء يتيم فقال : اليتيم رحمكم الله ، فقام علي (ع)فأعطاه الثلث ، ثم جاء أسير فقال : الأسير رحمكم الله ، فأعطاه علي (ع) الثلث ، وما ذاقوها ، فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم ، وهي جارية في كل مؤمن فعل ذلك لله عزوجل .

وفي (طريقك نحو الجنة) ذكرنا ان التضحية والإيثار هما من أهم الصفات ، وقد ورد في الحديث ان الله تعالى قال لنبيه موسى (ع) في ثواب الإيثـــار : (لا يأتيني احد منهم قد عمل به وقتَاً من عمره إلا استحييت من محاسبته ، وبوأته من جنتي حيث يشاء) .

وكذلك ورد عن الباقر(ع) : (ان لله عزوجل جنة لا يدخلها إلا ثلاثة) وذكر منهم (رجل آثر أخاه المؤمن في الله) .

وفي الخصال انه سُئل الصادق (ع) : (ما أدنى حق المؤمن على أخيه) ، فقال (ع) : (ان لا يستأثر عليه بما هو أحوج إليه منه) .

والإيثار جامع لجملة من الصفات العالية كالتواضع والسخاء والبر والكرم والرحمة والحب في الله ونحو ذلك ..

بمعنى ان كل من يضحي في سبيل الآخرين ويؤثرهم على نفسه فهو مستجمع لمثل هذه الصفات ، حيث ورد في الحديث عنهم (ع) : (خياركم سمحاؤكم ، وشراركم بخلاؤكم ، ومِن خالص الإيمان : البر بالإخوان والسعي في حوائجهم ، وان البار ليحبه الرحمن ، وفي ذلك مرغمة للشيطان ، وتزحزحٌ عن النيران ودخول الجنان).

وفي المقابل فان ترك التضحية ، أو الاستئثار ، وعدم الإيثار ، يكشف عن وجود صفات سيئة في الفرد منها الأنانية والغرور والتخاذل عن الطاعة ، والتهاون في تحصيل الجنة والحسنات .

كما انه من جهة أخرى فان التسابق بين المؤمنين في ميدان التضحية يجعل الفرد مصداقاً لعنوان السابقين ، الذين عرفت أنهم المقربون .

فقد روي عن النبي(ص) ما مضمونه :(ان بُدلاء أمتي دخلوا الجنة بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للمسلمين) .

مع الإلتفات إلى ان النصيحة تكون بالقول والفعل ، بما في ذلك المساعدة والتضحية.

وهنا قد يقول البعض بان هذه الصفة صعبة جداً ، وقد لا يفعلها إلاّ ما ندر ، ونحن نقول لهم : هذا صحيح ، ولكن لنتذكر ان الصفات العالية تكون عادة كبيرة وثقيلة إلا على الخاشعين ، ولذلك لا ينالها إلا الصابرون العارفون ، فحريّ بنا ان نكون اذاً من هذه الثلة التي يحبها الخالق عزوجل ، ويخفي لها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر : (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ، وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) الزمر- ٥٦ .

ولذلك ينبغي ان لانحزن ولا ننزعج اذا قوبل إيثارنا وتضحيتنا بالتجاهل والنكران من قبل الآخرين ، لان المفروض ان عملنا انما هو لأجل الله تعالى .

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُوراً) الدهر- ٩ .

وقد ورد في الحديث عن النبي(ص) : (اصنع المعروف إلى من هو أهله ، والى من ليس بأهله ، فان أصبتَ أهله فقد أصبت أهله ، وان لم تُصب أهله فأنت من أهله) ..

وفي الحديث (تخلَّقوا بأخلاق الله) ، ومعلوم ان الله تعالى هو الرحمن الرحيم ، حيث نسمع مناجاة الإمام علي (ع) في دعاء الافتتاح : (فلم أر مولى كريماً اصبر على عبد لئيم منك عليّ يارب ، أنك تدعوني فأولي عنك ، وتتحبب إليّ فأتبغض إليك ، وتتودد إلي فلا أقبل منك ، كأن لي التطول عليك ، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إليّ والتفضل عليّ بجودك وكرمك) .

فاذا كان الله تعالى وهو الخالق الغني ، يتعامل مع عباده هكذا ، أفلا ينبغي علينا نحن العباد ان نتعامل هكذا فيما بيننا ، خصوصاً وان أعمالنا محفوظة عند مَن عنده حسن الثواب .

بل المفروض بالعبد الملتفت الواعي ان يفرح حتى اذا قوبل بالنكران ، لان هذا يعني انه صار أفضل وأسمى ، وانه أحرز أنه صار من السابقين ، وكلما زاد إيثاره كلما زاد سبقه ، وبالتالي زادت حسناته ومراتبه عند الله تعالى .

ولذلك ورد عن الإمام الحسين(ع) انه قال في عرصة كربلاء ، وفي آخر لحظاته مناجياً الله تعالى : (هوَّن ما نزل بي انه بعينِك) ، مشيراً بذلك إلى المآسي التي تعرض لها على أيدي أعدائه ، رغم انه لم يخرج إلاّ لأجل الإصلاح والهداية في هذه الأمة .

وهذا في الحقيقة بلسم وشفاء لجميع الجروح والآلام البدنية والنفسية ، فان المؤمن اذا تذكر ذلك هانت عليه جميع مشاكله ، ولم يفكر إلاّ في الطاعة والتكامل ، لأنه سيعلم ان الله تعالى يسجِّل أعماله ويحفظها أمانة عنده ، وانه لا يوجد شيء يضيع عند الله تعالى :

(أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) العلق- ١٤.

(وَأَن لَّيْسَ لِلإنسَانِ إلا مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأَوْفَى) النجم (٣٩- ٤١).

وهنا تجدر الإشارة إلى قوله تعالى :

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّه ، وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ ، وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً ، إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) التوبة- ١٢٠

فالآية وان وردت في جهاد المشركين ، إلا انها من باب أولى تشمل جهاد النفس لأنه - كما ورد - الجهاد الأكبر ، فكل فعل يفعله الإنسان قربة إلى الله تعالى ليغيظ به نفسه الامارة بالسوء ، أو يغيظ به الشيطان ، يعتبر موطئاً في سبيل الله يستحق عليه الثواب .

ثم انه ينبغي الإلتفات إلى ان التضحية والإيثار يحلان جميع المشاكل في العالم ، وهذه حقيقة مهمة يغفل الناس عنها غالباً ، ولا يدركون مدى آثارها الايجابية ، ولو عرفوا ذلك واستوعبوه جيداً ، لامكنهم الاستفادة فعلاً من هذه الحقيقة ، بتطبيق الإيثار والتضحية عملياً ..

وقد بيّنا عند الحديث عن (حسن المعاملة الزوجية) كيف ان الإيثار يمكن ان يحل المشاكل الزوجية ، رغم انها قد تكون مستعصية بحسب المتعارف .

بقي ان نشير إلى اننا تحدثنا في فصول سابقة ، عن إيثار رضا الله تعالى على هوى النفس ، وإيثار رضا الله تعالى رضا المخلوقين .. فينبغي الإلتفات إلى ذلك .

المُروءة

وإن من علامة الإيمان
مروءةٌ تظهر في الإنسان

في الخصال عن النبي (ص) : (من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ، ووجبت إخوته ، وحرمت غيبته) ..

وورد نفس المضمون في حديث عن الصادق(ع) .

وفي مرآة الكمال ذكر المروءة ، وان الصادق (ع) عدها من مكارم الأخلاق ..

وعن الكاظم (ع) : (لا دين لمن لا مروءة له ، ولا مروءة لمن لا عقل له) .

ويكفي في فضل المروة اشتراطهم ترك منافياتها في العدالة ، وقد ورد تفسير المروة بأمور يجمعها انها وضع الرجل خوانه بفناء داره ، وشحّه على دينه ، وحفظه له ، وإصلاحه ماله ، وتعاهد ضيعته ، وقيامه بالحقوق ، وحسن منازعته ، وإفشاء السلام ، ولين الكلام ، والكّف ، والتحّبب إلى الناس ، والعفاف ، وحسن التقدير في المعيشة ، والصبر على النائبة .

وورد ان المروة مروتان : مروة في الحضر وهي تلاوة القرآن ، ولزوم المساجد وعمارتها ، واتخاذ الإخوان في الله ، والمشي معهم في الحوائج ، وصحبة أهل الخير ، والنظر في الفقه ، والإنعام على الخادم ، فانه مما يسّر الصديق ويكبت العدو ..

ومروة في السفر وهي كثرة الزاد وطيبه ، وبذله لمن كان معك ، وكتمانك على القوم سرّهم بعد مفارقتك إياهم ، وترك الرواية ، وحسن الخلق ،

وكثرة المزاح في غير ما يسخط الله عزوجل ، وقلة الخلاف على من صحبك ..

قال (ص) : (والذي بعث محمداً (ص) بالحق نبياً ان الله عزوجل ليرزق العبد على قدر المروة ، وان المعونة لتنزل من السماء على قدر المؤنة ، وان الصبر لينزل على قدر شدة البلاء .. انتهى ما في مرآة الكمال .

أقول : الوارد عن الصادق (ع) في الامالي : (المروة مروتان ، مروة في الحضر ، ومروة في السفر ، فاما التي في الحضر فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، والمشي مع الإخوان في الحوائج ، والإنعام على الخادم فانه مما يسر الصديق ويكبت العدو . واما التي في السفر فكثرة الزاد وطيبه وبذله لمن كان معك ، وكتمانك عن القوم سرهم بعد مفارقتك إياهم ، وكثرة المزاح في غير ما يسخط الله عزوجل) .

وفي الوسائل عن الصادق (ع) قال أمير المؤمنين (ع) لمحمد بن الحنفية : (واعلم ان مروة المرء المسلم مروتان : مروة في حضر ، ومروة في سفر ، فاما مروة الحضر فقراءة القرآن ، ومجالسة العلماء ، والنظر في الفقه ، والمحافظة على الصلوات في الجماعات . واما مروة السفر فبذل الزاد ، وقلة الخلاف على من صحبك ، وكثرة ذكر الله في كل مصعد ومهبط ونزول وقيام وقعود) .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين (ع) : (واما المروءة فإصلاح المعيشة) .

وفي الحديث ان (من المروءة ان تقتصد فلا تسرف ، وتَعِد فلا تخلف) .

وفي كتاب (الأخلاق في حديث واحد) ذكر عدة أحاديث في المروءة ، منها ما ورد عن أمير المؤمنين (ع) : (لا تتم مروة الرجل حتى يتفقه في

دينه ، ويقتصد في معيشته ، ويصبر على النائبة إذا نزلت به ، ويستعذب مرارة إخوانه) ..

وسُئل (ع) : ما المروة ؟ قال (ع) : (لا تفعل شيئاً في السر تستحي منه في العلانية) .

وخرج أمير المؤمنين (ع) على أصحابه وهم يتذاكرون المروة ، فقال أين أنتم من كتاب الله ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين في أي موضع ؟ فقال (ع) : (في قوله عزوجل : (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) فالعدل الإنصاف ، والإحسان التفضل .

وعن الحسن بن علي (ع) في جواب من سأله عن المروة ، قال : (شحّ الرجل على دينه ، وإصلاحه ماله ، وقيامه بالحقوق)

وفي رواية أخرى عنه (ع) انها : (حفظ الرجل دينه ، وقيامه في إصلاح ضيعته ، وحسن منازعته ، وإفشاء السلام ، ولين الكلام ، والكف ، والتحبب إلى الناس) .

وفي المستدرك ان الإمام علي (ع) سأل الحسن (ع) عن المروءة ، فقال (ع) : (العفاف ، واستصلاح المال) .

وعن الصادق (ع) : (إنّا أهل بيت مروءتنا العفو عمن ظلمنا) .

وهكذا تتعدد مصاديق المروءة (المروّة) ..

وقد ذكرنا في غاية المتفقهين ان المروءة كما يقولون : هي تخلق المؤمن بأخلاق أمثاله من المتشرعين ، وترك ما لا يليق به (سواء من حيث الزمان أو المكان أو المجتمع) ، ولا ريب انها مطلوبة على أية حال .

وفي مهذب الأحكام للسبزواري : ان المروءة هي صيانة النفس عن الأدناس ، وعما يشينها عند الناس ، والظاهر اختلافها باختلاف الأماكن والأزمان والأشخاص ، فقد يكون شيء في زمان ، أو في مكان ، أو بالنسبة إلى شخص ، منافياً لها ، مع انه في غيره ليس كذلك .

الـخـاتـمــة

هذي هي الأخلاق في الإسلامِ

ومســـكُها التطبيــق بإلتـزامِ

يقول الله تعالى :

(قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي) يوسف- ١٠٨

(وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) الحج- ٢٤

(فَبَشِّرْ عِبَادِ ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ) الزمر(١٧-١٨) .

نسأل الله تعالى ان نكون قد استفدنا وأفدنا من فصول هذا الكتاب ، وأن نكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه قولاً وفعلاً ..

وفي الحقيقة فاننا وان حاولنا ان نجمع أكبر عدد ممكن من العناوين الأخلاقية المطلوبة ، سواء جعلناها عنواناً مستقلاً أو ضمنياً ..

إلا اننا لن ندعي الحصر والاستيعاب ، ولم نتعرض إلى الآداب التفصيلية كآداب الصوم وآداب الصلاة ونحو ذلك ، وانما تحدثنا عن الأخلاق والآداب بنحو العموم والكليات ..

وقد أشرنا في (طريقك نحو الجنة) إلى مشروع (كتاب أخلاقي شامل) ، تجمع فيه الأحاديث الواردة عن المعصومين (ع) في الآداب التي يحتاجها الإنسان في مجمل تصرفاته الحياتية الخاصة والعامة ، على ان تؤخذ أحاديثه ورواياته من المصادر المعروفة ، من قبيل الكافي للكليني والوسائل ومستدرك الوسائل وثواب الأعمال والخصال للصدوق ، ونحوها ..

وأما أهم الأبواب الإجمالية لهذا الكتاب المقترح فهي كالآتي ، على حسب ترتيب كتاب (الوسائل) (الطبعة الإسلامية) :

١- آداب العبادات والنية ومراتب الايمان ونحوها /ج١ و٤ .

٢- آداب الحمام والتخلي والتنظيف والجنابة / ج١.

٣- آداب الحيض وبيان الاغسال المندوبة وما يتعلق بالموت والاحتضار ونحو ذلك/ج٢.

٤- آداب المساكن والملابس وثواب بعض الأحجار الكريمة /ج٣.

٥ ـ آداب الصلاة وآداب الأدعية، وفضل قراءة القرآن، وآثار السجود، وبيان أهم التعقيبات، وآثار الذكر عموماً/ج٤.

٦- آداب النوافل وبيان الصلوات المستحبة، وبيان آثار الاستخارة/ج٥.

٧ـ أهمية الصدقة وآثارها /ج٦ و١٣.

٨ـ أهمية الصوم وآدابه وبيان الصوم المستحب والمكروه/ج٧.

٩ـ آداب السفر، وفيه عن كيفية التعامل مع الحيوانات /ج٨.

١٠ـ آداب العشرة والأخلاق مع الناس /ج٨ و١٠و١١.

١١ـ آداب الزيارة للمعصومين(ع) ولسائر الناس الأحياء منهم والأموات/ج١٠.

١٢ـ جهاد النفس وآداب التكامل /ج١١.

١٣ـ بيان بعض محاسن الصفات ومساوئها، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ج١١.

١٤ـ آداب التجارة ومستحباتها ومكروهاتها / ج١٢.

١٥ـ آداب الوقف وفضله /ج١٣.

١٦ـ آداب الـزواج، وكيفيـة التعامـل مـع العائلـة، وبيـان حقـوق الـزوجين، وآداب الحجاب، وآثار العفة، وآداب التعامل والاختلاط بين الرجال والنساء الأجانب/ج١٤.

١٧- آداب التعامل مع الأولاد، وبيان أهم مستحباته /ج١٥و١٤.

١٨ـ آداب الأطعمـة والمائـدة، وبيـان الأطعمـة والأشـربة المحللـة والمحرمـة والمستحبة والمكروهة، وبيان فوائدها وآثارها /ج١٦ و١٧.

١٩ـ آداب القضاء والشهود /ج١٨.

٢٠ـ آداب طلب العلم وطالب العلم، والتحذير من الابتعاد عن منهج المعصومين (ع).

وهناك أبواب أخرى يمكن تمييزها عند قراءة جميع الأحاديث الواردة في كتاب الوسائل ..

فان تفاصيل الحياة كثيرة ومتشعبة ، والشريعة غطت هذه التفاصيل ، اما بصورة واضحة أو مباشرة ، واما بصورة إجمالية أو غير مباشرة ..

وقد ورد في الحديث عن المعصومين (ع) ما مضمونه : (أنتم أفقه الناس اذا عرفتم معاني كلامنا) .

وأخيراً فقد أحببت - لأجل زيادة الفائدة - ان أذكر في خاتمة (دليل الأخلاق) رسالة الحقوق للإمام السجاد (ع) ، ودعاءه (ع) في مكارم الأخلاق ، فإنهما مهمان جداً من هذه الناحية .

كذلك سأذكر حديث الإمام علي (ع) في صفة المؤمن ، كما سأذكر الأحاديث الواردة عن المعصومين (ع) في بيان الصفات المطلوبة في الشيعي (المؤمن) الحقيقي ..

فهذه ملاحق أربعة ينبغي الإطلاع عليها بتأمل وتدبر ، ومراعاتها بصدق وإخلاص قربة إلى الله تعالى ..

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ
رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين .

النجف الأشرف - حيدر اليعقوبي
٩- رجب - ١٤٣٢هـ

ملحق - ١ -

رسالة الحقوق

للإمام السجاد (ع)

وردت هذه الرسالة الشريفة في الوسائل نقلاً عن (من لايحضره الفقيه) ، ووردت في تحف العقول مع زيادات ، وسوف نذكرها عن المصدرين على الترتيب :

رسالة الحقوق (كما في الوسائل)

حق الله الاكبر عليك أن تعبده ولا تشرك به شيئاً ، فاذا فعلت ذلك باخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

وحق نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عزّ وجلّ .

وحق اللسان إكرامه عن الخنا ، وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها ، والبر بالناس ، وحسن القول فيهم .

وحق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحل سماعه .

وحق البصر أن تغضه عما لا يحل لك ، وتعتبر بالنظر به .

وحق يديك أن لا تبسطهما إلى ما لا يحل لك .

وحق رجليك ان لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك ، فبهما تقف على الصراط ، فانظر ان لا تزل بك فتردى في النار .

وحق بطنك ان لا تجعله وعاء للحرام ، ولا تزيد على الشبع .

وحق فرجك عليك ان تحصنه من الزنا ، وتحفظه من ان ينظر إليه .

وحق الصلاة ان تعلم انها وفادة إلى الله عزّ وجلّ وانت فيها قائم بين يدي الله ، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب

الراجي الخائف المستكين المتضرع ، المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار ، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها .

وحق الحج ان تعلم انه وفادة إلى ربك وفرار إليه من ذنوبك ، وفيه قبول توبتك ، وقضاء الفرض الذي اوجبه الله عليك .

وحق الصوم ان تعلم انه حجاب ضربه الله عزّ وجلّ على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك يسترك به من النار ، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك .

وحق الصدقة ان تعلم انها ذخرك عند ربك ووديعتك التي لا تحتاج إلى الاشهاد عليها وكنت بما تستودعه سرا أوثق منك بما تستودعه علانية ، وتعلم أنّها تدفع عنك البلايا والأسقام في الدنيا ، وتدفع عنك النار في الآخرة .

وحق الهدي أن تريد به الله عزّ وجلّ ، ولا تريد خلقه ولا تريد به إلا التعرض لرحمته ونجاة روحك يوم تلقاه .

وحق السلطان أن تعلم أنك جعلت له فتنة ، وأنه مبتلى فيك بما جعل الله له عليك من السلطان ، وأن عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة وتكون شريكا له فيما يأتي إليك من سوء .

وحق سائسك بالعلم التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع إليه ، والاقبال عليه ، وأن لا ترفع عليه صوتك ، ولا تجيب أحدا يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ، ولا تحدث في مجلسه أحدا ، ولا تغتاب عنده أحدا ، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء ، وأن تستر عيوبه ، وتظهر مناقبه ، ولا تجالس له عدوا ، ولا تعادي له وليا ، فاذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بانك قصدته ، وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس .

وأما حق سائسك بالملك فأن تطيعه ولا تعصيه إلا فيما يسخط الله عز وجل فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وأما حق رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوتك فيجب أن تعدل فيهم ، وتكون لهم كالوالد الرحيم ، وتغفر لهم جهلهم ، ولا تعاجلهم بالعقوبة ، وتشكر الله عزّ وجلّ على ما أتاك من القوة عليهم .

وأما حق رعيتك بالعلم فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ إنما جعلك قيما عليهم فيما أتاك من العلم ، وفتح لك من خزانته فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله ، وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقا على الله عزّ وجلّ أن يسلبك العلم وبهائه ، ويسقط من القلوب محلك .

وأما حق الزوجة فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ جعلها لك سكنا وانسا ، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عزّ وجلّ عليك فتكرمها وترفق بها ، وإن كان حقك عليها أوجب ، فإنّ لها عليك أن ترحمها ، لانها أسيرك ، وتطعمها وتكسوها ، وإذا جهلت عفوت عنها .

وأما حق مملوكك فأن تعلم أنه خلق ربك وابن ابيك وامك ولحمك ودمك لم تملكه لانك صنعته دون الله ، ولا خلقت شيئا من جوارحه ، ولا اخرجت له رزقا ، ولكن الله عزّ وجلّ كفاك ذلك ثم سخره لك وائتمنك عليه واستودعك اياه ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه ، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك ، وإن كرهته استبدلت به ، ولم تعذب خلق الله عزّ وجلّ ولا قوة إلا بالله .

وأما حق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً ، واعطتك (أطعمتك) من ثمرة قلبها ما لا يعطي (لا يطعم) أحد أحدا ، ووقتك بجميع

جوارحها ، ولم تبال أن تجوع وتطعمك ، وتعطش وتسقيك ، وتعرى وتكسوك ، وتضحى وتظلك ، وتهجر النوم لأجلك ، ووَقَتك الحر والبرد لتكون لها ، وأنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه .

وأما حق أبيك فأن تعلم أنه أصلك فانه لولاه لم تكن ، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم ان اباك اصل النعمة عليك فيه ، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلا بالله .

واما حق ولدك فأن تعلم انه منك ومضاف إليك ، في عاجل الدنيا بخيره وشره ، وإنك مسؤل عما وليته من حسن الادب والدلالة على ربه عزّوجلّ ، والمعونة على طاعته ، فاعمل في امره عمل من يعلم انه مثاب على الاحسان إليه ، معاقب على الاسائة إليه .

واما حق اخيك فأن تعلم انه يدك وعزك وقوتك فلا تتخذه سلاحا على معصية الله ، ولا عدة للظلم لخلق الله ، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له ، فإن أطاع الله وإلا فليكن الله اكرم عليك منه ، ولا قوة إلا بالله .

واما حق مولاك المنعم عليك فأن تعلم انه انفق فيك ماله ، واخرجك من ذل الرق ووحشته إلى عز الحرية وأنسها فأطلقك من أسر الملكة ، وفك عنك قيد العبودية ، واخرجك من السجن ، وملكك نفسك ، وفرغك لعبادة ربك ، وتعلم انه اولى الخلق بك في حياتك وموتك ، وأن نصرته عليك واجبة بنفسك ، وما احتاج اليه منك ، ولا قوة إلا بالله .

واما حق مولاك الذي انعمت عليه فأن تعلم ان الله عزّ وجلّ جعل (عنقك) عتقك له وسيلة إليه وحجاباً لك من النار ، وان ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة لما انفقت من مالك ، وفي الآجل الجنة .

واما حق ذي المعروف عليك فأن تشكره وتذكر معروفه ، وتكسبه المقالة الحسنة ، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عزّ وجلّ ، فاذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرا وعلانية ثم ان قدرت على مكافأته يوما كافأته .

واما حق المؤذن ان تعلم انه مذكر لك ربك عزّ وجلّ ، وداع لك إلى حظك ، وعونك على قضاء فرض الله عزّ وجلّ عليك فاشكره على ذلك شكر المحسن إليك .

واما حق إمامك في صلاتك فأن تعلم انه تقلد السفارة فيما بينك وبين ربك عزّ وجلّ ، وتكلم عنك ولم تتكلم عنه ، ودعا لك ولم تدع له ، وكفاك هول المقام بين يدي الله عزّ وجلّ ، فإن كان نقص كان به دونك ، وإن كان تماما كنت شريكه ، ولم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه ، وصلاتك بصلاته ، فتشكر له على قدر ذلك .

وأمّا حق جليسك فأن تلين له جانبك ، وتنصفه في مجاراة اللفظ ، ولا تقوم من مجلسك الاّ باذنه ، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك ، وتنسى زلاّته ، وتحفظ خيراته ، ولا تسمعه الا خيرا .

واما حق جارك فحفظه غائبا ، وإكرامه شاهدا ، ونصرته اذا كان مظلوما ، ولا تتبع له عورة ، فإن علمت عليه سوء سترته عليه ، وان علمت انه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه ، ولا تسلمه عند شديدة ، وتقيل عثرته ، وتغفر ذنبه ، وتعاشره معاشرة كريمة ، ولا قوة إلا بالله .

واما حق الصاحب فأن تصحبه بالتفضل والانصاف ، وتكرمه كما يكرمك ، ولا تدعه يسبق إلى مكرمة ، فإن سبق كافأته ، وتوده كما يودك، وتزجره عما يهم به من معصية الله ، وكن عليه رحمة ، ولا تكن عليه عذابا ، ولا قوة الا بالله .

واما حق الشريك فإن غاب كافيته ، وان حضر رعيته ، ولا تحكم دون حكمه ولا تعمل برايك دون مناظرته ، وتحفظ عليه ماله ، ولا تخنه فيما عز أو هان من امره ، فإنّ يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا ، ولا قوة الا بالله .

وأما حق مالك فأن لا تأخذه الا من حله ، ولا تنفقه إلا في وجهه ، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك ، فاعمل به بطاعة ربك ، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع التبعة ، ولا قوة إلا بالله .

وأما حق غريمك الذي يطالبك فإن كنت موسراً أعطيته ، وإن كنت معسرا أرضيته بحسن القول ، ورددته عن نفسك رداً لطيفا .

وحق الخليط أن لا تغره ولا تغشه ولا تخدعه وتتقي الله في أمره .

وأما حق الخصم المدعي عليك فإن كان ما يدعيه عليك حقا كنت شاهده على نفسك ولم تظلمه وأوفيته حقه ، وإن كان ما يدعي باطلا رفقت به ، ولم تأت في أمره غير الرفق ، ولم تسخط ربك في أمره ، ولا قوة إلا بالله .

وحق خصمك الذي تدعي عليه إن كنت محقا في دعواك أجملت مقاولته ولم تجحد حقه ، وإن كنت مبطلا في دعواك اتقيت الله عزّ وجلّ وتبت إليه ، وتركت الدعوى .

وحق المستشير ان علمت أن له رأيا حسنا أشرت عليه ، وإن لم تعلم له أرشدته إلى من يعلم .

وحق المشير عليك أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه ، وإن وافقك حمدت الله عزّ وجلّ .

وحق المستنصح أن تؤدي إليه النصيحة ، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق.

وحق الناصح أن تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك ، فإن أتى بالصواب

حمدت الله عزّ وجلّ ، وإن لم يوافق رحمتَه ولم تتهمه ، وعلمت أنه أخطأ ولم تؤاخذه بذلك ، إلا أن يكون مستحقا للتهمة فلا تعبأ بشئ من أمره على حال ، ولا قوة الا بالله .
وحق الكبير توقيره لسنه ، وإجلاله لتقدمه في الاسلام قبلك ، وترك مقابلته عند الخصام ، ولا تسبقه إلى طريق ، ولا تتقدمه ولا تستجهله ، وان جهل عليك احتملته وأكرمته لحق الاسلام وحرمته .
وحق الصغير رحمته (من نوى في) تعليمه ، والعفو عنه ، والستر عليه ، والرفق به ، والمعونة له .
وحق السائل إعطاؤه على قدر حاجته .
وحق المسؤول ان اعطى ، فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله ، وان منع فاقبل عذره .
وحق من سرك لله تعالى (سرك الله به) أن تحمد الله عزّ وجلّ أولاً ثم تشكره .
وحق من أساء اليك أن تعفو عنه ، وان علمت أن العفو يضر انتصرت ، قال الله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) .
وحق أهل ملتك اضمار السلامة والرحمة لهم ، والرفق بمسيئهم ، وتألفهم ، واستصلاحهم ، وشكر محسنهم ، وكف الاذى عن مسيئهم ، وتحب لهم ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك ، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك ، وشبابهم بمنزلة اخوتك ، وعجائزهم بمنزلة امك ، والصغار منهم بمنزلة أولادك .
وحق الذمة أن تقبل منهم ما قبل الله عزّ وجلّ منهم ، ولا تظلمهم ما وفوا الله عزّ وجلّ بعهده .

رسالة الحقوق (كما في تحف العقول)

إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقا محيطة بك في كل حركة تحركتها ، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها ، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها ، بعضها أكبر من بعض ..

وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع . ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك ، فجعل لبصرك عليك حقا ولسمعك عليك حقا وللسانك عليك حقا وليدك عليك حقا ولرجلك عليك حقا ولبطنك عليك حقا ولفرجك عليك حقا ، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الافعال .

ثم جعل عزوجل لافعالك عليك حقوقا ، فجعل لصلاتك عليك حقا ولصومك عليك حقا ولصدقتك عليك حقا ولهديك عليك حقا ولافعالك عليك حقا ..

ثم تَخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك ، وأوجبها عليك حقوق أئمتك ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك ، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق ..

فحقوق أئمتك ثلاثة ، أوجبها عليك حق سائسك بالسلطان ثم سائسك بالعلم ، ثم حق سائسك بالملك ، وكل سائس إمام ..

وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك حق رعيتك بالسلطان ، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم ، وحق رعيتك بالملك من الازواج وما ملكت من الايمان..

وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة ، فأوجبها عليك حق امك ، ثم حق أبيك ثم حق ولدك ، ثم حقد أخيك ثم الاقرب فالاقرب والاول فالاول ..

ثم حق مولاك المنعم عليك ، ثم حق مولاك الجارية نعمتك عليه ، ثم حق ذي المعروف لديك ، ثم حق مؤذنك بالصلاة ، ثم حق إمامك في صلاتك ، ثم حق جليسك ثم حق جارك ، ثم حق صاحبك ، ثم حق شريكك ، ثم حق مالك ، ثم حق غريمك الذي تطالبه ، ثم حق غريمك الذي يطالبك ، ثم حق خليطك ، ثم حق خصمك المدعي عليك ثم حق خصمك الذي تدعي عليه ، ثم حق مستشيرك ، ثم حق المشير عليك ، ثم حق مستنصحك ، ثم حق الناصح لك ، ثم حق من هو أكبر منك ، ثم حق من هو أصغر منك ، ثم حق سائلك ، ثم حق من سألته ، ثم حق من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرة بذلك بقول أو فعل عن تعمد منه أو غير تعمد منه ، ثم حق أهل ملتك عامة ، ثم حق أهل الذمة ..

ثم الحقوق الجارية بقدر علل الاحوال وتصرف الاسباب ، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدده .

١ - فأما حق الله الاكبر فإنك تعبده لا تشرك به شيئا ، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ، ويحفظ لك ما تحب منها.

٢ - وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله ، فتؤدي إلى لسانك حقه وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه وإلى يدك حقها وإلى رجلك حقها وإلى بطنك حقه وإلى فرجك حقه وتستعين بالله على ذلك .

٣ - وأما حق اللسان فإكرامه عن الخنى وتعويده على الخير وحمله على الادب وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا ، وإعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة ، التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها . ويعد شاهد العقل والدليل عليه ، وتزين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٤ - وأما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقا إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيرا أو تكسب خلقا كريما فإنه باب الكلام إلى القلب يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر ، ولا قوة إلا بالله.

٥ - وأما حق بصرك فغضه عما لا يحل لك وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصرا أو تستفيد بها علما ، فإن البصر باب الاعتبار.

٦ - وأما حق رجليك فأن لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك ولا تجعلهما مطيتك في الطريق المستخفة بأهلها فيها فإنها حاملتك وسالكة بك مسلك الدين والسبق لك ، ولا قوة إلا بالله.

٧ - وأما حق يدك فأن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ، ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل ، ولا تقبضها مما افترض الله عليها ، ولكن توقرها بقبضها عن كثير مما يحل لها وبسطها إلى كثير مما ليس عليها ، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل وجب لها حسن الثواب في الآجل.

٨ - وأما حق بطنك فأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام ولا لكثير ، وأن تقتصد له في الحلال ولا تخرجه من حد التقوية إلى حد التهوين وذهاب المروة ، وضبطه إذا هم بالجوع والظمأ ، فإن الشبع المنتهي بصاحبه إلى

التخم مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كل بر وكرم ، وإن الري المنتهي بصاحبه إلى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروة.

٩ - وأما حق فرجك فحفظه مما لا يحل لك والاستعانة عليه بغض البصر ، فإنه من أعون الاعوان ، وكثرة ذكر الموت والتهدد لنفسك بالله والتخويف لها به . وبالله العصمة والتأييد ولا حول ولا قوة إلا به ..

(ثم حقوق الافعال)....

١٠ - فأما حق الصلاة فأن تعلم أنها وفادة إلى الله وأنك قائم بها بين يدي الله فإذا علمت ذلك كنت خليقا أن تقوم فيها مقام الذليل الراغب الراهب الخائف ، الراجي المسكين المتضرع المعظم من قام بين يديه بالسكون والاطراق و خشوع الاطراف ولين الجناح وحسن المناجاة له في نفسه والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت به خطيئتك واستهلكتها ذنوبك ولا قوة إلا بالله.

١١ - وأما حق الصوم فأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك و بصرك وفرجك وبطنك ليسترك به من النار ، وهكذا جاء في الحديث (الصوم جنة من النار)، فإن سكنت أطرافك في حجبتها رجوت أن تكون محجوبا ، وإن أنت تركتها تضطرب في حجابها وترفع جنبات الحجاب فتطلع إلى ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة والقوة الخارجة عن حد التقية لله لم تأمن أن تخرق الحجاب وتخرج منه ، ولا قوة إلا بالله .

١٢ - وأما حق الصدقة فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك ووديعتك التي لا تحتاج إلى الاشهاد فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سراً أوثق بما استودعته علانية وكنت جديرا أن تكون أسررت إليه أمرا أعلنته ، وكان الامر بينك وبينه فيها سرا على كل حال ، ولم تستظهر عليه فيما

استودعتـه منها إشهاد (بإشهاد) الاسماع والابصار عليه بها كأنها أوثق في نفسك ، لا كأنك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك .. ثم لم تمتـن بها على أحد لانها لك فإذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالك منها إلى من مننت بها عليه لان في ذلك دليلا على أنك لم ترد نفسك بها ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحد ، ولا قوة إلا بالله.

١٣ - وأما حق الهدي فأن تخلص بها الارادة إلى ربك والتعرض لرحمته وقبوله ولا تريد عيون الناظرين دونه ، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلفا ولا متصنعا وكنت إنما تقصد الى الله ، وإعلم ان الله يُراد باليسير ، ولا يراد بالعسير ، كما أراد بخلقه التيسير ولم يرد بهم التعسير ، وكذلك التذلل أولى بك من التدهقن لان الكلفة والمؤونة في المتدهقنين . فأما التذلل والتمسكن فلا كلفة فيهما ولا مؤونة عليهما لانهما الخلقة وهما موجودان في الطبيعة ، ولا قوة إلا بالله ..

(ثم حقوق الائمة) ....

١٤ - فأما حق سائسك بالسلطان فأن تعلم أنك جعلت له فتنة وأنه مبتلى فيك بما جعله الله له عليك من السلطان وأن تخلص له في النصيحة ، وأن لا تماحكه وقد بُسطت يده عليك فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه ، وتذلل وتلطف لاعطائه من الرضى ما يكفه عنك ولا يضر بدينك وتستعين عليه في ذلك بالله . ولا تعازه ولا تعانده ، فإنك إن فعلت ذلك عققته وعققت نفسك فعرضتها لمكروهه وعرضته للهلكة فيك وكنت خليقا أن تكون معينا له على نفسك وشريكا له فيما أتى إليك ، ولا قوة إلا بالله.

١٥ - وأما حق سائسك بالعلم فالتعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والاقبال عليه والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم بأن تفرغ له عقلك وتحضره فهمك وتزكي له (قلبك) وتجلي له بصرك بترك اللذات ونقص الشهوات وأن تعلم أنك فيما ألقى (إليك) رسوله إلى من لقيك من أهل الجهل فلزمك حسن التأدية عنه إليهم ، ولا تخنه في تأدية رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

١٦ - وأما حق سائسك بالملك فنحوٌ من سائسك بالسلطان إلا أن هذا يملك ما لا يملكه ذاك تلزمك طاعته فيما دق وجل منك إلا أن تخرجك من وجوب حق الله ، ويحول بينك وبين حقه وحقوق الخلق ، فإذا قضيته رجعت إلى حقه فتشاغلت به ، ولا قوة إلا بالله ..

(ثم حقوق الرعية) ....

١٧ - فأما حقوق رعيتك بالسلطان فأن تعلم أنك إنما استرعيتهم بفضل قوتك عليهم فإنه إنما أحلهم محل الرعية لك ضعفهم وذلهم ، فما أولى من كفاكه ضعفه وذله حتى صيره لك رعية وصير حكمك عليه نافذا ، لا يمتنع منك بعزة ولا قوة ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلا (بالله) بالرحمة والحياطة والاناة وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزة والقوة التي قهرت بها أن تكون لله شاكرا ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه ولا قوة إلا بالله.

١٨ - وأما حق رعيتك بالعلم ، فأن تعلم أن الله قد جعلك لهم فيما آتاك من العلم وولاك من خزانة الحكمة ، فإن أحسنت فيما ولاك الله من ذلك وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عبيده ، الصابر المحتسب الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الاموال التي في يديه كنت

راشدا وكنت لذلك آملا معتقدا وإلا كنت له خائنا ولخلقه ظالما ولسلبه وعزه متعرضا.

١٩ - وأما حق رعيتك بملك النكاح ، فأن تعلم أن الله جعلها سكنا ومستراحا وأُنسا وواقية وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه . ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها ، وإن كان حقك عليها أغلظ وطاعتك بها ألزم فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية ، فإن لها حق الرحمة والمؤانسة وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لابد من قضائها وذلك عظيم ، ولا قوة إلا بالله.

٢٠ - وأما حق رعيتك بملك اليمين فأن تعلم أنه خلق ربك ، ولحمك ودمك وأنك تملكه لا أنت صنعته دون الله ولا خلقت له سمعا ولا بصرا ولا أجريت له رزقا ولكن الله كفاك ذلك ، ثم سخره لك وائتمنك عليه واستودعك إياه لتحفظه فيه وتسير فيه ، فتطعمه مما تأكل وتلبسه مما تلبس ولا تكلفه ما لا يطيق ، فإن كرهت (كرهته) خرجت إلى الله منه واستبدلت به ، ولم تعذب خلق الله ، ولا قوة إلا بالله ..

(واما حق الرحم) ....

٢١ - فحق امك ان تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحدا أحدا . وأنها وقَتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك ، فرحة ، موابلة (موبلة) محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الارض فرضيت أن تشبع وتجوع هي وتكسوك وتعرى وترويك وتظمأ وتظلك وتضحى و تنعمك ببؤسها

وتلذذك بالنوم بأرقها وكان بطنها لك وعاء ، وحجرها لك حواء ، وثديها لك سقاء ونفسها لك وقاء ، تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك ، فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه .

٢٢ - وأما حق أبيك فتعلم أنه أصلك وأنك فرعه وأنك لولاه لم تكن ، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه واحمد الله واشكره على قدر ذلك (ولا قوة إلا بالله) .

٢٣ - وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وأنك مسؤول عما وليته من حسن الادب والدلالة على ربه والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه ، فمثاب على ذلك ومعاقب ، فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا ، المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والاخذ له منه ، ولا قوة إلا بالله .

٢٤ - وأما حق أخيك فتعلم أنه يدك التي تبسطها ، وظهرك الذي تلتجئ إليه وعزك الذي تعتمد عليه وقوتك التي تصول بها ، فلا تتخذه سلاحا على معصية الله ولا عدة للظلم بحق الله ، ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوه والحول بينه وبين شياطينه وتأدية النصيحة إليه والاقبال عليه في الله ، فإن انقاد لربه وأحسن الاجابة له وإلا فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه .

٢٥ - وأما حق المنعم عليك بالولاء تعلم أنه أنفق فيك ماله وأخرجك من ذل الرق ووحشته إلى عز الحرية وانسها ، وأطلقك من أسر الملكة وفك عنك حلق العبودية وأوجدك رايحة العز وأخرجك من سجن القهر ودفع عنك العسر و بسط لك لسان الانصاف وأباحك الدنيا كلها ، فملكك نفسك وحل أسرك وفرغك لعبادة ربك واحتمل بذلك التقصير في ماله .

فتعلم أنه أولى الخلق بك بعد أولي رحمك في حياتك وموتك ، وأحق الخلق بنصرك ومعونتك ومكانفتك في ذات الله ، فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك .

٢٦ - وأما حق مولاك الجارية عليه نعمتك فأن تعلم أن الله جعلك حامية عليه وواقية وناصرا ومعقلا وجعله لك وسيلة وسببا بينك وبينه ، فبالحري أن يحجبك عن النار فيكون في ذلك ثواب منه في الآجل ويحكم لك بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم ، مكافأة لما أنفقته من مالك عليه وقمت به من حقه بعد إنفاق مالك ، فإن لم تقم بحقه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه ، ولا قوة إلا بالله .

٢٧ - وأما حق ذي المعروف عليك فأن تشكره وتذكر معروفه وتنشر له المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه ، فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سرا وعلانية ، ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كافأته وإلا كنت مرصدا له موطنا نفسك عليها .

٢٨ - وأما حق المؤذن فأن تعلم أنه مذكرك بربك وداعيك إلى حظك وأفضل أعوانك على قضاء الفريضة التي افترضها الله عليك فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك ، وإن كنت في بيتك مهتما لذلك لم تكن لله في أمره متهما وعلمت أنه نعمة من الله عليك لا شك فيها فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال ، ولا قوة إلا بالله .

٢٩ - وأما حق إمامك في صلاتك فأن تعلم أنه قد تقلد السفارة فيما بينك وبين الله والوفادة إلى ربك وتكلم عنك ولم تتكلم عنه ودعا لك ولم تدع له وطلب فيك ولم تطلب فيه ، وكفاك هم المقام بين يدي الله والمسألة له فيك ، ولم تكفه ذلك فإن كان في شئ من ذلك تقصير كان به دونك وإن

كان آثما لم تكن شريكه فيه ولم يكن له عليك فضل ، فوقى نفسك بنفسه ووقى صلاتك بصلاته ، فتشكر له على ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣٠ - وأما حق الجليس فأن تلين له كنفك وتطيب له جانبك وتنصفه في مجاراة اللفظ ، ولا تغرق في نزع اللحظ إذا لحظت وتقصد في اللفظ إلى إفهامه إذا لفظت وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار ولا تقوم إلا بإذنه ، ولا قوة إلا بالله .

٣١ - وأما حق الجار فحفظه غائبا وكرامته شاهدا ونصرته ومعونته في الحالين جميعا ، لا تتبع له عورة ولا تبحث له عن سوء (سوءة) لتعرفها ، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلف ، كنت لما علمت حصنا حصينا وسترا ستيرا ، لو بحثت الأسنة عنه ضميرا لم تصل لانطوائه عليه . لا تستمع عليه من حيث لا يعلم ، لا تسلمه عند شديدة ، ولا تحسده عند نعمة ، تقيل عثرته وتغفر زلته ، ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك ، ولا تخرج أن تكون سلما له ، ترد عنه لسان الشتيمة وتبطل فيه كيد حامل النصيحة وتعاشره معاشرة كريمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣٢ - وأما حق الصاحب فأن تصحبه بالفضل ما وجدت إليه سبيلا وإلا فلا أقل من الانصاف ، وأن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كما يحفظك ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمة ، فإن سبقك كافأته ، ولا تقصر به عما يستحق من المودة ، تلزم نفسك نصيحته وحياطته ومعاضدته على طاعة ربه ومعونته على نفسه فيما لا يهم به من معصية ربه ، ثم تكون (عليه) رحمة ولا تكون عليه عذابا ، ولا قوة إلا بالله.

٣٣ - وأما حق الشريك فإن غاب كفيته وإن حضر ساويته ، ولا تعزم على حكمك دون حكمه ولا تعمل برأيك دون مناظرته وتحفظ عليه ماله

وتنفي عنه خيانته فيما عز أو هان ، فإنه بلغنا (أن يـد الله على الـشريكيـن ما لم يتخاونا) ، ولا قوة إلا بالله .

٣٤ - وأما حق المال فأن لا تأخذه إلا من حله ولا تنفقه إلا في حله ، ولا تحرفه عن مواضعه ولا تصرفه عن حقائقه ولا تجعله إذا كان من الله إلا إليه وسببا إلى الله ، ولا تؤثر به على نفسك من لعله لا يحمدك ، وبالحري أن لا يحسن خلافته في تركك(تركتك) ، ولا يعمل فيه بطاعة ربك فتكون معينا له على ذلك أو بما أحدث في مالك أحسن نظرا لنفسه فيعمل بطاعة ربه فيذهب بالغنيمة وتبوء بالاثم والحسرة والندامة مع التبعة، ولا قوة إلا بالله.

٣٥ - وأما حق الغريم الطالب لك فإن كنت موسرا أوفيته وكفيته وأغنيته ولم ترده وتمطله فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : (مطل الغني ظلم) وإن كنت معسرا أرضيته بحسن القول وطلبت إليه طلبا جميلا ورددته عن نفسك رداً لطيفا ولم تجمع عليه ذهاب ماله وسوء معاملته ، فإن ذلك لؤم ، ولا قوة إلا بالله .

٣٦ - وأما حق الخليط فأن لا تغره ولا تغشه ولا تكذبه ولا تغفله ولا تخدعه ولا تعمل في انتقاضه عمل العدو الذي لا يبقى على صاحبه ، وإن اطمأن إليك استقصيت له على نفسك وعلمت أن غبن المسترسل ربا ، ولا قوة إلا بالله.

٣٧ - وأما حق الخصم المدعي عليك فإن كان ما يدعي عليك حقا لم تنفسخ في حجته ولم تعمل في إبطال دعوته وكنت خصم نفسك له والحاكم عليها والشاهد له بحقه دون شهادة الشهود ، فإن ذلك حق الله عليك ، وإن كان ما يدعيه باطلا رفقت به وروعته و ناشدته بدينه وكسرت حدته عنك بذكر الله وألقيت حشو الكلام ولغطه الذي لا يرد عنك عادية

عدوك ، بل تبوء بإثمه وبه يشحذ عليك سيف عداوته ، لان لفظة السوء تبعث الشر ، والخير مقمعة للشر ، ولا قوة إلا بالله.

٣٨ - وأما حق الخصم المدعى عليه فإن كان ما تدعيه حقا أجملت في مقاولته بمخرج الدعوى ، فإن للدعوى غلظة في سمع المدعى عليه ، وقصدت قصد حجتك بالرفق وأمهل المهلة وأبين البيان وألطف اللطف ، ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل والقال ، فتذهب عنك حجتك ولا يكون لك في ذلك درك ، ولا قوة إلا بالله .

٣٩ - وأما حق المستشير فإن حضرك له وجه رأي جهدت له في النصيحة وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنت مكانه عملت به ، وذلك ليكن منك في رحمة ولين ، فإن اللين يؤنس الوحشة وإن الغلظ يوحش موضع الانس، وإن لم يحضرك له رأي وعرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك دللته عليه وأرشدته إليه ، فكنت لم تأله خيرا ولم تدخره نصحا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٤٠ - وأما حق المشير عليك فلا تتهمه فيما لا يوافقك عليه من رأيه إذا أشار عليك فإنما هي الآراء وتصرف الناس فيها واختلافهم ، فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتهمت رأيه ، فأما تهمته فلا تجوز لك إذا كان عندك ممن يستحق المشاورة ولا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه وحسن وجه مشورته ، فإذا وافقك حمدت الله وقبلت ذلك من أخيك بالشكر والارصاد بالمكافأة في مثلها إن فزع إليك ، ولا قوة إلا بالله .

٤١ - وأما حق المستنصح فإن حقه أن تؤدي إليه النصيحة على الحق الذي ترى له أنه يحمل وتخرج (يخرج) المخرج الذي يلين على مسامعه ، وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله ، فإن لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه وليكن مذهبك الرحمة ، ولا قوة إلا بالله.

٤٢ - وأما حق الناصح فأن تلين له جناحك ثم تشرئب له قلبك ، وتفتح له سمعك حتى تفهم عنه نصيحته ، ثم تنظر فيها ، فان كان وفق فيها للصواب حمدت الله على ذلك وقبلت منه وعرفت له نصيحته ، وإن لم يكن وفق لها فيها رحِمتَه ولم تتهمه وعلمت أنه لم يألك نصحا إلا أنه أخطأ ، إلا أن يكون عندك مستحقا للتهمة فلا تعبأ بشئ من أمره على كل حال ، ولا قوة إلا بالله .

٤٣ - وأما حق الكبير فان حقه توقير سنه وإجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل في الاسلام بتقديمه فيه وترك مقابلته عند الخصام ولا تسبقه إلى طريق ولا تؤمه في طريق ولا تستجهله ، وإن جهل عليك تحملت وأكرمته بحق إسلامه مع سنه فإنما حق السن بقدر الاسلام ، ولا قوة إلا بالله .

٤٤ - وأما حق الصغير فرحمته وتثقيفه وتعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له والستر على جرائر حداثته فإنه سبب للتوبة ، والمدارأة له ، وترك مماحكته فإن ذلك أدنى لرشده .

٤٥ - وأما حق السائل فإعطاؤه إذا تيقنت صدقه (تهيأت صدقة) وقدرت على سد حاجته والدعاء له فيما نزل به والمعاونة له على طلبته ، وإن شككت في صدقه وسبقت إليه التهمة له ولم تعزم على ذلك لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدك عن حظك ويحول بينك وبين

التقرب إلى ربك فتركته بستره ورددته ردا جميلا ، وإن غلبت نفسك في أمره وأعطيته على ما عرض في نفسك منه ، فإن ذلك من عزم الامور .
٤٦ - وأما حق المسؤول فحقه إن أعطى قبل منه ما أعطى ، بالشكر له والمعرفة لفضله ، وطلب وجه العذر في منعه وأحسن به الظن ، وأعلم أنه إن منع (فـ) ماله منع وأن ليس التثريب في ماله ، وإن كان ظالما فإن الإنسان لظلوم كفار.
٤٧ - وأما حق من سرك الله به وعلى يديه ، فإن كان تعمدها لك حمدت الله أولا ثم شكرته عى ذلك بقدره في موضع الجزاء وكافأته على فضل الابتداء وأرصدت له المكافأة ، وإن لم يكن تعمدها حمدت الله وشكرته وعلمت أنه منه ، توحدك بها و أحببت هذا إذ كان سببا من أسباب نعم الله عليك وترجو له بعد ذلك خيرا ، فإن أسباب النعم بركة حيث ما كانت وإن كان لم يتعمد ، ولا قوة إلا بالله .
٤٨ - وأما حق من ساءك القضاء على يديه بقول أو فعل فإن كان تعمدها كان العفو أولى بك لما فيه له من القمع وحسن الادب مع كثير أمثاله من الخلق ، فإن الله يقول : ((ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل)) - إلى قوله – ((من عزم الامور)) ، وقال عزوجل ((وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)) هذا في العمد ، فإن لم يكن عمدا لم تظلمه بتعمد الانتصار منه فتكون قد كافأته في تعمد على خطأ ، ورفقت به ورددته بألطف ما تقدر عليه ، ولا قوة إلا بالله.
٤٩ - وأما حق أهل ملتك عامة فإضمار السلامة ونشر جناح الرحمة والرفق بمسيئهم ، وتألفهم ، واستصلاحهم وشكر محسنهم إلى نفسه وإليك فإن إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كف عنك أذاه وكفاك مؤونته وحبس

عنك نفسه ، فعمهم جميعا بدعوتك وانصرهم جميعا بنصرتك ، وانزلتهم جميعا منك منازلهم ، كبيرهم بمنزلة الوالد وصغيرهم بمنزلة الولد وأوسطهم بمنزلة الاخ ، فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة ،. وصل أخاك بما يجب للاخ على أخيه .

٥٠ - وأما حق أهل الذمة فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل الله وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده وتكلهم إليه في ما طلبوا من أنفسهم وأجبروا عليه وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك فيما جرى بينك (وبينهم) من معاملة وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده ، وعهد رسول الله صلى الله عليه وآله حائل فانه بلغنا أنه قال : (من ظلم معاهدا كنت خصمه) فاتق الله ، ولا حول وقوة إلا بالله .

فهذه خمسون حقا محيطا بك لا تخرج منها في حال من الاحوال يجب عليك رعايتها والعمل في تأديتها والاستعانة بالله جل ثناؤه على ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والحمد لله رب العالمين .

ملحق – ٢ –

المواصفات المطلوبة

في الشيعي الحقيقي

حيث توجد روايات وأحاديث كثيرة تبين المواصفات المطلوبة في الشيعي الحقيقي ، وسننقل بعض هذه النصوص عن كتاب (الشيعة في أحاديث الفريقين)..

١- عن الإمام علي (ع) : شيعتي الذبل الشفاه ، الخمص البطون ، الذين تعرف الرهبانية والربانية في وجوههم ..
رهبان بالليل ، أسد بالنهار ..
الذين إذا جنّهم الليل إتزروا على اوساطهم ، وارتدوا على اطرافهم ، وصفوا اقدامهم وافترشوا جباههم .. تجري دموعهم على خدودهم ، يجأرون الى الله في فكاك رقابهم ..
وأما النهار فحلماء علماء كرام نجباء ابرار اتقياء).
ثم قال(ع) : (شيعتي الذين اتخذوا الأرض بساطاً والماء طيباً والقرآن شعاراً ..
ان شهدوا لم يُعرفوا ، وان غابوا لم يُفتقدوا .. شيعتي الذين في قبورهم يتزاورون ، وفي أموالهم يتواسون ، وفي الله يتباذلون) .
ثم قال(ع) : (شيعتي شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وحوائجهم خفيفة ، وانفسهم عفيفة ، اختلفت بهم الأبدان ، ولم تختلف قلوبهم) .

٢ - وعـن الامـام علـي (ع) :(شـيعتنا المتبـاذلون في ولايتنـا ، المتحـابون في مودتنـا ، المتـزاورون في إحيـاء أمرنـا ، الـذين إن غـضبوا لم يظلمـوا ، وان رضوا لم يسرفوا ..
بركة على من جاوروا ، وسلم لمن خالطوا).

٣- وعن الإمام علي (ع) : (شيعتنا هـم العارفـون بـالله ، العـاملون بـأمر الله ، أهل الفضائل ، الناطقون بالصواب ..
مأكولهم القوت ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ..
بـخعوا لله تعالى بطاعته ، وخضعوا له بعبادتـه ، فمـضوا غاضـين أبـصارهم عما حرم الله عليهم ، رامقين أسماعهم على العلم بربهم ..
نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلـت منهم في الرخـاء ، رضـوا عـن الله تعالى بالقضاء ، فلولا الآجال التي كتب الله تعـالى لهـم لم تـستقر أرواحهـم في أجسادهم طرفـة عـين ، شـوقا إلى لقـاء الله والثـواب ، وخوفـا مـن ألـيم العقاب ..
عظم الخالق في أنفسهم ، وصغر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنـة كمـن رآهـا فهم على أرائكها متكئون ، وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون ..
صبروا أياماً قليلة ، فأعقبهم راحـة طويلـة ، أرادتهـم الـدنيا فلـم يريـدوها ، وطلبتهم فأعجزوها .
أما الليل فصافون أقدامهم ، تالون لأجزاء القـرآن يرتلونـه تـرتيلا ، يعظـون أنفسهم بأمثاله ، ويستشفون لدائهم بدوائـه تـارة ، وتـارة يفترشـون جباههم وأكفهـم وركـبهم وأطـراف أقـدامهم ، تجـري دمـوعهم علـى خـدودهم ، يمجدون جبارا عظيما ، ويجأرون إليه في فكاك رقابهم .. هذا ليلهم ..

وأما نهارهم فحكماء بررة علماء أتقياء ، برأهم خوف باريهم ، فهم كالقداح تحسبهم مرضى أو قد خولطوا ، وما هم بذلك ، بل خامرهم من عظمة ربهم ، وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم ، وذهلت منه عقولهم ..
فإذا اشفقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالاعمال الزاكية ، لا يرضون له بالقليل ، ولا يستكثرون له الجزيل ، فهم لانفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ..
ترى لأحدهم قوة في دين ، وحزماً في لين ، وإيماناً في يقين ، وحرصا على علم ، وفهماً في فقه ، وعلما في حلم ، وكَيساً في قصد ، وقصدا في غنى ، وتجملا في فاقة ، وصبرا في شفقة ، وخشوعا في عبادة ، ورحمة في مجهود ، وإعطاء في حق ، ورفقا في كسب ، وطلبا في حلال ، ونشاطا في هدى ، واعتصاما في شهوة ، وبرا في استقامة ..
لا يغره ما جهله ، ولا يدع إحصاء ما عمله ، يستبطئ نفسه في العمل ، وهو من صالح عمله على وجل ، يصبح وشغله الذكر ، ويمسي وهمه الشكر ، يبيت حذرا من سنة الغفلة ، ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة .
وإن استصعب عليه نفسه فيما تكره لم يطعها سؤلها مما إليه تسره ، رغبته فيما يبقى ، وزهادته فيما يفنى ، قد قرن العلم بالعمل والعمل بالحلم ..
دائما نشاطه ، بعيدا كسله ، قريبا أمله ، قليلا زلله ، متوقعا أجله ، عاشقا قلبه ، شاكرا ربه ، قانعة نفسه ، عازبا جهله ، محرزا دينه ، كاظما غيظه ، صافيا خلقه، آمنا منه جاره ، سهلا أمره ، معدوما كبره ، متينا صبره ، كثيرا ذكره .
لا يعمل شيئا من الخير رياء ، ولا يتركه حياء .
اولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا ، آها وشوقا إليهم).

٤ - وورد أنه قال رجل للإمام الحسن بن علي (ع) : إني من شيعتكم ، فقال الحسن بن علي عليه السلام : يا عبد الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً ، فقد صدقت ، وإن كنت بخلاف ذلك ، فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها ، لا تقل لنا : أنا من شيعتكم ، ولكن قل : أنا من مواليكم ومحبيكم ومعادي أعدائكم ، وأنت في خير وإلى خير .

٥ – وورد أنه قال رجل للإمام الحسين بن علي عليهما السلام : يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم ، قال : اتق الله ، ولا تدعين شيئا يقول الله لك كذبت وفجرت في دعواك ، إن شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش وغل ودغل ، ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم .

٦ - وعن الإمام جعفر الصادق(ع) قال : حدثنا أبي قال : إنه كان يكون الرجل من شيعة علي عليه السلام في القبيلة ، فيكون إليه ودائعهم ووصايتهم وأمانتهم ، كان يُسأل عنه فيقال : فلان هو والله أصدقنا في الحديث ، وأدانا للامانة فمن مثله ؟ ! ! ! ..
فكونوا لنا زيناً ، ولا تكونوا علينا شيناً .

٧- وقال أحدهم للإمام الباقر عليه السلام جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير ، فقال (ع) : فهل يعطف الغني على الفقير ، وهل يتجاوز المحسن على المسيء ويتواسون ؟ فقال الرجل: لا ..
فقال : ليس هؤلاء شيعة ، إنما الشيعة من يفعل هذا .

٨ - وعن جابر الأنصاري قال : دخلت على أبي جعفر الباقر (ع) ، فقال لي : يا جابر ، أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت !
فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه ، وما كانوا يعرفون - يا جابر - إلا بالتواضع والتخشع والامانة وكثرة ذكر الله والصلاة والصوم ، والبر بالوالدين ، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والايتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكف الالسن عن الناس إلا من خير ، وكانوا أمناء عشائرهم في الاشياء .
ثم قال (ع) : يا جابر ، لا تذهبن بك المذاهب ، حسب الرجل أن يقول أحب عليا وأتولاه ، ثم لا يكون مع ذلك فعالا ، فلو قال : إني أحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فرسول الله خير من علي ، ثم لا يتبع سيرته ، ولا يعمل بسنته ، ما نفعه حبه إياه شيئا ، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله .. ليس بين الله وبين أحد قرابة ، أحب العباد إلى الله عزوجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته ..
ياجابر والله ما يتقرب إلى الله إلا بالطاعة ، وما معنا براءة من النار ، ولا على الله لأحد من حجة ..
من كان (لله) مطيعا فهو لنا ولي ، ومن كان (لله) عاصيا فهو لنا عدو ، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع.

٩ - وعن الباقر (ع) أنه قال : لا تنال ولايتنا إلا بالورع ، وليس من شيعتنا من ظلم الناس .

١٠ - وعن الباقر (ع) أنه قال : والله ما معنا من الله براءة ، ولا بيننا وبين الله قرابة ، ولا لنا على الله حجة ، ولا يُتقرب إلى الله إلا بالطاعة ..
فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا ، ومن كان منكم عاصيا لله فلم تنفعه ولايتنا .

١١ - وعن الباقر (ع) أنه قال : أبلغ شيعتنا أنه لا ينال ما عند الله إلا بالعمل ..
وأبلغ شيعتنا أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلا ، ثم يخالفه إلى غيره .

١٢ - وعن الباقر (ع) أنه قال : لا تذهب بكم المذاهب ، فو الله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عزوجل.

١٣ - وورد في الحديث عن أبي أسامة زيد الشحام ، قال : قال لي أبو عبد الله (الصادق عليه السلام) : اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام ، و أوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله ، وصدق الحديث وأداء الامانة وطول السجود وحسن الجوار ..
فبهذا جاء محمد (صلى الله عليه وآله) ، أدوا الامانة إلى من ائتمنكم عليها برا أو فاجرا ، فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط .. صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم ، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الامانة

وحسن خلقه مع الناس قيل : هذا جعفري ، فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور وقيل : هذا أدب جعفر ..
وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره ، وقيل : هذا أدب جعفر ..
فوالله لحدثني أبي (عليه السلام) أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي (ع) فيكون زينها ، أداهم للامانة ، وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث ، إليه وصاياهم وودائعهم ، تسأل العشيرة عنه ، فتقول : من مثل فلان ، انه لأدانا للامانة ، وأصدقنا للحديث .

١٤ - وعن أبي عبد الله الصادق (ع) : (شيعتنا الرحماء بينهم ، الذين إذا خلوا ذكروا الله ، إنّ ذكرنا من ذكر الله ، إنا إذا ذُكرنا ذُكر الله ، وإذا ذُكر عدونا ذكر الشيطان).

١٥ - وورد في الكافي عن محمد بن عجلان قال : كنت عند أبي عبد الله (الصادق عليه السلام) فدخل رجل فسلم فسأله كيف من خلفت من إخوانك ؟ قال : فأحسن الثناء وزكى وأطرى ، فقال (ع) : كيف عيادة أغنيائهم لفقرائهم ؟ قال : قليلة ، (قال : وكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم ؟ قال : قليلة ، قال : فكيف مواصلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم ؟ فقال الرجل : إنك لتذكر أخلاقاً قل ماهي فيمن عندنا ، فقال (ع) : كيف يزعم هؤلاء إنهم لنا شيعة .

١٦- وقال الصادق (عليه السلام) : إنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه ، واشتد جهاده ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، وخاف عقابه ، فإذا رأيت اولئك فاولئك شيعة جعفر .

١٧ - وعن الإمام الرضا (ع) في الرد على جماعة تدعي أنها من شيعة الإمام علي (ع) : ويحكم إنما شيعته الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان والمقداد وعمار و محمد بن أبي بكر ، الذين لم يخالفوا شيئا من أوامره ، ولم يركبوا شيئا من فنون زواجره ..
فأما أنتم إذا قلتم إنكم شيعته ، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون، مقصرون في كثير من الفرائض ، ومتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله) .
ثم قال (ع) : (فلو قلتم إنكم موالوه ومحبوه ، والموالون لأوليائه ، والمعادون لأعدائه ، لم أُنكره من قولكم ، ولكن هذه مرتبة شريفة ادعيتموها ، إن لم تصدقوا قولكم بفعلكم هلكتم إلا أن تتداركم رحمة من ربكم) .

١٨ - وعن الإمام الحسن العسكري (ع) : إنما شيعة علي(عليه السلام) الذين قال الله عزوجل فيهم : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) ..
هم الذين آمنوا بالله ووصفوه بصفاته ، ونزهوه عن خلاف صفاته ، وصدقوا محمداً في أقواله ، وصوّبوه في كل أفعاله ، ورأوا علياً بعده سيداً إماماً .

ثم قال (ع) : (وشيعة علي - عليه السلام - هم الذين لا يبالون في سبيل الله ، أوقع الموت عليهم أو وقعوا على الموت ..

وشيعة علي - عليه السلام - هم الذين يؤثرون إخوانهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهم الذين لا يراهم الله حيث نهاهم ، ولا يفقدهم من حيث أمرهم ..

وشيعة علي - عليه السلام - هم الذين يقتدون بعلي في إكرام إخوانهم المؤمنين ..

ثم قال (ع) : ما عن قولى أقول لك هذا ، بل أقوله عن قول محمد (ص) ، فذلك قوله تعالى : (وعملوا الصالحات) ، قضوا الفرائض كلها ، بعد التوحيد واعتقاد النبوة والامامة ، وأعظمها فرضاً قضاء حقوق الاخوان في الله ، واستعمال التقية من أعداء الله عزوجل) .

ملحق -٣ -

صفــة المؤمــن

عند الإمام علي (ع)

حيث ورد في الكافي عن الإمام علي (ع) في صفة المؤمن :

المؤمن هو الكيس الفطن ، بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شئ صدرا ، وأذل شئ نفسا ، زاجر عن كل فان ، حاضٌ على كل حسن . لا حقود ولا حسود ، ولا وثاب ، ولا سباب ، ولا عياب ، ولا مغتاب ، يكره الرفعة ، ويشنأ السمعة ، طويل الغم ، بعيد الهم ، كثير الصمت . وقور ، ذكور ، صبور ، شكور ، مغموم بفكره ، مسرور بفقره ، سهل الخليقة ، لين العريكة ، رصين الوفاء ، قليل الأذى ، لا متأفك ولا متهتك . إن ضحك لم يخرق ، وإن غضب لم ينزق ، ضحكه تبسم ، واستفهامه تعلم ، ومراجعته تفهم .

كثير علمه ، عظيم حلمه ، كثير الرحمة ..

لا يبخل ، ولا يعجل ، ولا يضجر ، ولا يبطر ، ولا يحيف في حكمه ، ولا يجور في علمه .

نفسه أصلب من الصلد ، ومكادحته أحلى من الشهد ..

لا جشع ، ولا هلع ، ولا عنف ولا صلف ، ولا متكلف ولا متعمق .

جميل المنازعة ، كريم المراجعة ، عدل إن غضب ، رفيق إن طلب ..

لا يتهور ولا يتهتك ولا يتجبر ..

خالص الود ، وثيق العهد ، وفي العقد ، شفيق ، وصول ، حليم ، خمول ، قليل الفضول ..

راض عن الله عز وجل ، مخالف لهواه ..
لا يغلظ على من دونه ، ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ناصر للدين ، محام عن المؤمنين ، كهف للمسلمين ..
لا يخرق الثناء سمعه ولا ينكي الطمع قلبه ، ولا يصرف اللعب حكمه ، ولا يطلع الجاهل علمه ، قوال ، عمال ، عالم ، حازم ، لا بفحاش ، ولا بطياش ، وصول في غير عنف ، بذول في غير سرف ..
لا بختال ، ولا بغدار ، ولا يقتفي أثرا ، ولا يحيف بشرا ، رفيق بالخلق ، ساع في الأرض ، عون للضعيف ، غوث للملهوف ، لا يهتك سترا ، ولا يكشف سرا ..
كثير البلوى ، قليل الشكوى ، إن رأى خيرا ذكره ، وإن عاين شراً ستره ، يستر العيب ، ويحفظ الغيب ، ويقيل العثرة ، ويغفر الزلة ، لا يطلع على نصح فيذره ، ولا يدع جنح حيف فيصلحه ..
أمين ، رصين ، تقي ، نقي ، زكي ، رضي ، يقبل العذر ، ويجمل الذكر ، ويحسن بالناس الظن ، ويتهم على الغيب نفسه ..
يحب في الله بفقه وعلم ، ويقطع في الله بحزم وعزم ، لا يخرق به فرح ، ولا يطيش به مرح ..
مذكّر للعالم ، معلم للجاهل ، لا يتوقع له بائقة ، ولا يخاف له غائلة .. كل سعي أخلص عنده من سعيه ، وكل نفس أصلح عنده من نفسه ، عالم بعيبه ، شاغل بغمه ، لا يثق بغير ربه ..
غريب وحيد جريد (حزين) ، يحب في الله ، ويجاهد في الله ، ليتبع رضاه ..
ولا ينتقم لنفسه بنفسه ، ولا يوالي في سخط ربه ..

مُجالِس لأهل الفقر ، مصادق لأهل الصدق ، موازر لأهل الحق ، عون للغريب ، أب لليتيم ، بعل للأرملة ، حفي بأهل المسكنة ، مرجو لكل كريهة ، مأمول لكل شدة ..

هشاش ، بشاش ، لا بعباس ، ولا بجساس ، صليب ، كظّام ، بسام ، دقيق النظر ، عظيم الحذر ، (لا يجهل وإن جهل عليه يحلم) ، لا يبخل وإن بُخل عليه صبر ..

عقل فاستحيى ، وقنع فاستغنى ..

حياؤه يعلو شهوته ، ووده يعلو حسده ، وعفوه يعلو حقده ، لا ينطق بغير صواب ، ولا يلبس إلا الاقتصاد ، مشيه التواضع ..

خاضع لربه بطاعته ، راض عنه في كل حالاته ..

نيته خالصة ، أعماله ليس فيها غش ولا خديعة ، نظره عبرة ، سكوته فكرة ، وكلامه حكمة ، مناصحا متباذلا ، متواخيا ، ناصح في السر والعلانية ، لا يهجر أخاه ، ولا يغتابه ، ولا يمكر به ..

ولا يأسف على ما فاته ، ولا يحزن على ما أصابه ، ولا يرجو ما لا يجوز له الرجاء ، ولا يفشل في الشدة ، ولا يبطر في الرخاء ..

يمزج الحلم بالعلم ، والعقل بالصبر ..

تراه بعيداً كسله ، دائما نشاطه ، قريبا أمله ، قليلاً زلله ، متوقعا لأجله ، خاشعا قلبه ، ذاكراً ربه ، قانعة نفسه ، منفيا جهله ، سهلا أمره ، حزينا لذنبه ، ميتة شهوته ، كظوما غيظه ، صافيا خلقه ، آمنا منه جاره ، ضعيفا كِبره ، قانعا بالذي قُدّر له ، متينا صبره ، محكما أمره ، كثيرا ذكره .. يخالط الناس ليعلم ، ويصمت ليسلم ، ويسأل ليفهم ، ويتجر ليغنم ، لا ينصت للخبر ليفجر به ، ولا يتكلم ليتجبر به على من سواه ..

نفسه منه في عناء والناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، فأراح الناس من نفسه ..

إن بغي عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له ..

بُعده ممن تباعد منه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده تكبرا ولا عظمة ، ولا دنوه خديعة ولا خلابة ، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير ، فهو إمام لمن بعده من أهل البر .

ملحق – ٤ –

دعاء (مكارم الاخلاق ومرضي الافعال) للإمام زين العابدين (ع) :

أَللّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحمَّدٍ وَآلِهِ وبَلِّغْ بإيْمَانِي أكْمَلَ الايْمَانِ ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ ، وَبِعَمَلِي إِلى أَحْسَنِ الأَعْمَالِ .

أَللّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي ، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي ، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الإِهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ ، وَأَعِزَّنِي ، وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرَ ، وَلا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الاَخْلاقِ ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ .

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلاّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا ، وَلا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً ، إِلاّ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا.

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَتِّعْنِي بِهُدىً صَالِحٍ لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لا أَزِيغُ عَنْهَا ، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لاَ أَشُكُّ فِيهَا ، وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِي بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

أللَّهُـمَّ لا تَـدَعْ خَـصْلَةً تُعَـابُ مِنِّـي إلاّ أَصْـلَحْتَهَا، وَلا عَائِبَـةً أُؤَنَّـبُ بِهَـا إلاّ حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أُكْرُومَـةً فِيَّ نَاقِصَةً إلاّ أَتْمَمْتَهَا.

أللَّهُـمَّ صَـلِّ عَلَـى مُحَمَّـد وَآل مُحَمَّـد وَأَبْـدِلْنِي مِـنْ بِغْـضَةِ أَهْـلِ الـشَّنَئَانِ الْمَحَبَّــةَ ، وَمِنْ حَسَد أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَـوَدَّةَ، وَمِـنْ ظِنَّـةِ أَهْلِ الـصَّلاَحِ الثِّقَـةَ، وَمِـنْ عَـدَاوَةِ الادْنَـيْنَ الْوَلاَيَـةَ ، وَمِـنْ عُقُـوقِ ذَوِي الأرْحَـامِ الْمَبَـرَّةَ ، وَمِـنْ خِذْلاَنِ الاقْرَبِينَ النُّصْرَةَ ، وَمِـنْ حُـبِّ الْمُـدَارِينَ تَـصْحِيحَ الْمِقَـةِ ، وَمِـنْ رَدِّ الْمُلاَبِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ ، وَمِنْ مَرارَةِ خَوْفِ الظَّالمِينَ حَلاَوَةَ الامَنَةِ.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه وَاجْعَلْ لِي يَداً عَلَى مَنْ ظَلَمَنِـي ، وَلِـسَاناً عَلَـى مَنْ خَـاصَمَنِي ، وَظَفَـراً بِمَـنْ عَانَـدَنِي ، وَهَـبْ لِـي مَكْـراً عَلَـى مَـنْ كَايَـدَنِي، وَقُدْرَةً عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي ، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي ، وَسَـلاَمَةً مِمَّـنْ تَوَعَّـدَنِي، وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي ، وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي .

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه، وَسَـدِّدْنِي لأَنْ أُعَـارِضَ مَـنْ غَـشَّنِي بِالنُّـصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ ، وَاُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَـذْلِ ، وَاُكَـافِيَ مَـنْ قَطَعَنِـي بِالـصِّلَةِ ، وَاُخَـالِفَ مَـنِ اغْتَـابَنِي إلَـى حُـسْنِ الـذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْـكُرَ الْحَـسَنَةَ وَاُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.

أللَّهُـمَّ صَـلِّ عَلَـى مُحَمَّـد وَآلِـه وَحَلِّنِي بِحِلْيَـةِ الـصَّالِحِينَ ، وَأَلْبِسْنِي زِينَـةَ الْمُتَّقِينَ ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ وَكَظْمِ الْغَـيْظِ وَإطْفَـاءِ النَّـائِرَةِ ، وَضَـمِّ أَهْـلِ الْفُرْقَـةِ وَإصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِـينِ الْعَرِيكَـةِ، وَخَفْـضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيـحِ، وَطِيْـبِ الْمُخَالَقَـةِ، وَالـسَّبْقِ إلَـى الْفَـضِيلَةِ، وَإيْثَـارِ التَّفَـضُّلِ، وَتَـرْكِ التَّعْيِيرِ ، وَالإفْـضَالِ عَلَـى غَيْـرِ الْمُـسْتَحِقِّ وَالْـقَوْلِ بِـالْحَقِّ وَإنْ عَـزَّ ، وَاسْتِقْلاَلِ الْخَيْـرِ وَإنْ كَثُـرَ مِـنْ قَـوْلِي وَفِعْلِـي ،

وَاسْتكْثَار الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفعْلِي، وَأكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ ورَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إذَا كَبُرتُ ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إذَا نَصبْتُ، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ ، وَلا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ ، وَلاَ بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِكَ ، وَلاَ مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ ، وَلا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إلَيْكَ.

أللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَأَتَضَرَّعُ إلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ ، وَلا تَفْتِنِّي بِالإسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إذَا اضْطُرِرْتُ، وَلا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إذَا افْتَقَرْتُ ، وَلاَ بِالتَّضَرُّعِ إلَى مَنْ دُونَكَ إذَا رَهِبْتُ ، فَأَسْتَحِقَّ بِذلكَ خِذْلاَنَكَ وَمَنْعَكَ وَإعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ، ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ..

وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ أَوْ هُجْرٍ أَوْ شَتْمِ عِرْضٍ أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ أو اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ أَوْ سَبِّ حَاضِرٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ وَإغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ وَاعْتِرَافاً بِإحْسَانِكَ وَإحْصَاءً لِمِنَنِكَ.

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلاَ اُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي ، وَلا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ القَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي، وَلاَ أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي ، وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي ، وَلا أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي.

أللَّهُمَّ إلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ ، وَلاَ فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إلاَّ فَضْلُكَ ..

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ ، أللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدى، وَأَلْهِمْنِي أَلتَّقْوى ، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَى ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى.

أللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى، وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَى.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْنِي بِالإقْتِصَادِ ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ ، وَسَلامَةَ الْمِرْصَادِ.

أللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا ، فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا.

أَللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزَنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ ، وَلِمَا فَسَدَ صَلاحٌ ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ..

فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلاءِ بِالْعَافِيَةِ ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَةِ ، وَقَبْلَ الضَّلالِ بِالرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الإِرْشَادِ.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَادْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ، وَجَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الامُورُ لأَهْدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الأَعْمَالُ لأَزْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لأَرْضَاهَا.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلايَةِ، وَهَبْ لِي صِدْقَ الْهِدَايَةِ ، وَلا تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ ، وَلا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً ، وَلا تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً ، فَإِنِّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً وَلا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله وامْنَعْني مِنَ السَّرَف ، وَحَصِّنْ رِزْقي مِنَ التَّلَفِ، ووفِّرْ مَلَكتي بِالْبَرَكَة فيه ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَة لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله واكْفِني مَؤُونَةَ الإكْتِسَاب ، وَارْزُقْني مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ ، فَلاَ أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ وَلا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ الْمَكْسَب.

أللَّهُمَّ فَأَطْلِبْني بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ ، وَأَجِرْني بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلاَ تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالإقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَابْتَلَى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله وارْزُقْني صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ ، وَفَرَاغاً فِي زَهَادَةٍ ، وَعِلْماً فِي اسْتِعْمَالٍ ، وَوَرَعاً فِي إِجْمَالٍ .

أللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي ، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي ، وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي ، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِيْ عَمَلِي.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَة ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَة ، وَانْهَجْ لِي إِلَى مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً ، أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالاخِرَة.

أللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآله كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَد مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَى أَحَد بَعْدَهُ ، وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الاخِرَة حَسَنَةً ، وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ.

مصادر الكتاب

أهم مصادر الأحاديث والروايات الواردة في هذا الكتاب ، ما يأتي :

١- نهج البلاغة .
٢- الكافي للكليني .
٣- الوسائل للحر العاملي .
٤- سفينة البحار للشيخ عباس القمي .
٥- جامع السعادات للنراقي .
٦- مرآة الكمال للمامقاني .
٧- مجمع البحرين للطريحي .
٨- الشيعة في أحاديث الفريقين .
٩- الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي .
١٠- ورثة الفردوس للمظفر .
١١- موسوعة سيرة أهل البيت (ع) للشيخ القرشي .
١٢- برنامج الكمبيوتر (المعجم الفقهي) الإصدار الثالث ١٤٢١هـ لمركز المعجم الفقهي في الحوزة العلمية بقم المشرفة .

وهناك مصادر أخرى ذكرناها ضمن الأصل ، فينبغي الإلتفات إلى ذلك .

فهرست الكتاب